

كولين ولسون

طقوس

في الظلام



دار الآداب

0018476



Bibliotheca Alexandrina

طقتوس في الظلام

كولن ولسون

طوقس في الظلام

نقله الى العربية
فاروق محمد يوسف

منشورات دار الآداب - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الخامسة
١٩٨٦

الفصل الاول

غادر النفق الارضي من زاوية هايد بارك ، خميض الراس ، متجاهلا الناس الذين كانوا يتزاحمون حوله ، تاركا لهم امر الابتعاد عن طريقه . لقد كره الجموع لانها كانت تتحداه . كان اذا سمح لنفسه بملاحظتهم يواجه في نفسه افكارا مثل : كم تضم هذه المدينة الدمويه من الناس ، اننا لفي حاجة الى مذبحه للتقليل من عددهم . وكان حين يكشف في نفسه مل هذه الافكار يشعر بالغثيان . لم يكن يميل الى قتل احد . ولكنه لم يستطع التحكم في كرهه للجموع . لقد تجنب للسبب عينه ان ينظر الى الاعلانات التي تحفل بها المدرجات المتحركة الهابطة الى انفاق لندن . ولكن النظرة العارضة جدا كانت كافية لتزيل كثيرا من الاحقاد . لقد كانت الصور نصف العارية التي نعلن عن ملابس النساء الداخلية وجواربهن كفيلة بان تبعث باحساس لاهب الى حلقومه ، وبهزة مفاجئة تشبه القاء عود من الثقاب على قطعة من القماش منقوعة بالبتروول .

وانهمر رذاذ خفيف داكل ، وكانت السيارات العابرة تنترحولها رشاشا من الماء الطينني . واحكم ازرار معطفه ورفع اياقة حول رقبتة ، تم فتح مظله نسائية كان يعلقها من حمالتها حول رصفه ، وتضاءل عدد الناس حين كان يعبر كروسفينسر كريسنت ، وراح يبطن في السير ، مستمتعا بصوت المطر على المظلة .

ووقف خارج البوابات الحديدية المذهبة وراح يبحث في جيوبه عن النقود . كان مدخل المحل يختفي خلف خيمة ملفعة بالشرائط تتوجها قبة روسية مبصلة ، وينفض الى جانبها تمثالان يمثلان زنجيين ضخمين يستندان الى القوس المرمرى الذي كان يشكل مدخل الخيمة . وخفض مظلته وهرها قليلا ليخلصها مما علق بها من قطرات المطر . ولاحث له جدران المحل خلف

الخيمة سوداء مهجورة .

كان مدخل القاعة يتنفس برائحة الملابس المبللة . وكان هناك خط من المنتظرين الذي كانوا يعدون حوالى الستة اشخاص، يقفون قرب نافذة البطاقات . اما الجدران الداخلية في الخيمة فقد كانت مغطاة بشرائط حمراء ومذهبة من الورق . كان بيع البطاقات قد تأخر قليلا ، وكان هناك رجل في منتصف العمر، يحنج بصوت ذي لكنة اجنبية قائلا :

- ومع ذلك ، فانا تلميذ في مدرسة لندن للاقتصاد . كل ما في الامر هو انني نسيت بطاقة الهوية . ولكنني احمل ايضا بطاقة هوية خاصة بفرفة مطالعة المتحف البريطاني اذا كانت تنفع ...
واخرج سورم كتابا من جيب سترته الجانبي ومضى يقرأ . وتقدم خط المنتظرين قليلا .

ونسعر بان الرجل الواقف امامه ينظر الى كتابه ، محاولا ان يقرأ عنوانه من صفحة الغلاف . ورفع عينيه ورأى العينين الضيقتين البنيتين اللتين انصرفنا عنه مباشرة بشيء من الحرج . ولكنه استطاع في تلك اللحظة ان يسجل وجها نحيفا طويل الفك لاح له مألوفاً بصورة غريبة . كان قبيحا ولكن بصورة لطيفة ، تفتيه حفر صغيرة تشبه انار الجذري . ومرة لحظة اخرى ، واشترى الرجل تذكرته ، وصار في وسع سورم ان يلاحظ بصورة انهم . ولكن فحوصه له لم يتح له ان يتعرف عليه . كان اطول من سورم رغم ان سورم كان يريد على الستة اقدام قليلا . كانت بذلته الرمادية الغامقة انيقة . وكان لوجهه النحيف عظمتان عاليتان عند الخدين ، وعينان تطلان من الزوايا . لقد كان وجهه مألوفاً الى درجة ان سورم ظل يحملق فيه طويلا، واكتشف نفسه فجأة يحملق في العينين البنيتين المثلتين من الزوايا مرة اخرى وابتمستا له قليلا ، ثم استدار الرجل وسار في طريقه . وفجأة تأكد لسورم انه لم يكن قد رآه من قبل . كانت بائعة التذاكر تسأل : تلميذ ؟
- نعم .

- شلن وستة بنسات من فضلك . المنهج ؟

كانت المدرجات التي تقود الى خارج الخيمة تدور حول جدارها المصنوع من القماش وتكشف عن المساند الصدئة التي كانت تدعمها . وسار مسرعا ، كارها الذكريات المزعجة التي بعثتها المساند الى نفسه . وادت به المدرجات الى مدخل كان قد انشئ في محل نافذة في الطابق الاول ، واستخدم بابا للمعرض . وسرعان ما بددت الغرفة الاولى مشاعر الكره في نفسه . كانت قد صممت لتلوح كشوارع من شوارع باريس . وكانت هناك قضبان حديدية ومنظر لنهر

السين بين البيوت . وكانت هنالك تحت اغصان شجرة عالية لوحة كتب عليها : ملهى الشانزليزيه . الباليه الروسية . وكانت هنالك لوحة كبيرة لنجنسكى تمثله « شبح الزهرة » . وكانت ممضاة من قبل كوكتو .

كان المكان دافئاً ، ولم يكن هنالك احد آخر في الغرفة . وتبدد في نفسه الشعور المتونر الذي كان قد خلفه المطر والجموع . وانبعث من غرفة اخرى صوت موسيقي . ووضع الكتاب في جيب سترته ، ودفن يديه عميقا في جيوب معطفه واستسلم تماما للشعور بالحنين الذي اتارته الغرفة في نفسه . ووقف هنالك بضعة لحظات دون ان يتحرك . حتى سمع وقع اقدام بعض الناس واصوانهم من ناحية المدرجات ، وسار مسرعا مخلفا وراءه لوحة بافلوفا التي كانت تواجه لوحة نجنسكى ، وارتقى السلم المخشبي الضيق الى الطابق الثاني كانت الموسيقى عالية هنالك ، وقد عرف فيها الرقصة الاخيرة في «طير النار» ، صوت البوق الحافت المطول . وبعث ذلك الصوت بهزة دافئة من الفبطة في عضلات ظهره وكتفيه ، وكذلك في جلدة رأسه . كان الناس يرقون السلم الان خلفه . وهرع الى الغرفة الفارقة في الثور - كان هنالك شخص واحد فقط : الرجل الذي كان يقف امامه في خط الانتظار . وساقته الاصوات ووقع الخطى التي كانت تأتي من ناحية السلالم الى الغرفة التالية . وبار في اعماقه شعور عنيف بالكره لاولئك الذين كانوا يشرثرون عواطفهم بالكلمات . كان هنالك صوت بطيء منمق يقول : وكدنا ان نلتقط صورة له . كان هنالك على النساطيء ، يرتدى ملابس الاستحمام . وامسكت ليتي بآلة التصوير ، ولكنها لم تكن سريعة تماما اذ انه اتم ارتداء الملابس . كانت ستكون صورة ممتازة - صورة لبيكاسو وهو عار

ونوقفت الموسيقى ، وخفت الصوت بعد ان اربكه الصمت . وفجأة عادت الموسيقى نائية ، قوية عنيفة غير منسجمة ناشزة . بحيث انها اغرقت جميع الاصوات الاخرى . وعرف فيها (مقطوعة سيلديا) لبروكوفيف ، وابتسم . وكانت ضوضاء الموسيقى تهز المعرض الزجاجي في داخل الغرفة ، وتعزله عن الناس تماما كما يفعل الصمت . وراح يتفحص برضى تصميمالبيينوا لم تكن الغرف مزدحمة ، واستطاع ان يتفحص محتوياتها ببطء ، عائدا الى الغرفة الاولى حن النقى بالناس الذين كانوا خلفه - ضابط عسكري تصحبه فتانان .

* * *

ومرت ساعة ، وكانت مكبرات الصوت تذيع (القبة المثلثة) ، وكان هو ما يزال في الطابق الاول ، في معرض الصور . وكانت الحرارة شير فيه

النحاس ، وكان الجو مثقلا برائحة غريبة لاح له انها قد تكون مخدرا . وبينما كان يمعن النظر في لوحة تصور ستراfnنسكي ، لاحظ التمثال النصفى . وكان ينهض على قاعدة مكعبة من الممر تقبع مباشرة تحت لوحة زيتية لراقصة باليه ترتدي بذلة بيضاء . وكانت الكتابة المحفورة عليه تقول : نجنسكي ، صنع اونا تراوبرج ، وهنا تذكر وجه ذلك الغريب . لقد كان يشبه نجنسكي . كان قد رأى في مكان ما منذ زمن بعيد صورة فوتوغرافية كانت تصور ذلك التعبير نفسه ، وكان ذلك الوجه النحيف ، الذي يشبه وجه اله الفاب اللاتيني ، قد ترك في ذهنه أثرا عميقا . وبينما كان يحملق في التمثال ، بدا الشبه يخفى رويدا . ونظر حوله بصورة اونوماتيكية ليرى اذا كان الرجل قريبا منه . ولكنه لم يره . وخمن في خمول : ترى هل انه احد اقرباء نجنسكي ؟ او ربما ابنه . ولكنه لم يتذكر انه كان لنجنسكي ولد ، وانما كانت له ابنة . لم يكن التمثال يشبهه تماما ، على كل حال . بل انه لم يكن يشبهه نجنسكي نفسه . كان يصوره بطريقة مثالية .

كان الرجل في غرفة شيريكو في أعلى السلم . وكان يفف متكئا على مظلة ، يتفحص أحد التصاميم . وعبر سورم الفرفه ووقف قريبا منه ، بحيث كان يستطيع ان يراقب وجهه من زاوية عينه . كان الشبه موجودا بالتأكيد ، ولم يكن الامر تخيلا من جانبه . وادار رأسه نحوه أكثر قليلا ، وكأنه كان يتفحص التصميم المعروض الى يساره ، واتيح له ان يتفحص الوجه جانبا .

ولم ينظر الغريب اليه ، وانما قال فجأة :

— كان عليه أن يصنع تصاميم أخرى للباليه .

ومرت لحظة ، حسب فيها سورم أن الرجل كان يتحدث الى احد يقف في الناحية اليسرى ، ولكنه ادرك ، بسرعة أيضا انهما كانا وحيدين في الفرفة . ولم يحول الرجل بصره عن التصميم الذي كان يتفحصه . وقال سورم :
— المعدرة ؟

— شيريكو لم يصنع شيئا أفضل من هذا التصميم لـ : «حفلة الرقص»
(le bal) الا توافعني على هذا ؟

وأجاب سورم قائلا : — لست اعرف ، اذ انني لا اعرف أعماله .

ونظر الغريب اليه ، وابتسم . وادرك سورم أن الغريب كان يرقبه في الزجاج الذي كان يغطي التصميم ، منذ أن دخل الفرفة . وبدأ يشعر بشيء من الضيق والحر . كان في صوت الرجل ما يشير الى انه كان شاذا جنسيا كان صوتا باردا مطولا قليلا .

وقال الرجل : - كان في وسعي أن أقسم أنني كنت أعرفك، حين دخلت الغرفة ، فماذا تظن ؟

- لست أظن ذلك .

واستقرت العينان عليه بلا اكتراث . وكان يلوح كمن يتفحص حصانا . وفكر سورم في نفسه : اللعنة - انه يتصور أنني شاذ ايضا .

وقال الرجل : - حسببت انك كنت تعرفني . لقد نظرت الي وكأنك كنت تعرفني .

وفاض صوبه فجأة بنغمة من الاعتذار . وتلاشى ضيق سورم . وخفض عينيه وابتلع ريقه ليفول :

- الحق أنني تصورت فعلا أنني عرفتك . ولكنني لا أظن ذلك ممكنا .

- ربما . ان اسمي هو أوستن نن . وقد لاح لي بالتأكيد أنني عرفتك .

- أوستن نن ؟ هل الفت كتابا عن الباليه ؟

وشعر سورم بشيء من الحماسة والفبطة ، حين استعاد الذكرى : صورة نجنسكي الفوتوغرافية .

- أنني اذكرك بالطبع . لقد قرأتهما معا . اذن هذا هو السبب الذي جعلني اتصور أنني كنت أعرفك .

- أنك تدهشني . لقد كانت صورة فوتوغرافية سيئة ، صورني على الفسلاف .

- كلا ، لم ارها ، وانما رأيت صورة تمثال نجنسكي النصفي . ألم يكن ذلك في كتابك ؟

- اتعني اونا تراوبرج ؟ لقد وجدتھا كارسارفيينا في دكان للكتب القديمة في زقاق سنت مارتن ، ولم اكن أعلم بوجود مثل هذه الصورة من قبل . ولكنني أعرف ماذا تعني . صورة نجنسكي في l'après - midi (١) . الرأس والكتفان ؟

وهنا شعر سورم فجأة بالضيق والكتابة . وأحس بان حماسه قد وضعت في مكان المعجب ، مجرد من هواة الشخصيات . وفي تلك الاثناء استدار نن ، قائلا بصوت يفيض بالسأم :

- على كل حال ، فان الصورتين معا لا تمثلان نجنسكي تماما . والواقع أنني استخدمت صورة l'après - midi لان بعض الاصدقاء اخبروني

(١) الكلمات باللغات الاخرى الموضوعة مقصودة ليعين طريقة المتحدث في الكلام - المترجم

- بانها تشبهني .
ونظر سورم الى ساعته وقال : - حسنا، ارجو الا يكون قد ضايقك سؤالي .
- مطلقا . هل انت على عجل من امرك ؟ ترى هل رأيت كل شيء هنا ؟
- كلا ، وانما قضيت هنا ساعة ونصفا ، ولست اعتقد انني ساقضي وقتا اطول .
- انك محق بلا شك . هذه هي المرة الرابعة التي اطوف فيها المكان .
لقد رأيته حين تم افتتاحه في ادنبره .
وقال سورم بشيء من الضيق : - يجب أن اذهب .
- اسمع - لماذا لا تأتي معي وتشرب نبيئا؟ سيحب من موعدا الانسحاب (١) قريبا .
ونردد سورم ، وفي الوقت ذاته اغضبه ان يجد في نفسه هذا التردد .
لقد كان يستمتع بمشاعر الميل والكره التي اثارها لن في نفسه . ولم يكن يكره التواؤم جنسيا بصورة خاصة ، وانما كان يدرك ان نتائج كون المرء بصحبة احدهم قد تكون صعبة . وقال دون ان ينق بما كان يقول :
- لست اعرف اية حانة قريبة هنا .
- اما انا فاعرف . بل هناك الكثير . هيا معي لتشرب كأسا سريعة .
انني احب دائما ان اقابل الناس الذين يبدوون ولعا في الباليه . اي طريق ستتبع ؟ النفق ؟
- اجل .
- هذا ينهي كل شيء . فالانفاق مزدحمة في هذه الساعة ، والافضل لك ان تقضي بعض الوقت هنا وهناك .
وتبعه سورم الى أسفل السلم ، وقال لن عبر كتفه :
- لم تخبرني باسمك .
- جيرارد سورم .
- سورم ؟ انه اسم غريب ، هل هو فرنسي ؟
- لست اعرف . ان عائلتي هي من يوركشاير ، ويعتقد والدي ان هذا الاسم في لهجة يوركشاير تحوير لسومز .
كانا يعبران معرض الصور . وسأله سورم :
- هل تلاحظ هذه الرائحة الغريبة ؟
- اجل . اتعرف ما هي ؟

(١) موعد افتتاح مشارب لندن .

— كلا .

— انها تدعى «متسوكو» . لقد كانت الرائحة المفضلة عند دياكيليف .
شرقية . ستشتمها بصورة أشد هنا .

كانا يعبران غرفة بضيئها مصابيح زرقاء ، صممت لتلوح كمسرح مسحور ، وكانت الرائحة شديدة هناك . ولاح أنها كانت تنبعث من أزياء الباليه القديمة التي كانت معلقة في فضاء الغرفة الأزرق ، تحيط بها مناظر المسرح الخلفية ، وتبعتهما الرائحة الى مدخل قصير ، ثم الى غرفة حافلة بالكاريكانور ، ثم الى الخارج نحو مدرج مزرق بلوحة تمثل اسطوره « الجمال النسائم » . وصافحت اذانها ضوضاء الموسيقى حين هبط المدرج ، وكان نن يسير في مرح وهو يؤرجح مظلته . كان يتميز بمشية الراقص البديعة ، وكانت طريقته في هبوط السلالم تتميز بطابع مسرحي . وسأل سورم :

— ماذا جعلك تعرا كتبي ؟ هل انت مولع بالباليه ؟

— كنت كذلك حيناً من الزمن ، ولكنني لست كذلك الان .

— واين تدرس ؟

— ما الذي يدفعك الى الاعتقاد بانني تلميذ ؟

— انك تحمل بطاقة تلميذ في جيبك العلوي . وعلى كل حال فانك تلوح تلميذا .

وصارا في الخارج مرة اخرى ، وتوقفا عند نماثيل الزوج الضخمة ، وكان الرذاذ يهطل باستمرار .

وقال سورم : — لست تلميذا ، ولكن الجميع يعتقدون انني تلميذ ، لسبب من الاسباب . اعتقد ان ذلك يرجع الى وجود النمش على بشرتي . كان يتساءل كيف سيكون في وسعه ان يخبر نن ، بسرعة ، ويلطف ، بانه لم يكن شاذاً جنسياً . وبدأ يحاول أن يرفع المظلة ، ولكن نن منعه :
— لا تكلف نفسك هذا العناء ، ان سيارتي هناك . هيا بنا نهرع اليها .

كانت سيارة سبورت حمراء طويلة ، ذات سقف من القماش . وفتح نن الباب بدون المفتاح ، ودخل سورم وراء عجلة المقعد الى المقعد الجانبي . واستدارت السيارة نصفدورة متقنة ثم انطلقت نحو ويلنكتن . وشكا نن قائلاً :
— اعتقد انه سيكون هناك توقف كثير في حركة المرور من هنا الى بيكادلي سركس .

ومضى سورم يحملق في الريشات التي كانت تتحرك على الزجاج الامامي ، وفي الضوء الاحمر المنبعث من اشارات المرور ، الذي كان يتألق عبر القطرات الحمراء في المنطقة التي لم تكن تصل اليها الريشات على الزجاج الامامي .

وبدا نن يغني بصوت خافت ، بينه وبين نفسه :
 « ققط على السطوح ، ققط على البلاط ... »
 واتجهت السيارة نحو شارع دوفر ، وقال نن بنعومة :
 - انه ليوم سعيد ، هيا تحرك ايها الولد العجوز .
 كانت هنالك سيارة تحاول مغادرة الرصيف امام سيارتهما . وقاد نن
 السيارة بعناية نحو المكان الخالي وضغط على الفرامل فجأة ، وقال :
 - ثلاثة انخاب - لقد وصلنا . افتح بابك .
 وخرج سورم الى الرصيف ورفع المظلة مباشرة . واغلق نن الباب ،
 وقال متضحكا :
 - بالله عليك دع هذا الشيء جانبا . سيظن رجال شرطة المنطقة انك
 تستوقف المارة .
 - استوقف المارة ؟
 - سيظنون انك تحاول الاعلان عن جنسك بين المنحرفين المحليين .
 فقال سورم بجفاء :
 - انا لست بمنحرف .
 ثم خفض مظلته . فقال نن ضاحكا :
 - لا تكن احمق ، فلم اكن جادا ، ولا اظنك كنت جادا ايضا .
 ثم عبرا الطريق ، متجنبين سيارة تاكسي ، واتجها ثانية نحو بيكاديللي
 وفاده نن نحو باب مضاء .
 - ها قد وصلنا . انت أولا .
 كان دفع الهواء ممتعا ، ونضا سورم عنه معطف المطر بمعونة رجل يرتدي
 بزة حمراء ثم سلم المعطف والمظلة الى خادم غرفة الملابس ، واحنى الرجل
 راسه لنن كما لو كان على معرفة جيدة به .
 - طاب مساؤك ، يا سيدي .
 - انعمت مساء ، جورج .
 كان في الحانة شخصان اخران فقط . و اشار نن الى سورم ان يجلس
 على مقعد في أحد أركان الحانة . كان مقعدا عميقا مريحا .
 - ماذا ستطلب ؟
 - بيرة ؟
 - لا يقدمون البيرة بالاقداح هنا ، يمكنك ان تأخذ بيرة خفيفة .
 فقال سورم بضيق : عظيم . كان يحاول ان يتذكر ما عنده من النقود ،
 والمدة التي يجب عليه ان ينفقها خلالها ، ثم عقد ركبتيه وشعر برطوبة في

سرواله وراح يحدق في حافة السروال المنهراة وفي الشرائط الجلدية المخاطة في اكمام سترته . لم يكن مظهره الزري ليضايقه ولكنه لم يفقد تماما احساسه بمساوية ذلك . واخذ يفكر في نفسه : هل تراهم يسمحون لي بالدخول الى هذا المكان لو جئت لوحدي ؟ ثم استقر رايه على ان ذلك غير محتمل .

ووضع نن قدح البيرة امامه ، وجلس مواجهها سورم على كرسي ونيسر حشي ظهره بالتبن ، ثم سكب كل محتويات زجاجة الجعة في قدح وسكي كبير وابتلع جرعة كبيرة منه واعاده الى مكانه وقال متنهدا :

— آخ ، ستكون سببا في موتي ، كما كانت سببا في موت ابي .
هل لك في سكاراة يا جيرارد ؟
— كلا شكرا ، لا ادخن .
— الا يضيرك ان ادعوك جيرارد ؟
— كلا بالطبع .
— حسنا . اسمي اوستن .
وذاق سورم البيرة . كانت مثلجة .
— قل لي ، يا جيرارد . اذا لم تكن طالبا ، فماذا تعمل ؟
— لا اعمل شيئا يذكر . اني اقوم بتأليف كتاب .
— ولكن كيف تعيش ، بالصحافة ؟
— كلا ، كان لي دخل خاص صغير جدا منذ ان كنت في الحادية والعشرين
اي قبل . . . ؟
— خمس سنين . ولدي فقط ما اشق به طريقي في الحياة . ولهذا فانا
حقا من الاغنياء الكسالي ، ما عدا انني لست غنيا .
— هل انت من الكسالي ؟
— تقريبا .
— انت مثلي اذن . اعتقدت بانني اكتشفت روحا توأما لروحي حالما
رايتك . وبالمناسبة ماذا كنت تقرأ ؟
فسحب سورم من جيبه كتابا معقوف الغلاف ، وقال متضاحكا :
— مدخل الى الجنس ، تأليف فرانك هاريس .
— « حياتي وغرامياتي » ، لم اقرأ شيئا لهاريس . أهو كتاب جيد ؟
— انه كتاب مدهش .
— كيف ؟ ومن اية ناحية ؟
— اكاد لا اتمالك ابدا ان افتح فاهي ذهولا للطريقة التي ينتقل بها بين
العراش وخارجة . اعجب هل يوجد امثال هؤلاء الرجال .

- لم لا ؟
 — أعني الرجال الذين تكون لهم هذه الشهوات المتنوعة . ان ذلك
 ندهلني . فجنسكي ، ان تذكر ، اضطلع مع زوجته ليالي عديدة
 قبل ان يبدأ بمغازلتها . ذلك امر طبيعي . ذلك ما يجب ان تكون عليه الامور
 — هل يعجبك جنسكي ؟
 — اجل .
 — لماذا ؟ انك لم تره يرقص ابدا ؟
 ومضى سورم يتفرس في قدحه ، محاولا ان يهتدي الى الكلمات التي
 عبر عما يشعر به بدقة . ولكن ذلك لم يكن ممكنا . فلم يكن يعرف ن المعرفة
 الكافية ، وقال :
 — من الصعب ان اشرح ...
 — انتظر ، لنطلب شيئا اخر من البيرة اولا .
 — ليس لي ، فلا أستطيع ان اناول اكثر مما شربته من البيرة الان .
 — اطلب وسكي ، اذن .
 — حسنا ، ولكن دعني ...
 — لا، لا، لا . اجلس حيث انت ولا تتحرك .
 وأوما الى الخادم صائحا :
 — ما اشوقك الى حملي على الكلام . برى ، ما الذى اعرفه مما فد
 يعجبك ؟
 — اتساءل كثيرة على ما انصور . اعرف الان بعض الاشياء المملة عنك .
 — مثلا .
 — انك في السادسة والعشرين ولك دخل صغير مستقل ولا يعجبك
 العمل ، وهذا يحد ذاته ملذ . ان الفراغ الزائد يفسد اكثر الناس وفي وسعك
 ان ترى ذلك في وجوههم . غير ان وجهك لطيف لا ينم عن الانجراف في تيار
 الملذات . بل انه ليخامرني العجب : ما الذي تفعله بفراغك ؟ فليس لديك ما
 يكفيك من المال لتبدده في قيادة الطائرات او السفر الى الاقطار الاخرى كما
 افعل انا . فما الذي تفعله بفراغك ؟ فاجاب سورم :
 — لا افعل الكثير . احاول الا افعل شيئا .
 ثم وضع الخادم المشروب على المنضدة وألقى ن بياون على الصينية .
 وقال ن بالالمانية وهو يرفع القدح :
 — نخبك . واجاب سورم :
 — نخبك .

وناول الحادم نن البافي ، فالفى نن قطعة من النقود على صينيته
ورسف سورم جرعة كبيرة من الوسكي سالت لها دموعه . وتناول مندبله
وتمخط فيه بفوه وبعد ان لاحظ لون المندبل دسه على عجل في جيبه . ورفع
نن بصره من الكتاب الذى كان على الطاولة تم القى به الى سورم .
- لا يمكنني ان انصور كيف تستهويك مثل هذه الاشياء .
فهب سورم كتفيه وافرغ زجاجة الجعة في قدح الوسكي . وشمر
بتحسن كبير .

- لقد قرأت الكثير .
وابتسم نن لهذا التملص من الاجابة ، واحتسى الخمر وهو غارق في
التأمل يحدث بانجاه رأس سورم . وسأل ببطء .
- ما هو موضوع الكتاب الذي نكتبه ؟ فاجاب سورم :
- احزر .
- نجنسكي ؟
- بالضبط .
- حقاً ؟ هل بعالج نفس موضوع كتابي ؟
- ليس تماما . انه قصة .

وشرب نصف قدح الوسكي والجعة ، وتأكد له انه كان يحس بالانسياط
والرضى . ولم تعد نضايقه طريفة نن في الاهتمام به ، بل بدأ يميل اليه .
وقال نن :

- حدني عن قصتك
- لا يسعني ذلك . انها ليست عن نجنسكي بالضبط وانما عن حالته
العقلية .

- ماذا تعرف عنها ؟
- كان يؤمن بنفسه ، واكثر الناس لا يؤمنون بانفسهم .
ودخل الحانة حفنة من الرجال ، كلهم من رجال الاعمال . ودخل ايضا
نساء نصحبه امرأة ملفعة بالفراء .

واحس سورم بالكلمات بحتشد في أعماقه ولكنه ما لبث ان خنقها رغبة
منه في الا يضجر نن . ومال الى الامام قليلا وهو يقول :

- عندما افكر في نجنسكي ومن تم انظر الى هؤلاء الناس اكاد لا اصدف
ناظري . اتدري ، يقول نجنسكي في يومياته ان الحياة صعبة لان احدا لم
يدرك اهميتها . واني لاتخيله يطوف في الشوارع ليلا وهو أشبه بمرجل عالي
الضغط يكاد أن ينفجر .

ويوقف سورم عن الكلام . كان يبدو على وجهه ن ن الاهتمام التام ، وهو يصغي بجدية اكسبته شيئاً من الظرف .

— نلاحظ ، اني انظر الى المسألة بهذه الطريقة . هب انك رايت مي نهاية حياتك رؤيا الهية . ذلك يبرر كل شيء . فلو استطعت ان تختبر رؤيا كهذه ستجعل العالم مختلفا . ستعيش كالشيطان ، كإنسان مأخوذ . ذلك لانك ستعلم بانها تعني شيئاً ما ، بانها لم تكن خلوا من المعنى . انظر . لا يعيش واحد من هؤلاء الناس حياته كاملة . انهم يعيشون بضعة ايام متفرقة فمط كل مرة . ومثلهم مثل الذي لا يتناول وجبة كاملة من الطعام مطلقا ، بل لقمة في كل بضع ساعات ، او مثل الذي لا يصفي الى سنفونية كاملة في جلسة واحدة ، وإنما يسمع نغمتين او ثلاثا في كل مرة مقسمة على عدد من الاشهر . تلك هي الطريقة التي يحيون بها . وعلى كل حال فهناك من لا يعيش على هذ الصورة .

وقاطعه ن بنعومة قائلا :

— ما الذي يجعلك وافيا الى هذا الحد بان نجنسكي لم يعيش بهذه الطريقة ؟

— كلا انه لم يعيش بهذه الطريقة .

وقدم اليه ن علبة السجائر المفتوحة ، فمز سورم رأسه قائلا :

— كلا ، شكرا .

— واشعل ن سيجارة ، وهو ينظر الى سورم من فوق المدفحة ، ثم اطلق نفثة من الدخان وهو يقول بارتياح :

— انك حقاً لإنسان غريب يا جبرارد .

وشرب سورم بقية الوسكي وهو يحرج ن بنظرة قاسية . ثم اومأ نانية الى الخادم مشيراً بيده الى القدحين . واستطرد بتمهل :

— ليس في هذا غرابة ، اذ اني مقتنع بأن الحياة يمكن أن تعاش . . . بطريقة ما ، عشرين مرة اكثر تركيزاً مما هي عليه الان ، واني لاأضي حياتي بطولها مفتشاً عن السبيل الى ذلك . كم احسد المجانيسن . ولكني لسبب أجهله لاأجد السبيل اليها . غير اني اتعلق بالرموز ، وليس نجنسكي الا واحداً من رموزي .

ووضع الخادم على المائدة كأسين كبيرتين من الوسكي ، وقال سورم :

— سادفع ثمنها انا .

— كلا ، كلا ارجوك

فسأل سورم ، بعد ان ابتعد الخادم :

— لم تدفع انت ثمن ما اشترته ؟

— لان والدي ذو براء فاحش .

— آه

— تبدو كما لو صعقت ؟

— كلا . قل لي . ماذا تفعل انت بوقتك ؟

— اه ، انك لنمس موضوعا حساسا . لقد خلف خمسين طريقة

مختلفة لتبيديه . اؤلف الكنب — وهي ليست جيدة جدا . احضر جميع الحفلات الموسيقية والابرا والباليه ، بحيث اني اطيّر الى فيينا وميلانو وبرلين لحضور الحفلات الموسيقية . لو كنت اكثر نفاهة مما انا عليه الان بفيل لتجمرت زجاجتين من شراب البيرنو في اليوم وقضيت على نفسي في سنة واحدة . اما والحالة هذه ، فاني امتطي الطائرات ولي شغف بالسيارات السريعة .

فقال سورم بخبث ؟

— انت غير متزوج طبعاً ؟

— كلا . لم أجد ابداً من أرغب في الاستقرار معها ، ولسبب من الاسباب

فانى افضل البغايا . لا اظنك تفهم ذلك ؟

— كلا في الواقع . اني اكره البغايا — من كلا الجنسين .

— من الواضح انك مفتفر الى الاتجاه المازوكي .

— اني اكره الالم مهما كان نوعه — بالنسبة لي وللآخرين .

— ها ، جيرارد ، انت تتحدث كالاخلاقي . ينبغي الا يكون المرء اخلاقيا

— أنت لا تفهم . المسألة ليست مسألة أخلاق ، انها ما سبق وقلته —

عليك ان تعمل على فرض ان هناك رؤيا من الممكن حدودها تجمع معنى الحياة

بكلبتها . ولو امكن ذلك ، فينبغي على كل انسان ان يعيش كما لو كان هذا

هداه .

— اذن فانت اخلاقي فعلا يا جيرارد . يجب ان اقدمك الى عمّتي

فستروق لك .

— لماذا ؟

— هي ايضا اخلاقية . انها غير راضية عني ، وهي من شهود يهوه .

وتعتقد ان يوم الحساب الاخير وشيك الوقوع في أية لحظة . وهذا ما تريده

انت ، اليس كذلك ؟ اناس يؤمنون بيوم الحساب الاخير .

— انك لعلّى حق ، ذلك ما ارومه بالضبط .

- اتود ان تعلم ما أريده انا ؟
- ماذا تريد ؟
- شيئا آكله . هل نذهب لتناول وجبة ؟
- اين ؟
- في أي مكان . مطعم لبوني او فكنور او أي محل آخر .
- ينبغي أن أذهب .
- أوه ، كلا . هل أن ما يقلقك ه والنقود ؟ عندي الكثير منها . انظر .
- واخرج نن محفظة نقوده واخذ يلوح بها تحت أنف سورم ، ووقع بصر سورم على حشوة من الدنانير . وادرك ان الخمر أخذت تلعب برأس نن ، كما ساوره التيك في أن يكون تصرفه هو كما لو انه كان اسد سكرامما هو عليه في الواقع .
- كلا ، لا أفضل البقاء هنا .
- ولكن يجب أن تبقى ، لا أريدك أن ترحل الان . انك لا تريد الذهاب اليس كذلك ؟
- كلا ولكن ...
- حسنا ، لا يمكننا ان نستمر في الشراب على معدة خالية ، كما أن الخمر أخذت تلعب برأسي الى حد القرف ، ولم اتناول طعام الغداء . وعليه فيجدر بنا أن نأكل . هلم أيها الخادم .
- وبينما كان الرجل ذو البدلة الحمراء يعاون سورم في ارتداء معطفه - هتف نن :
- أرجو ان تكشف لي سرا يا جيرارد . ما الذي يدموك الى حمل مظلة نسائية ؟
- ونناول سورم المظلة من الرجل ودس في يده شلنا .
- انها ليست لي ، انها تخص ابنة صاحبة البيت وقد الحت ان نعطيني اياها عندما هممت بالخروج اليوم .
- وخرجا الى المطر ثانية . وشعر سورم بانه قد تحصن ضد المطر ، وانه سعيد . لم يكن قد شرب الى حد الثمالة منذ سنين عديدة . ولقد أبهجه هذا الاحساس . وامسك نن بمرفقه وضغط عليه سائلا :
- هل تحوم حولك هذه الفتاة ؟
- اعتقد ذلك . امها على الاقل تفعل ذلك ، وقد ارتابت في اني استغل الموقف - او اكاد ، فاخطرني بمغادرة المكان في الاسبوع القادم .
- وقاد نن السيارة الى الخلف قليلا ، تم انطلق بها بمهارة .

- اني منتقل الى محل آخر غدا صباحا .
- اين ؟
- كنتش ناون . اني اسكن في كولنديل في الوقت الحاضر .
- يا الهي ، انها تقع في نقطة بعيدة على طريق بدفورد .
- ليست بهذا البعد . انها بالقرب من مكتبة الصحف — وهذا امر مفيد
- غير ان المحل الجديد سيكون اكثر ملاءمة لقربه من المتحف البريطاني .
- وهل ستنتقل الابنة معك ايضا ؟
- لا تخف . انها فتاة حلوة ، ولكني لا أريد ان اضطجع معها .
- يا لك من انسان عفيف — ابتعد عن طريقي ايها النفل البليد .
- كانت هذه الكلمات موجهة الى سائق تاكسي كان يحاول الاستدارة
- بسيارته من منتصف الطريق في شارع « برور » . وضغط ن مرتين على
- جهاز التنبيه الذي كان يخرج نهيقا نحاسيا . وحينما مر بهما التاكسي
- صرخ سائقه :
- هلا صبرت قليلا ؟
- فقال نن بهدوء :
- ايها القرد . لو كنا نعيش في العصور الوسطى لشقته وجردته على
- الارض ومزقته اربا اربا لهذه العبارة .
- وانطلقت السيارة الى الامام حتى كادت أن تدهس شخصا خرج من
- بين سيارتين كانتا واقفتين عند الرصيف . فصرخ ن :
- ايها المجنون .
- كان الاولى بك أن تقود عربة الاله الهندي جوغونوت ، انها اكثر
- ملاءمة لاسلوبك .
- فهتف ن حانقا :
- ينبغي ان يكون سواق السيارات كافة اكثر طيسا لينخفض عدد
- المارة المهملين ولكي لا يبقى في النهاية الا المتشدون منهم .
- ولنفرض انك احد هؤلاء المارة ؟
- كنت سأحمل معي بندقية . على المارة ان يحملوا بنادق رشاشة
- لاطلاقها على السائقين الطائشين . ما أبداع أن تكون لندن بهذا الشكل .
- وانسابت السيارة على شارع « دين » ، وقال ن :
- لا تجد محلا واحدا لوقوف السيارة في سوهو . آخ ، ما أسمع
- حظنا الللة . فقد تحركت سيارة من نوع (انكليا) من بين صف من السيارات
- الواقفة . وانزل ن ن بسيارته منخطيا الفراغ ثم رجع بها الى الورا داخل

المجال الخالي ، ثم اطفأ المحرك .
 - أنك حسن المزاج يا جيرارد . يبدو أنك لا تكره الناس بقدر كرههم
 فابتسم سورم وقال :
 - يبدو أنك لا تعرفني بقدر معرفتي لنفسي .
 طلب من خدمة جيدة . وأقبل مدير المحل الى مائدتهما وتفوه بكلمات
 مؤدبة معبرا عن سروره لرؤية ن . أما الخادم فكان يبدي ندلا ويذوب رغبة
 في ادخال الرضا الى نفسيهما .
 - يبدو أنك معروف في هذا المكان .
 لم يكن سورم مكترثا لما كان يقول ، وإنما قال ذلك لجرد الكلام .
 - لقد غيرت مطعمي عشر مرات خلال عامين . ولم اتردد الى هذا
 المحل منذ اسبوعين ولهذا فربما اعتقدوا بانهم سوف لن يروني ثانية .
 - لماذا تغير المطاعم ؟
 وطفق ن يمزج الطعام في فمه وابتلع اخر لقمه من سمك
 السلمون المشوي . وأطلق زفرة وقال :
 - انه مجرد سوء الطبع يا جيرارد . تجرحني اصفر الاشياء . انني
 ادرك تمام الادراك حماقة ذلك غير اني احس بالاساءة مع هذا .
 ونظر اليه سورم بارياب يخالطه شيء من الخيبة . لقد شعر وكأن ن
 اعترف له برغبته في سديد اطلاقه مسدس الى صدور النساء العجائز . اما
 ن فيبدو أنه لم يلحظ ذلك . وحينما ملا الخادم قدحه بنبيد « الكياتي »
 افرغه في جوفه دفعة واحدة .
 وطلب ن بطا مشويا مطبوخا بالفلفل الاحمر والجبن . وعندما حضرت
 الاطباق كف ن عن الكلام وركز كل اهتمامه في الطعام ، عدا بعض الكلمات
 التي كان يرد بها على تحيات معارفه الذين كانوا يمرّون بالقرب من المائدة .
 ولم يرفع سورم بصره في اناء ذلك ، فقد كان يشعر بالعيون تراقبه في فضول
 وكان يحس بما كانت تنسج حوله من الظنون ، وتسرّع يأكل بعجله وبحركات
 آلية ليخفي امتعاضه . وقد وجد مسفة في اقناع ن في ان يعدل عن طلب
 زجاجة خمر ثانية ، وكانت دوافعه لذلك انانية صرفة ، اذ كان يعلم ان كمية
 اخرى من الشراب ستفسد عليه الليلة قبل نهايتها .
 وانقطع المطر قبل مغادرتهم المطعم . كان سورم يسير وهو يشعر
 بالرضى الى جنب ن ، وهو يحس بسعادة اكبر وهو ضائع مغمور بين
 الجموع التي تزدهم في سوهو . وكانت متساعره نحو ن مختلطة . كان
 يحسب ان الوجبة التي فرغ منها نوا هي أعلى وجبة تناولها في حياته . وقد

افزعه منظر الجنيهات الستة التي القى بها ن في صحن الخادم . كانت بالنسبة اليه تمثل ايجار اسبوع مع الطعام ، وكان اكبر مبلغ دفعه لوجبه واحدة عشرة شلنات فقط . واخذ يحس بقيء من الامتنان للكرم الذي اسبغه عليه ن ، بعد ان تلاشت شكوكه في دوافعه . غير ان شعورا باهتا بالبفض له كان يعاوده بين الحين والحين ، اذ كان هنالك في ن ما يثير الامتعاض والاشمئزاز ، شيء يتصل بذلك المزيج من الخشونة والانوثة فيه . كان شعره البني طويلا كالحرير ، جميلا كشعر امرأة . وكانت اسنانه غير منتظمة نميل الى الصفرة وقد تدبت اثنتان منها كانياب الكلب . وحين تفرس بدقة في وجهه لم يجد اثرا للندب فيه . كان بصعب عليه تحديد سبب شعوره بانه كان في وجهه ما يشبه انار الجدي .

وعندما استفسر عن ذلك وهما يحسبان القهوة والفودكا ، اجاب ن باقتضاب : حادث سيارة . ومر باصبعه فوق خط ضامر يكاد لا يتميز ، يشق خده اليسر موازيا لدقنه .

— ما الذي تود ان تفعله الان ، جيرارد ؟

— اتظنني سأطلب شرابا لك انت الان ؟

— لا اجد سببا يمنعك من ذلك ايها الصديق العزيز . لندخل محل (فرينتش) . هلا دخلناه ، أعني ، اذا استطعنا الجلوس .

كانت الحانة مكتظة بالرواد ، وهب لتحيته على الفور رجل ثمل قصير القامة لون وجهه بلون الجلد المدبوغ .

وقال ن :

— كارل كاسترنك ، أقدم لك جيرارد سورم .

وامسك الرجل بيد سورم ، وراح ينظر في وجهه بعينيه الندية المخمورتين .

— انك رجل وسيم جدا يا جيرارد . الا تعتقد يا أوستن انه يشبه رامبو ؟ الا تعتقد ذلك ؟

وترك سورم يده لتداعبها كفان رطبتان ، ومن تم سحبها .

وسأل ن :

— ماذا تشرب ؟

— وسكي مركز .

وسأل سورم الرجل السكران :

— هل تشرب شيئا ؟

فالتفت اليه الوجه الجلدي بدلال :

— ان ذلك في غاية اللطف منك . نعم اشرب ، وسكي وماء .
 واستطاع سورم اخيرا أن يجتذب اهتمام فتاة البار . وناول قدحين
 من الوسكي الى نن وصديقه ، اللذين وقفا سووية بعيدا عنه لشدة الزحام
 وهما يمسكان بقديهما بقوة . وقال نن :
 — كارل من احسن المصورين العوتوغرافيين في لندن ، يا جيرارد .
 فكشر كاسترنك عن اسنانه ضاحكا ضحكة بشعة في وجه سورم ، غير
 انه سرعان ما ارتسمت في محياه نظرة جدية وقال :
 — انمى لو انك تجلس لآخذ صورة لك يا جيرارد ، هلا فعلت ذلك ؟
 — فقال نن مازحا :
 — سريطة أن يكون ذلك بحضوري .
 — لم ؟ الا تاتمنني معه وحدي ؟ فاجاب نن :
 — كنت امزح . ثم قال لسورم :
 — انه قدحك ولنبحث عن محل أقل زحاما .
 فابتلع سورم كأسه طائعا ، ولم يعد الوسكي يجعل الدموع تطفرف الى
 عينييه .

ولما صارا خارج الحانة ، قال سورم متسائلا :
 — هل ان كارل من اصدقائك ؟ فقال نن باختصار :
 — خنزير ، ماروكي ، ولكنه مصور جيد .
 واخذا يتمشيان ببطء في شارع اولدكوميتن وقد تلاصقا لكي لا يفرق
 بينهما حشود الناس ، ولما اصبحا خارج مبنى (السينراما) حيا نن الرجل ذا
 البزة الذي كان ينظم صف المنتظرين .
 — يبدو انك تعرف الجميع .
 — كان يعمل اجيرا لطرد من يحدث الشغب في محل كنت اعرفه .
 وتوقفا عن السير ليتفرجا على الصور الملونة المعروضة خلف الزجاج
 والتي كانت تبرز مشاهد من الفلم ، ولمح سورم حين وقع بصره على نن ، نظرة
 تنطق بالاشمئزاز والاستغراق . كان نن يتفرس في صورة احدى سيارات
 النزهة المستعملة في المعارض ، وكانت هنالك صورة غادة جميلة مكتنزة الجسم
 تتطلع الى عدسة الكاميرا يرتفع طرف نوبها فوق ركبتيها وتحركه الرياح
 فيكنسف عن جوربها وكلاباته . ولوى نن برأسه فجأة قائلا :
 — لنذهب يا جيرارد .
 فضحك سورم وقال :
 — لم اكن احسب انك مولع بالنساء .

فقال نن :

— ماذا تقصد ؟

— لا شيء ، كنت تحمق في تلك الفناة كما لو انها قد خلبت لبك .

فاجنحت لك النظرة وجه نن بانية ثم اختفت وقال مبتسما :

— لقد خلبتني فعلا . هيا نذهب .

وقفلا عائدين الى السيارة .

— والان الى اين يا جيرارد ؟ فقال سورم مرردا :

— اود ان نذهب الى مكان هادى .

— وكذلك انا . ما رأيك في شقتي ؟

— اين تقع ؟

— بالقرب من محطة شارع بورنلاند .

— افضل ان نجلس في مكان قريب من طريق عودتي الى البيت . فعلي

ان أفكر في العودة .

— اين تسكن ؟

— في هندن . وسيكون يوم غد آخر ايامي فيها .

— طبعاً . اذن ، فلنأخذ ذلك الطريق . أعرف حانة صغيرة غير انها

جيدة نوعاً ما وهي تقع في شارع همبستيد ، ويمكننا الذهاب اليها . انها

هادئة .

— همبستيد ؟ هل هي في طريقنا ؟

— بالتأكيد . يمكننا ان نأخذ الطريق مباشرة الى هندن واي . فالشارع

مستقيم .

وتحركت بهما السيارة ببطء في شارع اولد كومبتن ، وضغط نن على

نفير السيارة الذي كان يخرج صوتاً رقيقاً محذراً . وقال وهو يكشر مبتسماً :

— ما اروع هذا الاختراع ، يمكنني ان أغير شد الصوت ونوعيته ، صوت

عال مدو في الطرق الخارجية ، او رقيق مداعب لجمهور لندن . تحركوا ، ايها

النفول البلداء ، والا استعملت كاسحة العوائق — هذا هو الجزء الوحيد من

لندن الذي يذكرني بالريبربان في هامبرغ . هل زرت هامبرغ ؟

فاجاب سورم وهو شارد الدهن : — كلا .

كان يحملق في ساعته مدة نصف دقيقة دون أن يفقه الوقت . كانت

الساعة تشير الى التاسعة والدقيقة العاشرة .

وقال نن فجأة وهما يمران بمحطة تشوك فارم :

— عرفت . لنذهب الى بيت عمتي ، فستقدم لنا الشراب .

— من هي عمّتك ؟
 — ستعجبك . اسمها جيرترود ، وهي ليست عمّتي تماما ، ولكنها في غاية العذوبة وتعيش وحدها في منزل في فيل أوف هيلث ولا تقابل احدا مطلقا وهي تود ان ازورها ألا اذا كانت تعقد احد اجتماعاتها .
 — أي نوع من الاجتماعات هذه ؟
 — شهود يهوه ، تلك هي رذيلتها الوحيدة ، ولكنها لطيفة .
 فقال سورم بخيبة :
 — لا اخالك جادا .
 — لم لا ؟
 — بشأن كونها من شهود يهوه .
 — بلى ، اني جاد في قلبي .
 — اعني انهم يكادون ان ينقضوا .
 — لا يسعني الاجابة ايها الصبي . لا اعرف شيئا واحدا عنهم . فلم تحاول عمّتي يوما أن تجعلني اُتّمي اليهم . على كل لسنا مرغمين على البقاء اذا لم نستطع أن تحتلمها ، كما ستقدم لنا الشراب على أية حال .
 واسترخى سورم في مقعده ، وخامره الشعور بانه لن يستطيع العودة الى بيته مبكرا وكان سكره اشد من ان يجعله يكثرث جديا لذلك . كما ان عزمه على تغيير مسكنه لم يعد مهما بالنسبة اليه بعد ان أقلقه طوال الاسبوع المنصرم . وأغلق عينيه وراح يحاول ان يحصي عدد الكؤوس التي احتساها ، واذا بالسيارة تقف فجأة ملقاة به الى الامام . وقال لن :

— آسف ايها الصبي ، انني معتاد على سيطرة السيارة الاخرى التي تعمل فراملها برفق اكثر من هذه . لقد حطمتها في الاسبوع الماضي .
 كان الشارع مقفرا تماما ، وقد ارتفعت الارض ارتفاعا مفاجئا على احد جانبي الطريق . وترجل سورم من السيارة وُصفق الباب خلفه . وأيقظه الهواء البارد بعد ان كادت مدفأة السيارة تدفع به الى النوم . اما نن فقد اخذ يبحث في جيب السيارة الجلدي واخرج المصباح اليدوي . وتبعه سورم الى داخل البوابة حتى اكتنفهما الظلام . وعلى بعد حوالي خمسين ياردة كان هنالك نور ينسج في مدخل الدار وكانت الاشجار تنفض المطر من اوراقها كلما هزتها الرياح . فرفع سورم وجهه الى الاعلى ليتلقى القطرات الندية ، وقال وهو كالحالم :

— هل تجد عمّتك متعة في السكن في وسط المجهول ؟
 — انها تكرهه في الواقع . وهي تهدد دائما بالانتقال الى مكان قريب من

المدينة لولا ان هذه النعمة تكون جميلة في الصيف .
 وكان الضياء في الرواق ينبعث من فانوس مربع ، في داخله مصباح
 كهربائي مدبب . وقرع ن جرس الباب .
 وبعد هنيهة لاح نور خلف الزجاج الذي كان يغطي النصف الاعلى من
 الباب . وهتف صوت امرأة : من هناك ؟
 - اوستن .
 - اوستن !
 وفتحت الباب امرأه صغيرة الجسم رشيقة القوام .
 - اقدم لك جيرارد سورم ، جيرترود . ان جيرارد مؤلف
 - هلم بالدخول . كنت افكر بالذهاب الى الفراش توا .
 - لا تخشي ، فلن نبقي طول الليل
 - لم اكن اعني ذلك . ابقيا ما شئتما .
 وتقدمتهما الى غرفة للجلوس طويلة مريحة التاثيث .
 - هل انتما جائعان ؟ اتناولتما طعام العشاء ؟
 - نعم ، شكرا ، منذ ساعة .
 - هل لكما في مشروب ؟
 - لا بأس .
 - انت تعرف محل زجاجات الشراب ، فاذهب وهيئة لنفسك . اما انا
 فساخذ الكاكاو .
 واشعلت المدفأة الكهربائية وخرجت . وفتح نين أحد الدواليب واخرج
 منه زجاجة وسكي ، واطل سورم بنظره على الزجاجات المصفوفة داخل
 الدولاب ، وسال :
 - هل لعمتك الكثير من الضيوف ؟
 - ليس الكثير ، فهي تختلط ببطائفتين من الناس - الاولى زمرة من
 جمهور همبستيد الذي يتذوق الادب - افطع ما رايت من المتطفلين على
 الادب - والثانية أولئك الذين ينقلدون روحها ، ولا يقل هؤلاء سخفا عن أولئك
 وهي تحرص على الا تدعو كليهما الى بيتها في نفس الامسيات .
 - لماذا ؟
 - حينما يزورها منقذو الروح ، تعلق لافتة كتب عليها : « حذار من
 شيطان الخمر » ، تعلقها على الدولاب . وحينما يهبط عليها الجمهور المتأدب
 تضطر الى تأجير عامل ليسوقهم في عربة دفع الى بيوتهم .
 ودخلت المرأة ثانية وهي تحمل فنجانا موضوعا على صينية ، وسالت :

— كيف حال امك يا اوستن ؟
 — على احسن حال ، شكرا ، انها آتية الى لندن في الاسبوع القادم .
 — هل ستنزل عندك ؟
 — ستنزل في بيتي ، غير اني سوف لن اكون هناك . انا ذاهب الى سان موريتز لالحق ببعض الاصدقاء .

وجلست العمة في مواجهتهما واستشعر سورم فيها جاذبية خاصة وخمن انها في حوالي الاربعين . كانت طريقتهما في اللباس تضفي على مظهرها اناقة لا تبدو متكلفة . وكانت تنورها الصوفية جيدة التفصيل غير ان السلسلة كانت مفتوحة عند خصرها وكان فيها وذقتها متوترين ، يمان عن مظهر مديرات المدارس . ولكن كان يحيطها جو غريب لا يمكن تحديده . انها من النوع الذي لم يكن ليثير انتباهه لو وقع بصره عليها وهي جالسة امامه في قطار النفق .

— لم اسمع اسمك
 — سورم ، جيرارد سورم .
 فقال نن :
 — ظننت ان اسمك سورمز .
 — كلا .
 — اي نوع من الكتب نؤلف يا مسر سورم ؟ فاجاب سورم متضايقا :
 — ما كان لينبغي على نن ان يقدمني كمؤلف . فلم يسبق لي ان نشرت شيئا عدا بضع قصائد في المجلات .
 — هل انت كاتوليكي ، فاجاب مندهنسا :
 — كلا ، لماذا ؟
 — كنت اتساءل . . .
 فقال نن :
 — انه ملحد حر الفكر ، يميل الى المذهب الكاثوليكي . اليس كذلك يا جيرارد ؟

— اوستن ، اصلح سلوكك !
 فابتسمت العمة لسورم وقالت وكانها تريد أن تخرج نن عن الحديث :
 — انت لست حر الفكر ، اليس كذلك ؟
 — كلا . . . لا اعتقد ذلك .
 فقال نن :
 — فما انت اذن ؟

فقلت العممة زاجرة اياه :

- اوستن ، أصلح سلوكك . هل كنت تشرب ؟
- بالطبع لا . على كل حال لم أشرب الكثير . هل لك في كأس آخر يا جيرارد ؟
- كان نن قد ناوله قدحا مليئا الى منتصفه بالوسكي المركز وكان سورم يرجو ان تتاح له الفرصة ليسكبها في الفئينة ثانية .
- من رأيي الا تشرب انت يا اوستن . انه يؤدي معدتك .
- فانتصب نن وافغا وقد اضطرب توازنه قليلا :
- لا شك انك على حق يا جيرنرود . اسمحوا لي بان اغيب قليلا يا اعزائي .

- وخرج من الفرفة ، ولمح سورم العممة تلاحقه بنظراتها . ثم سألته :
- انه ثمل اليس كذلك ؟
- اجرؤ على القول انه سكران بالفعل ، أما انا فقليل .
- لست تبدو كذلك . هل انت معتاد على الشراب .
- كلا .
- لم اظن ذلك . هل تعرف اوستن منذ مدة طويلة .
- ولسبب من الاسباب استبد به شعور بالخجل منعه من ان ينبهها بحقيقة الامر ، فقال :

- ليس لمدة طويلة .
- ينبغي الا تدعه يدفعك الى عادات سيئة .
- لا اتوقع ذلك .
- ما هي الديانة التي نشأت عليها ؟
- لا ادري . الكنيسة الانكليزية ، على ما اظن ، غير اني لم اكن يوما ما مضطرا للذهاب الى الكنيسة او مواظب ايام الاحاد . كنت أمقت كليهما .
- وهل لك عقائد دينية ؟
- اقل حد منها .
- وما هو الحد الاقل هذا ؟
- وسمع سورم وقع خطوات نن خارج الباب . وقال وهو يبتسم :
- ساخبرك في وقت آخر .
- ودخل نن وقال مبتهجا :
- كنت اظن ان يوم الجمعة هو يوم اجتماعاتك .
- هو كذلك ، وقد ارفض الاجتماع .

- ها ، وكيف حال اخينا الرهيب ؟
 — عمن تتحدث ، يا الهي ؟
 — ذلك البدين . طارطوف ذو بشرة القصاب ، ما اسمه ؟
 — حقا ، اوستن ان حالك لتسوء . ما يدفك الى الحقد على الاخ روبنز ؟
 وجلس نن الى جانب سورم ثانية ، بعد ان ملأ القدح . وقال وهو يغمز بعينيه :
 — انه يلاحقك يا جيرترود .
 — يا لهذا اللغو !
 — قرات ذلك في عينيه . انه يفكر بك تفكيره في صفقة جميلة .
 ولحظ سورم لهتته ان وجهها بدأ يمتقع ، فهب واقفا وقال :
 — ارجو المعلقة . فقال نن :
 — انها في الطابق العلوي ، الباب الثاني الى اليسار .
 كانت الصالة والسلم يكسوهما الازرق مما لم يجعل لوقع اقدامه صونا . وكان على جدار السلم صورتان فوتوغرافيتان للوحتين زيتيتين للرسم (مونش) . وقد بدا له البيت وهو غارق في عالم الخمر الضبابي الدافئ اجمل بيت وقع عليه نظره في حياته .
 واشعل النور . فالتقى نفسه في غرفة نوم صغيرة تحوي على سرير واحد . وابصر على طاولة الزينة اطارا يضم صورة لفتاة شقراء ، فاطال النظر في الصورة باهتمام وارسل لها قبلة بشفتيه . وتراجع من الباب ليدخل الحمام ، وكان على بابة حبل تتدلى منه بعض الملابس المبتلة . فتمتم بصوت خافت :
 — يجب ان اغوى هذه المرأة حتى يكون في وسعي ان اعيش معها في هذا المكان فظروف العمل رائعة هنا .
 وغسل يديه في الطشت ، وهو يردد لحنا ما بصوت خافت . وعندما استدار وجد منشقة فمسح وجهه ومد يده ليلمس مشد خصر من النايلون ، فتدحرجت قطرات الماء داخل كفه . واخذ يلعن بصوت واطىء .
 ولما عاد الى غرفة الجلوس ثانية ، قال نن :
 — اعتقد اننا يجب ان نرحل يا جيرارد ، فجيرترود تريد النوم .
 — بالتأكيد .
 — الا تنهي قدحك ؟
 — لا اظن ذلك ، فقد شربت الكثير .
 — توقعت ذلك ولذا فقد شربته نيابة عنك .
 فقالت جيرترود ضاحكة :

- أنك شائن حقا ، يا اوستن . لا ادري كيف ستدبر سياقة السيارة .
هلا أخذت حذرک .
- صه ، هل عرفت لي حادثة واحدة ؟ فقالت :
- تلك هي المعجزة .
- ونفض نن على قدميه ، وامسك بجيرترود وزرع قبله على جبينها ،
ونظر اليها سورم وهو يبتسم . كان يود لو يفعل مثل صديقه . وقال نن :
— طابت ليلتك ، ايتها العمة العزيزة . اقفلي الابواب الان ، وتيقني الا
يكون اخونا ذو البطن التي تشبه البرميل مختبئا تحت السرير .
فالتفتت الى سورم قائلة :
- ستورونا ثانية اليس كذلك ؟ يمكنك ان تجد طريقك الى هذا البيت .
فاجاب مبتسما :
- لست واتقا تماما اني استطيع ان اجد طريقي .
- ساعطيك العنوان .
- واقطعت ورقة من دفتر رسائل يحمل اسمها اخرجته من مكتبها
وكتبت عليه بضع كلمات . فدهسها في جيبه الخلفي .
- وداعا ، حاول ان تجعل اوستن يقود السيارة بنان .
- وهز سورم يدها ، كانت قبضتها قوية كقبضة رجل . وصاحت من
عتبة الباب الامامي :
- خذ جانب اليمين من الطريق ، فهناك بركة ماء .
- وكان الضياء المنبعث من مصباح نن اليدوي يرقص بشرود على الارض
والتصق سورم به لكي يقي نفسه النعر ، وعندما خرجا الى الشارع ، قال نن .
- انها تميل اليك ، ايها الصبي . وقد لقنتها محاضر عن كيفية افسادك
اعتقد انها تريدك ان تحضر دروسها الدينية .
- وليس الامسيات الاديبة ؟
- لا ادري ، ربما ، اوه . . . اعتقد من اسئلتها انها . . . وتلكسات
الكلمات ولم يتم نن كلامه ، وفتح باب السيارة وتكوم على مقعد القيادة .
- اوف ، هكذا . . افضل . . . حسنا ، اين وجهتنا الان ؟ الساعة هي
العاشرة والدقيقة العاشرة بعد فقط . لدينا متسع من الوقت لكأس اخر .
او ان شئت ذهبنا الى شقتي لنشرب كأسين .
- كلا ، حقا ، من المستحيل . يجب أن أعود . اية ليلة اخرى ما عدا
هذه الليلة .
- آه ، نعم . عليك بالانتقال من مسكنك في الصباح . كيف ستقوم بذلك ؟

- استأجر تاكسي .
- انتحاج الى معاونتي ؟
- لا، لا، لا تزعج نفسك .
- وأشعل نون سيكارة ، وقذف بعلبة الثقاب من الشباك . وإضاءت مصابيح سيارته الطريق ، واندفعت السيارة الى الامام وتوقفت فجأة وانطفأ محركها فقال نون :
- عليها اللعنة . لم اسحب الفرامل اليدوية .
- وقال سورم :
- اسمع ، دعني انزل في شارع (اجوير رود) ، ساخذ الباص من هناك او الافضل أن تدعني أنزل في همبستيد لآخذ قطار النفق .
- كلا ، بل ساوصلك الى البيت . لا تدع تعليقات جيرترود حول سياقتي تقلقك ، ها ؟
- لا ...
- طيب . أنا سائق مأمون الجانب تماما ، حتى عندما لا أرى طريقي من فرط السكر .
- وماذا وقع لسيارتك الاخرى ... ؟
- اه ، لم يكن الخطأ خطئي .. كان أحدهم قد شدد جدارا في عرض الطريق .
- من حسن حظي لم أكن نملا . تلك هي المأساة ، وقد شعرت في الصباح التالي بحالة سيئة جدا .
- لم تبد سياقة نون للسيارة احسن او أسوأ نتيجة السكر . وأوقف ماكنة السيارة لجعلها تتدحرج تلقائيا هابطة الطريق المنحدر المؤدي الى (كولدريز كرين) ، وهو يغني وفي صوته جرس حزين :
- قطط على السطوح ، قطط على البلاط .
- وقال سورم : - هل كانت عممتك متزوجة ؟
- انها ليست عممتي .
- هل كانت متزوجة ؟
- كلا . ان قضية جيرترود في منتهى الغموض . ليس هنالك من يعرف جميع الحقائق عنها . كان لها أب .
- لها ماذا ؟
- أب . فانك تعلم ان لبعض الفتيات اما لا ترخي لهن اللجام ليصلن ويجلن . على كل حال ، كان لها أب .

- وكيف يكون ذلك سببا في منعها من الزواج ؟
- وكيف لي ان اعلم ، ايها الصبي العزيز ؟ استخدم خيالك ، فان كان لك خيال متالق مثل خيالي ففي امكانك التوصل الى انواع العلل والاسباب . وكبت سورم التعليقات التي طفرت الى شفثيه ، ولم يكن نن الشخص الذي يستجيب لها . وادهشه نن بقوله فجأة :
- على كل حال ، فلا أظنها تسوى شيئا في الفراش .
- وحده سورم بنظرة ، وكانت السيكرة تتدلى منراخية من فمه ، وقال — لا أجرؤ على القول انك على حق .
- واخذ المطر ينهمر ثانية . واخذ سورم يصفى وهو في مجلسه الى تكتكة فرشاة الزجاج الرتيبة ، وقال فجأة :
- وبالنسبة ، من هي تلك الشفراء اللذيذة في الصورة ؟
- اية صورة ؟
- دخلت غرفة للنوم عندما كنت ابحت عن المرحاض ، الغرفة الاولى الى اليمين . كانت هنالك صورة فونوغرافية على المنضدة لفتاة شقراء لطيفة .
- اه ، هي كارولين ، ابنة عمتها . لم اعرّف عليها . لماذا ؟
- انا مولع بكل شقراء صغيرة .
- انك لبقرة ، الست كذلك ؟ تبحت ابدا عن الجنس .
- وضحك سورم ، وكانا في تلك الاثناء يمران بمطار (هندن) . وقال يغير الموضوع .
- انبثني ، هل قلت انك نقود الطائرات ؟
- اجل . لدي واحدة في مكان قريب من (ليدرهييد) ، ينبغي ان ترافقني في يوم من ايام نهاية الاسبوع ، فاذهب بك في رحلة .
- طيارتك الخاصة ؟
- انها تحص والدي ، ولكنه لا يستعملها ابدا .
- استدر الى اليمين ، رجاء . يقع مسكني قرب عمود المصباح ذاك .
- ووقفت السيارة بهزة ، ولكن سورم كان قد تهيأ لها هذه المرة . وقال : — حسنا ، انا مدين لك بالكثير هذه الليلة .
- لا ابدا ، انا مدين لك بالكثير . فلو كنت وحيدا لقتلني الضجر . هل عندك مشروب في غرفتك ؟
- كلا مع الاسف . لدي بعض البيرة على الاقل .
- رائع . هيا نحتسيه اذن ، ام انك متعب جدا ؟
- وقال سورم :

- كلا على الإطلاق . فلنصعد .
- وعندما فتحا الباب الامامي ، قال سورم بصوت خافت :
- لا تصدر ضوضاء حتى نصل الى غرفتي .
- هل الجميع نيام الان ؟
- لا ، ربما يشاهدون التلفزيون الان .
- وارتقيا السلم على اطراف اصابعهما ، وكان نين يتقدم سورم . وانفتح باب تحت ، وصدر صوت نسائي يقول :
- اهذا انت يا مستر سورم ؟
- نعم
- آه .
- وانطلق الباب ثانية . وفتح سورم الضياء واغلق الباب .
- انت لا تعلم كم انت محظوظ اذ لا تتسكو من صاحبة بيت . اني ابغض صاحبة البيت .
- واشعل المدفأة الغازية وادارها الى نهايتها . كانت الغرفة صغيرة مزدحم بالاثاث ، وكانت بالقرب من الباب حقيبتان للملابس مربوطتان الى بعضهما بسلك . وكانت الطاولة مغطاة برمتها ببقايا طعام ودرج فارغ . وكان على طشت الفسيل في الزاوية صندوق صابون كبير من المقوى مليء السى منتصفه بالكتب . وخلع سورم معطفه وعلقه في دولاب الملابس . وجلس نين على السرير واشعل سيكارة .
- كانت لي صاحبة بيت غاية في اللطف في هامبورغ .
- وتناول سورم الدرج الفارغ ودفعه في مكانه في دولاب الادراج .
- كان لدي الكثير من صاحبات البيوت . كان لدي الكثير بحيث اضحيت امقت حتى السيدات الظريقات منهن . ومن أهم مزايا المكان الجديد هو ان صاحبة البيت لا تسكن في البيت نفسه . ان اكثر السيدات حثمة ينتهين ناضطهادي .
- لا تكن عصبيا يا جيرارد .
- لو كنت في موقعي من هذا العدد الكبير منهن لثارت اعصابك انت ايضا . ما استخفهن ، قطط مسنة تافهات العقول يتركن لك قصاصات الورق في غرفتك بعد ان يكتبن عليها انه لا يعجبهن استقبال الضيوف بعد الساعة العاشرة . ولا تدري متى يفيظهن امر تافه فيندرنك بترك المكان . لو كنت دكتاتورا لفتحت مراجل اعتقال لصاحبات البيوت . نقابات قديمة ، وضيعات ، تافهات يسمعن وراء المادة .

ونفل صندوق المقوى الى الارض ، وفتح صنبور الماء الحار ، وغسل قدحين ، ومسحهما بمنشفة يد .

— مسكين يا جبرارد . ينبغي ان تبحث لك عن شقة مؤثثة .

واخرج سورم زجاجة بيرة من اسفل دولاب الملابس ، واخذ يسكب المحتويات في القدحين ، وناول احدهما الى نن قائلا : — نخبك .

— ورشف نن قليلا من البيرة ووضع القدح على الطاولة ، وقال :

— يؤسفني ان اغادر في اللحظة التي بدانا نتعرف فيها على بعضنا .

وجلس سورم على كرسي ختسبي بالقرب من النار ، وقال نن كمن يتفوه بفسول مأثور :

— سيكون لدينا متسع من الوقت .

— لا ريب في ذلك . اعطني عنوانك الجديد ، وساعطيك عنواني .

وتبادلا دمري العناوين ، وابتدا كل منهما يكتب بصمت لحظة من الزمن . وانشأت الحرارة في قدمي سورم اللتين لم يخلع جوربيه عنهما حرارة شديدة . وكبت رغبة في التثاؤب . وسحب نن نفسه الى طرف السرير حيث امكنه ان يرى النار ومد يديه اليها .

— جيرارد . كنت تنحدث قبل قليل عن البحث عن طريفة اخرى للحياة — نعم ؟

— ينبغي ان نرى احد اصدقائي وهو يدعى الاب (كارارز) ويعيش في منزل في شارع (روزبرى) .

— يجب ان يكون في المكان الذي يسكن فيه الاح (مونسييل) ، فهناك مسكن عدد من القسس . هل نعرفه ؟

— كلا لست اذكره .

— انت لست كاتوليكييا ، ام انك كذلك ؟

— كلا . امي كاتوليكية . كارارز احد اصدقائها في الواقع ولكنني واثق من انه سيروق لك .

واحتسى سورم البيرة على مهل ، فلم يكن يرغب فعلا في تناولها . كانت مرة المذاق لا يسيئها تماما .

— ما الذي يستطيع الاب كارارز ان يفعله ، في رأيك ؟

— لا اعلم ، ولكنني اميل اليه ، فهو حاد الذكاء ، متعمق في علم النفس ، كان صديقا لادلر .

— ذلك ينذر بالخطر .

— لماذا ؟

- لا يمكنني ان اتصور ان الكنيسة تقر ذلك . هل يتحدث عن الاضطراب العصبي بدلا من الخطيئة ؟
- نعم . . او ، لا ، ليس تماما . ينبغي ان تذهب لرؤيته . لقد ألف كتابا عن تشيخوف .
- ودفع سورم كرسيه الى الخلف ، كانت النار شديدة الحرارة ، وقال رغبة منه في الكلام :
- ربما سآزوره .
- ورفع نن قدح البيرة وشرب كل ما فيه . فدفع اليه سورم بالزجاجة . وسكب نن البيرة في قدحه ، تاركا الزبد يطفح على الحافة ويسيل الى غطاء الطاولة . فمال الى الامام ورشف الزبد بملء فمه حتى كف عن التدفق . ورفع بصره بفتنة الى سورم من فوق حافة القدح وهو يقول بلا مبالاة استشف سورم خلالها محاولة شديدة لضبط النفس :
- يبدو انك تحمل ضغينة هائلة للمنحرفين جنسيا يا جيرارد .
- فاجاب سورم وقد غمرته انتفاضة :
- كلا ، بل على العكس . انا انسجم دائما معهم .
- ولكنك لا نميل اليهم .
- ليس السبب اني لا اميل اليهم ، وانما انا لا اقر بعقليتهم الشاذة .
- ماذا تقصد بحق السماء بالعقلية الشاذة ؟
- ينبغي الا اجيب .
- ارجوك ان تجيب ، لا تكثرث بي ، فلن اعتبرها تمس بي شخصا .
- اؤكد لك ذلك .
- حسنا . اكثر من خالطتهم من الشواذ شديدا والتركيز على انفسهم ، فكل شيء بالنسبة اليهم ممعن في الانانية ، وذلك يعتمد على الناس . لا يمكنني ان اصور ان شخصا يرى الرؤى ، او ان نيوتن او بيتهوفن يمكن ان يكون منحرفا جنسيا . اذ يبدو ان المنحرفين جنسيا يفتشون الى الاندفاع العقلي - القابلية على ان يكون الشخص منغمسا بعنف في المسائل العقلية الصرفة . فهؤلاء يشبهون النساء وهم ينظرون الى كل شيء من الزاوية الشخصية ومن زاوية العواطف .
- انت تتفوه بالسخافات ولا شك ، ايها الصبي كيف عرفت ان نيوتن وبيتهوفن لم يكونا منحرفين جنسيا ؟ فلم يكن ايها متزوجا . ثم ما قولك في شوبرت ، ومايكلانجلو ؟
- طيب ، اسف لاني تكلمت .

— كلا ولكن اجبني ، اود سماع ارائك .
 — لا ، انا شديد التعب . عندما يغادر الليلة ، ساقى لاحزم امتعتي .
 وعلي ان انهض غدا في الصباح الباكر للشروع في الانتقال .
 وحده ن بنظرة : كانت عيناه جادتين ، تكادان تنطقان بالالم . وهز
 رأسه فجأة وابتلع ما بقى من البيرة . ثم انتصب واقفا وهو يقول :
 — حسنا ، ساركك .
 — لا داعى ان يغادر الان ، فلم نعد الساعة الحادية عشرة ، يمكنك
 البقاء ساعة أخرى .
 فقال سورم : — كلا ، بل ينبغي ان اذهب . علام هذه الابتسامة ؟
 — اراك تملل قلعا . فلم لا تجلس ساكنا قليلا ؟
 لم يكن ذلك هو السبب الحقيقي لابتسامة سورم . فقد كان يفكر في
 نفسه : لقد اعتبر ان الامر يمسه شخصا ، وهكذا يأخذ امثاله كل شيء
 مأخذا شخصيا . ولكنه مع هذا سعر بالسرور لان ن سيفادر .
 — طيب مساء يا جيرارد .
 — اين انت ذاهب ؟
 فنملل ن وقال :
 — الى البيت ، ربما ، او ربما الى احد النوادي في بادنفون . وداعا .
 — وداعا يا اوستن . انكرك على هذه الامسية .
 وقال ن : لا تعب نفسك بالنزول .
 وخرج من الغرفة مسرعا واغلق الباب خلفه . وبقي سورم واقفا حنى
 سمع الباب الخارجى يصفق ، فصاحت صاحبة البيت على الفور .
 — من هناك ؟ فقال مخاطبا الباب بغضب : — آه ، اخرسي .
 وسمع باب السيارة يصفق . وما ان اطل من الشباك حنى كانت انوار
 السيارة الخلفية تختفي في الظلام .
 وسكب سورم ما بقى من البيرة في الطشت وغسل القدحين ، وراح
 يفسل بعناية بقية الفخار الذي كان ملقى على الطاولة . كان صادقا حين اخبر
 ن بانه كان يريد ان ينهي حزم امتعته ، غير انه اخذ يحس بالنعاس والسكر
 كانت الغرفة شديدة الحرارة ، خائفة الجو . فاطفا المدفأة وفتح النافذة .
 وقبل ان يخلع ملابسه ابتلع ثلاث حبات هاضمة مع قدح من الحليب . وشعر
 بالفراش باردا لطيفا . واخذ يفكر في ن وهو يطير الى سويسرا ، وشعر
 بشيء من الحسد له غير انه اخمد هذا الشعور على الفور . وسرعان ما
 غاب في نوم عميق .

الفصل الثاني

واعجبته غرفته الجديدة ، رغم انها لاحت اصغر مما كان يتوقع حين مرغ من فك الصناديق وصف الراديو والفرامافون على الدولاب . وكان هنالك سلم للحريق يمر من امام النافذة التي كانت تطل على قطعة من الارض الخربة وكنيسة . وقد الحق بالفرفة مطبخ صغير يبدو انه كان اصلا غرفة مهملات ، يقع في نهاية سلم ضيق في الطرف المقابل لباب غرفته . وكان يساركة في هذا المطبخ رجل فرنسي يسكن الغرفة المجاورة . كانت عملية الانتقال الى مسكنه الجديد قد انهكت قواه . كان قد افاق صباحا دون ان يشعر بالصداع ، ولكنه احس بالتعب وبجفاف في حلقه . وبعد ان اتم تنظيم غرفته كان العرق يتصبب على جنبه ويسيل الى فخلديه ووضع اناء ماء ليغلي على الموقد الغازي . وكان يسمع دقات قلبه ، وصخب المرور في شارع كنتش تاون . وكان السرير تحت النافذة المفتوحة مباشرة فانعشه النسيم الداخل منها . وكاد ان يغلبه النعاس لولا صفير ابريق الماء الذي ايقظه فجأة .

وهيا الشاي في قدح ترمس كبير وسكب محتوياته خلال مصفاة ، ووضع اسطوانة على الغرامافون وجلس الى الطاولة وهو يتفرس في السنة النار المتوهجة في المدفأة الغازية ، واخذ يرشف الشاي . وتقر احدثهم الباب ، فصاح : ادخل .

وقال الرجل الذي فتح الباب :

— علمت اننا اصبحنا جيرانا ، وعلينا ان نشترك في المطبخ . فقال سورم :

— تفضل . هل لك في قدح شاي ؟

— اجل اشكرك .

- لم يكن اللكنة الفرنسية في حديث الرجل قوية ، ولكنها كانت ظاهرة .
 ونهض سورم ومد يده :
 - اسمي جيرارد سورم .
 - ادمون كاليه . كيف حالك ؟
 - هل اضع بعض الحليب المعقم في الشاي ؟
 - افعل .
 ورفع غطاء زجاجة الوسكي الذي كان يتوج قنينه الحليب المعقم التي جلبها معه من كولنديل . وكان الحليب يعود الى ما قبل ثلاثة ايام . واخفض صوت الغرامافون . وقال الرجل الفرنسي :
 - اى موسيقى هذه ؟ بروكوفيف ؟
 - نعم ، السمفونية الخامسة . هل تحب الموسيقى ؟
 - احبها جدا . كنت اعزف آلة الاوبوا في الفرقة الموسيقية في المدينة التي اقبلت منها ، مدينة ليل .
 - ولكنك لست موسيقيا محترفا ؟
 - كلا ، انا مهندس .
 وكان فمه ، عندما يبتسم ، يتكشف عن اسنان بيضاء منظومة بانسجام . كان وسيم الوجه ، ذا فك عريض قوي . وقد شعر سورم بانه مال اليه في الحال . وجلس كاليه امامه على الكرسي ذي المساند .
 - علمت انك مؤلف .
 - نعم ، من قال لك ذلك ؟
 - كارلوتة ، الفتاة التي تنظف المكان . لدينا بعض النزلاء من لهم اطوار غريبة . افظهم هو الشخص الذي يسكن غرفة فوق غرفتك .
 - افظهم ، لماذا ؟
 - انه مجنون ، ويعزف الاسطوانات طوال الليل .
 - يا للسما ، هل يحدث ضوضاء ؟
 - كلا ، لا اظن ذلك . انه يعزف الاسطوانات فقط . ولن تراه اثناء النهار ، اذ يقضيه بالنوم .
 - لا يهم ، فاني اعمل احيانا طول الليل ايضا . هل يزعجك صوت الالة الكاتبة ؟
 - كلا . لدي واحدة ايضا . الشخص الوحيد الذي قد يعترض فتاة في الغرفة السفلي .
 - فهمت . ومن هم « غريبو الاطوار » الآخرون ؟

فعبس الفرنسي كمن أصيب بذهول وقال سورم سارحا سؤاله : -
قلت ان هنالك عددا من النزلاء ممن لهم أطوار غريبة ؟
- اه نعم ، الرجل العجوز الذي يسكن فوق غرفتك هو افظعهم . وهناك
اثنان من الشواذ جنسيا يسكنان في الطابق الارضي ، ولكنهما لن يسببا لك
قلقا ولو أنهما يتخاصمان طول الليل . لا ضير فيهما الا عندما يكونان في حالة
من السكر ، فيبدأ حينئذ ضججهما .

- الا تعترض صاحبة البيت ؟
- كلا . فهي لا تسكن هنا . ومن المفروض ان الفتاة الالمانية تقوم
بمراقبة المحل . اسمها كارلوتة وتسكن في السرداب .
وانتهت الاسطوانة ، فوقف سورم الفرامافون ، وسعما مباشرة
طرقا على باب الغرفة المجاورة . ففتح الفرنسي الباب هائلا : - اهلا .
فاجاب صوت فتاة :

- تلفون للمسيو كاليه .
- قد اراك فيما بعد . شكرا على النسي . فقال سورم :
- على الرحب والسعة .

وصب سورم فنجانا اخر من النسي ، وادار الفرامافون نانية . كانت
الحرارة تبث فيه النعاس ، ولكي يوقظ نفسه ، طفق يعيد تصنيف الكتب في
المكتبة المستندة خلف الباب . واخذ يسوي قطع المقوى التي رزم بها الكتب
ورفعها ليفرشها على سطح دولاب الملابس فاصطدمت بعائق ما ووقعت نانية .
فتسلق كرسيها وتفحص سطح الدولاب . كانت هناك اربعة مجلدات ممزقة
من تأليف ب. ج. و ودهاوس وثلاثة مجلدات من سلسلة « محاكمات
بريطانية شهيرة » . وكان داخل احد هذه المجلدات ختم : مكتبات ايريث
العامة . اما التاريخ المختوم فيعود الى سنين عديدة .

فتناول الكتب وتفنخ عنها الغبار المتراكم عليها ووضعها على الطاولة
ليتفحصها . وبقي ربع ساعة وهو ما يزال يقرأ الجزء الاول الذي فتحه
وهو (محاكمة برك وهير) . وجعله الكتاب يحس بمرض خفيف . طرق
احدهم الباب ، فصاح : تفضل .

فاطل الرجل الفرنسي براسه من خلف الباب .
- مرحبا ، طلبت لوتة (١) ان اخبرك بان احدهم طلبك على التلفون صباحا
- اوه . ترك لي نبأ ؟
- نعم . لم تستطع ان تبين اسمه ، ولكنه اعطاها رقم تلفون . اليك به

(١) تصنيف لاسم كارلوتة

وتناول سورم الظروف الممزق وقال :

— شكرا . سأتصل به الان . اين التلفون ؟

— لسوء الحظ ، قال ان عليك ان تتصل به قبل الثالثة واضاف انه سيغادر لندن في الساعة الثالثة .

ونظر سورم الى ساعته : كانت تشير الى النصف بعد الرابعة .

— اه .. اشكرك على كل حال .

فسال الفرنسي على سبيل التحدث : — ماذا تقرا ؟

— اوه ، كتاب عن جرائم القتل .

— هل قرأت عن جريمة القتل التي وقعت الليلة الماضية ؟

— كلا .

— لقد حدثت في (وايتشابل) ، اذ عثر على فاة اخرى كانت قد فارقت الحياة من اثر الضرب . كان الخبر في جريدة الظهرية . هل يريد ان يراه ؟ فاجاب سورم مقهقهة :

— لا تكلف نفسك . اريد ان اناول وجبة كاملة اليوم . امور كهذه تدخل في نفسي المرض .

وعندما اغلق الباب نائية رمى سورم بمجلد « محاكمة برك وهير » على السرير وفتح احد كتب وودهاوس .

— وافاق اناء الليل وتذكر ممة نن ، فقد كان نسيها تماما حتى تلك اللحظة ، ومد يده الى سرواله واخذ يتحسس الجيب الخلفي في الظلام . كانت الورقة ما تزال في مكانها . فاشعل عود ثقاب واخذ يقرأ : جيرتروود كوينسي ، لوريلز ، فيل اوف هيلث ، وتبع ذلك رقم تلفونها . فوضع الورقة على الكرسي المجاورة لسريره ليتذكر ان يتصل بها تلفونيا في الصباح . ورقد ثانية وغمره ظلام الليل الذي كان مختنقا في ذلك الحين برائحة الكبريت المحروق ، وراح يفكر في هذه المرأة . كانت رشيقة القوام جذابة المظهر ، في سلوكها حشمة مثيرة ولاح له انها لا بد وان تكون اكبر منه بخمسة عشر عاما ، او اقل ، او ربما عشرة فقط . واخذ يتأمل في الفوائد التي سيجنيها لو اقنعها بان تصبح خليلته ، او حتى ان يتزوجها . ما اجمل ان يكون هناك من يعتني به . ولكن ماذا سيؤول اليه الوضع بعد عشر سنوات ، او خمس عشرة ؟ كما ان هناك مسألة انتمائها الى شهود يهوه . وشعر ، لسبب ما بان هذه المسألة لا تتناسب والموقف الذي يتصوره . كان يظن ان النسوة اللواتي ينتمين الى شهود يهوه هن من الطبقة العاملة ويرتدين ثيابا رثة .

كان يلد له ان يكتشف مدى الجدية الذي تأخذ به مواعظ الكتاب

المقدس ، وهل ان عقائدها تحتم عليها العفة . وقد علم ييقين مفاجيء انه لا يملك اية رغبة في الزواج منها . فالزواج يعنى التخلي عن كل شيء وقد احس ييقين في اعماقه بان الاستقرار الذى يشتره بهذا التخلي غير ضروري على الاطلاق . وراح يفكر في مغاللتها عوضا عن ذلك . وساقته هذه الفكرة الى النوم وقد حاول في مساء اليوم التالي ان يتصل بها بلفونيا ، فلم يتلق جوابا ، فضفط على حمالة السماعة وادار رقم اوستن . فاخبره صوت فتاة من البدالة ان المسنر ن قد سافر لبضعة ايام . فعاد الى غرفته وهو يحس بالخبية الى حد غريب .

وبعد نصف ساعة بنما كان يطالع كتابا تناهى اليه وقع اقدام ترقى السلم الى غرفة الرجل العجوز . وسمع طرقات على الباب ، وهتف صوت فساء : مسنر هاملتون ، ولم يجب احد . وهبطت الاقدام السلم نانية . وسمع نقرأ على بابه . فصاح : تفضل .

فقات الفتاة النى كانت تقف عند الباب :

— آسفة لازعاجك .. فقال سورم :

— هل انت كارلونة ؟

— نعم ، هناك احد رجال الشرطة عند الباب الخارجى .

— يريد مقابلتي ؟

— اوه ، لا . قال ان احدهم رمى بزجاجة الى الشارع . واعتقد ان

الفاعل هو مستر هاملتن ، ولكنه لا يجيب . فماذا افعل ؟

— ماذا يحدو بك الى الاعتقاد بانه الفاعل ؟

— لا بد انه هو . مسيو كاليه في الخارج ، فمن يكون غيره ، يا نرى ؟

— ماذا تريد مني ان افعل ؟

— هل يمكنك ان نذهب بطريق سلم الانقاذ ؟ ربما سيرد عليك .

— اين الشرطي ؟ — تحت .

فتسلق سورم الى النافذة وخرج الى سلم الحريق ، ووقع بصره على حزمة من الضياء نبعثت من باب مفتوح في الاعلى . اما في الغرفة ، فجلس الرجل العجوز القرفصاء على الارض ، ظهره الى الباب ، عاري الجسد . وسمع اغنية دينية تغنيها جوقة كنسية باللغة اللاتينية:نجمة الصباح . الخ.

ووقف هناك ، مترددا ، لا بدرى هل يعود الى غرفته بهدوء . فلما توقفت الاسطوانة ، سعل وطرق على الباب . كان يتوقع ان يلتفت العجوز او ان يباغته الشعور بالذنب ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، وانما رفع الرجل الاسطوانة من الفرامافون والنقط اسطوانة اخرى من بين الكومة الملقاة امامه

وقال سورم : - عفوا ... فقال الرجل من فوق كتفه :
 - ادخل ، لا نطل واففا هناك . فقدم سورم الى داخل الغرفة :
 - آسف لازعاجك ، ولكن هنالك شرطيا تحت يسأل عن زجاجة كان
 احدهم قد القى بها الى الشارع .
 - والعت الى النافذة ، فيما هو يتكلم ، فالفاهها مفتوحة ، وكانت نطل
 على الشارع . فقال له الرجل العجوز :
 - انت الماني ، البس كذلك ؟
 - كلا ، انا انكليزي ، ولهذا هلا ...
 - نعم ، طيب ، طب ، هل نعجبك مراسيم الصلاة الرومانية .
 فثارت اعصاب سورم ، ولكنه احس بالعجز ، فقد كان الرجل يضع بين
 مخذيه زجاجة ينكفئ فوقها قدح . كان الغرامافون صندوقا خشبيا كبيرا ،
 وقد نذلت قطعة القماس الخضراء على القرص الدوار ، وامتدت الاسلاك
 منه عبر الغرفة الى جهاز راديو على رف الكتب . واحس بالبرد يلسعه من
 ييار الهواء الذي يهب في الغرفة ، ولكنه لاحظ دهشته ان الرجل كان
 يصبب عرقا .
 - جئت لاخبرك فقط ان الشرطي يبدو عليه الامنعاض ، فالقاء القناني
 من الشبابيك يسبب متاعب جمّة . .
 - قل لي ، ايها الصديق الشاب ، هل تعتقد بموت الجسد ؟
 واحس سورم فجأة انه كان يغلي من الغضب ، وانه يتمنى ان يمسك
 بالغرامافون ويهشمه على هذا الرأس الاصلع الذي يرشح عرقا . احس انه
 ضحية انسان عجوز سكران . فعبر الغرفة الى الباب وحاول ان يفتحها ،
 لكنها كانت مقفلة وقد نزع المفنّاح منها .
 فقال العجوز بسماجة :
 - اجلس وخذ شيئا من الخمر . من أي جزء من المانيا انت ؟
 واخذ سورم يتلفت حوله ، لقد روعه واقترفه فجأة هذا الجسد العاري
 القدر ، وصعد الفتيان الى حنجرته . وسكب العجوز شراب الجن في قدح
 كبير ، ثم كفا القدح على رقبة الزجاجة بانية . وهز الزجاجة فاخذ القدح
 يصلصل . فابتسم :
 - لا يمكنك الخروج من ذلك الطريق . ومد يده اليمنى الى الامام ،
 مشيرا وتبع سورم اتجاه اصبعه الى دولا ب في الجدار . كانت بابه مفتوحة .
 - هل تعلم ما هو ذلك ، ايها الصديق الشاب ، ايها الصديق الالماني
 الصغير ؟

- كلا .
- انها خارطة اليس كذلك ؟ خارطة . ولكن هل نعلم ما هي ؟
- كانت هنالك خارطة مثبتة الى الباب من الداخل تبدو وكأنها مرسومة بالحبر .
- لا شك انك لا تعلم . وسوف لن اخبرك . انها سر خاص بي .
- فعبّر سورم الغرفة ثانية وخرج مسرعا عن طريق سلم الحريق واخذ الرجل العجوز ينادي : هي ، انتظر لحظة ، وهبط سورم عن طريق سلم الحريق وعاد الى غرفته ، وقالت الفتاة :
- حسنا ؟
- لا ينفعه شيء ، انه سكران . عليك ان تخبري الشرطي ان ذلك لن يحدث ثانية . فهو لا يستطيع الاصغاء من فرط السكر .
- فاستدارت وبركت الغرفة دون ان تنبس بكلمة . فاغلق النافذة وجثا على ركبتيه قرب مدعاة الفاز ليدفئ يديه . ونهاى اليه من اسفل صوت رجالي خسن . وكان الفرمافون فوق غرفته يعزف نائبة . واذله عنيف غريزة القتل التي انارها فيه هذا العجوز ، وحتى في تلك اللحظة كان يشعر برغبة شديدة في ان يقف في مدخل الغرفة ويفرغ الرصاص في ذلك العربي الكريه وادهشته قوة هذا الشعور بالكراهية .
- وكانت يداه ملوثتين من لمس قضيب سلم الحريق ، ففسلهما في المطبخ، واخذ يشعر بالانبساط تدريجيا وهو منحني على طشت الفسيل مغمور اليدين في الماء الدافئ . وعندما عاد الفى الفتاة تنتظره في غرفته . كانت تنظر الى صندوق الكتب ، والتفتت اليه عندما دخل :
- او ، آسفة . ارجو الا يزعجك دخولي . . .
- كلا ، أبدا ما الخبر ؟
- يقول انه مضطر الى اخبار السلطات ، هذا كل ما في الامر .
- هل لك في كأس من النبيذ .
- ونظرت وكأنها تريد ان ترفض ، غير انه اخرج الزجاجاة من الدولاب وقال : — سأخذ انا قدحا .
- حسنا ، قليل جدا ، رجاء .
- كانت تلك الزجاجاة هي نفسها التي فتحتها في اليوم السابق ، وكانت ما تزال مليئة تقريبا . وسكب الشراب في قدح ناوله اليها .
- تفضلي بالجلوس .
- اشكرك .

وجلس على كرسي الى جانب النار . كان لها وجه مدبب قوي ، وكانت عظام وجنتيها عالية . وكان فمها ممسكاً ، غير انه لم يكن شهوانياً . لو كانت اكثر رساقاً لكادت ان تكون جميلة . وكانت تتكلم بلهجة انكليزية تامة .
— ماذا تعتقد انه ينبغي علينا ان نفعله بهذا الشخص ؟
فقال :

— انا مستعد لقلبه . انه يتير اشمئزازي .

— ماذا قال لك ؟

— لم يقل شيئاً واضحاً . كان غارقاً في السكر ، جالسا على الارض عارى الجسد .

— عاري الجسد ؟

— نعم .

وسحب كرسيه وجلس في مواجهتها :

-- اكاد لا افهمه . فمن الغريب انه لم يقتل نفسه . انه يشرب طول الوقت .

— من هو ، الا تعرفينه ؟

— كان يعمل مهندساً ، وقد ماتت زوجته . اعتقد ان لديه مالا . وهو يخطب ، في بعض الاحيان ، في حديقة هايد بارك عن الدين .

— ماذا يقول عن الدين ؟

— لا اعلم . انه يتحدث عن طائفة من الطوائف الدينية الروسية التي تؤمن بالرقص حول النار . وهو يثرثر كثيراً عندما يكون مخموراً . ويتحدث عن القتل ايضاً .

— القتل ؟

— نعم . يدعي ان لديه سرا عظيماً . . حول — ما اسمه ؟ . . جاك لا فانترير .

— جاك . . جاك القاتل ؟ آه ، تعنين جاك السفاك . ماذا يقول عنه ؟

— لا اعلم . انه يتكلم كثيراً عندما يكون سكراناً .

— ترى لماذا تحمله المسز ميلر ؟ لم لا تلقي به خارجاً ؟

— ولم تفعل ذلك ؟ انها لا تعيش معه في نفس المسكن . وهو ينفدها ثلاثة جنيهات في الاسبوع اجرا لتلك الغرفة . لا يدفع اي انسان اخر مثل هذا المبلغ .

وانهى قدح الشراب ، وسكب لنفسه قدحاً اخر . اما هي فلم تكن قد شربت جرعة واحدة . وقالت : انه يخيفني . لقد سرق مني مرة زوجاً من الاحذية .

وسمعت في هذه الاثناء جرس الباب الخارجي . فقفزت على الفور .
 — يجب ان اذهب . انه لي .
 — هل استرجعت الاحذية ؟
 — نعم . وجدتھا في دولابه . وداعا . اشكرك على الشراب .
 — لا شيء . تعالي في احدى الامسيات يوم لا تكونين مضطرة الى المغادرة
 وجلس وهو يحملق في النار الغازية . ثم انحنى ليلتقط قدحھا الذي لم
 تلمسه . كان دافئ المذاق . وقال بصوت عال : يجب ان احصل على امرأة .
 لقد اخذ الجوع الجنسي يعصف بي . وراح يفكر في النساء الواقفات خارج
 محطة النفق في كامدن ، وعيونھن تلاحق من يمر بهن من الرجال . ولكنه
 ادرك في الحال انه لم يكن يرغب في المومسات . فانھن يھدمن شهيتھ ، كوجبة
 طعام في (روتن هاوس) . وجرع ما في القدح من الشراب ، وجلس الى الاله
 الكاتبة .

* * *

وفي تلك الليلة ، حدثت له رؤيا التشتت مرة اخرى . وافاق وهو
 يشعر بالحرارة وبقليل من السكر . كان ما يزال مرتديا كل ملابسه ، وهو
 يرقد على السرير . وكان جهاز الراديو القابع مقابل عينيه يشن بهدوء ، فقد
 داهمه النوم بينما كان يصغي الى حفلة موسيقية متأخرة . كانت الفرقة
 تسبح في الظلام الا من بصيص ينبعث من واجهة الراديو ، ومن الوهج الاحمر
 الصادر من مصابيح النيون التي كانت تضيء احد السينمات على الجانب الاخر
 من الشارع . وبينما كان يجول ببصره في ارجاء الغرفة ، طاف في ذهنه هذا
 السؤال : ماذا افعل هنا ؟ فقد بدا وجوده هنا وكأنه لم يكن معنيا بدائه ، كان
 من المحتمل ان يكون في اي مكان او ان يكون اي شيء .
 وضيق عليه هذا الاحساس بالغربة ، فحاول ان يركز اهتمامه عليه ليستقصي
 طبيعته بصورة ادق . ولكن سرعان ما عصرت قلبه رعشة من الخوف ،
 وافرغت كل ما في ارادته من القوة . لقد ادرك ان وجوده لم يستطع ان
 يفصل نفسه عن الوجود للعام ليفحص ماهيته . وواجه الوجود كالجدار
 الاصم واحس بانه مدفوع برغبة فطرية لان ينفذ خلال الجدار ، ليؤكد
 حقيقة ما وراء الجدار ، واستبد به الرعب الذي صاحب ادراكه بانه واقع
 في فخ الوجود ، وان لا سبيل الى الانفصال عنه . وكان الرعب الذي اصيب
 به كرمب الذي بترت ذراعه : اعنف من ان يؤلم .

وعاد الى وجوده وهو راقد على السرير ، بهزة من الارتياح . وقفز
 من الفراش واجتاز الغرفة ليطفئ الراديو ، وهو يفكر : عبث او غير عبث ،

فانني اختار ان اكون هنا .

وما ان عاد الى السرير ثانية حتى اخذ يحاول ان يخلق من جديد هذا الخوف ، والادراك الذي ولده ، ولكنه عجز عن ذلك . فقد استنزفته ، كاشباع الرغبة الجنسية ، وراح ذهنه يصوغ الكلمات بسدلا من الاحاسيس . ان السعور الوحيد الذي استطاع ان يثيره ثانية في نفسه هو الاحساس بالغربة ، التسعور : باني لا انتمي الى هذا المكان . واخذ يتساءل بغموض ، وقد خسر المحاولة ليبقى متيقظا ، ليست البصيرة نوعا من الحارس ، من الروح الخيرة التي تتميز بالعدم ؟

وافاق نائية اناء الليل ، وشعر باشمئزاز غريب من جسده ، كان جسده قطعة من اللحم الميت . تم ادرك فجأة ما الذي اثاره الفتيان في نفسه فكرة عدم وجوده .

* * *

واستيقظ مرة اخرى وداهمه احساس بان هناك شيئا يحدث . فنظروا الى ساعته . كانت تشير الى النصف بعد العاشرة . وكان احدهم يضرب باب الرجل العجوز . وهتف صوت الفتاة الالمانية :

— افتح الباب ، رجاء . يريد احدهم التحدث اليك .

ورد العجوز بعبارة غير متميزة ، كانت كلماته مخنوقة ، وتكرر الطرف على الباب . وصاح العجوز ثانية ، بصوت اوضح هذه المرة : — من هو ؟ — فقال صوت رجالي :

— ضباط الشرطة . ارجو فتح الباب .

واعتدل سورم في فراشه ، ونذكر الزجاجة حالا . وسمع جلبة فوق رأسه ، وحركة قدمين عاريتين على ارض الغرفة . ثم تحرك شيء ثقيل ، قطعة من الالباث . وصاح الصوت الرجالي ثانية :

— ارجو السماح لنا بالدخول رجاء .

لم يجب احد ، وتزحرج شيء اخر على الارض . واشتد الطرق على الباب واصبح اكثر الحاحا . وفجأة صاح الرجل العجوز ، بصوت حاد لاهث — ماذا يريدون ؟

فاجابت الفتاة الالمانية مهدئة :

— مجرد بعض الاسئلة . — عم ؟

فقال الشرطي — افتح الباب ، لننتحدث .

كان صوت الرجل العجوز اجنس ، يكاد لا يفقه ، وصرخ :

— اعرفكم ، اعرف الاعيبكم .

وكانت في صوته مسحة من الهستيريا . واخذ الشرطي يناقش الفتاة بصوت منخفض . ومشى الاقدام العارية على ارض الغرفة ، وسقط شيء على الارض محددا قرعة . وصرخ الشرطي :

— اذا امتنع عن فتح الباب ، فسنتحطم الباب بالفوه .

وقفز سورم من السرير وارندى سرواله . وفنش حوله عن بعليه ، ثم تذكر انه تركهما في المطبخ . وفتح باب غرفه فجأة ، واطلت الفتاة الالمانية . كان ما يزال على الارض ، يبحث تحت السرير . وسمعها تقول :

— لا يوجد احد هنا ، يمكنك الدخول .

واعتدل سورم بينما دخل الغرفة رجل ، فهمست الفتاة : اوه ، اسفة ، ظننت انك في الخارج .

فتسعر سورم بالحرج ، وكان منثور التسعر ، ما يزال مرديا ستوره منامته . وسأل : — ما الخبر ؟

— تسس ، لا نريده ان يسمعنا . هذا السيد شرطي ويريد ان يصعد من سلم الحريق . هل لديك مانع من ان يمر خلال غرفك ؟ — لا . بالطبع لا .

فاجاب الشرطي الذي يرتدي الملابس المدنية بصوت فظ :

— اشكرك يا سيدي .

ورفع سورم الجزء الاعلى من اطار النافذة ، فانزلت بصريه من جراء عدم تزييت البكرات . وقطبت الفتاة . والتقط الشرطي صحيفة من جريدة كانت على الطاولة ، وقال بهدوء : هل تسمح يا سيدي ؟ ثم فرشها على السرير ووضع قدمه عليها لينسلق خارجا من الشباك . كان رجلا قصير القامة ، له وجه مدبب ينسبه رأس الطير . وبقي في موقفه هنيهة محدقا في الفرفة العليا ، ثم تسلق سلم الحريق بهدوء . واخفض سورم النافذة قلبلا ليقفل تيار الهواء .

وسأل الفتاة : ما الخبر ؟

فتململت وقالت : لا بد ان يكون معنوها . يريدون ان يوجهوا اليه بعض الاسئلة فقط .

— حول رمية القنينة ؟

— لا ، ليس لهذا السبب .

— ماذا فعل هذا العجوز ؟ فقالت بغموض :

— الامر يتعلق بجريمة قتل ، يعتقدون انه قد يعرف شيئا عن الموضوع وتناهى اليهما صوت ضربة مفاجئة على الباب كمن يريد ان يقتحمه .

وصرح الرجل العجوز .
 - لا يمكنك ان تدخل .
 فهزعت الفتاة الى التساك واحدت بنظر الى الاعلى . وصاح الشرطي :
 - احبري برت ان ياني للمعاونة . فلا بد ان تكسر الباب .
 واسرع سورم الى الباب . ولكنه قبل ان يصل اليه دخل الشرطي
 الاخر الى الغرفة راكضا ، ورفع الساك وسلقى خارجا .
 فقالت الفتاة :
 - ماذا يبني هذا المجنون ؟ لا يريد احد ايداءه .
 والفت بنفسها على السرير نائبة واسرايت بعنقها خلال النافذة .
 وانطلق الباب مفتوحا بدوي عنيف . وصدر صوت الرجل العجوز يائسا :
 - لا تغربا مني .
 فالتفت الفتاة وحملقت في وجه سورم . وسمعا صرخة الم مفاجئة
 اجمدت الدم في عروقهما . فعال سورم :
 - يا الهي ، ماذا فعل ؟ اعفد انه من الافضل ان اذهب للمساعدة .
 وحالما نسلق الى النافذة رأى الدخان الاسود المنبعث من خلال الباب .
 وسلقى السلم مسرع الخطوات . لم يتمكن ان يرى ما في داخل الغرفة لسدة
 الدخان واللهيب . وصاح احد الشرطيين : افتح النافذة ، وخبث السنة
 اللهيب برهة من الزمن ، فاستطاع ان يرى ان النار كانت عند الباب فقط .
 فتقهقر الى الخلف مكئا على قضيب سلم الحريق ثم القى بنفسه في الغرفة
 وكان الدخان قد ملأ الغرفة كالضباب البنى . كان العجوز ينلوى من الام
 على الارض . وكانت النار مشتعلة فيه . وكان الشرطيان يحاولان اخماد
 اللهيب بالاغطية . وفتح سورم النافذة على الجانب الاخر من الغرفة ، وتنشق
 الهواء النقي وهو يحس بالامتنان . وحينما ادار رأسه الى داخل الغرفة
 استطاع ان يتبين ان النار كانت تندلع من علبة زيت ملقاة بالقرب من المدفأة ،
 والزيت ما يزال يتدفق منها . فركض نحوها وسدد لها ضربة بقدمه اطارتها
 خلال الباب الى باحة الدار . وبدحرج الرجل نحت قدمه وهو ما يزال يصرخ
 وسقط سورم على السرير ولكنه استرجع توازنه ورفع الفراش من السرير
 والقى به وسط اللهب . فصفرت حالا مساحة اللهيب الى بقعة صغيرة ،
 واخذت نتطاير حول اطراف الفراش . وصاح احد الشرطة بصوت خشن :
 احسنت صنعا ، وتوقفا عن الضرب بالاغطية والقيام بها فوق النار . وفتسح
 سورم دولاب الملابس ورمى بكل ما استطاع ان يجده من الياب . وتخذت
 عيناه وحنجرتة من الدخان . واخذ يطأ بقدمه على السنة اللهيب التي بقيت

منأججة ، وهو يرتطم بالشرطيين في ترنحه كالثلج ، ويسعل في غمرة الدخان وكان الرجل صامنا ، على الارض .

ونسنت تيار الهواء القادم خلال الفرفة سحب الدخان . ونرك سورم الشرطيين ليظا اللهيپ ومضى ينتزع الصندوق والكراسي التي وضعها العجوز خلف الباب . وادار المفتاح وفتح الباب . وكاد أن يسقط على الدرج من سدة شوقه ليتنفس الهواء الطلق .

وفاوم رغبته في أن يعلق الباب خلفه ليعزل نفسه عن الدخان ورائحة الزيت الكريهة . وجلس على اعلى السلم منكئا على الافريز ، واخذ ينفس نفسا عميقا . وبعد قليل ، تلاشى الالم في عينه ، وتشعر بالسخام يغطيه من قمة رأسه الى قدميه ، وبعد أن ذهب شعوره بالاختناك عاد الى الفرفة مرة اخرى . كان الشرطيان يقفان خارج الفرفة على سلم الحريق يلهثان . وقد انطفأت النار . وكان الرجل العجوز يرقد بلا حراك تماما في وسط الفرفة واستدار سورم وهبط السلم ثانية . فوجد ثلاثة اشخاص في غرفته ياملون من خلال النافذة . فشعر بالغثيان ولوى رأسه وسارنحو المطبخ . وفتح صنبور الماء ووضع رأسه نحته . وخلع عنه المنامة واخذ يمسح جسده بالسفنجة مبللة ، فهدأت الحرارة التي كانت تضطرم في جسده وأحسن ببرودة رغيده . كان جسده بنوجع ويرتعش كمن تعرض لضرب مبرح . فمسح بالاسفنجة والصابون على وجهه وصدره ثم اخفض سرواله ، وراح يمسح جزءه الاسفل وبعد أن جفف نفسه شعر بتحسن . واخذ الماء يقطر من شعره الذي تشرب بالماء فانساب على كتفه ورقبته . واخذ يمسح شعره بعنف ، ثم راح يسرحه وهبط السلم ثانية ، حاملا بيده المنامة .

كان باب غرفته مغلقا ، وقد جلس فيها الشرطيان ونزعا معطفيهما . وسترتيهما . وكان الرجل العجوز راقدًا على الفراش ، يئن بصوت خافت فنظر اليه الرجلان عند دخوله وانفرجت شفتاهما عن ابتسامة . وقال احدهم معلقا :

— اللعنة ، اعتقدت اننا قضي علينا اليس كذلك يا جاك ؟

ورمق المدعو جاك السرير ، قائلا :

— ايها النفل البليد . لم يفعل كل ذلك ؟

فنظر الاخر الى سورم وقال :

— شكرا للمساعدة .

— لا سيء . هل تلقيان القبض عليه ؟

— كنا نبغي ان نوجه اليه بعض الاسئلة فقط .

- كان رأسها وايديهما مسودة من القذارة ، وكانا يتصببان عرقا .
فقال سورم سائلا :
- هل لكما بشيء من الشراب ؟
فقال المدعو جاك :
- بل انها لفكرة بديعة .
فقال الآخر :
- ماذا ؟
- شراب او بيرة .
- بيرة لي .
- ولسي ايضا .
وفتح زجاجة الجعة الخفيفة وسكب منها في قدحين وانا من الخزف
وشرب حصته جرعة واحدة طويلة . ودفع الزجاجة اليهما قائلا :
- تفضلا واشربا .
- شكرا .
- اين كارلوتة ، الفتاة الالمانية ؟
- لقد ذهبت لطلب سيارة الاسعاف تلفونيا .
وفي اثناء ذلك دخلت الفتاة الى الغرفة وقالت :
- سيحضرون بعد قليل . كيف حاله ؟
فهر المدعو جاك كتفه وقال :
- لا يمكننا العزم وهو بهذه السن . ان اصابته بالحروق ليست بليغة
ولكنه اصيب بصدمة .
كان الرجل العجوز يرقد على السرير ، ممسوح العينين ، يتنفس بصعوبة
وطفق يشن . وقال سورم :
- سأذهب لارداء ملابسني ، عن اذنكم .
واخرج سروالا مكويا بعناية من الدرج ، ونوبا وربطة عنق . وملا
الشرطيان قدحيهما نانية حتى افرغا الزجاجة ، ونجاهلا الرجل العجوز .
فتبعه الفتاة خارج الغرفة وقالت له :
- يمكنك الانتظار في غرفتي ان اردت . وستصل سيارة الاسعاف
بعد قليل .
كاد ان يرفض ، ولكنه غر رايه :
- شكرا ، اين هي ؟
- بعال ادلك .

وسبقته في الهبوط على السلم ، فقال لها سائلا :
 - ماذا فهمت من الوضع كله ؟ ما هي حقيقة الامر ؟
 - لا لري ، لا اعرف اكثر مما تعرفه انت .

وكان يتوقع لسبب ما ان يجد غرفتها موحشة ، غير ان غرفة الجلوس كانت واسعة وثيرة الاثاث . وكانت ارض الغرفة مغطاة بالسجاد . وفتحت نورا عاليا للقراءة ينتصب الى جانب الاريقة ، نشر ضياء ورديا دافئا . وكانت هنالك مدفأة كهربائية مثبتة في الجدار تشتعل . وحينما تركته منفردا ، اربدى ملابسه وسرح شعره ، ثم راح يجيل بصره في الكتب المصفوفة على الرف ، كانت جلها باللغة الالمانية . ولفت نظره ان سريرها في الزاوية كان واسعا ، فخطر له بصورة تلقائية : يسع شخصين ، ثم فكر : لا ، ليس من الحكمة في شيء ان تكون لك خلية في بيتك ، يمكنها ان تراقبك بدقة . ومع هذا ، فقد طاف ببصره باهتمام على الصور المركزة فوق الدولاب ولم يجد بينها صورة رجل شاب . كانت هناك صور تمثل عائلتين وصورة فتاة تبدو في سن اصغر بعشر سنوات ، ذراعها يلتف حول خصر فتاة شقراء ، وكانت ترتديان الملابس البافارية .

وفتحت الباب من خلفه . كان يتوقع الفتاة ، واذا به الشرطي المدعو جاك يدخل .

- هل اوجه لك بعض الاسئلة ؟

- تفضل . عن ماذا ؟

- تفضل بالجلوس اولا .

واخرج من جيبه دفتر ملاحظات وقلم حبر جاف . وجلس سورم على الاريقة .

- والان ، لنر . انك تسكن هنا منذ يوم السبت فقط ، فلا اتوقع منك ان تعرف الكثير عن هذا المعجوز ؟

- لا شيء على الاطلاق ، في الواقع .

- ولكنك صعدت الى غرفته يوم امس ؟

- لبضع دقائق فقط .

- طيب . الم تتكون لديك اية فكرة عن اوراق يحفظها عنده ؟ شيء قد يريد ائلانه حرقا ؟

- لا اعتقد ذلك ، فلم امكث عنده غير دقيقة ونصف فقط .

وتنهذ الرجل وقال :

- طيب حسنا . هلا شرحت لي ماذا حدث في الليلة الماضية .

ووصف سورم مقابلته مع الرجل العجوز ، واخذ يعيد ، ما اسنطاعت ان سسغه به ذاكرته ، كل ما جرى بينهما من حديث . ولم يقاطعه رحل الشرطة الا مرة واحدة حب قال :

— هل ايسح لك ان نلقى نظره على الخارطة ؟

— كلا ابدا . لقد مررت من هناك فقط .

— هل كانت حلف باب الدولار ؟

— نعم .

— خارطة سوارع ؟

— اعفد ذلك .

— هل يمكنك التعرف على خارطة وايتسابل لو رأسها ؟

— لا اعلم . ربما اسنطيع . من المحتمل جدا انها خارطة وايتسابل .

— اعفد ان كارلوه حدثك عن فكره المضحكة ، فضيه جاك السفاك .

فاجاب الرجل باكساب : اجل . واغلق دفتر الملاحظات واعاده الى

جيبه ثم قال : — حسنا ، اعتقد ان هذا هو كل ما اردت ان اسالك عنه .

وقال سورم :

— هل ان القضية سر ، ام يمكنك ان تحدثني عن ماهية الامر ؟

— انه مجرد تحقيق رويني في قضية جرائم القتل التي حدثت في

وايتسابل . اخبرنا احدهم عنه انه احد المسبوهين . ونحن مدزموه بان

نفوم بهذا التحقيق .

— ما هي جرائم القتل في وايتسابل هذه ؟

— الا تفرا الصحف ؟

— كلا ، الا عندما اكون مضطرا ، ولسب مضطرا على الغالب .

واتسعل الشرطي سيكارة وانتصب واقفا وهو يبحث عن نفاضة سكاير

وقال : — انب ، رجل محظوظ . اقرا صحف اليوم فتجد كل ما نبغيه عنها .

— كيف نفذت هذه الجرائم ؟ اقصد ما هو السلاح المستخدم ؟

— عدة انواع : مطرقة ، مقص ، سكينة .

— وكم عدد القتلى الى الان ؟

— اربعة .

وقال سورم متسائلا :

— ولكن كيف علمت ان الذي اقترف هذه الجرائم كلها هو نسخص

واحد ؟ طالما كانت وسائل القتل مختلفة حقا . .

وقاطعه الشرطي بقوله :

— اصغ ، سؤالك لي لا يجديك شيئا ، اقرا جريدتك ، فلست المسؤول
عن هذه القضية . اني اقوم بعمل روتيني وحسب .
— من المسؤول اذن ؟
— المفتش ماكمردو ، سكوتلانديارد .
وفجأة رن الجرس في الشقة ، وهتف الرجل :
— آه ، لا شك انها سيارة الاسعاف .
وراح يخطو نحو الباب ، وقبل ان يبلغ عتبة ، سمعا وقع اقدام بهبط
السلم بسرعة ، ففتح الباب وتوقف هناك واخذ يسترق السمع . وقال سورم :
— اتعلم ، الغريب انه ...
— ماذا ؟
— الطريقة التي نصرف بها . بظهر انه كان يعتقد انكما كنتما تبغيان
توقيفه .
— غريب جدا . اود ان اعرف سبب ذلك .
— اعتقد ان به لوتة في عقله .
— ينبغي ان ارحل الان . شكرا على المساعدة .. والبيرة .
— لا ابدا .
ووجد جريدة الصباح على مائدة المطبخ . وقد كتبت الجريدة بعناوين
بارزة في صفحتها الداخلية : اكبر قضية تحقيق حتى الان . وتناول الجريدة
وحملها الى غرفة الجلوس واقتعد الكرسي وانشأ يقرأ . وكانت الصفحة
الاولى تحمل صورة فتاة مكتنزة الجسم ، ممثلة النسفاه ، كتب تحتها :
« البحث مستمر عن القاتل المجنون في لندن . جرى يوم امس تسخير
جميع من توفر من رجال في اكبر ملاحقة عرفتها العاصمة حتى الان عن مجرم
سدد اربع ضربات خلال احد عشر شهرا . وقد قال المحقق ماكمردو في وقت
متأخر من الليلة الماضية في حديث له الى الصحفيين ان الشرطة قد حصلت
على ما يكفيها من الادلة للاعتقاد بان قاتل كريتشن ويدمان الموديل السابقة
البالفة من العمر خمسة واربعين عاما والتي وجدت مصابة بطعنة مميتة
صباح يوم السبت ، هو نفسه قاتل مارثا ترنر (٦ كانون الثاني) ، وخوانيتا
ميلر (٣ نيسان) وكاترين ايدوز (١٧ اب) .
« قتلت مارثا ترنر بضربة مطرقة في شارع جورج ، سيتايلفدز . اما
خوانيتا ميلر ، فطعنت بمقص . وكاترين ايدوز ، مثل لاحقتها كريتشن
ويدمان طعنت بسكين .
« يكاد يكون اعتقاد رجال الشرطة جازما بانهم يلاحقون الان قاتلا

مجنونا ذا ميول سادية ، تعاوده بين الحين والاخر شهوة الفل . ويجري رجال الشرطة ، منذ صباح يوم السبت ، بحفقا من بيت الى بيت في كل ناحية من انحاء واينسابل .

« وقد حقق البوليس كذلك مع اصحاب الاكسناك في سوف « بيسي كوت لين » حول رجل يحمل موسى حلاقة يمرق بها ملابس النساء الداخليه المعروضة للبيع هناك .

« وقد وصل مساء يوم امس الى غرفة التلفون في مبنى سكولاندبارد حوالي مائتي نداء من اناس يظنون ان لديهم معلومات عن القاتل .

« وتحدث المحقق ماكمردو في الليلة الماضية قائلا : ليست هناك نظورات جديدة في الموضوع ، ولم يزل رجال الشرطة يأملون في الغاء القبض على القاتل في اقرب وقت .»

ودخلت الفتاة في اللحظة التي انهى فيها قراءة الخبر ، وقالت :

— غرفتك خالية الان .

فقام على قدميه وهو يقول :

— اوه ، شكرا .

— هل لك في قدح شاي ؟

— نعم . شكرا جزيلا .

وصاحت من المطبخ :

— اخبرني رجال الشرطة انك قمت بعمل عظيم .

فاجاب متضاحكا :

— لا تحدث دائما حوادث متيرة كهذه قبل الغداء .

ووقف عند مدخل الباب ، يراقبها يضع الشاي بالملعة داخل الاناء ،

ثم برقع ابريق الماء الذي كان يصخب بازيه . وقال :

— الا تسخين ابريق الشاي ؟

— كلا ابدا ، واني لعلى يقين من ان المذاق لا يتغير ابدا ، يقول اصدقائي

من الانكليز انه يتغير ، ولكني لا اشعر به .

فاجاب بلامبالاة : — يجوز .

فرمقته بنظرة ودية مفاجئة . وقالت :

— حسنا ، عندما اهيبء لك النساي في المرة القادمة ، ساسخن الابريق

وارتسم الجد على محياه وقال :

— هل تعتقدين ان هناك اي امل في عودة هذا العجوز ؟

فقالت بلهجة مؤكدة :

- آمل الا يعود .
- هل قرأت جريدة الصباح ؟
- بعد .
- تذكر الجريدة ان الشرطة بلفت اكثر من مائتي نداء حول هانسل واينشابيل هذا . يبدو ان احد هذه النداءات يتعلق بالعجوز .
- وناولنه الشاي في اناء خزفي رفيق الصنع . فقال سورم :
- شكرا . . . لا ريب انه من المستحيل ان نكون لهذا الشخص علاقه بجرائم القتل هذه ، البس كذلك ؟
- اظن ذلك .
- وعادا ثانية الى غرفه الجلوس ، فجلست هي على الاركة :
- اعتقد انه يمكنه ان يثبت انه لم يكن في محل الجريمة ، فهو يلعب الاسطوانات طوال الليل .
- ووضع قطع السكر في فمحه ، واخذ يدير الملعقة ، وهو يقول مناملا :
- ومع هذا ، فمن الممكن ان يجعل من ذلك خدعة . فكل ما يحتاجه هو غرامافون اونومايكي وكومة من الاسطوانات . ما اروعها قصة بوليسية ، الا تعتقدين ذلك ؟ رجل يوقظ الجبران ليبرهن كونه بعيدا عن محل الجريمة . وفي احدى الليالي ، يضع كومة من الاسطوانات في الغرامافون ويتسلل خلال سلم الحريق ليقترب جريمة ويعود ادراجه بعد ساعتين . عقدة محكمة .
- لم لا تفانح الشرطة بذلك ؟
- فاجاب :
- سأفعل ، اذا ما تبين لي ان هذا النفل المعجوز سيعود . سأضع الخطة لادانته . وأعلن بانى رأيت يتسلق سلم الحريق بحذاء من المطاط وهو يحمل باحدى يديه فأسا ملطخة بالدماء ، فيتقرر بذلك مصيره .
- فانفجرت الفتاة بحنان غير متوقع ، قائلة :
- مسكين هذا المعجوز . كان ينبغي ان تكون له عائلة ترعى شؤونه .
- واغضبه ما كانت تبطنه في كلماتها من لوم لصلابته . وقال وقد طفح وجهه بالبشر :
- أجرؤ على القول بان له عائلة بالفعل ، ولكنها تختفي لتتفاداه . هيا تأملي في الامر .
- يجب عليك الا تكون بهذه القسوة تجاهه .
- ألم يوظفك طوال الليل باسطواناته الملعونة .
- واحتسى الشاي . كان رديئا جدا ، خفيفا ، لم يبق المدة الكافية على

- النار . فاضاف اليه كمية اخرى من الحليب المذوف من مداوه ، ثم افرعه في
جوفه جرعة جرعة . وقالت له : المزيد من الساي ؟
— كلا ، اشكر . يحسن بي ان اذهب . وبالمناسته ، هل القب نظرة
في تلك الغرفة ؟
— كلا ، لم ؟
— لا ادري هل الحروف فيها جسيمة ؟
— لماذا ؟ هل تريد ان نتعل اليها ؟ فعال :
— فد نكون فكرة معقولة ، في حالة رغبة النزول الاحر في ان بموم
بحركات بهلوانية طول الليل ، او ان يدرب حصانا على الرقص .

الفصل الثالث

- وهنف من كان على الطرف الثاني من خط النلفون :
- مكتب الاخبار .
 - هل المسر بيل موجود رجاء ؟
 - يتكلم .
 - هلو ، بيل . جيرارد يكلم .
 - هلو ، ايها الزميل ، كيف الحال ؟
 - انتبه يا بيل . لقد وقع شيء غريب في المحل الذي اسكن فيه . لقد حاولت الشرطة القاء القبض على رجل عجوز باعتباره مشبوها في قضية وايتشابل .
 - هل وصل الخبر الى اية جريدة اخرى ؟
 - لا اظن ذلك .
 - ماذا حدث ؟
 - وضع العراقيل خلف باب غرفته واشعل فيها النار .
 - يا للسبماء ! وماذا وقع بعد ذلك ؟
 - حطموا الباب . وهو الآن في المستشفى يعاني من الحروق .
 - ابق على الخط . . . طيب ، اعطني العنوان ، كولنديل ، اليس كذلك ؟
 - كلا فقد انتقلت الى كينتش تاون .
 - حسنا . طيب . هل يمكنك المجيء الى هنا .
 - الى المكتب ؟
 - نعم ، كلا ، بل الى مقهى « جو » في شارع كارملات ، تلك المقهى التي قصصناها يوما مع كريت ؟

— مضبوط . سأذهب هناك في الحال ، وارجو ان اراك خلال نصف ساعة .

— انتظر . ابق على الخط . اعطني العنوان ، سنوفد شخصا الى هناك حالا .

— حسنا . ولكن ارجو ان تسدي لي معروفا، لا تذكر اسمي، فقد تستنكر ذلك صاحبة البيت . اوص من برسله ان يقول لها انه علم بذلك من الشرطة او ان احد الجيران اوصل الخبر الى مكتبكم ، مفهوم ؟
— نعم اعطني العنوان .

ومتى عائدا الى مسكنه مسرع الخطى دافنا يديه في جيوب معطف المطر . ولاحت السماء في شهر تشرين الثاني هذا مقرورة داكنة .
واسند دراجته الى تبالك المقهى في شارع كارملات ، ووضع القفل في العجلة الخلفية . كانت تجرى في الشارع بعض الاصلاحات وكان ضجيج المثقب الهوائي قد غمر الهواء باهتزازات عنيفة طمست ضوضاء مكائن الطباعة في الجهة المقابلة . وبدات المقهى نفس بالجموع التي تتدفق وقت الغداء . ولم يجد اترا لبين في كلا الصالتين . وخلع معطفه والقاه على طاولة خالية في احدى الزوايا ليحجزها ، ثم ذهب الى طاولة البار ليعين طلبه . وحينما عاد الى محله وجد رجلا يجلس هناك . فقال سورم بفتور :

— هلو ، بوبي . فاجاب الرجل :

— انني بخير يا جيرارد ، كيف انت ؟ ارجو الا يزعجك وجودي هنا ؟
والقى نظرة قلقة بعينه النديتين . فقال سورم :

— كلا . اني بانتظار بيل بين .

— لا بأس . سارحل عندما يأتي . حسنا ، انك تبدو بخير ، ايها الصبي ومضى سورم يتأمل ذلك الوجه المجهد ، غير الحليق ، وندم للفظاظة التي عامل بها الرجل . وبدا له هذا الرجل الاسكتلاندي ، وكأنه لم يصدق الطعام او النوم لايام عديدة . فقال له سورم :

— هل اقدم لك فنجانا من الشاي ؟

— كلا اشكرك يا جيرارد . فقد شربت توا . ولكن هل ادلك على ما يمكنك ان تفعله . اني اكاد اموت ظمأ لثقة من الدخان ، ولا املك غير بعض القروتس ، فهل يمكنك اقراضي شلنا او اثنين ، شلن واحد يكفي .

وقال سورم متضايقا :

— لا ادري . اظن ذلك .

واخرج محفظة نقوده وسلخ منها ورقة بنصف جنيه كانت مطوية

- وناولها الى روبرت دروموند .
- اذا استطعت ان تصرف هذه الورقة ، يمكنك ان تأخذ منها شلنين .
- اشكرك ، ايها الرجل . لقد انقذت حياتي حقا .
- ونظر سورم الى ساعته ، كانت النصف بعد الثانية عشرة . وعاد دروموند وقذف ببقية الشلنات امام سورم ، وقدم علبة السكاير المفتوحة اليه ، مهز سورم رأسه قائلا :
- اشكرك ، لا ادخن .
- انت سعيد الحظ .
- ولاحظ سورم اليد المرتعشة التي كانت تسعل السيكارة .
- وجلس الاسكتلاندي واطلق من فمه نفاة من الدخان ، ثم بصق بقطعه من التبغ كانت قد علقت بشفته السفلى ، واغمض عينيه وقال :
- آه ! . هذه اول سيكارة ادخنها اليوم .
- وفتح عينيه ، ورمق سورم لأول مرة بنظرة مباشرة :
- حسنا ، ايها الصبي ، ماذا كنت تفعل منذ اخر مرة رايتك فيها ؟
- لا شيء . اخبرني يا بوبي ، هل تعرف شيئا عن حوادث القتل في وايتشابل !
- ما قرأته في الجرائد فقط . لماذا ، هل تعرف انت شيئا عنها ؟
- كلا . الا يوم امس . لم اكن قد سمعت بها مطلقا . فلم اقرأ الصحف فقال دروموند :
- هل اخبرتك يوما عن حادثة القتل التي الفيت نفسي مستبكا بها في كسلاسكو ؟
- كلا .
- طيب . لم يكن لي علاقة بها تماما ، ولكن الفتاة التي سكن الغرفة المجاورة وجدت مخنوقة في احدى الليالي . وما يضحك في القضية هو اني سمعتها تصرخ ، ولكنني بقيت راقدًا ولم افعل شيئا .
- لماذا ؟
- لماذا ؟ من الصعب الاجابة .
- وراح يتطلع الى سيكارتة الثانية وهو ساهم . وصاحت المرأة : معلاق وبطاطة . فالتقط سورم الصحن من الطاولة ودفع الثمن . وعندما جلس ، قال الاسكتلاندي على مهل :
- نعم ، بل يمكنني ان اخبرك السبب . هل حدث لك يوما ان احتجت شيئا بشدة ؟ احتجت اليه اكثر مما يستحق ؟

- فأجاب سورم : أحيانا . وراح برش عصير الطماسة في الصن .
- كانت الفتاة بديعه الشكل ، هل تدرك ما اقصد ، ليست جميلة .
ولم يكن لها اصدقاء دائمون من الرجال ، ولكنها ، حسب ما كنت أعلمه ، لم
يكن نقية عفيفة الى هذا الحد . فقد كان يحدث أحيانا ان يقضي معها احدهم
ليلة ، وليس نفس الرجل في كل مرة ، لاحظ ؟ وكثيرا ما كنت اشعر برغبة
في أن أطرق الباب عليها واخنلق عدرا ما واقول لها : ما رأيك في الامر ، يا
عزيزتي ؟ لا اعتقد انها كانت سترفض - لا اعتقد ابدا .
فقال سورم ، وهو يمضغ قطعة المعلق في فمه :
- لم لم تفعل اذن ؟
فهز كتفيه وهو يطفىء عنب السيجارة :
- لا ادري . كنت اصفر سنا في ذلك الحين ... خجولا .
ونظر الى سورم واشرق وجهه بانتسامة مفاجئة . كانت ابتسامة تنم
عن البساطة والاخلاص الى حد غريب .
- وحدث في تلك الليلة ان سمعتها بصرح واعتقدت انها رأت كابوسا .
وفكرت في نفسي : لم لا اغنم الفرصة الان ؟ وكدت اصل الباب . ولكنني
اخذت ارتعش وكان العرق يسيل مني ، وبالرغم من انني كنت افكر منذ
مدة طويلة في المسألة الا انني لم اكن متهيئا لان افعل فعلتي بهذه الصورة
المفاجئة . ولبث مستلفيا على السرير ، احس بقلبي يخفق ، وكنت احاول
ان ابعث الجراة الى نفسي . وسمعت حركة ، وفكرت : لا نستطيع النوم ..
ولم اذهب . وفي اليوم التالي وجدوها جثة لا حياة فيها .
- هل قبضوا على القاتل ؟
- نعم . القوا القبض عليه . كان جنديا ، قتلها طمعا في ثلاث باونات
كانت في حقيبتها .
فقال سورم :
- اوف ايها الحفير . يا لها من فتاة مسكينة .
وقال الاسكوتلاندي :
- هوذا بيل .
والتفت سورم في اللحظة التي دخل فيها بين الغرفة . فلوح له بيسده
فنهض دروموند واقفا وهو يقول :
- سأرحل .
فقال سورم :
- اذا لم تتوقف عن التدخين المستمر ، فستحتاج الى علبة سكاير

- اخرى بعد نصف ساعة .
- أنك على حق يا جيرارد ، اشكرك على القرض .
- وشد دروموند بيده غير المغسولة التي كانت تغطيها شعيرات حمراء على ذراع سورم . وصاح بين قرب طاولة البار .
- شاي لكليكما ؟ فقال دروموند :
- ليس لي ، فاني مغادر . وداعا يا عزيزي ! وقال سورم : — وداعا .
- اقبل بسين يحمل فنجانين من النساى . وقال : ماذا اراد ؟
- لا شيء ، جاء ليتحدث فقط .
- يتحدث ؟ ألم ينصب لك شركا ؟
- شلنين فقط .
- علمت ذلك . فهو يحاول ان يستنزف المال منى كلما رآنى . علمت انه قد اقتطع منك سيئا .
- وقال سورم :
- يبدو مريضا .
- كان وجه بين شاحبا . كان وجهها نحيفا بارز التفاطيع دا ذقن منغلق الى نصفين ، وكان عندما يظهر عليه الاعياء نصطبغ بشرته بلون مخضر كزال بيضة الببط .
- اني مريض فعلا . اكاد احضر من النعاس . لقد بعيت صعف ساعات الدوام في المكتب ، لان زميلي مصاب بالانفلونزا .
- هل ارسلت مخابرا ؟
- نعم ، هو في طريقه الى هناك الان . فلت له ان الحادثة بلغتنا عن طريق الشرطة .
- اخبرني ما حدث .
- وكرر سورم القصة ، مبتدئا بها من حادثه قذوف الفنبنة . واخذ بين يحسسي فنجان النساى على مهل ، وهو يصفى الى القصة من غير ان يقطع .
- ثم قال متسائلا :
- هل نعرف الى اي مستشفى نعلوه ؟
- لا .
- لا يهم . يمكننا ان نحقق عن ذلك . كما ان القصة تلوح مثيرة . قلت انه كان يحاول اتلاف شيء — اوراق ؟ يظهر ان رجال الشرطة كانوا يراقبوننه ولكنني اشك في ان يكون هو الرجل الذى يبحثون عنه .
- لماذا ؟

- قلت ان الرجل كان ضئيل الجسم ؟ يشير تقرير الطبيب الى ان الذي طعن الفتاة هو رجل طويل القامة . يمكنهم معرفة ذلك من زاوية الطعنة .
- لم اقرا الصحف ابدا . حدثني بكل ما تعرفه عن القضية .
- لا يعرف احد الكثير ، الا ما تذكره الصحف في عناوينها .
- ولكنني لم اقرا حتى عناوين الصحف . ولم أسمع بهذه الجريمة الا في ذلك اليوم .
- عليك بقراءة الصحف ، يا جيرارد . لا يمكن للمؤلف ان يستغني عنها فاجاب سورم بتردد :
- اظن ذلك .
- تم احتسى بقية الشاي وراح يتفرد في قطعة السكر اللصقة بفم الفنجان وقد اجتاحتته حالة من التأمل ، وقال :
- حدثني عن هذه الجرائم .
- الم تقرا شيئا مطلقا ؟
- فيما يخص الفتاة ، يوم الجمعة ، فقط . اين قتلت ؟
- في احدى نواحي وايتشابل . ولم اكن مسؤولا عن مكتب الاخبار مساء الجمعة .
- وكان بين ينظر عبر رأس صاحبه باتجاه الباب . وفجأة لوح بيده هاتفًا: مارتن ! ثم التفت الى سورم قائلا :
- هوذا الرجل الذي يمكنه ان يخبرك .
- وتحول بين الى كرسي جانبي ليفسح المجال لمارتن الذي كان بحسار الغرفة وقال :
- اظنك نعرفت بمارتن ميسن ، يا جيرارد ؟ فقال سورم :
- كلا . تشرفنا .
- كان للرجل وجه نحيف يشبه المنقار وعينان كعيني الطير . وكان كتفاه صغيرين متهدلين . واحنى رأسه قليلا لسورم ، وهو يضع قبعة تحت الكرسي بعناية .
- مارتن ، يريد جيرارد ان يعرف عن هذه الجرائم . فهيا اعطه الخلاصة
- الا يقرأ الصحف ؟
- فقال سورم بصبر :
- كلا ، الا عندما اكون مضطرا . فقال ميسن :
- انت من الذين لا يتقيدون بما هو مألوف ، ها ؟
- كان صوته ناعما يصدر من انفه ، ربيبا ، صوت يبدو معدا اعدادا تاما

للسخرية .

وابتسم سورم ليخفي اشمئزازه ، وقال :

– علمت انك كنت في مكان الحادث في احدى هذه الجرائم ؟

فقال ميسن وهو يحرك الشاي :

– اجل ما الذي تريد ان نعرفه عنها ؟

– الى ايه جريمة تشير ؟

– الثالثة – كاترين ايدوز .

فقال بين :

– ظننت انها الثانية .

– كلا . كانت الثانية مقتل الراقصة الاسبانية خوانيتا ميلر . كان

جمي وسام المسؤولين عن استقصاء اخبارها . . كانت امرأة رائعة .

وقال سورم :

– وماذا عن القضية الاخرى ؟ هل حضرها ؟

– نعم ، ولكن فيما بعد ، في معرض الجثث وكانت مغطاة ، ولم

يكن من المستطاع مشاهدة شيء منها . كانت امرأة صغيرة الجسم في متوسط العمر .

وتساءل سورم :

– هل كانت من الجرائم الجنسية ؟

– لا يمكن الجزم بذلك .

– لم لا .

– كانت عاهرة .

– والمرأة الاخرى ؟ فقال ميسن :

– كانت كذلك ايضا .

وابتسم ، كالحاوي الذي نجح في عرض لعبة . اما سورم فقد وجد

ان كراهيته لهذا الرجل كانت تتركز في انفه المبقع الذي كان يشبه منقار الطيسر .

وقال بين معترضا :

– لم تكن الفتاة الاسبانية من البغايا .

فقال ميسن محدقا :

– لم تكن افضل من العاهرة ، لقد اضطجعت مع عدد كبير من

الرجال حتى تعسر احصاؤهم .

فقال سورم :

— قل لي . هل تأكد ان الجرائم الاربعة اقترفها رجل واحد ؟

فقال ميسن :

— ليس من المؤكد . لقد ماتت خوانيتا ميلر وكاترين ايدوز بطعنات
سكين ، ولكنها لم تكن نفس السكين . كما ان السكين وجدت ملقاة
بالقرب من الجثة في كلتا الحالتين . كانت الاولى سكين صيادين ، امسا
التانيه فكانت سكين مطبخ اعبيادية . غير ان ما يدعو الى الدهشة هو
ان القاتل لا بد وان تلتطخ بالدماء ، ومع هذا فمن المعتقد انه عاد الى لندن
وقت الفجر .

فقال بين :

— ليس ذلك بالامر العسير ، فلندن تكون مهجورة نوعا ما في تلك
الساعات . فقال سورم :

— هناك تفسيرات ثلاثة لذلك . من المحتمل ان الشخص هو من
ابناء الحي نفسه ، فلا داعي في هذه الحالة ان يبتعد كثيرا ، او ان تكون
لديه سيارة ، او انه كان يحمل معطفا كان قد خلعه عن نفسه حين قبل
الفتاة ثم ارتداه ليخفي بقع الدم .

فقال ميسن :

— اوه ، هناك تفسيرات اخرى . لقد نشرنا رساله بعث بها احدهم
بعنفد فيها ان القاتل هرب عن طريق مجاري المياه القذرة .

فقال بين :

— من المستحيل .

وقال ميسن :

— اظن ذلك ايضا . وعلى اية حال ، فانهم اذا لم يمسكوا بالقاتل فلن
يعرف احد بصورة قاطعة .

قال ذلك ، واستقر عيناه على سورم ، ثم سأل فجأة كانه يحاول
ان يباغته :

— لماذا تريد ان تعرف ؟

فالتفت سورم الى بين الذي قال :

— لا تهتم ، انه يعمل لنا .

فقال ميسن :

— ذلك هو السبب اذن ؟

— لبس تماما . المسألة هي ... على كل حال ، لقد انجرفت الى
هذه القضية .

- فالتفت سورم الى بين متمما الشرح :
- حاول رجال الشرطة التحقيق مع رجل عجوز يسكن نفس البيت الذي اسكنه حول هذه الجريمة، فاعتصم الرجل بعرفته واشعل فيها النار.
- هل عرفوا سبب اشعاله النار ؟
- كلا . اعتقد ان الرجل مخبول .
- فقال ميسن :
- قد لا يكون مخبولا .
- كلا ، اعتقد انه مخبول .
- قد تكون على حق . ولكنني اقول لك شيئا واحدا . لا بد ان لدى الشرطة سببا معقولا يدفعهم الى التصريح باعتقادهم ان الجرائم الاربعة اقترفها شخص واحد . غير ان هذه ليست سياسة حكيمة ، فهي تجر اهتمام الناس الى التركيز على فكرة « القاتل الطليق » ، يأخذ الناس بكتابة الرسائل الى جريدة النامس وتوجيه الاسئلة في البرلمان حول كفاءة الشرطة . فلا شك ان هناك سببا قويا يدفع الشرطة الى الاعلان عن هذا الاعتقاد .
- فسال بين :
- ما هو رأيك الخاص ؟
- اعتقد ان الشرطة قد توصلت الى معرفة الرجل ، ويريد الان ان تسعره بان الفخ يضيق حوله وذلك لارهابه وحمله على تسليم نفسه .
- فقال بين :
- ربما .
- هل يمكنك اعطاء سبب اخر .
- فقال بين وهو يهر برأسه :
- لو كانت لديهم فكرة عن القاتل ، لاحكموا الفخ حوله بهدوء . كانوا سيراقبونه حتى يقوم بمحاولة اخرى . ان القتل الجنسيين يكررون محاولاتهم دائما .
- فقال سورم :
- تلك الفتاة — تلك التي رأيتها ...
- تعني المرأة التي في متوسط العمر ؟ كارين ميدوز ؟
- نعم ، كيف قتلت ؟
- بسكين ، كما بينت لك .
- ولكن كيف ؟ هل ذبحت من حنجرتها ، ام طعنت في قلبها ام ماذا ؟

- لقد احصوا حوالي الستين طعنة في جسدها .
- وابسم مسن . لقد سر للصعقة التي ارتسمت على وجه سورم .
- انه مجنون ولا ريب ! وماذا عن بقية الحوادث ؟
- وابلع ميسن نفثة طويلة من سيكاره ، وهو يتسم :
- لم يكن المشهد بهذه الابارة .
- فقال سورم :
- لا حاجة ان يكون كذلك .
- والفت ميسن الى بين :
- هل سمعت الاتساعة المسرة عن جانيت وكين ؟
- اية اشاعة ؟ سمعت ان روجه صرخت بوجه جانيت انشاء
- مخابرة تلفونيه .
- فنهض سورم واقفا :
- ينبغي ان ارحل يا بيل ، فانكما ترغبان في التحدث عن الاعمال .
- حسنا يا جيرارد . ولكن على كل حال علي ان اعود الى مكتبي
- ثانيه . قد نبعث اليك بصك بعد قليل . فقال سورم :
- سينعني ولا شك .
- ثم صافح ميسن قائلا : آمل ان اراك قريبا .
- وداعا يا جيرارد .
- ووقف عند طاولة البار ليدفع تمن وجبه . وكان ضجيج النقب
- الهوائي في الخارج يصم الاذان . وفتح القفل عن الدراجة ، ثم امتطاها
- واتجه نحو فليت سرريت ، حيث توقف عن المسير وتردد في القرار هل
- يذهب نحو آلدويج او بلاكفرايرر ، واخبرا تذكر ان صاحبة البيت قد
- تكون هناك في تلك اللحظة ، فقرر الا يعود الى البيت ، واتجه نحو شارع
- فاربنغتون . وشعر بان معدته كانت ثقيلة متقلبة من جراء الحديث عن
- حادثة الفل ، فقد التصقت هذه الحادثة بحواسه كغشاء من السخام
- ينبعث من موقد ، كسمها بلون داكن من الكابة . كما لاحظ انه لم يكن
- بقود دراجه بقمه المعهودة . وولدت له هذه الكابة احساسا بان جسده
- بدأ يخونه . وراح يحدق في كنيسة سانت بول من طرف لودغيت هيل ،
- وهو يفكر : لندن في سهر تسرين الناني تبدو معدومة النهار - لا شيء
- غير نور الاصيل الباهت ، على حين ان لندن في تموز تلوح اكثر اشراقا
- من اللازم غير حقيقية ، او بالاحرى حقيقية اكثر مما يجب .
- كان مكوبا على لافنة بائع الصحف : البحث عن القاتل المجنون .

واتجه نحو شارع روزبري . لم كل هذا الاهتمام بالجريمة ؟ قد يكون هذا
المجنون المسكين مصابا بالبارانويا ، قتله الضجر والقلق ، فاقترب جرائم
القتل على سبيل الاحتجاج .

* * *

كانت واجهة منزل شارع روزبري مبنية بالصخر الرمادي الذي
بعث في النفس قشعريرة باردة . وضغط سورم على زر الجرس ، وفي
هذه الانباء انزلت الدراجة التي كان سورم قد اسندها خلفه على الرصيف
فجأة وظلت العجلة الخلفية تدور . وفيما كان يرفعها ليسندها الى
الجدار ، انفتح الباب . فصاح سورم :

— هلو ، روين ! كيف الحال ؟

— جيرارد ! يا للسماء ! ماذا تفعل هنا ؟

وامسكت به يد نحيفة ندية ، هي يد روين مونسل الذي سحبه
برفق الى عتبة الباب . فقال سورم :

— كنت مارا من هنا . لا شك انه وقت غير مناسب للزيارة ؟

— كلا ، بالطبع ، كلا . تفضل بالدخول . هل تناولت غداءك ؟

— نعم شكرا .

— ما اجمل ان اراك !

واخذ ينظر في وجه سورم مبتسما . وسحب سورم يده ، وهو
يحس بشيء من السرور للتوتر الذي سيطر عليه . ودفع مونسل بابا
زجاجيا وتقدم سورم الى الصالة وجلبابه يختشخس برفق .

— هل لك في قدح من الشاي ؟

— نعم اشكرك ، اود ذلك .

— اشعل النار اناء فيابي واهتم بامرها .

وبحث سورم في جيبه عن علبة الثقاب ، ولما لم يجدها مسى بصورة
لا شعورية نحو خزانة الكنب واخذ يتفحص العناوين . كانت جميعها
مؤلفات في الدين من تأليف كتاب لم يسمع بهم قط . وكانت النسبايبك
ذات الزجاج الداكن تطل على النوارع ، وكان الناس يمرون عبرها كالاشباح .

— ألم تشعل النار ؟

— آسف ، لا املك علبة نقاب .

— اوه ،

واخرج مونسل علبة الثقاب من جيب صدره ، وانحنى على ركبته
واشعل النار الغازية .

- دعني اخلع معطفك . اجلس . كيف حالك ؟ وكيف حياتك الجنسية المخزية ؟
- فقال سورم متضاحكا :
- انك تهتم بخطاياي اهتمام الاخ .
- بالطبع ، لا اريد ان ارى اللعنة تنزل عليك . ولكني اعتقد انك ترغب في ان تنزل عليك اللعنة ، الست محقا ؟
- فقال سورم :
- بلى . اننا جميعا كذلك .
- امل الا تكون كذلك .
- وجلس على الكرسي بسرعة وتسيقة وسبك كفيه في حضنه .
- وفقال سورم :
- اعتقد انك تقرف خطاياي نيابة عني ، يا روبين .
- رباه ، كلا . في الواقع اني اكره من كل قلبي ان احيا طريقتك في الحياه ، تق ! ولكن انبئني ، كيف حال ... 1 .. 1 ، تلك التي اضطجعت معها في المرة الاخيرة التي رايتك فيها .
- اخذ سورم يحدق في النار ، وقال بلهجة وقورة :
- ماتت ، ماتت بمرض الكرار - وتنسج المفاصل .
- حقا ؟ يؤسفني ذلك . اوه ، انك تمزح ! الست تمزح ؟ كلا ، كن جديا . اذا كنت لا تود ان تحدثني عن حياتك الغرامية فلنتحدث عن شيء اخر .
- بل جئت لاسحدث عن شيء اخر ، في الواقع . اخبرني عن الاب كارارر .
- لماذا ؟ ابن سمعت به ؟
- حدثني عنه احد الاصدقاء - صديق لي يدعى اوسنن ، هل تعرفه ؟
- كلا ، بل اعرف سيدة تدعى مسزنن تردد الى هنا ، قد تكون قريبنة ؟
- بل هو ابنها ، وفد اقترح علي ان اتحدث الى الاب كارارر .
- فماذا تعتقد انت ؟
- عم ؟
- اود ان التقي به فقط، هذا كل ما في الامر. يظهر انه لطيف المعشر .
- هو كذلك . انه في غاية الذكاء ، وقد الف بضعة كتب . لقد الف كتابا عن شيوخوف واخر عن دانتي . وهو يعكف الان على تأليف كتاب

عن مارسيل .

— هل تظن انني استطيع ان اقبله ؟

— بالطبع ، فليس من الصعب تدبير ذلك . ولكن اصغ ، هل تعديني بشيء ؟ على كل حال اترك المسألة .. سأذهب لاحضار النسي .

وكف سورم عن التطلع الى عناوين الكتب ، بعد ان تحقق له ان ليس هنالك ما يستحق القراءة ، بل انه اخذ يندم على هذه الزيارة ، فقد نسي ان روبين مونسيل يمكن ان يبير اعصابه الى ابعد الحدود . كما ان فكرة التحدث مع الاب كارانر اخذت تفقد حدتها وبريقها لسبب لا بعلمه . وطفق يتتأهب .

وفتحت الباب واطل من خلفها قسيس شاب ، وقال :

— ارجو المذرة ، هل تنتظر احدا ؟

فقال سورم :

— وددت ان التقي بالاب كارانرز .

— اعتقد انه نائم ، سأذهب لارى .

واراد سورم ان يقول : لا تزعج نفسك ... واغلقت الباب نائسة وبعد لحظة ، رفس احدهم الباب ، فقام سورم ليفتحه ، ودخل مونسيل يحمل صينية مليئة :

— ايها الصبي الطيب ، كم يسرني ان اراك ثانية يا جيرارد . غسر اني ارى وجهك شاحبا هل كنت تتعب نفسك بالعمل ؟

— هل يمكنك ان تتصورني انا اعمل ؟

— بالطبع ، فانت لست من الصنف المدلل ابدا . ينبغي عليك ان تعمل . لم لا تبحث عن وظيفة ؟

— ولماذا ابحت عن عمل ؟

— لكي تطرد عنك الضجر . انك تسهر بالضجر ، ألسنت على حق ؟

— اجل ، اشعر بالضجر .

— اذن ، فابحث عن عمل .

وصب مونسيل الحليب في الاكواب من الاناء الخزفي واطاف له فطع السكر .

— لم ابحت عن عمل ؟ طيب ، اني احس بالملل ، فعلى ماذا يدل ذلك ؟ يدل على انني لا احسن التصرف بما لدي من الوقت . فماذا نقترح ؟ ابدده بالعمل . اليس ذلك من المنطق في شيء . وبالمناسبة ، فبل ان انسى ، اطل احدهم براسه من وراء الباب وسألني عن اريد ان ارى ،

فاجبته : الاب كارارز ، فذهب لبحث عنه . قسيس يتكلم برطانة اجنبية ، صغير جدا .

— اه ، انه الاب راكوسي — لاجيء هنغاري . ما اشد بلادتك !
— على كل حال ، قال ان الاب كارارز نائم .
— اظن ذلك . فهو لا يسنيقظ الا نادرا ، اذ انه يعاني من الم في معدته لا اعرف طبيعته — ما كان ينبغي ان تدع الاب راكوسي ليذهب لينحقق من ذلك .

— ولماذا ؟

— كنت انا ذاهبا لانحقق بنفسي .
— آسف . بيد انه ذهب قبل ان اتمكن من ايقافه . ناولني السكر رجاء .

وطرق احدهم الباب ، ودخل القسيس الهنغاري ثانية ، وارتسمت على وجهه الدهشة عندما الفى مونسيل .

— عفوا ظننت انك كنت في انتظار الاب كارارز ؟
فقال سورم :

— آسف ...

وقال مونسيل :

— هل وجدته مستيقظا ؟

— نعم ، يقول انه يمكن من مقابلة الناس بعد ساعة .
— يحسن بك ان تذهب الى غرفه على الفور ، يا جيرارد . يمكننا ان نسم حديثنا فيما بعد .

وابنسم القسيس، ثم انحنى لهما وبرك الغرفة . فهنف سورم : اشكرك .
— انك احمق ، يا جيرارد . لم لم تنتظرنى ؟

— مع الاسف . لم اعلم انه سيرتب المقابلة بهذه السرعة .

— لا بأس . يحسن بك ان تقابله الان .

— اريد ان اشرب الشاي هنا ، الا تستطيع ذلك ؟

— لا ، بل خذ الكوب معك . هلم . تعال ادلك على الطريق .

ونبعه سورم على السلم المكسو بالسجاد ، وراى في عطفة السلم الاولى كوة فيها تمال ازرق للعداء وهي ترمع ذراعها في ابتهاج . وطرق مونسيل الباب برفق عند نهاية الرواق ، ودفعه لفنسخ وترك سورم بدخل اولاً .

— اقدم لك جيرارد سورم ، ايها الاب . انه صديق للمسر ن .

كان القسيس جالسا في الفراش ، تحيط به الوسائد . وكان يرتدى جلبابا من قماش خشن أزرق . واغلق مونسبل الباب وتركهما وحيدين . وقال سورم :

— لست صديق المسرّن ، وإنما انا صديق ابنها .
— أه ، أوستن . لم أره منذ وقت طويل . كيف حاله ؟ تفضل بالجلوس .

كان وجهه افبح وجه رآه سورم في حياته ، لم يكن منسوها ، وإنما كان فبيحا فقط . تفوص فيه اخايد واضحة المعالم ، كان له فك كبير جدا ، يبدو انه كاد أن يخل بتوازن الرأس لولا الجبهة الواسعة التي كانت بارزة ولها طية رأسية حادة الى وسطها كما لو أن احدا كان قد ضربه بقضيب حديدي . وكان انفه الغليظ مفلطحا قليلا ، وكان فمه عريضا يمتد عبر وجهه كالخندق . وكانت عيناه صغيرتين لا لون فيهما ، ولو سلط فوق رأسه مصباح لاخفت العينان تماما في ظلال حواجه . وحاول سورم جاهدا أن يتذكر أين رأى هذا الوجه من قبل ، أو أين رأى وجهها ينسبه . وأخيرا تذكر : أنه التمال النصفى لتسارلي بيس الموجود في غرفة الفطائع في متحف الشمع . وجعلته هذه الفكرة يبتسم ، وأبسم القسيس بدوره إبسامة ودية . وجلس سورم على كرسي قرب النار وقال :

— أوستن صبي ممتاز ، أيها الاب . وقد اقترح علي أن آتي لزيارتك .
— ماذا قلت أن اسمك كان ؟
— سورم ، أيها الاب ، جيرارد سورم .
— سورم ؟ سورم ... انني أعرف هذا الاسم . انه اسم نادر ، اليس كذلك ؟

— لم ألتق بأي شخص يحمل هذا الاسم ، خارج عائلتي ...
— أه ، تذكرت ! الاب غراي في كومبتون هاوس . هل تعرفه ؟
— وانتاب سورم شعور المدنب ، وقال :
— نعم . كان يقوم بتدريسي يوما ما .
— حسنا !

وكان القسيس يبتسم بانية ، ويظهر على وجهه مخابيل البسر ، ثم اردف :

— أنا لا أنسى الاسماء . أجل . تحدث الى الاب غراي عنك مرة .
لم انقطعت عن الدراسة ؟
— لم ... لم انسجم مع الاب غراي ، فبل كل شيء .

— لماذا ؟

— يلوح انه كان يريد اقناعي بان الكاتوليك بالرغم من كل شيء قوم محرمون ، هل تعرف ما اعنيه ؟ اكل لحم البقر وشرب البيرة ... الخ ، ولم يكن لديه الوقت للتصوف . وانفق ثلاث محاضرات ليقتنعني بسان القديس بطرس كان في الحقيقة اول بابا . فملت تلك المحاضرات . فقال القسيس وفد ادرك احساس سورم :

— فهمت . ان الاب غراي لا يحمل الفكرة التي يحملها كل واحد عن الكاتوليك ... رغم انها لا تختلف كثيرا .

وابسسم سورم ، وهو ينتظر . وكانت العينان الزرقاوان الساحبتان ترفبانه بنبات . ثم قال القسيس وهو يبنسم :

— اذن ، فانك تعود الينا دائما ، لماذا ؟

فقطب سورم وهز كفيه . كان من الصعوبة ان يجد الجواب . فاضاف القسيس بصوته الهادى :

— هل تعتقد بانك سصبح كاثوليكبا في يوم من الايام ؟

— اعتقد ان ذلك ممكن .

— ولكن هل تتوقع ذلك انت ؟

— كلا ، فى الحقيقة ، ايها الاب . ولكنى لا اعني انه من المستحيل .

— تماما . ولكن هل تعرف بالضبط ماذا انت باحث عنه ؟

— كلا ، ايها الاب ، كلا في الواقع .

— لا تعرف على الاطلاق ؟

— اعتقد ان لدي فكرة فقط ...

— هل يمكنك ان تحدثني عنها ...

— في الواقع ، اني ابحث عن شخص استطيع التحدث معه .

— عن ماذا ؟

— لا اعرف ما لم اجد الشخص الذي اسطيع التحدث معه .

واحس بان جوابه كان سخيفا ، وحنق على نفسه . اما القسيس فقد اسنقر نظره على سورم بهدوء ، وكأنه يختنم امتحانا تتألف اخر مراحل من النظر الى سورم . واحس بالرغبة في أن ينهض ويترك الغرفة . ولكن القسيس ابتدره بالسؤال :

— هل لك معرفة جيدة باوستن ؟

— ليست معرفة جيدة . النقيت به للمرة الاولى يوم الجمعة الماضية

ولم اره منذ ذلك اليوم .

- كيف التقيت به ؟
- في معرض دياغيليف . وكلمت معه .
- اكنت البادىء بالكلام ؟
- كلا ، هو الذي ابتدأ الكلام معي . وتحدثنا عن نجسكي ، ثم خرجنا وتناولنا العشاء معا .
- وماذا حدث بعد ذلك ؟
- ثم عدت الى مسكني ، وعاد هو الى مسكنه . لم نوجه هذه الاسئلة الي ايها الاب ؟
- حب الاستطلاع فقط .
- وبارت نائرة سورم ، وهو ينظر الى هذا الوجه الجامد . ان ما اسعز اعصابه هو احساس غريب بالخجل من هذه الحادثة ، كلما عااد بذاكرته الى الوراء ، متأملا اباه .
- وقال بصراحة :
- كنت اتساءل هل حدث شيء اخر بيننا . كنت اود لو تسألني ذلك بصراحة .
- فتامل الاب وقال :
- هل حدث شيء اخر ؟
- كلا .
- ان المسألة لا نير اهمامي بصورة خاصة ، كما تفهم . وان ما نفضيه الي انما هو من شأنك ، ولست ارغب في ارغامك على ان توليني نفسك . ولكني ، كما يمكنك استنتاجه ، على معرفة تامة باوسن .
- وفهم سورم حالا ما كان يفصده الاب :
- بالضبط . ولذلك افضل ان تسألني عن أي شيء تريد معرفته بصراحة تامة . فمعرفتي باوسن ليست وبسقة على الإطلاق . فلم يحدث بيننا غير ان تناولنا العشاء سوية وتحدثنا بعض الشيء . ولكني لا اشاركه في نزاعاته . أية منها .
- ومال القسيس براسه . وقال :
- تعجبني صراحتك . فقل لي اذن ، عندما نحدث البك اوستن وخرجتما معا ، هل كانت لديك فكره عن . . مبوله الجنسية ؟
- خمنت انه منحرف ، نزاع الى الجنس المنسابه ، وقد ازعجني ذلك قلبلا ولكني لم اشعر بانني كنت شخصا اصطاده اوستن .
- هل اخبرك فيما بعد انه ينزع جنسها الى الجنس المنسابه ؟

- كلا .
- طيب . وهل تحدث عن اي شيء آخر ؟
- وركز سورم نظرتة فى وجه الاب ، بعد ان غاب عليه المعنى .
- اي شيء آخر ؟ ما هو ؟
- طيب . كان مجرد فضول .
- وجد سورم ان القس كان يريد تغيير الموضوع ، ولكن فضوله كان قد استتير .
- نعى ان له ميولا جنسية اخرى ؟
- لس من شأني ان اجزم بذلك . الست على حق ؟
- وحقق سورم بانية في وجهه لفترة قصيرة ثم قال :
- طيب .
- فابتسم القس مباشرة وقال :
- ارجو الا يتبادر الى ذهنك اني اعنفك . كل ما في الامر ان اوستن وربما تعلم بذلك ، جاء الى قبل عام ولديه بعض المشاكل الخاصة . واذا به يرسلك الان ، ومن الطبيعي ان اسالك هل ان مشاكلك هي من نفس النوع الذي شغل باله . ولكني لاستطيع التحدث عن مشاكل اوستن ، فيمكنه ان يحدثك هو عنها ان اراد . كما انه من المفروض انك جئت لتبحث مشاكلك انت وليس عن اوستن .
- وقال سورم وقد احس بالحرج :
- لا ادري اذا كان لدي ما يمكنني تسميته بمسكلة ، ايها الاب .
- طيب ، لا . ليس هذا ضروريا . انني اتفق معك . ما هو عملك ؟
- التأليف .
- تعيش من التأليف ؟
- كلا . عندي مورد صغير ، يكفي لسد رمقي .
- ما اسعد حظك ! ماذا تكتب ؟
- اكتب قصة ، في الوقت الحاضر .
- هل لك اهتمام بالسياسة ، على الاطلاق ؟
- فاجاب سورم بدهشة :
- كلا ابدا .
- هل تذهب الى الكنيسة ؟
- اذهب الى الكنائس احيانا - وافضل الوقت الذي لا يكون فيه هناك احد آخر .

- هل عندك اصدقاء نتحدث معهم في شؤون الفكر ؟
 — كلا ، في الحقيقة .
 — وابتنس له القس ، وتغير شكل عينيه عندما لاح عليهما السرور .
 وشعر سورم بالارتياح للانبساط الذي ارتسم فيهما . وقال الاب :
 — يلوح ان قضيتك صعبة ، اليس كذلك ؟
 — لماذا ، ايها الاب ؟
 — انك لا تعمل شيئا اخر عدا الكتابة . وهذا يترك لك المجال الهائل للاستبطان ، ثم تأتي لرؤية القس كمن لم يمارس الرياضة في حياته ويذهب لعيادة الطبيب . هل خطر لك ان تذهب لرؤية عالم نفسياني ؟
 كانت اللهجة الساخرة تجعل الكلمات تبدو وكأنها غير مقصودة ، ولكن سورم قرأ فيها جدية القصد . وقال :
 — لماذا ؟ انا لا اعاني من اي مرض . بالاضافة الى ذلك ، فاني اشك في ان جميع الاطباء النفسيين هم مجانين او دجالون . لا اعتقد ان بي اي مرض ، ليس بي شيء لا يعاني منه الجنس البشري بأكمله على اية حال .
 — فلماذا اذن تريد النحدث مع قسيس ؟
 واخذ سورم يتأمل في الوجه المضحك كانه وجه عفريت وراح يبحث عن جواب ، وقال اخيرا :
 — لا لاني مريض ، على اية حال .
 فضحك القس وقال :
 — حسنا . جواب مقبول . اذن ، فانك لست مريضا ولكنك تحس بانك فاتل ، بطريقة ما . اذلك صحيح ؟
 — نعم . ولكني لست فاشلا من الناحية الشخصية او الجنسية .
 واغاظ سورم شعوره بعدم امكانية التفاهم والفنل في التعبير عما يجول في نفسه . والواقع ان ما ازعجه هو الفرضية التي استندت عليها المحادثة : ذلك انه ينكو من شيء .
 — عندما تقول من الناحية الجنسية ، تعني من الناحية الجسمية ؟
 — نعم ، اعتقد ذلك .
 — طيب ...
 واحنى القس رأسه واخذ ينظر الى يديه المعقودتين .
 — حسنا ، حسنا . الان فهمت ما الذي حير الاب غراي فيك . من العسير ان نتعلم شيئا منك .
 — انا آسف ، ايها الاب .

— دعنى احاول سؤالاً اخر معك . ما الذى يتركز عليه اهتمامك في الحياة ؟ ماذا تريده فى الحقيقة ؟

واشتد شعور سورم بعدم امكانية التفاهم ، ولم تكن لديه على الإطلاق اية رغبة فى التعبير عن نفسه للقس . واجتاحه ، وهو يدرك أن هناك عينين تراقبتين تراقبانه ، احساس بالنمرد والامتعاض . وطفق يحاول أن يناسى القس والفجوة التى تفصل بينهما ، ويركز على الافكار التى يربد التعبير عنها فقط . واخذ يحدث فى النار ، وقال ببطء .
— استطيع القول ان حياتى تتركز حول فكرة واحدة ، هي فكره الرؤيا . ولا اعنى بذلك .. الرؤيا التى يراها القديسون . ليس ذلك النوع ، بل اعنى ضرباً اخر من الرؤيا .

— هل يمكنك التعبير عن فكرتك بوضوح اكبر ؟
— استطيع ... استطيع ان اقدم لك مالا على ما اعنيه . اسنبقظ في بعض الاحايين ليلاً واجد ان هناك بعض الهواجس تخالجنى ، فاحس ان وجودي لا يخضع لقانون ، انه عب بطريقة ما . وينتابني التسعور : من انا ؟ وماذا افعل هنا ؟ اشعر اننا نأخذ الحياة اكبر من اللازم كشيء مفروغ منه . اننا نأخذ وجودنا على علاقته . على حين قد لا يكون من الطبيعي ان نوجد . وقد حدث لي ذلك قبل مدة . يدرك الانسان كم من الاشياء الكثيرة التي يأخذها على علاقتها ، فيحس بالخوف المفاجيء من ان ليس له الحق في اخذ اي شيء على علاقته . هل تفهم ما اعنيه ايها الاب ؟ واخذ ينظر الى كارارز ، واحس على الفور انه استحوذ عليه فاخذ ينسهر بتحسن ، وقال القس :
— نعم ، امض فى كلامك .

— هذا جانب واحد من شعوري . وهناك جانب اخر اعتقد انه يختلف تمام الاختلاف .

قبل شهرين التقطت وفاة ما من احدى المقاهي . كنت على معرفة بسيطة بها — كانت طالبة في مدرسة (سليد) للفن . وقد ذهبت واضطجعت معها تلك الليلة ، ومضى كل شيء على ما يرام . بيد انه عندما اضطجعت معها ، حدث شيء غريب . احسست فجأة بانني لا ارغب فيها . لم اكن اعرف بالصبط . كل ما حدث اني كنت مستلقيا الى جانبها لا تدفعني اية رغبة لمغازلتها .

وقال القس بلطف :

— موقف محرج ولا شك .

— اجل ، وذلك هو وجه الغرابة . كنت راقدًا بفريها احس بالاحراج والتمس السبب . واحسست بالخجل والضيق . ولم يكن السبب اني لم ارغب في الفتاة ، بل شعور اخر يتعارض معه . وهكذا بقيت مسلقيا، محاولا ان اتبين حقيقة هذه العاطفة الجديدة وفجأة شعرت بهيجان عنيف في نفسي . كان شعورا قويا جدا حتى احسست بانني لن ارغب في النوم ثانية . ودفعني ذلك الى التفكير في الرياضيات . واخذت افكر : اني ارقد هنا في وسط مدينة لندن ، وهناك ما يقرب من ثلاثة ملايين من الناس يرفدون حولي ، وهناك الماضي الذي يمد الى الخلف الى الزمن السدي نبيد فيه الرومانيون هذه المدينة على مستنقع ينسر الحمى ... لا يمكنني التعبير عما احسست به . كان شعورا بالمشاركة في كل شيء . اردت ان اعيش اكر مما عاشه اي انسان بملايين المرات . هل تفهم ما اعنيه ايها الاب؟ — اظن ذلك .

— لقد احسست بالهيجان ، اتلاحظ ؟ وفجأة ادركت كم من الناس وكم من الاماكن توجد خارج نفسي .

— لقد ذكرت الرياضيات ؟ ماذا تعني بالرياضيات ؟

— حسنا .. لانني فكرت فعلا في الرياضيات . على الاقل ، اني لم ابدأ بالتفكير في الرياضيات . كنت احس بالمضايقة من الفتاة ، ومن فكره انها تريدني ان اغازلها . ثم انقل تفكيري الى موضوع كنت فرائه في ذلك اليوم عن السحر — حول امرأة تدعى ايزوبيل غودي وكانت تدعي ان لها صلات جنسية مع الشياطين بينما يرقد زوجها الى جانبها ..

— ما الذي جعلك تفكر في ذلك ؟

— الفتاة التي كنت اضطجع معها . كانت فتاة افسدها التدليل تماما مريضة الامصاب ، عندها ظما للجنس . لقد احسست فجأة بان نفسي كانت تجيش من طريقة هندامها الباهت ، ومن رغبتها الجنسية التي لا سبيل الى اشباعها . كانت تتعاطى الجنس لنفس الدوافع التي تدفعها الى التدخين المتواصل . انه الضجر . ثم تذكرت ايزوبيل غودي ، التي كان الجنس يعني شيئا بالنسبة لها على الاقل . كانت تريد ان يفتصبها الشيطان . فربما كان الضجر قد قتلها وهي في مزرعة اسكوتلاندية في وسط المجهول . ولهذا فقد اخبرعت هذه الشياطين والعفاريت .

كان هناك طرق خفيف على الباب . وجفل سورم بعنف . ودخلت امرأة ترتدي صدرية .

— لقد وصل المستر برايس والمستر جيننغز ، ايها الاب .

- ماذا ، بهذه السرعة ؟ حسنا ، لمنتظرا قليلا ، رجاء .
- وحالما خرجت ، نهض سورم وقال :
- يحسن بي ان ارحل ، ايها الاب .
- بل اجلس قليلا . لقد بكرا في المجيء ، ويمكنهما الانتظار . يطيب لي ان اسمع ما كنت تحدثني به . هل تحدثت الى شخص اخر بهذا الموضوع ؟
- كلا ايها الاب .
- اود ان نزورني ثانية لتحدث . انا لا اطلب اليك ذلك لظني انك بحاجة الى الكلام معي - ، رغم انك قد تحتاج الى ذلك فعلا ، ولكن لان ما تحدثني به يير اهتمامي جدا . هل قرأت كتابي عن القديس يوحنا ذي الصليب .
- كلا ، ايها الاب .
- هو ذاك ، هناك . على الرف السفلي ، خذه معك ، واقراه اذا لم يدخل السام في نفسك . لا بد ان يثير اهتمامك الفصل المتعلق بالرؤيا الالهية . فهذه التجارب التي تحدث عنها ... اني اميل الى الاعتقاد بانها جذور جميع الرؤى .
- وفتح سورم ابواب المكتبة الزجاجية ، ووجد الكتاب الصغير ذا الغلاف الاسود . وتارت في نفسه ثائية الرغبة في الهروب ، ولكن لسبب اخر هذه المرة . وما لبست النسكوك ان ساورته حول طبيعة الارتياح الذي اخذ بحس به اثناء حديثه مع القس .
- هل يمكنك المجيء غدا ؟
- اظن ذلك ، ايها الاب .
- حسنا . ساكون في انتظارك . بلغ اشواقي الى اوستن اذا رأيته . وامسك سورم بيد القس التي مدها له ، وادهشه ما كان فيها من دواء ، فقد كان جسده يلوح باردا جافا .
- بلغ المسز داووبي ان تدخل الرجلين رجاء .
- سمعا . وداعا ايها الاب .
- وداعا .
- ووقف خارج الغرفة ساكنا بضع لحظات ، وهو عابس الوجه يحدث في نيمال العذراء عند نهاية الرواق ذي النور المعتم . ثم تذكر الكتاب الذي كان ممسكا به ، فدسه في جيبه وهو شارد الذهن . واجفله خروج الخادمة فجاء من باب جانبية على يمينه . وقالت له باقتضاب :
- هل هو مسنعد الان ؟ - نعم . يريد ان تدخلني عليه الرجلين . وهبط السلم على عجل . كانت الباب الخارجية مفتوحة . وخرج

- وهو يبحث في جيبه عن مسبك الدراجة . وسمع صوبا يهف خلفه :
- جيرارد !
- هلو روبين ! آسف ، لقد نسيتك .
- لا داعي للمجلة .
- فقال سورم مختلقا العذر :
- ينبغي ان اذهب خلال دقائق ليلة .
- على كل حال ، ابق قليلا .
- وتبع مونسيل الى غرفة الاستقبال . كانت النار ما يزال تشتعل .
- واغلق مونسيل الباب بأن دفعه بظهره ، وسال :
- والان ، كيف كانت المقابلة ؟
- اوه ، لا بأس بها .
- هل حدثت عن حياتك الجنسية المججلة .
- قليلا . وتحدثت عن القديس يوحنا ذي الصليب . ثم فاطما احدهم :
- لا بد وانه اطلالكلام عن القديس يوحنا ، فقد مكث عنده نصف ساعة !
- انا لا اخفي عنك شيئا .
- لا نخفي شيئا ؟ حقا ؟ حسنا ، اني اصدقك .
- قل لي ، يا روبين . تقول انك لا تعرف اوسن نن البنة ؟
- ليست معرفة جيدة . التقيت به مرتين .
- اوه ، الا تعرف شيئا عنه ؟
- كلا . لا شيء يذكر ، على اية حال .
- هل تعرف انه منحرف جنسيا ؟
- نعم . . . اعتقد ذلك . لماذا ؟ الا تعرف انك ؟
- بلى . اظن ذلك . كنت اتساءل . . .
- انتظر . لدي شيء اريد ان اقله . لا يحبر به احدا .
- كلا ، بالطبع .
- اعتقد ان له ميولا سادة
- كف عرفت ذلك ؟
- سمعت عرضا حديدا للاب كرانزر الى الدكور سان في يوم من الايام
- بعد مغادرة المسز نن .
- ماذا قال — هل تذكر ؟
- كلا ، ولكنه مجرد انطباع . فقد اكون مخطئا . ولكن ارجوك الا نفسي
- ذلك لاحد . اذا انهمنى يوما احد بانى اخبرتك فساكره .
- سوف لا اخبر احدا بالطبع . من هو هذا الدكور شابن .

- اوه ، انه صديق للاب كرارز . كانا معا في المدرسة الدينية . وشتاين طبيب نفساني . لماذا ؟
- لا شيء . كل ما هنالك هو انني اشعر بالفضول يدفعني الى البحث في قضية اوسنن ، وعن كل من يهتم به .
- طيب . هل وقعت في غرامه ام ماذا ؟
- بحق المسيح ! هل انك جاد ؟
- حسنا ، لست ادري . اجروء على القول ان لك شيئا من هذه النزعة الجنسية الى الجنس المسابه ، وستنفجر يوما ما ، وسيدهمتك ذلك .
- انك لاحمق !
- ادركت ؟ اراهنك اني على حق .
- دعنا من ذلك .
- فقال مونسيل مقهقهقا : ولهذا ترى ... اراهن اني على حق .
- ينبغي ان ارحل .
- انك لبقرة حقا . متى تزورنا ثانية ؟
- ربما غدا . طلب الي الاب كارارز ان اعود .
- آه ، انه يضعك تحت رعايته !
- ربما .
- طيب . تعال مبكرا لنلقاني اولا . هلا جئت ؟
- حسنا . قد لا آتي ابدا . سأتصل بلفونيا اولا .
- هذا حسن ، فانا الذي اجيب على نداءات التلفون .
- ووقف سورم ويده على مزلاج الباب . وسأل :
- هل تتذكر ماذا قال الاب كارارز بالضبط لهذا الرجل المدعوشتاين ؟
- وبدا الانزعاج في نظرة مونسيل :
- لا ! بالله عليك ! لا تذكر الموضوع لاي شخص . قد اكون مخطئا .
- فمن المحتمل جدا انه كان يتحدث عن شخص آخر .
- وادرك سورم ان مونسيل ندم لافضائه بالخبر ، فقال بلا مبالاة :
- لا تقلق . فالامر لا يهمني . سأراك غدا .
- حسنا . تعال مبكرا .
- ورافقه مونسيل الى خارج الباب قائلا :
- وداعا يا عزيزي .
- ورفع سورم قدمه الى قضيب الدراجة لينسبك سرواله . واحس فجأة بأنه خائب منهوك القوى .

الفصل الرابع

- وابتدا المطر بنهمر بينما كان سورم يفود دراجه الى ساحة الدار ،
فالقى عليها عطاء من العماش المسمع . كان الضاء في السقة الارضيه مموحا ،
وفيما هو يسدير ليرك الساحة تحركت سناره النافذه واطلت الفتاه .
فأبسم وهز راسه بنجة قصيرة ، فأخفى وجه الفتاه فجأة . وفيما هو
يدخل مفاحه في الباب الخارجي ، اذا به نفعج ، فقال :
- شكرا لك ساكارلوتة .
- يبرني انك انت ، فأنتني ساحرح . هناك رسالة لك . صحيح ؟
- طلبك احدهم تلفونيا من سويسرا ، وسعيد المكالمة مساء هذا اليوم .
- سويسرا !
- وصلت المخابره حالما خرجت . سينط بك نائبة في حوالي الساعة السابعة .
- اسكرتك جدا . هل عاد الهدوء الى هذا المكان نائبة ؟
- اجل . مساعد ان اثنين من المخبين الصحفيين كانا ها .
- مخبرين ؟ ماذا ارادا ؟
- بعض النعاصيل عن الحريق . وتحدثت اليهم المسر مبليز ، اعتقد
انها مغرمة بان يظهر اسمها في الصحف .
- ممممم . . . جميل جدا . هل حدسهم عني ؟
- لا اظن ذلك . لماذا ؟
- كنت عازما على ان احصل على مبدالة جورج .
ولاحظ سورم ، من التعبير الذي ارسم على وجهها انها لم تفهم ما كان
يعنيه . واحس ان نعبه كان اسد من ان يمكنه ان يسرح لها ما يعنيه ، وسأل
وهو يضع قدمه على السلم :
- اين المسز مبليز الان ؟
- عادت الى بيتها . لماذا ؟
- لا شيء . اشعر بالانسراح فقط .

فضحكت هذه المرة . ولاحظ ان يديها يرقصان وهي تمر من امامه ، فسُعر بالاضطراب ، وطفق يفكر : لم احنا دائما الى المرأة عندما تكون اعصابي منهوكة ؟ وكانت ساقاه تؤلمانه وهو يرتقي السلم . ودخل غرفته وفتح موقد الغاز ووضع عليه ابريق الماء ثم القى بنفسه على الكرسي وهو يتأهب . وراحت افكاره تحوم حول الفاة الالمانية ، واخذت فكرة ان يجعل منها خليله تجذبه اكثر من ذي قبل ، ولكنه عزا ذلك الى الاجهاد الذي اصابه ، وقال لنفسه : اللعب الجسمي يوقد الخيال .

اخذ الماء يغلي ، ومد يده الى الطاولة وتناول الرمس فوجده مليئا الى منتصفه بالشاي البارد ، وشعر انه اكسل من ان يقوم ليفرغ محنويات الرمس في المرحاض ، فأمسك به واخذ يهزه ثم فرغه في طنست الماء وفتح صنبوري الماء ليفسل اوراق الشاي الملتصقة .

بحق السماء ماذا يبغى اوستن من مخابراته هذه ؟ وكيف حصل على رقم التلفون ؟ ساكنسف ذلك . سريعا . ونظر الى ساعته : كانت تشير الى الدقيقة العاشرة بعد الخامسة . ساعنين . يجب ان اتناول شئا . احس بالجوع ، ولكن بعد ان اشرب الشاي واخذ قليلا من الراحة . وتصاعد البخار من قدح الرمس عندما كان يسكب الماء فيه . مثل فاسلاف (١) . اني اله . هل هو سادي ؟ انهم يحسون بالحاجة الى ضرب احدهم . ينبغي ان اسأله . كانت حرارة الشاي وحرارة النار الغازية اكثر مما يمكنه احتماله . فسحب نفسه الى الفراش . واخذ يشعر بالنعاس فيما هو يشرب الشاي ، ولكنه اخذ يتأمل بضيق : لم اجس بالنعاس ؟ اني لم استيقظ حتى الساعة الحادية عشرة . من المحتمل ان تكون صدمة عصبية . واخذ يقاوم الرغبة في ان يستلقي ويغلق جفنيه ، ولكن سرعان ما طغت عليه الرغبة في النوم . فنهض واقفا ، وراح يجيل ببصره في الغرفة ليجد شيئا يفعله . كان هنالك على دولا ب الملابس صندوق لم يفتح بعد ، فوضعه على السرير وفتحه واخذ ينظم المناديل والربطات . ووجد في قعر الصندوق ثلاث صور لفان غوخ وقسدت تفضنت قليلا بسبب الرطوبة ، وهي الصور التي كانت معلقة على جدران غرفته السابقة . فاختار المجال فوق الموقد ليعلق صورة (حقل السنابل الخضراء) ، وعلق صورة (الليلة ذات النجوم) على رأس سريره ، في موضع بحيث يقع نظره عليها كلما اسدار نحو الجدار . اما صورة (حقل القمح والغربان) فعلقها في وسط الجدار المقابل بالقرب من الباب . ووقف في مواجهة صورة (حقل السنابل الخضراء) واطال الوقوف وهو يحاول عبثا

(١) فاسلاف : الاسم الاول لنجنسكي - المترجم -

ان سمع حاله معسه . واحد بركر بفكره وهو بحرق في الصبور
لجدد الفرع المضطرم ويفجر السطح الصخري
فان كل ما يحيا مقدس ، والحياء تبهج للحياه .
ومساده عن بن . وذلك الرجل العجور . والقابل السادي الذي فسل
اربع نساء . لس جسمي المريض - ان روحي هي المريضة . يا للازدراء .
هل هناك شعور اخر احس به ؟ لس لجسمي ، وانما لروحي . مسكن با
فاسلاف . لقد مات .

وعاد اليه النعاس ، ولكنه اوفه . القدرة . التعب . وهذه الغرفة . لا
يحيط بها الغموض ، انها سجن . ودفعت الرياح بعاصفة من المطر على زجاج
النافذة . مريض ومنهوك القوى ، ولكني اخار ذلك . انا اخاره . انسه
اخباري . العنف . ذلك هو بالصبط . اني انطوي على العنف . لا اريد ان
يهدئني احد . ان العنف يكمن في عضلاتي ، في حنجرتي . وجنما نفعر
هذا العنف ، اكون قد اصبحت ذاتي . ان كل ما يحيا هو مقدس .

ولاحظ ان الحرارة في ساقيه تلتشي . كانت النار الفازية قد خفت .
واخذ يبحث في جيب سرواله عن سلس . فوجد في الجيب الخلفي ورقة مطوية
كتب عليها بحط نسائي جميل : جرنود كوينسي ، يمكنك الاتصال بلفونيسا
في اى يوم بعد الساعة الخامسة . وبحث في جيب سترته فلم يعثر على سلس .
فناول معطفه وهبط السلم . وجنما عاد الى البيت نائبة ، بعد خمس
دقائق ، توقف عند الدفون الموجود في الصالة ، وبسط الورقة على صندوق
النقد . واجاب صوت جرنود حالا : فضبط على الزر (آ) . وقال :
- الو . جيرارد سورم يكلم .

- جيرارد ماذا ؟ اوه ، صديق اوستن ! الو ! كيف حالك ؟
- بخير ، فكرت في ان انقل وعدي بزيارتك يوما حين لا تكونين مشغولة .
- اجل ، افعل ذلك ارجوك . هل بود ان ترورني في وقت تناول الساي ؟
- حسنا . . . ربما . هل سيكون في البيت هذا المساء .
واسنسر سورم ترددوا واضحا . وقال اخيرا :

- نعم . . . في اى ساعة ؟
ودهنس سورم لهذا التردد ، وسعر بان عزيمه تبط :
- لا يهم ، لتكن امسية اخرى اذا كانت هذه الليلة غير مناسبة . هل
نفضلين الاسبوع القادم ؟
وكان قد قرر حالا انها اذا كانت ستؤجل الموعد فلن يتصل بها نائبة .
ولكنها اجابت سريعا :

— لا ، بل تعال هذه الليلة . كنت احاول ان اذكر هل سيزورني شخص
آخر ، ولكنني لا اظن ذلك . تعال في حوالي الساعة ، ان اردت .
— سكر . لا استطيع ان آتي في الساعة ، فان اوستن سبتصل بي
تلفونيا .

— كنت اظنه في الخارج ؟
— نعم هو في الخارج . سننصل بي من سويسرا .
— حفا ! تعال فيما بعد اذن . سأنتظرك .
واغلقت التلفون وهو ما يزال ينطق بكلمات السكر . ووجد من العسير
عليه للمرة الثانية ان يكظم غظه . وصعد الدرج وهو يشتم بصوت خافت .
الناس جميعهم خناير . ولما صار الى غرفته ، وضع شلنين في صندوق الغاز
واشعل النار بانيه . وصب قدحا اخر من الشاي واخذ يتذوقه ، كان
مركزا . ووضع على الغرامافون اسطوانة السمفونية الخامسة لبروكوفيف
واستلقى على السرير . وقبل ان يبلغ الموسيقى منتصف الوجه الاول من
الاسطوانة كان قد غلب عليه النوم .

* * *

واستيقظ فجأة وسط الظلام ونظر الى ساعه . وامعن النظر في
العقارب المضيئة . ان الساعة تسير الى النامنة ، فمد يده الى زر المصباح ،
ووجد ان الساعة كانت تشير الى النامنة تماما . كان الجو حارا في الغرفة .
ودس قدميه في خفيه وهبط السلم مسرعا . لم يكن هناك احد . ونزل الى
السرّاب وطرق الباب ، ولما لم يرد عليه احد فتح الباب قليلا . كانت الغرفة
تسبح في الظلام . فاطلق تنفّسة بديئة . وعندما كان يصعد الدرجات بانية
اخذ جرس التلفون يرن . فاحتظف الساعة قبل ان يرن بانية . وقال
صوت امرأة :

— المستر سورم موجود رجاء ؟
— بتكلم .
— اوه . جيرنود كوينسي تتكلم . هل ستاتي ؟
— نعم . ولكنني آسف جدا ، فقد اخذني النوم . اعتقد ان اوستن قد
اتصل بي ولم يرد عليه احد . يدوانه لا يوجد احد في البيت .
— يا للسماء ...
— لا تهتمي . سآتي حالا . سأراك خلال نصف ساعة .
— طيب . ساهيء لك بعض الطعام .
— شكرا جزيلا . سأراك حالا .

- واعاد السماعه ، واخذ يفرس في ساعته . كان شعره اشعث واحس بلروجه في فمه من النوم . ورن جرس التلفون على الفور . وهتف صوت امرأة :
- هل المستر سورم موجود ؟
- يتكلم .
- ابق على الخط لحظة . لديك نداء شخصي من سويسرا .
- شكرا .
- كان صوت نين يبدو صافي النبرة قريبا الى حد مدهس .
- الو ، جيرارد !
- الو اوسن .
- ارجو الا اكون قد جعلتك تنتظر . كنت احاول الاتصال منذ ساعه .
- كلا ، ابدا ، فقد استيقظت توا .
- طيب . كيف حالك ايها الصبي العزيز ؟
- على ما يرام . ما الذي يدعوك ان تبذر المال في مكالمه تلفونية بعيدة .
- ليست المسأله مهمه جدا . ولكني اريدك ان تسدي لى معروفه .
- بالتأكيد . ماذا فعلت ؟ نسيت فرشاة اسنانك ؟
- ليس الامر بهذا السوء ! هل يمكنك سماعي بوضوح .
- نعم ، بوضوح جدا .
- طيب . يبدو صوتك بعيدا . اسمع ، جيرارد . اني افكر في العوده الى انكلترا ..
- حسنا ...
- ولكنني اريدك ان تفعل شيئا من اجلي اولا . ارجو ان تذهب الى شقتي وان تسأل البواب هل سأل عني احد أثناء غيابي .
- طيب . هذا كل ما في الامر .
- هذا كل ما في الامر . تحقق فقط اذا سأل عني احد ، ومن الذي سأل .
- حسنا . وبعدئذ ؟
- اذا لم يسأل عني احد ، فأبعث لي ببرقيه رجاء ، اكتب فيها : لم يسأل احد ، فقط اما اذا سأل عني احد فأكتب : ارجو الاتصال تلفونيا ، وسأكلمك غدا . مفهوم ؟
- نعم . هل تريد تفاصيل كل من سأل عنك ؟
- نعم .
- من تحاول ان تتجنب ؟
- اجل ، اني احاول ان اتجنب احدا . شخصا غير مرغوب فيه . هل

- يمكنك ان تفوم بذلك ؟
- نعم .
 - هل لديك عنوان النقة ؟
 - نعم . متى ستتصل بانية ؟
 - في نفس الوقت غدا مساء . اذا كان قد سأل عني فعلا شخص ما ،
 - ارجو ان تحصل على كل تفاصيله . يمكنك ان تسأل ايضا فاة البدالة .
 - هل يمكنك ؟
 - نعم .
 - طيب ، ولكن اذهب انت بنفسك هناك ، لا تكف بالاتصال تلفونيا .
 - كلا ، سأذهب .
 - طيب ، لتفحص الموضوع : اسأل البواب هل سأل عني احد . واسأل
 - فتاة البدالة ، فاذا
 - اذا لم يسأل احد فأبعث لك برقية اكتب فيها : لم يسأل احد . وادا
 - سأل احد فأحصل على التفاصيل وابرق لك : ارجو الاتصال تلفونيا . حسنا؟
 - والان اعطني عنوانك .
 - اوه ، نعم . بانسيون فيفي ، سان موريتز . اني امكث في هذا الفندق
 - باسم اوستن ، المستر ب. ج. اوستن .
 - انك لرجل غامض !
 - كلا في الحقيقة . لا تعط عنواني الى اي شخص .
 - يا للسماء ، لا ! ولماذا اعطيه لاي احد ؟
 - ما اطيعك من انسان . . .
 - وانهى الوقت ، وقال نن :
 - وداعا يا جيرارد . عرفت العنوان جيدا ؟ بانسيون فيفي .
 - ف. ي. ف. ي. مفهوم ؟
 - نعم وداعا يا اوستن .

* * *

انقطع المطر عن الهطول . ولكن الطريق لم يزل مبتلا زلقا . كان سورم
يكربه ركوب دراجته في الطرق المبتلة ، لان واقيات الطين لم تكن على ما يرام ،
وقد بلل المطر اسفل سرواله . وانحنى بكل جسمه على عجلة القيادة ، اثناء
صعوده في طريق هافرستوك هيل . كانت التلال تتبعه ، وكان يبدد فيها
من الطاقة في السباب اكثر مما يصرفه في الضغط على قضبان السير . ومرت
قربه سيارة ، ورشته بالماء الملوث بالطين ، فظل يحرق فيها بغضب وحسد .

ودفت احدى الساعات نصف الساعة فما هو يسدير من ويل ولك
بانجاه شارع اسبت هبث . فرجل واخذ بمسبي صاعدا النل .
ودق جرس الباب ، واسند الى الحائط ، وهو بلهث ويتصبب عرقا . ولاح
ضوء على الجانب الاخر من الزجاج . كانت نفث هنالك وهي تبسم اليه
بدو منعسة ساحرة .

— هلو ، ادخل . قطعت المسافة بسرعة .

— يؤسفى جدا ان اتأخر ...

— لا تهتم . لحسن حظك انى هبات عساء باردا . نعم ، علق معطفك هنالك .
كانت ترتدي بدلة لونها اسود واخضر من قماش لامع ، كسفت عن الجرد
الاكر من ذراعها . كان قوامها كفوام صاة رشيقة فى مقتل العمر . ونظرس
اليها باعجاب وهي تنقدمه الى المطبخ .

— الا يضايفك ان تأكل فى المطبخ ؟ انه اسهل .

— كلا ، ابدا .

— الم تأكل شيئا ؟

— كلا . فقد نمت فى حوالى السادسة . واتصل بى اوسنن بعسد
مخابرتك حالا .

— حقا ؟ ماذا كان يريد ؟

— اوه ... طلب غريب . يريد منى ان احقق له هل وصلته ايسة
رسائل الى شقنه .

— من الغريب حقا . فلم لم يتصل بهم مباشرة ؟

وجفف سورم يديه بفوطة صغيره ، ثم جلس الى الطاولة . وسالت :
— شورية ؟

— نعم ، رجاء .

واخذ يتفحص تقاطيع جسمها بحرية بينما وففت هى الى الموقد وقد
ادارت له ظهرها . كان ردفاها يفنقران الى بعض الانحناء ، حتى كانا يسبهان
عجز صبي . غبر ان رشاقة خصرها راقته . وبينما كان يحاول ان يتخيل
كيف تبدو وهي عارية ، الفتت اله فحول بصره عنها بسرعة . ووضعت
صحن السمورة على القرص الفاييني ، وانحنى بجسمها امامه اناء ذلك ، حى
انه لو انحنى الى الامام قليلا لاستطاع ان يقبل الجرد الاعلى من ذراعها . كانت
رائحة جسدها نظيفة ، غير معطرة .

— هل تسكنين هنا وحدك تماما ؟

— نعم .

- ليس هناك احد ابدا ؟
فقالت وهى تبسم :
— من النادر ان اكون وحدي . فهناك زوار دائما . ان اعضاء الجمعية
يزوروننى ثلاث او اربع مرات فى الاسبوع ، كما ان لى قربة كيرما ما
نمكب معى .
- من نيهود يهوه ؟
— نعم . ولدى كذلك اصدفاء من هامبسينيد .
وانهم ملققة من الحساء ، وادرك انه كان يضور جوعا . وشعر بامتنان
حسى بسبب من معدته كان يجعله يبسم لها . وجلسنى مواجهه ، واخرجت
ننورة صوفية لم تتم خباطها من كيس ورقى ابيض كتب عليه — محلات
هارود . وسحب ابرة كانت مغروزة فى القماش وراحت تخط بعناية .
فسألها بعدم اكراث :
- ماذا تخطين ؟
— ننورة .
— هل اعندت على حياطة ملابسك بنفسك ؟
— نعم .
وانهى الحساء ودفع الصحن بعيدا .
— كان رائعا .
— طيب .
ونفضت بصمت وفنحت اللاجة . كانت اطول منها .
— هل انت نباتي ؟
— اجاب بحماس :
— لا بالتأكيد .
كان الصحن يحتوى على فخذ دجاجة و ثلاثة نرائح من لحم الخنزير .
— خذ شيئا من السلطة .
— شكرا .
— هل لك فى مدح برة ؟
— اود ذلك جدا .
واخذ ياكل سنراهة ، وتناول كمية كبيرة من البيرة . وراح يستمتع
بمنظرها وهى تجلس امامه وقد احنت راسها منسغلة بالخباطة . وتناول
كمية اخرى من السلطة ، وهو ينتقى بعناية اوراق السكوريا وقطع الفلفل
الاخضر . وسألها فجأة :

- السم سزوجي مطلقا ؟
كان يعرف الجواب ، ولكنه اراد ان يعرف رد فعلها لهذا الموضوع .
ولدهسنه رمقه بنظرة يبدو عليها القیظ ، واجابت :
— كسلا .
— ارجو ان لا يزعجك سؤالي .
— لا ابدا .
كان ما يزال في صوتها سيء من الحدة . ومضى يأكل وصب لنفسه فدحا
آخر من البيرة ، وراح يسأل في نفسه لماذا اغضبها السؤال . وقال بنحفظ :
— جعلنى اشعر انه ما كان ينبغى لي ان ابير الموضوع .
واسنمرت على الخباطة . واخذ يفكر في انهازمت على تجاهله ، كدليل على
عدم الرضى . ثم شرعت تتكلم ، وهي ما زالت منهكة في الخياطة ، بصوت
دقيق العبارة لا يعبر فيه :
— لا يزعجني السؤال ، غير ان ما يزعجني هو الفرضية التي يقوم عليها
السؤال عادة . الرجل الاعزب امر طبيعي ومقبول ، ولكن المرأة غير المزوجة
بطلق عليها « عانس » ، ويعتبرونها شيئا ناقصا . افصد ذلك اللغو الذي
يردده بايرن من ان الحب هو طريقة لزجة الفراغ لدى الرجل ولكنه كل ما
في الحياة بالنسبة للمرأة ...
في الاحوال الاعنابية ، لم يكن لينقبل مناعرها هذه دون ان يتسكك
فيها ، ولكن وجبة الطعام هذه ولدت لديه شعورا بالانبساط والامنان . فقال
على عجل :
— انى اتفق معك كليا . انه لغو باطل . بالطبع يحق للمرأة ان تتمتع
بنفس الاستقلال الذي يتمتع به الرجل ...
فقاطعته بقولها :
— انا لم اقل ذلك . انا لا اعتقد ان لاكثر النسوة الاستقلال الطبيعي
الذي للرجل . بيد اني لدى عملى الخاص والزواج . . يسغلني عنه .
— ما هو عملك هذا ؟
فأبتسمت له فجأة ، واختفى مظهر مديرة المدرسة الذي تميزت به
وحل محله سحر جعلها تبدو اصغر سنا .
— هل ترغب حقا في ان تعرف ؟
فقال بجهد :
— ارجب جدا .
ومضت في خياطتها . وقالت :

- كنت افكر في ان اكون امراة . . لديها ما نقوله .
- مؤلفة ؟
- نعم . وليس من الضروري مؤلفة مع هذا . عندما كنت فتاة صغيرة كان لدي كتاب عن حياة القديسات — مثل القديسة كاترين من سيينا والقديسة بريزا من افيللا ، وغيرهما .
- هل كنت ترغبين في ان تكوني قديسة ؟
- لست ادري . كنت اصغر من ان افهم معنى كون الانسان قديسا .
- هل تفهمين الان .
- احسن من السابق قليلا ، على ما اظن . كنت اقرأ عن سيمون فايل ، كاتب قديسة . لا يمكنني ان اكون مثل سيمون فايل ابدا .
- لماذا ؟
- لان . . . اوه ، لانه ليس لدى الدكاء الكافي ولا القوة الكافية ولا . . .
- اوه ، لا ادري .
- ومع هذا لا تريدان الزواج وتكوين عائلة ؟
- قد افعل هذا ، لو وجدت الرجل الذي يعجبني الاستقرار معه .
- ورفعت نظرها اليه فوجدته يبتسم . وقالت :
- اعرف بماذا تفكر . امراة اخرى تبحث عن الرجل المناسب . لقد النقت بالكثيرات منهن ، ينتظرن المستر « مناسب » !
- فقال :
- ولكن الامر ليس كذلك في حالنك ، فانك ترغبين في ان تؤدي عملا نافعا في حياتك .
- فاجابت ، والتعب باد في نبرتها :
- في اعتقادي يجب الا يكون الزواج خاتمة المطاف بالنسبة للمرأة ، على كل حال . ان اكثر النساء يتصرمن كما لو انه يوم الحساب الا . . .
- وماذا تعتقدين انت ؟
- اوه ، اعتقد . . . اعتقد ان ذلك مجرد تبجح ، ولكني ارى انه ينبغي على البسر ان يسعوا لجعل العالم مكانا افضل للحياة ، بالاضافة الى سعيهم ان يعبس كل منهم حياته الخاصة .
- وهل تعتقدين ان الانضمام الى شهود يهوه ينفع في هذه الحالة ؟
- اعتقد ذلك . اما انا فلا انظر لنفسي بصفتي من هؤلاء الشهود ، ولكن بصفتي مسيحية . ان شهود يهوه هم الطائفة الوحيدة بين المسيحيين التي تسعى للوقوف بوجه الطريقة التي تسير عليها الامور .

- وفتح سورم زجاجة بيرة اخرى ، وسكب محتوياتها في القدح :
- وعلى اية طريق نسير الامور ؟
- اوه ... لقد اصبح الناس اكبر خسه ونفاهة .
- الا تعتقدين انهم كانوا دائما بهذا الشكل ؟
- كان يلح عليها بالاسئلة لانه وجدها نسمنع بالحدث ، ولانه كان يجد لذة في سماع صوبها ومراقبة وجهها الذي لونه جانبا . وكان يفكر : ما اجمل ان يطبع قبلة على ذلك الوجه .
- بلى ، اذا نظرنا الى المسألة من جانب واحد . ولكن الرجال والنساء في العصور الوسطى كرسوا حياتهم للآخرين دون ان ينيروا ضجة حول الامر . كانوا يقومون بذلك بصورة طبيعية ، بدافع من حبهم لله ولاخوانهم البشر ، ولم يظن احد ان ما كانوا يفعلونه نساذ او بتهمهم بانهم من صناع الخير . وببدو ان في هذه الايام — على كل حال ، كل انسان لنفسه ...
- وكيف تأملين في تغيير ذلك ؟ بحمل الناس على بغبر مبادئهم ؟
- لست ادري . ادعو احبانا بعض اصدقائي من شهود يهوه لتناول العشاء معي ، واعقد انهم ... تبدو عليهم السداجة ، بالرغم مما ينسمون به من جدية . ويحدث ان احدث احبانا اخرى الى هؤلاء الذين يدعون الثقافة فأجدهم سخفاء بالرغم من براعتهم .
- فقال سورم مبتسما :
- لك مؤهلات الهرطوقي من الصنف الاول .
- فاجابت بصوت ناعم :
- ممن المحتمل .
- وساد الصمت بينهما . وراح سورم يراقب يديها وهما تمسكان بقطعة القماش ، ولاح له انه كان من البساطة ان يجلس بجانبها ، دون ان ينطق بكلمة ، وهو لا ينسر بالخرج من ضرورة الكلام . واخذ ينسائل هل كانت البيرة هي المسؤولة عن شعوره هذا بالانيساط والاسترخاء .
- وقالت فجأة :
- هل تعلم ان اوستن كان قد السق باحد الاديرة ؟
- كلا . متى ؟
- قبل مدة غير بعيدة ، منذ اقل من سنة . ولكنه خرج نانية ، لم يكن ذلك ما يبحث عنه ...
- حقا ؟
- تم دفع صحنه ابعد قليلا ، واسنلقى الى الخلف .

- وقالت بنعمومة :
- مسكبن اوسنن .
- كان الحنان واضحا في نبرتها . فقال بفضول :
- هل انت مغرمة باوستن ؟
- بالطبع ! فقد راقبته حتى شب وبرعرع . كنت في التاسعة من عمري عندما ولد . وكنت اخرج به للنزهة . كان طفلا غريب الاطوار .
- كيف ؟
- كان في بعض الاحايين يلوح طفلا ملائكيا . على اية حال كان صبييا ذا مزاج طيب جدا ، غير انه كان يسلك في بعض الاحيان سلوكا من كسالت تكمن فيه روح شريرة كانت احيانا تنابه حالات عصبية فيحاول ان يهشم ما تقع عليه يده او يقسو على الاشياء .
- كانت عيناها تنظران باتجاهه ، وقد لاحظ عليها انها كانت تستمتع بالحديث عن اوسنن ، واستقر نظرها فجأة عليه ، فوجدت انه لم يعد يأكل طعامه .
- هل لك في فنجان قهوة ؟
- كلا ، شكرا .
- شاي ؟
- شكرا ، لا اشرب شيئا .
- فلنذهب الى الغرفة الاخرى اذن . فيمكنك ان تتناول شيئا من البراندي اذا رغبت .
- آه .
- واصرت على ان ينقدها في الدخول الى غرفة الجلوس . وقال لها :
- اشكرك على الطعام الشهي حقا !
- اشكرك . انك للملاك !
- وشعر على الفور انها ارتكبت خطأ ، تم احسن بالدهشة للحمرة الخفيفة الي صعدت الى وجهها . لقد سحرته ، فقد اكسبتها تلك النظرة مظهر طالبة مدرسة . وقال لها وهو يدير القدرح باصابعه :
- ما اكبر القدرح !
- من المفروض ان يكون كذلك !
- حقاً ؟
- الم تسرب البراندي من القدرح المخصص له قبلا ؟
- ابدا . كان لي جد بحار يعرض علي احيانا ان اتناول رشفة من

البراندي، وكان يشرب البراندي بكوز كبير جدا مع الماء الساخن وعصر الليمون . فضحكت له : كان يسمعها تضحك لأول مرة . وامسكت بقدرها عاليا وقالت :

— ينبغي ان نمسك بالقدر بهذه الطريقة — وذلك لنسجنيه بحرارة بديك . ذلك اذا كان البراندي جيد النوعية ، ليس كهذا .
— انه حسن المذاق بالنسبة لي .
— نعم ، ولكنه ليس جيدا . البراندي الجيد له مذاق رائع سلس ...
فقال ضاحكا :
— لك مؤهلات الابيقوري من الصنف الاول !
فارتسم الجد عليها في الحال ، وقالت بهدوء :
— كلا .

وراح ينتظرها لتضي في حديها ، ولكنه لما رآها قد اتمت عبارتها ، قال وقد رفع جفنيه :
— كلا ؟

— كلا . لا اعتقد اني اهتم للحياه الناعمة ... امضيت مرة اسبوعين في منزل للنساء في القطاع الشرقي من لندن ، فلم اشعر بالحنين الى البيت ، لولا قدارة المكان . والقدارة غير مرغوبة في اى مكان ...
— وماذا كنت تفعلينه في هذا المنزل ؟
— للمساعدة .
— آه . فهمت .

وبسطة القماش على فخذيها ، وشرعت في الخياطة . واخذ سورم يحتسي الخمر ، ويرقبها باعجاب . كان وهج النار من المدفأة الكهربائية يضي احمرارا على ساقيهما اللذين لبست عليهما الجوارب ، وينعكس في بدلتها المصنوعة من القماش اللامع . وايقظ هدؤوها ورقنها فيه الرغبة في لمسها ، ولكن شيئا في اعماقه اندره بانها تخاف الالفه ! وطفق يأملها وهي منهمكة في الخياطة ، ومضى يتخيل حباتها الماضية . ولاحظ له نظرية الاب التي افضى بها اوستن لا تخلو من الصدق . هنالك امر ما ولا ريب . وراح يفكر : كيف سيحملها على الافصاح به ؟ فقد جعله البرود المفاجيء الذى قابلت به حديه عن الزواج يحاذر في الامر . وقال اخيرا :

— حدثيني عن اوستن .

— ما الذي تريد ان تعرفه عنه ؟

— قصة الدير هذه .

- لست ادري . اسأله انت .
- اين يقع ذلك الدير ؟
- في الالزاس - على نهر الراين ، على ما اظن . فأوستن لا يحب الحديث عنه . لا يتحدث عنه الي ، على كل حال .
- ولا تعرفين شيئا مما حدث ؟
- قليلا جدا . ان والدته اوسنن تدين بالكاثوليكية ، وقد حاولت فترة من الزمن ان تجعل من اوسنن قسيسا . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . فقد كان والده يريد ان يدفع بولده الى التجارة ، ولكنه لم يبد ميلا الى ذلك ايضا . كل ما حدث هو ان اوستن ادمن على التراب ، فزجه ذلك في مساعب كثيرة وقرر والده على اثر ذلك ان يرسله الى البرازيل . ومن حسن الحظ ، عزمت والدته على ان تتدخل في هذا المشروع واقنعت الاب بأن الصبي بحاجة الى مراجعة طبيب نفساني . وذهب اوستن الى الطبيب ، وادرك ان الامر كله هراء ، ولكنه اعتقد ان مراجعة الطبيب كانت افضل من الرحيل الى البرازيل . وفوق كل ذلك ، اقنع الطبيب على ان يخبر والده بأنه صبي لا يليق بالتجارة .
- فقال سورم :
- مسكين اوستن ! يبدو أنهم لا يريدون ان يدعوهم وشأنه .
- تماما ! من المؤسف انه ولدهم الوحيد .
- وماذا حدث بعد ذلك ؟
- وبعد ذلك . . . بدأ اهتمامه ينصرف الى رقص الباليه واعلن انه يريد ان يؤلف كتابا . فمنحوه لذلك بعض المال وتركوه وشأنه - وهذا ما كان ينبغي لهم ان يفعلوه . وقد كذب بالفعل ، واخلالك تعلم ، ثلاثة مؤلفات ممتازة، وبدأ يكون له سمعة مرموقة في عالم الصحافة .
- وما هي قصة الدير هذه ، على كل حال ؟ متى حدث ذلك ؟
- منذ زمن قريب . فقد غادر الى المانيا منذ ثلاث سنين ليعيش هناك ، ومكث فيها ما ينوف عن العام ، لم نسمع خبلا له الكثير عنه . وفي يوم من الايام كتب يقول بأنه انضم الى دير في مقاطعة الالزاس وانه يأمل ان يصبح راهبا . وبالطبع ، سرت والدته لذلك . كانت واقفة من انه سوف لا يلبث ان يغادر الدير بعد ان يصبح قسيسا . بيد ان الامر اخفق ، حيث لم يمكث غير شهر واحد ، كانه نزول في فندق . وعاد بعدئذ الى لندن . وقد عكف منذ ذلك الوقت على كتابة قصة - كما قال لي هو . فربما تكون على معرفة افضل مني بهذا الامر ؟
- كلا . لم يذكر لي شيئا عنها . لم اتعرف به منذ مدة طويلة . هل

كنت دائما على صلة وبقية به ؟

فقالت بهدوء :

— كان دائما يحضر الي اذا ما احس بالعماسة او السخط .

ونظر اليها ، واحس نسانية بتيقظ الرغبة في لمس جسدها
المنسوق . وقال :

— يدهسني لماذا ؟

— يدهسك ؟

— لماذا يحضر اليك دائما ؟

— كنا دائما مغرمين ببعضنا . كان يبق بي دائما . احسبني كنت
متسامحة معه الى حد لم يشهده من مربية اخرى !

راح سورم يأمل رقة عباراتها وهي تتحدث عن اوستن ، واخذ
يتساءل : هل انها تحب اوسن . ولكنه قرر ان الامر مسنحيل ، بينما كانت
هي تطوي النورة وتدسها في كيس الورق . كانت هيأها تنم عن موقف صاة
نرعى اخاها الاصغر .

وسال بفضول :

— هل كنت مجرد صبية ؟

وبدت كأن تغيير الموضوع فد ازرعها ، ونظرت اليه والتساؤل يكننف
وجهها ، ثم قالت على عجل :

— نعم .

ونفضت وننت اعلى الكيس . فسعر سورم للمرة الثانية بأنه قد اربكها
بالحديث عن نفسها . وقالت :

— معذرة يجب ان اقوم بنداء تلفوني قبل ان انسى .

— انا صاعد الى الطابق الثاني ، عن اذنك .

وتناهدت اليه وهو في الحمام همهمة صوتها وهي تتكلم في التلفون . كانت
الغرفة دافئة الى حد ملائم ، واحس بالشبع والنعاس . ووجد الماء الدافئ
والصابون ذا عبير البرتقال من المسنطاب حتى خلع ثوبه وشرع يفسل رقبته
ووجهه . ثم مسح البخار من المرآة ، واستحسن وجهه الوردي المنعكس فيها .
لم يكن قد حلق ذقنه منذ يومين ، ولكن بشرته كانت بيضاء لم يكد الشعر
يبرز عليها واضحا . ومسح الصابون من ثنايا اذنيه وكشر على نفسه في المرآة
وسمع رنين جرس الباب في الاسفل . فاقترب من الباب وراح يسترق السمع ،
ولكنه لم يفقه شيئا . كانت قد فنحت الباب دون ان تعيد سماعة التلفون
الى محلها ، لان صوتها عاد يهمهم . وسمع طريقة التلفون وهي تضع السماعة

في مكانها ، بينما كان يخرج من الحمام . وعندما نزل السلم الفاها داخل المطبخ ،
وسألها :

— هل قدم احد ؟

— ابنة اخي .

وعندما دخل الغرفة الفى الفاة جاية على ركبيها امام الموقد تدفء
بديها . وقال :

— كيف حالك ؟

ورفعت نظرها اليه بم نهضت على قدميها وقالت وهي تبسم :

— هلو !

كانت الفاة التي رأى صورتها في غرفة النوم . كان شعرها الاشقر
القصير يلوح حديث القص والتجعيد . وعندما انفرج نغرها عن الابتسامة ،
وجد اثنين من اسنانها الامامية غير منظمين ، كان احدهما يتوسد الاخر قليلا .
وخمن سننها في السادسة عشرة وقالت :

— اسمي كارولين . كيف حالك ؟

— جيرارد سورم .

— هل انت من شهود يهوه ؟

— كلا .

— لم اظن انك منهم . ولا يبدو عليك ذلك !

ولم تدع الطريقة التي ابتسمت بها مجالا للشك في انها قصدت بهذه
العبارة مديحا له .

— لا يبدو علي ؟ فكيف ابدو اذن ؟

— لست ادري .

فالقت اليه نظرة فاحصة وقد لوت رأسها جانبا قليلا ، بم اطلقت قهقهة
مكنومة ، كتشفت عن حقيقة عمرها الذي كانت تخفيه بتصنعها الكلام الرزين
الموزون وسفسطة العبارة . واثار فيه تصنع السفسطة هذا شعورا طفيفا
بالاشمئزاز .

ودخلت المس كوينسي .

— آه ، لقد تعارفتما . هل لك في قدح من الشراب ، يا كارولين ؟

— نعم ، شكرا . ايمكنني ان اشرب قدحا من الشيري .

— انا لا اعني هذا النوع من الشراب ، يا كارولين . اوصتني امك الا

ادعك تلمسين الخمر .

فقال كارولين بلهجة حزينة :

- ولكنني اكاد اموت من البرد . هيا تحسسي .
- وجعلت قفا كفها يلمس وجه المس كوينسي .
- حسنا . ولكن لا تسرفي في الشرب . سأهيه الشاي .
- ثم التفتت الى سورم تسأله :
- الا تريد شيئا من الشاي ؟
- نعم ، شكرا !
- لا تدع كارولين تسرف في شرب الشيري .
- وخرجت المس كوينسي من الغرفة ، وقالت كارولين :
- ستجدينني عندما تعودين ملقاة على البساط يكاد يخنقني السعال .
- وراح سورم يتطلع اليها باهتمام متزايد . فوصية المس كوينسي بكارولين ادخلت شعاعا من الالفه بينهما ، ووضعت موضع الوصي عليها . كان يرقبها وهي تحرك الزجاجات في الدولاب . وسالت :
- اتشرب انت ؟
- فقال :
- كنت اشرب البراندي .
- الا تريد ان تملأ قدحك ثانية ؟
- ووجد قدح المس كوينسي ولم تمسه بعد ، فقال :
- لا اعتقد ان لجرتروود النية في الشرب . ربما يكون من الافضل ان اتناوله انسا .
- بل ان ذلك افضل فعلا !
- وجلست على الاركة ، وعقدت ساقها . كانت لها ساقان جميلتان ، وكانت ترتدي بدلة سوداء بسيطة الشكل لها ردنان يصلان حتى المرفقين .
- طيب ، اخبريني ، ما هي مهنتك ، اذن الا استطيع التكهن .
- مهنتي التأليف ...
- حقا ! انت مؤلف . رائع ! كنت دائما اود التعرف بمؤلف .
- صحيح ؟ لست اذن اول مؤلف تتعرفين به بالتاكيد ؟
- تقريبا . كان والدي صديقا لاحد الروائيين يدعى دينيس سكوت مند بضع سنين . وتعلقت به بعنف ! كان وسيما جدا !
- وقال سورم مبتسما :
- آه . وهل اثمرت العلاقة ؟
- اثمرت ؟ يا للسماء ، لا ! كنت لم اتمد العاشرة من العمر .
- وقال سورم وهو يتعمد مضايقتها :

- كنت فتاة لذيذة آنذاك ولا شك !
 فاجابت بلكنة اميركية : اوه ، نعم . وعادت تصطنع الرزانة التي كانت تتلاشى .
- كم تبغين من العمر الان ؟
 — السابعة عشرة . ابلغ التامنة عشرة بعد ثلاثة اشهر . ما هو نوع مؤلفياتك ؟
- اخبريني ماذا تفعلين انت اولا .
 — التمثيل . ادرس التمثيل في ا . ل . م . ف . د .
 — اين ؟
- المدرسة التي تنافس « رادا » ، انها تقع في كنسنتن .
 — ا . ل . م . ف . د . اقصداكاديمية لندن للموسيقى والفن الدراماتيكي ،
 — آه !
- وسعر سورم بانه استطاع فجأة ان يجد محلها في اطاره الذهني . لقد حيره هذا المزيج من السذاجة والتعقيد ، كما اذهله انعدام الخجل لديها . واخذ ينصورها بعد سنين لا تكلم الا بهذه اللهجة المصطنعة ، وتنادي كل من تصادفه « يا عزيزي » . اما الان فسلوكها هو مزيج من انين : طالبة المدرسة والمسرح .
- وقالت :
 — اعتقد انك تسكن في همبسيند ؟
 — كلا ، في الواقع .
 — اوه ، حسبك واحدا من اصدقاء عمتي المتفنين .
 — كلا . بل انا صديق لاوستن .
 — اوسن ! لم اتعرف به قط ، وكنت دائما ارغب في ذلك . هل هو ساحر المظهر ؟
- فقال سورم ، وهو يبتسم :
 — لا اعتقد انه سيثير اهتمامك .
 فقالت :
 — لماذا ؟ لم بدا عليها بصورة مفاجئة كأنها فهمت قصده وقالت :
 — آه هل هو بهذا الشكل ؟
 — ينبغي الا تعلمي شيئا عن ذلك .
 — لا ؟ لم لا ؟ لدينا اثنان منهم في فصلنا . انهما يتمشيان ويحيط كل منهما الاخر بذراعه .

— منظر مزعج اليس كذلك ؟
 — بل هو كذلك . وهنالك فتاة وقعت في غرام احدهما — الذي يدعى
 ارنست . ولقد كان ذلك سببا في شقائها حقا . اعتقد ان المنحرفين جنسيا
 جذابون — ولكن بطريقة كريهة . الا تعتقد ذلك ؟
 وقال سورم وهو يبتسم :
 — كيف لي ان اعلم ؟ فمبולי ليست في ذلك الاتجاه .
 وقالت : طيب !

وراح سورم ينسأل هل كانت تعني موافقته بهذه الكلمة . وراح يحاول
 ان يؤكد من ان ابنتها الدافئة قصدت خصيصا له ، او انها جزء من قواعد
 السلوك العامة التي تعلمتها في مدرسة التمثيل . واستنقلت الى الوراى وهي
 جالسة على الارىكة واخذت تحمق في السقف . وطفق سورم يرمق ساقيها
 برجاء ، ولكن رداءها لم ينحسر كثيرا وهي تنمطى الى الوراى .
 وقالت :

— قل لي ماذا تكتب .
 فأجاب :
 — ليس الان . في وقت آخر .
 ورمقته بنظرة من طرف عينيها .
 — متى ؟

وسرت في جسده هزة من الابتهاج التي خفف من حدتها مفعول البراندي .
 وقبل ان يجيب ، دخلت المس كوينسي . ونظرت باستنكار الى الطريقة
 التي كانت كارولين جالسة بها . وشعرت الفتاة بموقف المس كوينسي دون
 ان تنظر اليها فاعتدلت في الحال واخذت تنفض الوسائد . وقالت المس كوينسي :
 — لم اكن اتوقع مجيئك الا في ساعة متأخرة ، يا عزيزتي .
 — اعلم ، فقد كنت اعتزم ان آتي من المسرح مباشرة ، وليسكن الغي
 التمرين . ولنسد ما سرني ذلك ، فاني اشعر بتعب ممض ، لقد كان يوما
 مليئا ! ارجو الا اكون قاطعت مناقشة مهمة ؟

— كلا يا عزيزتي .
 قالها المس كوينسي وكان يبدو عليها الارتياح . كانت تصب الشاي .
 وقالت :

— جيرارد ...
 وادهنته النبرة التي تفوهت بها . كانت ممسكة بفنجان الشاي .
 — اوه . شكرا جزيلا .

فسألت كارولين بطريقتها المصطنعة :
 - عم كنتما تتحدثان ؟
 فاجاب سورم :
 - عن اوستن بالدرجة الاولى .
 - اوه !
 وقالت المس كوينسي :
 - كارولين .
 وتناولت فنجان الشاي . وازافت المس كوينسي :
 - هل انت جائعة ؟
 - قليلا . لم اتناول لقمة واحدة منذ الغداء .
 - حتى ولا الشاي ؟
 - لم اكن اود مقاطعة عملي . كنت اتعلم دوري .
 - بالله ! يجب ان تأكلي شيئا . ساهيء لك شيئا الان .
 - لا نزعجي نفسك . ساجد قطعة ساندوينش لنفسي .
 وسألها سورم : اي دور تقومين بتمثيله ؟ لم يكن مكثرنا ولكن حديث
 المس كوينسي عن الطعام اخذ يضايقه . فقالت كارولين بلا مبالاة :
 - غاب اسمها عني . انها زوجة شاعر . . . اننا نقوم بتمثيل مسرحية
 عن الشاعر الفرنسي رامبو . انا زوجة اعز اصدقائه .
 - فرلين ؟
 - اجل . علي ان اتلو قصيدة بالفرنسية . ارجو ان تكون لهجتي
 صحيحة . تبدأ القصيدة هكذا . . .
 فقاطعتها المس كوينسي قائلة :
 - هيا اشربي الشاي ، يا عزيزي
 فقالت الفتاة بوداعة :
 - طب .
 واخذت ترشف الشاي . وجلست المس كوينسي وقالت :
 - حقا ، لا ادري ماذا فعلت بقدرح البراندي ؟
 - اوه . . . شربته انا . آسف جدا . ظننتك لن تنسويه .
 - لا بأس . لم اكن ارغب في شربه في الواقع . ولكي فضلت
 الا ابدده . . .
 لقد استطاعت بطريقة ما ان تجعله يشعر بالدنب ، وبانه على تفاهم
 خفي مع كارولين . ونظرت اليه الفتاة من فوق فنجان الشاي ، كانت

عينها تالقان . وتوقف عن مبادلتها النظرات . ووضعت قذح الشاي على المنضدة ، وتمطت كالقطة ، فبرزت انحناءات صدرها . وصدر صوت شئ ينقطع . فصاحت متبرمة :

— اللعنة . انفكت كلابة مشد الصدر .

وصاحت المس كوينسي :

— كارولين !

غير ان الفتاة تجاهلتها ورفعت يدها للنحس ظهرها عند اسفل رقبها . وقالت :

— يحدث ذلك مرتين في اليوم . هل لديك ابرة خياطة، ايتها العمة.

ونفضت المس كوينسي بصمت ، واجتازت الفرفة الى الدولاب . ولحظ عليها سورم الامعاص والاسنكار . ولكن كارولين لم تحفل بذلك . وقال سورم مبتسما :

— هل حدث ذلك في ظروف محرجة ؟

واحس بنظرات المس كوينسي متجهة اليه . وقالت كارولين :

— كلا ، لحسن الحظ ، كنت لوحدي . ولكني اعرف فناة مسكينه سقط عنها لباسها الداخلي اتناء التمرين ...

وانطلقت تتضحك وكادت تخنق . وعادت المس كوينسي وهي تحمل ابرة وبكرة خيوط بيضاء . وناولتهما كارولين دون ان تنظر اليها وقالت :

— كم كان الموقف مضحكا . كان لباسها من النوع الذي يثبت بالازرار .

وصاحت المس كوينسي :

— كارولين !

— وانقطع الزر ... كادت ان تسقط وان تدق عنقها ولباس النايلون معلق في رسغي قدميها ...

— كارولين ، ارجوك ! وقالت الفتاة مدافعة عن نفسها :

— ولكن الامر كان مضحكا جدا . كم بدت مضحكة وهي تحاول الهروب من المسرح دون ان تتعثر ...

وحدث بسورم رغبة في ان يزيد من مضايقة المس كوينسي ، فقال للفتاة :

— ماذا كنت تفعلين لو وقع الحادث لك انت ؟

وجلست المس كوينسي ثانية ، كما لو ان الحديث اصبح اخطر مما يمكنها ان تتحمل مسؤوليته . واجابت كارولين :

- لكنك زلقه من ساقى ومضيت في التمنيل !
واصطخ وجه المس كوينسي بالحمرة وصاحت :
— ارجوك ان تكفى ، يا عزيزتي !
وفالت كارولين :
— لكن هذه امور تحدث . وهل من العيب ان نكون صريحين بصددنا ؟
فقال المس كوينسي بلطف غريب :
— انه ليس موضوعا لائقا ، يا عزيزتى .
فقالت كارولين باحنقار :
— لائى . انك لحمفاء ، ابتها العمه !
ونظر سورم الى المس كوينسي بنوحس ، ولكنها اخذت تنسرب
الساي بهدوء ، كأنها شاردة الدهن . ونهضت الفاة :
— سأذهب لحياطة الكلابه ، تم احضر قطعة ساندوينس .
— سأخبطه لك ، يا عزيزتي .
— لا ، تزعجي نفسك .
وتركت الغرفة وهي تحمل قدح الساي . وعندما بلغت الباب البفت
والفت قبله خاطفة لسورم . وعندما انفلقت الباب ، اخذت المس كوينسي
تحقق فى الفضاء ، والقلق باد على وجهها . تم قالت اخيرا :
— لسد ما انا قلقة عليها .
— لماذا ؟
وظلت تحقق ، دون ان يجيب . تم قالت فجأة :
— اوه ، على كل حال . فانها ستنروج ولا شك .
فقال سورم :
— لا شك في ذلك .
فنظرت الى سورم :
— اما بالنسبة اليك فالامر يختلف . انك رجل . وفضلا عن ذلك
فانك اكبر منها سنا .
— ماذا تعنين ؟
ومضت فى الخياطة تانية ولم تجب . واخذ يرمبها بفضول وهو
يعرف كنه مناعرها بالضبط . ولم استطع ان بجد شيئا يقوله ليفتح
الموضوع نانية . وسال اخيرا :
— هل نعرضين على مدرسة التميل ؟
— ليس هدا ...

- وانتظرها لتتم عبارتها وهو يفرس في النار . وكانت تنظر اليه ولكنه ظل يحرق في قضبان المدفأة المحمرة . وقالت :
- اني اسعى الا اقحم معتقداتي على الآخرين . انا لا احاول ان امرضا على اوستن او كارولين او عليك . هل لاحظت ذلك ؟
- نعم .
- ولكن ... على كل ، المفروض في ان ابين لكم معتقداتنا ، في الواقع . ان من صميم عقيدتنا هي ان ندع الفرصة لكل انسان ان ...
- وانظرها لتقول : « ان ينوب » ، ولكنها مضت تقول :
- ... ان يعرف على رسالتنا .
- فقال سورم :
- قد لا تؤمنين بها انت نفسك الى هذا الحد ؟
- فقالت :
- بل اؤمن بها .
- كان صوتها خلوا من التعبير ، كأنها تتحدث عن شيء غير مهم كمفتاح الباب الامامي مثلا . نم اردفت :
- للناس طرائقهم المختلفة في السلوك تجاه عقائدهم . واني لا اتخرج من الكلام الى الغرباء لانهم غير ملزمين بالاصغاء . اما اذا اقحمت كلامي على الاشخاص المقربين لي ، فانني اشعر وكأنني قد اقترفت انما .
- هل ... هل تفهمني ؟
- تماما .
- ومع هذا ، عندما اجد كارولين وكأنها لا لشيء الا للمسرح ، اشعر بالقلق .
- فقال :
- اطلبي منها ان تحضر اجتماعاتك الدينية .
- لم يطرح السؤال بصورة جدية ، ولم يكن يهيم الحديث عن كارولين .
- وقالت على الفور :
- اوه ، كلا : لا اعتقد ان ذلك يسرها مطلقا . اعلم انها لن تكتوئ لذلك . بل ... اعتقد ينبغي ان يفتحها بذلك رجل ذو سن يقارب سنها .
- وقال سورم :
- شخص يمكنها الانسجام معه .
- قال ذلك ، وهو يتذكر الفتيات اللاتي كان يساهدهن يرلن الصلوات في زاوية الخطابة في حديقة هايدبارك بوجوههن الساحبة ونيابهن الرثة . والتفت اليها ، فضايقه منظرها وهي ترمقه بنظرة جدية . وقالت :

- قد يمكنك انت ان تقوم بذلك .
- انا ؟ ولكنني لست من شهود يهوه على اي حال ؟
- يمكنك ان تحضر عددا من اجتماعاتنا .
- بالطبع . ولكن ذلك لا يضمن اني سأنهي باعناق ارائك ؟
- لا يهم ذلك . انك انسان جاد في طبعك . ذلك اهم شيء .
- يسرني ان تظنني كذلك .
- ولكنه اهم ما في الامر اليس كذلك ؟
- وقال في ترو :
 — من الجائز . ولكن هناك بباينا شاسعا بين وجهتي نظرنا .
- شاسع جدا ؟
- فقال :
 انني اعمل على فرض ان العالم خلو من المعنى ، وان الحياة عبث .
- عبث ؟
- ونظرت وكأنها قد صغقت : — بالضبط .
- ولكن كيف ... كيف يمكن ان تكون بدون معنى ؟ لا اشك انك لا تؤمن بذلك ؟ لا يمكن لاحد ان يؤمن به .
- لم لا ؟
- لا تعود الحياة تستحق ان تعاش ...
- كلا مطلقا . من المبهج ان يعيش الانسان . وهذا يخلف تمام الاختلاف عن الايمان بان للحياة معنى .
- كانت تحدجه بنظرة نفاذة مفعمة بالتشكك ، كأنها ترتاب في انه يريد ان يجعل منها اضحوكه ، وكأنها قد تأهبت لاطلاق الضحك بمجرد ان يعترف لها بنيتها هذه . وابتسم لها . وقالت فجأة :
 — فماذا يمكنك ان تكتب عنه اذن اذا كنت تظن ان الحياة تفتقر الى المعنى ؟
- آه ! سؤال وجيه . سأجيبك . اريد ان اؤلف كتابا عن الطرق المختلفة التي يضيف بها الناس معاني على الحياة التي يعيشونها . وسيكون الكتاب بعنوان « طرق ووسائل خداع النفس » ، وسيعالج جميع الطرق الممكنة التي يتوصل بها الناس لاختفاء معنى الحياة عن انفسهم . وسأستهل الكتاب بفصل عن التجار والسياسيين اسميه « الانسان النشيط » ، وسيكون هنالك فصل عن الفنانين والادباء ورجال المسرح اسميه « الانسان الجمالي » ، ثم فصل عن النافرين والرجال الذين يدفعهم الحسد وعدم القناعة .

واخبرنا ، عدد من الفصول عن جميع انواع خداع النفس عن طريق الدين .
واخذ الصفاء يعود الى وجهها وهي تصفي اليه . وابتسمت وقاطعته
بقولها :

— تلك فكرة رائعة ! اني اتفق معك تماما . ان كنا من هذا النوع
سيجعل مهمنا اسهل كثيرا . فنظرتك ، على كل حال ، دينية في حقيقتها،
اليس كذلك ؟ وسوف لن يفكر الناس في الاشياء المهمة فعلا الا ...
— وسأضع فصلا عن شهود يهوه . اريد الا اكون متحيزا .
— ولكنك لا تعرف شيئا عنا .
— بل اعراف القليل . انكم تسندون كل شيء الى الكتاب المقدس ،
اليس كذلك ؟ تلك هي نقطة انطلاق جيدة .
وقال بحماس :

— ولكنك تقول ان الحياة معدومة المعنى ، على حين ان الكتاب
المقدس يضم معنى الحياة . فكيف يمكنك ذمنا دون ان تكون قسرات
الكتاب المقدس ؟
وقال باناة :

— انت لا تفهميني . ليس ذلك ما اعنيه . ما اعنيه هو ان تجاربنا
مجزأة . اننا نعيش على الاكثر في الحاضر . بيد اننا لو كنا مخلصين
لاعترفنا بان الحياة سلسلة من اللحظات ترتبط ببعضها بحاجة الى ان
نظل احياء ، ان نقهر الضجر . وتجاربنا كلها تحدث على اجزاء . ولكن
التاجر القابع في محله يلصق هذه الاجزاء ببعضها وهو يعتقد ان غاية
الحياة تكمن في حصوله على سيارة اضعف . اما السياسي فيقرن غايته
بهدف الحزب الذي ينتمي اليه . ويربط رجال الدين هذه الاجزاء بقوله
هداية كنيسة وكتابه المقدس . انهم جميعا يستخدمون انواعا مختلفة من
الصمغ ، ولكن لجميعهم غاية واحدة ... وهي اصفاء نظام مسا وفرض
معنى ما . وكل هذه المحاولات لا تعدو ان تكون تزيفا . لو كنا مخلصين
لاعترفنا بان الحياة لا معنى لها .
— وما نفع هذه الفكرة ؟

— قد تذهب عنا هذا الخمول والشعور بالقناعة والرضى . انها قد
تحول حياتنا الى بحث عن معنى .

— ولكنك قلت الان انها خالية من المعنى ؟

— كل شيء يبقى عديم المعنى الى ان تكتشف معناه .

— الامر يختلف في هذه الحالة ! يختلف تماما عن القول بان الحياة

عديمة المعنى . لانه افرض ان هناك عددا من الناس ممن ادركوا المعنى ؟
 اناس ارسل الله لهم الرؤى . . ؟

— وما الفائدة التي اجنيها انا من ذلك ؟ لم اؤمن بما يقوله الاخرون ؟
 اريد ان ارى المعنى بنفسى .

كان ينظر اليها بتركيز شديد حتى انه جفل عندما فتحت الباب خلفه . وقالت كارولين :

— هل توافقون ان اجلب السندويش معى هنا ؟ لن ادع الفتات تسقط .
 فقالت المس كوينسى :

— اجل ، يا عزيزتى .

كان صوتها اعتياديا لا اثر للامتعاض او الدهشة فيه . واحس سورم كأن هدوءها قد غلبه على امره . وقالت كارولين :

— شكرا . ودخلت الغرفة وهي تحمل طبقا . وقدمت المس كوينسى بابنسامة سريعة الى سورم تكاد تكون غنجة . وقالت :

— على كل حال ، هي شجاعة منك ان تحاول ان تضع المسؤولية على عاتقك . ارجو لك النجاح فيما تبغيه .

واطل سورم بنظره الى كارولين ، وهو يسمر بالانفعال . وقالت كارولين :

— لماذا هو شجاع ؟
 فقال :

— لا شيء . . .

وتذكر انه لم يقطع وعدا بعد للمس كوينسى بأنه سيحضر احد اجتماعاتها او ان « يتحدث » الى كارولين وسره ذلك .

وقالت كارولين :

— يبدو جيرارد جادا بفضاعة !
 وابتسم سورم وقال :

— كنت اتحدث عن جميع الناس الذين سأقتلهم عندما اكون دكتاتورا .
 — ما دام اسمي ليس فى القائمة . . .

ونظر اليها ، وشرع يقول : انت آخر من ارغب فى قتلهم ، ولكنه ردع نفسه . كانت تتصفح جريدة (الراديو تايمس) ، وهي تمضغ الساندويتش .

وقالت فجأة :

حقا ، لم لا نفتح الراديو ، ايتها العمدة ؟ سيقرا ديلان توماس شيئا من

- سعره في الساعة العاشرة والرابع .
ونظر سورم الى ساعه : كانت تشير الى الدقيقة العاشرة بعد العاشرة .
وقال :
- اصدق انه ينبغي على اعدادر كما الان فانكما بكران في النوم اليس كذلك؟
وقالت المس كوينسي :
- لا داعي للذهاب . انا لا انام عادة في الساعة العاشرة ! كانت بلسك
الليلة شاذة .
وقالت كارولين :
- الا يعجبك ديلان نوماس ، باجيرارد ؟
فقالت سورم :
- لم اقرا له شيئاً على الاطلاق .
ونفض وقال :
- على كل حال ، يحسن بي ان ارحل .
كان يفضل ان يكون وحيداً مع احدهما ، اما ان يجلس مع الانتين فهو
امر بسعره بالخيبة . وخامره احساس بانه قد توغل في علاقته مع المس كوينسي
وانها كانت تريد ان يبقى .
وقالت كارولين :
- ارجو الا تكون ذاهباً بسببي ؟
- كلا ابدأ . انك لا تجعلين احداً يهرب ، اؤكد ذلك .
- اشكرك .
وقالت المس كوينسي :
- لدي كتاب قد يسليك . اعتقد انه ينبغي عليك ان تقرأه .
- من هو المؤلف ؟
- ان كتبنا لا تحمل اسم المؤلف دائماً ، ولكن اتفق اني اعرف من الفه . انه
من تأليف الاخ ماكاردل من مانجستر . تعرفت اليه مرة . انه رجل المعسي
متخصص في الكيمياء الحيوية .
وكانت وهي تكلم تفتس بين الكتب . وقالت :
- لا اجده هنا . يجب ان يكون في الطابق العلوي . لن اغيب اكثر من لحظة .
وتبعها سورم خارج الغرفة ، ثم تناول معطف المطر من المشجب . وعاد
الى غرفة الجلوس ليرتديه . ونظرت اليه كارولين ، وهي تلوك الطعام فسي
فمها وقالت :
- يؤسفني انك ذاهب .

- قد يمكننا اللقاء سانية ؟
- اود ذلك كثيرا . اود ان تحدثني عن كتابك .
- وحزم المعطف . وقال :
- متى تفرغين من العمل ؟
- كل يوم بعد الغروب . واحيانا في وقت العصر .
- كان يعتمد عدم المبالاة ، ولكنه كان يصغي باهتمام لثلاث عود المس كوينسي قبل الاوان . وسألها :
- هل لديك موعد غدا مساء ؟
- لا اظن ذلك . واذا كنت مشغولة فآين يمكنني الاتصال بك ؟
- واعطاها رقم التلفون ، فسجلته في دفتر ملاحظات اخرجته من حقيبتها وقال :
- ايبن التقي بك ؟
- ايبن تسكن ؟
- كامدن تاون .
- وتناهى اليهما وقع خطوات المس كوينسي . فقالت كارولين بسرعة :
- الساعة السادسة في محطة نفق ساحة لستر ؟
- طيب .
- وكانت كارولين ما زالت تضع الدفتر في حقيبتها عندما دخلت المس كوينسي . وشعر سورم دون مبرر بالتوتر والارتباك . اما كارولين فكانت محتفظة برباطة جاشها بصورة تامة ، واخذت تقضم طعامها . وقدمت له المس كوينسي كتابا ذا غلاف اخضر .
- هل لديك نسخة من الكتاب المقدس ؟
- آ . . . نعم ، طبعا .
- لم طبعا ، اكثر الناس ليس لديهم نسخة منه .
- لا ؟
- طبعا اكتشفت هذه الحقيقة راسا عندما كنت اقوم بصحبة الاخروبنز ببعض الاعمال التي تتطلب التردد على البيوت . وقمنا مرة بزيارة ثلاثين بيتا في شارع واحد في منطقة باتني ، فوجدنا الكتاب المقدس في اثنين منها فقط .
- ودس الكتاب في جيب المعطف الداخلي . اذ لم يكن كبير الحجم .
- سترى اشارات في محلات كثيرة منه . انه من احسن الكتب التي نشرناها ، على ما اظن . فهو يقدم لك باختصار كل ما تؤمن به . فاذا اعتزمت ان تكتب عنا ، يجب ان تستند على هذا الكتاب . كما يجب ان تكون لديك نسخة

- من الكتاب المقدس للرجوع اليه ايضا .
- اشكرك جدا . . . و . . . مى سأراك ثانية ؟
- وشعر ، وهو يكلم بحضور كارولين ، ان اختياره للالفاظ كان غير موفق الى حد سخي .
- بعد ان تقرأ هذا الكتاب . كلا ، لا اعنى ما افول . انك على الرحب والسعة ان قرأته ام لم تقرأه . تعال في اى وقت يعجبك . ما عدا نهاية الاسبوع .
- خلال هذا الاسبوع ؟
- نعم . . ما عدا يومي الاربعاء والجمعة ، الاذاكنت ترغب في حضور احد الاجتماعات . اما في يوم الخميس فيسيرورني بعض المعارف . يمكنك المجيء غدا ان اردت .
- لبس غدا ، اظنني سأكون مسغولا .
- اذن ، فليكن يوم الاثنين القادم على اقل تقدير . هل يناسبك ذلك ؟
- نعم ، لا بأس .
- والتفت عند الباب فالتقى كارولين ما يزال تمضغ الطعام .
- وداعا .
- وداعا يا جيرارد .
- وتعمد الا يدعوها باسمها الاول « كارولين » فقد كان يحس بالتقييد وهو امام المس كوينسي .
- وقال عندما بلغ الباب الخارجي :
- اصغي ، يئنابنى شعور بالذنب حول ذلك . . .
- حول ماذا ؟
- حول قدمي والنهام طعامك . لا اريدك ان تحسني باني . . . على كل حال ، تعرفين قصدي . . .
- يا للهراء . انك لا تثقل علي . سجد دائما ماكلا ومنربا في اى وقت تعود . لا تسعر بالانم .
- وقال :
- قد ادعوك لتناول وجبة في احد المحلات يوما ما .
- وابتسمت وهزت كفيها ، ثم واجهت عينيه فجأة ، وصعد الى وجنتيها لون باهت وقال باقنضاب :
- حسنا ، يمكننا ان نتحدث عن ذلك .
- وامسك بيدها .
- الى اللقاء .

- الى اللقاء يا جيرارد .
- ولشد ما ادهشه أنها اخذت يده بكتنا يديها واعتصرتها . واستدار
- مسرعا وانطلق عابرا الممر .
- وقالت له :
- هل ترى طريقك جيدا ؟
- اجل . اشكرك .
- وابلعه الظلام . وانصفق الباب خلفه .

الفصل الخامس

واسنسلمت له حالا ، ولم تبد ايه ذهسة . ولما حاول ان يدفع بها الى الحلف على الاريكة ، ابعده عنها بلطف وقالت: ليس هنا . ففد يدخل الغرفة احد . وابنسمت واومات براسها الى غرفة النوم . وابندأت ، قبل ان تدخل باب الغره ، تنزع عنها بذلها . فصفق الباب خلفه واقفله . وقال والسعادة بسادية عليه :

— رباه ، لك جسم ناضر !

وسمع احدا يطرق باب الغره بعنف . وادهتته ذلك ، فقبل لحظة واحدة لم يكن في تلك الغرفة احد . وارتسم عليها الرعب ، ومدت يدها لنتشل رداءها الداخلي الذي كانت قد اقلت به على السرير . وطرق الباب ثانية . فقال سورم :

— لا تعيري الطرق اهتماما . فلنسرع .

ولكن الطرق على الباب اشتد العاحا ، وسمع صوتا يهتف : نداء تلفوني لك ...

وذهب الحلم . استيقظ سورم واعتدل في الفراش والنعاس لم يزل عالقا به ، ونظر الى ساعته . ثم صاح :

— اشكرك جدا .

وتلاشى وقع اقدام كارلوتة وهي نهبط السلم . فارتدى الروب ودس قدميه في نعليه . لقد ذهب الحلم في عالم الخيال ونسيه تماما قبل ان يتمكن من استعادة تفاصيله .

وكان الباب الخارجى مفتوحا على مصراعيه ، فاغلقه سورم قبل ان يلتقط سماعة التلفون . وسأل صوت عاملة البدالة : المستر سورم ؟

— يتكلم .

— نداء خاص من سويسرا .

- فقال :
- اللعنة ! مرة أخرى ؟
- ماذا قلت ؟
- لا شيء . ضعيني على الخط رجاء .
- جيرارد . اهـذا انت ؟
- نعم .
- هل ذهبت ؟
- فترك سورم نبذة الامتعاض تبدو واضحة في صوته وقال :
- كلا . لقد استيقظت من النوم توا .
- اوه . آسف جدا . هل أيقظتك ؟
- نعم ، لا تغنم . هل هذا ما طلبتني من اجله ؟
- كان سورم في غير هذه الحالة مستعدا للاعتذار عن المضايقة التي قد يسببها للآخرين عفوا ، ولكن النعاس كان قد كدره قليلا . وقال نن :
- هل يمكنك سماعي جيدا ؟
- نعم . على احسن ما يكون .
- جيرارد ... ارجو ان تسدي لى معروفا . هل تفعل ذلك ؟
- نعم . ولكن ما هو ؟
- ارجوك ان تذهب الى غرفنى وتأخذ منها شيئا لى ؟ خذ السى
- غرفتك . ها ؟
- طيب . ولكن هل سبدعنى البواب ادخل .
- نعم ولكن ليست غرفتي الاعتيادية ... انا لا اتحدث عن شقتي .
- اريدك ان تذهب الى عنوان اخر . هل لديك قلم ؟
- وتحسس جيبه فوجد قلم الحبر الجاف الذي يحتفظ به دائما هناك . ولم يكن معه دوسر العناوين ، ولكنه وجد غلاف علبة شوكلاتة ، فمزقه وفتححه :
- حسنا . لدي فلم . استمر .
- العنوان هو ٢٣ كاننغ بليس . اى فى كينسنغتن ، بالقرب من بالاس
- كيت . هل تعرف المكان ؟
- نعم . ثلاثة وعشرين . ماذا تريدنى ان افعل ؟
- هناك رجل يدعى فانيت ، هو المسؤول عن البيت . وهو صديق لى .
- اسأل عنه ، وهو الذي سيدخلك غرفتي .
- هل يفعل ذلك ؟
- نعم . ساكلمه تلفونيا الان .

- حسنا . وماذا بعدئذ ؟
- عندما تدخل الغرفة ، تجد بعض الملابس في زاوية بالقرب من المدفأة ، فأحزمها كلها في كيس وخذها معك الى المنزل . ولكن لاتدع جيرالد فانيت يراك . تأكد من انه لا يكون معك في الغرفة . ومهما تفعل ، فلا تخبره بسبب دخولك الغرفة . سأخبره بانك ستدخل لتبحث عن عنوان ما تركته انسا هناك . مفهوم ؟
- نعم ولكن لم هذا التستر ؟
- سأشرح لك فيما بعد . احتفظ بالملابس في غرفتك ولا تخبر احدا .
- حسنا . شيء اخر ؟
- نعم . قد تجد بعض الكتب ملقاة هنا وهناك في الغرفة ، فالتقطها وضعها بانية على الرفوف ، ها ؟ وتأكد من ان فانيت لا يراقبك . اجلس هناك ، وهيء لنفسك الراحة كأنك سنقضي نصف النهار هناك . هلا فعلت ذلك ؟
- حسنا .
- ثم استأجر سيارة ناكسي ، وسأعطيك النقود عندما اعود ، او الافضل ان تتصل بسيارة سلفر للاجرة ، واذكر لهم رقم حساني عندهم . وهو ٧٢٣ . اطلب رجلا يدعى جاكبي .
- لا بهم ، سأستخدم دراجتي .
- لا، ابدأ . اطلب سيارة تاكسي بالتلفون . فلن اشعر بالارتياح اذا لم تفعل ذلك . أرجوك .
- حسنا .
- اسمع يا جيرارد . يؤسفني ان ازعجك . ولكن ليس هناك من اسق به غيرك . لا تنس . أرجوك الا تذكر شيئاً لاحد — وبالاخص لفانيت . ها ؟
- كلا . حسنا . وهل لا زلت تريد ان ابعت اليك بالبرقية ؟
- نعم أرجوك . ان استطعت .
- منى اراك نانية ؟
- غدا من المحنمل . لست واقفا ، ولكن من المحنمل .
- طيب ، يا اوسن . امل ان اراك . . .
- وقابلته كارلوتة على السلم وقالت :
- يجب ان يكون صديقك غنيا جدا لبكلمك من سويسرا .
- انه غني فعلا ، وغريب الاطوار ايضا .
- ولما صار في غرفته اشعل النار الغازية ووضع عليها ابريق الماء ليسخن . وعاد الى فراشه الذي لم يزل دافئا واخذ بصفي الى وشوشة الغاز ، وازيز

الماء . واغلق عينيه وطفق يفكر في اوستن - انسان واسع النراء ، لديه من المال اكثر مما لديه من العقل . يبدو انه يسبب الكثير من المضايقات . اعجب لهذا التستر المفرط ؟ لا يمكنني الحكم بنسب . للشاذين آراء غريبة . ربما يريد ان يخفي عن الناس شذوذه . لا يحتمل ذلك . فاكترهم يعلنون عن شذوذهم . ايتق بي ؟ لماذا ؟ ربما لانني لا اعرف احدا في دائرة معارفه .

وذابت افكاره هذه فيما بنسبه الحلم ورأى اوستن مستلقيا خلف حاجز صخري على قمة جبل ، وكان يسير باصبعه الى بيت في الوادي ويقول : « لا تظهر نفسك ، فله عينان باقتنا البصر . استلق باستقامة . » وكانا فسي سوسرا : وكانت تربض خلفها على هضبة صغيرة طائرة اوستن . كانت الطائرة تبدو مثل الـ (سبنفاير) التي رآها يوما بالقرب من بوابة مخيم القوة الجوية عندما كان يربط هناك اثناء الخدمة العسكرية .

واستيقظ من نومه فوجد الماء يغلي في الابريق . واعد الناي ثم عاد الى الفراش نائية لينسبه ، وهو يرتدي الروب . ومديده وتناول اقرب كتاب في المكتبة فكان كتاب (محاكمة جورج تسابمان) واخذ يحتسي الناي ويدفعه فضول مريض للتحديق في صورة الشخص الذي يدس السم والذي تحركه الميول السادية ، ذى الفك الكبير والعينين الغائرتين ، والوجه الذي يلوح كثير النسب .

* * *

وسال سائق التاكسي :

- هل انت جاكبي ؟

- نعم ، يا سيدي ، ولكنك لست المستر ن !

- كلا ، انا لست المستر ن ، ولكنه اتصل بي تلفونيا من سويسرا منذ ساعة وطلب مني ان اقوم ببعض المهام له . هل تعرف عنوانه ؟

- صحيح . يا سيدي ، ولكن ليس من المناسب ان آخذك وانك لست المستر ن . فالحساب حسابه ، و . . .

- اعلم ذلك ، ولكنه في سويسرا ، وقد اتصل بي قبل لحظة . واعطاني رقم الحساب .

- نعم ، ولكني لا اعرف شيئا عن ذلك .

فقال سورم بامتعاض :

- طلب مني ان اسألك انت بالذات لانك لا تصعب الامور !

فاكفهر وجه الرجل وقال :

- حسنا ، ادخل ، سأغامر في القضية .

ودخل سورم السيارة وهو يستم بصوت غير مسموع . فقد غضب واحس بالاهانة لانه كان موضع شك . غير انه اخذ يشعر بتحسن عندما تحركت السيارة . فهو يركب الناكسي لاول مرة منذ مدة طويلة ، وغمره شعور بعدم الاكتراث والاسرخاء . ووضع قدميه على الحقيبة الجلدية التي جلبها معه ليضع فيها ملابس اوسنن ، واخذ يطلع باسماع الى السيارات العابرة . وتذكر كارولين ، وشعر نانية بالرضى والسرور بنفسه . لا يحدث له هذا الاحساس مرارا ، فان ما يصاحب كل شيء يفكر فيه من النفذ الذاتي والتحليل يجعل هذه اللحظات نادرة الوقوع . وكانت افكاره تعتمد على المنطق والكلمات ، كالكتابة او المخاطبة النلقائية - ولا يلعب الحدس في عملياته العقلية دورا يذكر . وكان عندما يحس بالعب ، يمقت في نفسه هذا الاتجاه للحوار الذهني الذي يجري في نفسه ، ولكن لم تكن له القدرة على ايقافه . وراح يفكر وقد طفى عليه شعور بالفرح : حاولت ان اتجنب التعقيدات ولكنها تقبل علي مع هذا ، ولقد حاولت ان ابسط حياتي ، ان اركز على الشيء الوحيد المهم فيها ، ولكن البساطة تحطم قدرتي على التركيز . والان تحدث امور يجب ان تزيد الموقف تعقيدا وسوءا ولكني عوضا عن ذلك اسمر بالثقة .

واحس بالخيبة عندما وقف الناكسي مقابل محطة شارع غرت يورتلاند .
وسال السائق :

- هذا كل ما في الامر ؟

- كلا . فلدي مهمتان اخربان الانتظر ؟

فقال السائق باستسلام :

- سمعيا سيدي .

وهرع رجل يرتدي بزة حمراء لاستقباله حالما دخل من الباب الدوارة الى الصالة .

- اي مساعدة يا سيدي ؟

فقال سورم :

- انعمت صباحا . طلب مني المستر ن ان آتي لانهحقق اذا كانت وصلته

اية وسائل .

واخذ الرجل يتصرف باحترام اكثر الى حد ملحوظ .

- انتظر لحظة يا سيدي . ساسال فتاة البدالة . لن اجعلك تنتظر

طويلا يا سيدي .

— اشكرك .

ثم التفت الرجل وهو يبعد مسرعا وقال :

— هل تفضلت بالجلوس با سدي ؟

— اشكرك .

كانت الكراسي وبره مريحه ، كذلك الى براها عاده في صالات الفنادق . وكان في الاصبص الذي يحوي على سعف النخل بالقرب من الكرسي كبير من اعقاب السكاير ملفاه فيه . واخذ يراف ، وهو في مجلسه ، المصعد وهو يهبط ، والرجل العجور ذا السارب الابيض والفاة الصغيره التي ترسدى العراء اللذين خرجا منه . وكانا يسيران برسافة واتزان غير منكلفين ، لعلهما كانا بسبب عدم حاجتهما الى التفكير في النقود . ولم يكن سورم يشعر بالحسد في تأمله لهما ، كان يشعر بجاههما بالمودة ، كأنهما ملكه . وسعر نأسه لم تكن هناك أي حاجز يقوم بينهما وبينه ، على العكس ، فقد خامره احساس غريب بالامتيار عليهما . واخذت الفاه ذراع الرجل العجور وضغطت عليها . فأخذ سورم يفكر : هي اما عسبفه او اننه ، او ربما حقدته . وما انفسك ينظر اليهما بسىء من المودة فيما كانا يمران به ويخرجان من الباب الدوارة . ثم حول اهمامه الى صورته في المرآة المقابله له . وانابه شعور طففس بالدهسة لانه لم يشعر بالفرة من الطريره التي كان يعبس بها نسن . وراح يأمل في ذلك الشعور ، وادرك انه يسند الى امانه بنفسه وبقته بقواه اللذين يكمنان في نفسه ولا يخرجان الى عقله الواعي الا نادرا . وابسم لهذا الشعور في نفسه وقال بصوت خافت : اوهام الشعور بالعظمة ، واعراض واضحه لمرض البارابونا ؟ يجب وصع المريض سورم نحت المراقبة .

وعاد الرجل وقال :

— لدي بعض اسماء الدس اتصلوا بلعونا وطلبون الاتصال بهم .

— اسكر . لا نىء اخر ؟ لم ناب احد ليسأل عنه ؟

— يسأل عنه ؟ كلا با سدى . لم ، با سدى ، هل انه يوقع قدوم احد ؟

— اعتقد ذلك . لا بهم على كل حال . اعطى الاسماء . سسصل بسى

هذا المساء من سوبسرا .

— بالتأكد ، با سدى ، تقوم الفاه باسنساخها الان . لن تناخر كسرا .

— شكسرا .

واجاز الفرة ووقف امام المرآة ليطر الى نفسه عن كب . كسان السريطان الجلديان اللدان يحبطان بطرفي كمي سرنه ببران من تحت رذني المعطف . وكان سرواله الرمادى الخس بدلى كزوج من الاكياس ، وكانت

حافة احد الجزئين مقلوبة الى الاسفل . وقال في نفسه يجب ان اقتني المزيد من السراويل وان اخلق شعري . ابدو في حالة يرثى لها .
وفي التاكسي ، اخذ يتأمل قصاصتي الورق اللتين كب في اول كل منهما « نداءات تلفونية » . كانت النداءات مكتوبة بخط أنيق بقلم حبر جاف، وكانت عناوينها تبدأ منذ يوم الجمعة . « ارجو الاتصال تلفونيا بالمستر بومونت قبل العاشرة من مساء هذا اليوم » . « لن يتمكن المسر دينيس من العشاء مع المسر نين يوم الاربعاء » . وراح يقرأها جميعا طوى الورقتين ووضعهما في محفظته . ولم يصف ذلك شيئا جديدا الى معلوماته من نين . بل انه صار موضع اهتمامه وفضوله اكبر فأكثر .

وعند مروره بدائرة بريد نوتنغ هيل كيت تذكر البرقية ، فنقر على الزجاجاة وطلب من السائق الوقوف عند دائره البريد الاخرى . ونسي ما طلب منه نين ان يذكره في البرقية ، وبعد ان فكر في الامر قرر ان يكتب في البرقية :
لم يسأل عنك احد ، وديله بنوقيعه : جيرارد .
وسأل السائق :

- ما هو الرقم يا سيدي ؟
- هل هذا المكان كانغ بليس ؟
- نعم .
- ارجو السير حتى نهاية الشارع وانتظرنى هناك . لن اتأخر اكثر من عشر دقائق .
- نهاية الشارع ؟ حسنا .
- ولاحظ دهشة السائق ، وكاد ان يسرح له الامر ، ولكنه غضب لارتباكته الشديد ، وقال في نفسه ان ذلك لم يكن من شأن هذا الرجل على اية حال . وترجل من السيارة وهو يقول :
- بعد ذلك سأعود الى كامدن تاون .
- سأبقي العداد مفتوحا ، يا سيدي .
- افعل ما شئت .

كان المسكن رقم ٢٣ في منتصف المسافة بين رأسي الشارع . كان بيتا عاليا من الطراز الكوري امامه عدد من الدرجات نقود الى الباب الامامي . وعندما ضغط على الرر الذي كانت تحته رقعة كب عليها « فانيت » ، تكلم صوت رجالي من خلف نافذة مستديرة ذات شبكة سلكية فوق لوحة الازرار :

- هلو . ممن القادم ؟
- فاجاب سورم موجها كلامه باتجاه النافذة :

- اسمي سورم . طلب مني اوستن نن القدوم .
 - اوه . نعم .
 وفتح الباب بقرقعة ، وقال الصوت :
 - الباب الباني على يمينك .
 ودخل سورم الرواق الذي كان ردىء الاضاءة ، واغلق الباب خلفه .
 كتب على الباب بحروف بيضاء من البلاستيك : جيرالد فانيت . وعندما طرق
 الباب هتف الصوت :
 - ادخل .
 كان الرجل يهم بالنهوض من كرسي مريح عندما دخل سورم . وكان
 اقصر من سورم بست بوصات . كان مرتديا قميصا اخضر متهذلا وملفوعة
 حربية . وكان سرواله الصوفي مكويا مثل حد السكين .
 - حسنا ، يسرني ان اتعرف عليك ! انت مستر سورم . اتصل بي
 اوسنن قبل ساعة . هل لك في شيء تسريه ؟
 كان صوته حادا ذا نبرة عالية . وقال سورم بنردد ، وهو يفكر في
 التاكسي الذي ينتظره :
 - اشكرك على اللطف .
 - هل انت على عجل ؟ قال اوستن انك قد تمكث هنا ساعة او ساعتين .
 هل هناك تاكسي ينتظرك ؟
 كان سورم على وشك ان يجيب بالايجاب . ولكنه تذكر تأكيد نن على
 سرية القضية . فقال بسرعة :
 - كلا . لست على عجل .
 - عظيم . فاجلس اذن . اختنى ان تكون الغرفة في حالة تعسة .
 استبقت اليوم متأخرا ، فقد اقمنا حفلة ليلة امس . ماذا تشرب ؟ وسكي ام
 جن ام مارتيني ؟ ليس لدى لسوء الحظ فير هذه الانواع ما عدا بعض النبيذ .
 - جن ومارتيني اذن ، رجاء .
 - مركز ام مخفف ؟
 وكانت حرارة الغرفة خانقة ، كانت هناك مدفأتان تشتعلان . كانت
 الغرفة التي تجمع بين غرفتي النوم والجلوس واسعة مريحة . وكان بساط
 الغرفة ذا لون بني صرف فاتح ، يبدو نظيفا جدا . لم يكن في الغرفة ما يشير
 الى قيام حفلة او عدم الترتيب الذي يقترون بالنهوض المتأخر . وتناول سورم
 قذح الجن والمارتيني الايطالي ، وجلس على السرير . اما فانيت فتمدد على
 قطعة من الاثاث تجمع بين الكرسي ذي المساند والديوان وكانت ذات انحناءات

نناسب الجسم . وابسم لسورم وهو يرفع القدح ، ثم رشف الشراب كأنه
يسرب نخب سر منسرك بينهما . وقال :
- اقول ، ليس من عادة اوسن ان يبعث اصدفاه للتعرف علي . انت
صديق جديد نوعا ما ، صحيح ؟
فقال سورم ؟
- تقريبا .

وكرر فائيت عن ابسامه واخذ رشفة اخرى من الويسكي ، كأنه يعني ان
حذره لا يحتاج الى أسئلة اخرى . وقال برقة :
- اني القى بجميع اصدقاء اوسن عاجلا او آجلا . اين التقيت به ؟
في « البلايكا » ؟

- كلا . ما هي البلايكا ؟
- اه ، اذن ، انت لم تلق به منذ مدة طويلة ! سرى البلايكا قريبا ،
ولا رب . اوه ، هي . . على كل حال ، . . . انها ناد .
وابسم من فوق قدحه . وقال سورم :
- جيد ، اتمنى ان اقصد المكان يوما .
- ينبغي ان تذهب هناك غدا . الاربعاء ليلة عظيمة . اشهر من يقلد
النساء في العالم ! يا الهى !
نطق عبارته هذه بلهجة عامية خلال انفه ، وهو يحرك يده من الرسغ .
فقال سورم :

- سأطلب من اوستن الذهاب ، اذا عاد .
- هل تتوقع عودته ؟
- لست متأكدا .
ورمقته عينان زرقاوان بنظرة نافذة فترة قصيرة ثم انخفضتا خجلا ،
وقال فائيت :
- طب ، اذا رغبت في الذهاب ، واذا لم يرجع اوستن ، استطيع انسا
ان اذهب بك .
- اشكرك جدا ، ولكني اسطيع ان اراه في وقت اخر .

- هذا ما تعتقده انت ! هل تظن انهم يقومون به في كل اسبوع ؟ عليهم
ان يدبروا الامر اولاً ، ثم يبنون كلمة السر فيما بينهم ، لكي لا تسمع الشرطة
ونداهمهم . الا تفهم ، يا عزيزي ؟ ارجو الا يزعجك ان ادعوك عزيزي ، والكلمة
لا تعني شئاً مطلقاً . . . فاذا رغبت في مساهدة العرض ، سأكون مسرورا . . .
فاخرج سورم حنجرة واوماً براسه دون ان يربط نفسه بموعد . وراح

- فانبت يحدق في قدحه ونظرانه ترنو :
- هل اوسن في سويسرا وحده ؟
- حسب ما اعلم نعم . لماذا ؟
- اوه ، ارجو الا اكون متطفلا . ولكنه كان قد وضع عينيه على الكلبة صغيرة تشبه في البلابكا يوم الجمعة .
- فقال سورم :
- يوم الجمعة .
- اجل ... لماذا ؟ كان يوم الجمعة ؟ نعم ، اذكر ذلك .
- وقال سورم شارحا :
- كنت معه مساء الجمعة . ولكنه تركني قبل منتصف الليل .
- اوه ، كان ذلك بعد منتصف الليل بوقت ليس بالقصير . كانت نظراته شاردة ... هل لك في سيكارة ؟
- كلا شكرا . قل لي ، هل البيت لك ؟
- نعم ، لماذا ؟ هل تبحث عن غرفة ؟
- وللمرة الثانية كانت نظراته خجولة ذات معنى . وانهى سورم قلدح المارتيني . وقال :
- لقد انتقلت قبل ايام قليلة الى غرفة جديدة في كامدن تاون . ولكن بيتك يبدو مهيبا ، بكل هذه التسهيلات .
- اشكرك . انك لتمس وترا حساسا . اني اعتز بهذا البيت . — لدي منزلان اخران في هاينيت واسلنغن ولكن قلبي متعلق بـ « ٢٣ كانغ بليس » .
- المزيد من الشراب ؟
- كلا ، شكرا . ينبغي ان ابدأ بالعمل .
- وعرف سورم بغيرته ان قدحا من الشراب يعني ساعة اخرى من الحديث .
- كلا . انك على حق . فلن تستطيع بعدئذ ان تقوم بدراساتك .
- ودوى ازيز جرس في الغرفة ، جعل سورم ينفز . والنقط فانيت سماعة صغيرة كانت بالقرب من الكرسي وضغط على زر . وقال بوقاحة :
- اغرب عني . لدي زائر .
- وابتسم لسورم ، وضغط على الزر ثانية . وشكا صوت قائلا :
- لا اريد ان انتزعك من الفراش . اريد فرانكي .
- انه غير موجود . لقد خرج منذ ساعات .
- وسأل الصوت الصادر من السماعة :
- متى ؟

- منى ؟ لا تسألني . انا لست امه . خرج منذ ساعات . هل تريد الدخول لتشرب معنا ؟
- كلا ، شكرا ! ليس بعد ما حدث ! عليه ان يقابل هذا المخرج حالا .
الا نعلم ... ؟
- نعم . جرب الثقة رقم ٧ — مي ديلي .
- اوه ، ايها النفل الاخرق . لم لم نقل لي ذلك ؟
واماد فانيت السماعه وقال :
- ما انفع هذه الاشياء ! انها توفر التعب على قدمي الشائختين . فكيف بالنسبة للشخص الذي يسكن الطابق العلوي اين كنا ؟
- كنت نقول شيئا عن دراساتي . لم افهم قصدك تماما . .
- اوه ، نعم . قال لي اوستن ان اتركك في غرفته لتقوم بدراسة او شيء اخر .
- سوف لن امكث طويلا هناك . هناك شيء اريد ان ابحث عنه .
- اوه ، لسوء الحظ . كنت اود لو تبقى معي وقت الغداء .
- كلا ، يجب ان اعود .
- وقام على قدميه ليؤكد عزمه على الرحيل . ورفع فانيت نفسه من الكرسي المنحني وهو يبدي الاسف ، وقال :
- حسنا ، ما دمت ملزما بالذهاب .
- وخشي سورم ان يكون قد جرح احساس الرجل ، ولكن الابتسامه الودية التي نطقت بها اسارير فانيت وهو يفتح الباب طمأنته ، حيث قال :
- اود ان اراك ثانية . واذا كنت تريد غرفة ...
- وتقدم سورم عبر القاعة وفتح الباب الامامي . فسأل سورم :
- وماذا عن شقة سورم ؟ فقال فانيت :
- انها في السرداب .
- ولمح سورم بريقا من السرور في عيني فانيت ، وادرك ان فانيت كان يدفعه الفضول لمعرفة هل ان سورم زار المكان قبلا . وتبعه سورم خارجا الى الشارع وخلال الباب الخارجي الى سياج البيت . واطل سورم بنظره الى نهاية الشارع فوجد التاكسي لم يزل ينتظر . وقال فانيت :
- ان الشقة قائمة بذاتها لا يمكنك دخولها من البيت .
- ارى ذلك .
- وفتح فانيت الباب الامامي . وهاجمت انفيهما على الفور رائحة عطرية فتعرف عليها سورم في الحال : كانت عطر المتسوكو السذي شمه في معرض

دياغيليف .

– بفضل بالدخول . الباب على يسارك .
 – كانت الغرفة سببح في ظلام كثيف . فاخذ سورم يتلمس حوائه
 بحا من زر الضياء . واستضاء مصباح وردى فاتح ، كشف عن غرفة تشبه
 غرفة فانيت ، للنوم والجلوس . وكانت رائحة النبع الحاد تملأ الهواء . وجمال
 سورم ببصره في زوايا الغرفة فلم يعثر على الملابس . فوضع الكيس الجلدي
 على الطاولة . وقال فانيت :
 – ذلك هو المكان . هنالك غرفه اخرى تدخلها من هنا . سأتارك الان ،
 وياكد من انك اوصدت الباب عندما تغادر . منع نفسك .
 – اشكرك .

ومد فانيت يديه ، وقال برقة تكاد تكون توسلا :
 – اذا كنت ترغب في قدح اخر ، ولقمة من الطعام ، فتعال الى غرفتي
 بعد ان تغادر هذه .

فقال سورم بشعور من عدم الارياح :
 – اشكرك . ولكن لا اظنني قادما هذه المرة . ربما في يوم اخر ...
 – وداعا انا لا اعرف حتى اسمك الاول .
 – جيرارد .
 – انه يشبه اسمي – جيرالد ! هـ ، حسنا ، وداعا يا جيرارد !
 – وداعا وشكرا للشراب .
 – زرني مرة اخرى .

وانغلق الباب الامامي بضجيج . واجتاز سورم الغرفة حالا وفسح
 الساب الاخرى . واشندت فجأة رائحة عطر المتسوكو . وفتح المصباح ،
 فاشتعلت اربعة مصابيح جدارية ملأت الغرفة بوهج ازرق .
 كانت اصفر من الغرفة الاولى . وكانت الجدران تكاد تكون مخفية
 تماما خلف ستائر من القטיפه تمتد من الارضية الى السقف . كانت
 الستائر سوداء ، اما البساط والديوان فكان لونهما احمر وشعر فجأة
 بالامتنان لان فانيت تركه لوحده ، فقد ازاح ذلك عنه عبء التعليق على
 الغرفة . وجلس على الديوان وطفق يجيل ناظريه حوله . كان جو الغرفة
 يسحره ويقرفه في نفس الوقت . ورفع نظره الى السقف فالفاه مطليا
 باللون الازرق الداكن . ونهض ليتفرس عن كتب في الصورة التي كانت على
 الجدار بين كل ستارة واخرى . كانت هناك لوحتان لغوغان ، تبدوان كالاصل
 او كنسخة حاذقة . وعلى جانبي هانين اللوحتين كانت هناك اربع صور

خليعة تحمل بوايع او عناوين بالصينية او اليابانية . كانت تلوح هذه الصور مرسومة بفرشاة دقيقة مغموسة بالحبر الصيني ، وتبين رجلا عملاقا عاري الجسد ، ذا عضو نناسلي كبير نسبيا ، نزل من عوامة على ساحل البحر ليقابل جمهورا من الفيد هرمن متضاحكات لاستقباله . وكانت الصورة الاخرى تظهر نفس الرجل يغادر الجريدة ، كسيرا ذابلا ، بينهما النساء يمزقن شعورهن ويندين . اما الصورتان الاخريان فتظهران نفس الرجل وهو يقوم بحركات رياضية عنيفة : في الاولى يحطم وعاء نحاسيا بعضوه الضخم ، وفي الثانية يسوق عصا به من فطاع الطرق باستعماله عضوه هراوة . ولاحظ ان الصور الاربعة تحمل في الزاوية السفلى اليسرى الحرفين الصغيرين : ١. غ .

وفتح باب المكتبة الزجاجي ، فوجد الرف الاسفل محصا لمؤلفات الماركيز دي ساد . وسحب الجزء المعنون (مائة وعشرون يوما في سدوم) . فوجد ان الصفحة الاولى لا تحمل اسم الناصر . اما الرفوف الاخرى فكانت تحوي على مجلدات بالفرنسية والالمانية مجلدة كلها باغلقة زرقاء عليها حروف فضية ، ونسخ من مطبوعات محدودة لمؤلفات بترونيوس وابوليوس وسافو ، وكلها تعج بالصور . اما الرف الاعلى فكان يحوي على كتب في الطب وعلم النفس من مؤلفات بلوخ وستيكل وكرافت - اينغ وهرسفيلد . وكانت الكتب الفرنسية والالمانية تلوح معظمها لمؤلفي القرن التاسع عشر الرومانسيين . وفتح مجلدا للمؤلف لوتريامون ، كان يعلوه غبار كثيف وبعض صفحاته غير مقطوعة .

وعاد الى الفرفة الاخرى واخذ يتفحص ابوابها . كانت احداها للدولاب الملابس ، والاخرى تؤدي الى مطبخ واسع كان كل شيء فيه يلوح جديدا ، رغم انه بعد ان نظر اليه عن قرب ادرك من الغبار المستقر عليه ان احدا لم يستخدمه منذ زمن بعيد . وعلى الجانب الاخر من المطبخ ، كانت غرفة الحمام ، التي كان عبير المتسوكو فيها طاغيا ، كان العبير ينبعث من حوض الحمام حيث كانت فيه نظايا قنينة كبيرة . وفتح صنبور الماء ، فتدفق بعد قليل ماء حار ، فانتسرت حوله سحب من البخار المعطر . واستنتج من حجم نظايا القنينة انها كانت تسع اكثر من نصف لتر .

وتناهى اليه من مكان ما فوق راسه صوت تلفون ، فتذكر السبب الذي جاء من اجله الى غرفة ن . فاغلق صنبور الماء وعاد الى غرفة النوم . ولاول وهلة ، لم يعصر على ما يدله على الملابس التي ذكرها ن . فحاول ان يفتش عنها خلف السنائر ، فوجدها في الحال . كانت ملقاة قرب المدفاة

لثني كانت مسدودة بلوحة حنسية سوداء . كان في اعلى الكومة زوج من حواري نسائية . كانت الكومة ، كما لاح له ، عدة نسائية كاملة . فادهسه س ، حب كان يتوقع ان يكون هذه ملابس زن الخاصة .

وفتح الحقيبة الجلدية وحاول ان يدس الملابس كلها فيها . ولكنها ست كومة ضخمة ، كان عليه ان يطويها واحدة واحدة ويضعها في الحقيبة . ست الملابس تتألف من معطف للمطر ذي بطانة ممزقة ، ونورة زرقاء رنة . وكان الجوارب من النايلون الجيد ولكن بقيه الملابس الداخلية ست على ما يظهر غير جديدة . وكان هنالك زوج من الاحذية من الجوخ سود ، وقد كسر كعب احدهما وفعد . فحزم الاحذية هذه في قمة الكومة وطبق الحقيبة .

وضايفه ان يذكر التاكسي الذي ينتظره ، فلم يكن يرغب في مفارده سعة فورا . فخرج اخيرا ، وطلب من صاحب التاكسي الانصراف فائلا انه ان عليه ان يتأخر اكثر . واحس بالندم وهو يرى السيارة تبتعد ، ولكن ندم سرعان ما تحول الى شعور بالانسياط والارياح عندما اغلق الباب لمامية خلفه . واورسته احساسه النائرة شعورا بان هناك شيئا يعوم في احتائه .

وعندما دخل غرفة الجلوس اشعل النار الكهربائية ، وجثا على ركبتيه ليدفئ نفسه قليلا . ثم توجه الى الدولاب وفتحه فوجده يحتوي على صف من قناني المشروبات اكثرها مملوء او حتى النصف . واخرج الزجاجات ، الواحدة تلو الاخرى ، وهو يحس انه سيقضي النهار كله هنا ، ثم اخذ يشمها . واستطاع ان يميز بعضها ، غير ان معظمها لم يكن قد سمع بها ، او انه رآها فقط منظومه على الرفوف في البارات . ووجد في دولاب اخر رفا مصطفى عليه الاقداح ، فناول عددا منها وصفها على الطاولة واخذ يسكب فيلا من الخمر في كل منها . وسحب كرسيه بالقرب من الدولاب ومضى موق كلا منها على التوالي - كافالدوس ، شارترين ، بينيدكتاين ، شراب لانيسون ، مارتين ، الاش . كان بعضها حسن المذاق مما جعله يصيب ثريد منها . وادرك بعد عشر دقائق ان السكر اخذ يداعبه . وكانت هناك رجاجات لم يدقها بعد ، ولكنه قرر ان يدعها الى ما بعد قليل . واخذت الحرارة تنتشر في جو الغرفة فخلع سترته والقي بها على احد الكراسي . وقال بصوت عال : ايها النفل المحظوظ ، يا اوستن . ثم عاد الى الغرفة الاولى وابهجه برودها النسبية .

وسحب الستائر فوجدها تنحرك على عجلات صغيرة ، ويمكن عند الحاجة أن تغطي جدران الغرفة بأكملها . وسحبها كلها وجمعها في زوايا الغرفة ، فلم تتغير هيئة الجدار كبيرا ، لأنه كان مطليا بالسواد أيضا . وكانت هناك في الزاوية باب مطلية باللون الاسود أيضا . وكان فراغ الشباك مسدودا أيضا مثل المدفأة بلوحة خشبية ، فكان يبدو من الجانب الآخر من الغرفة كأنه استمرار للجدار .

وكانت هناك لوحان زيتيتان معلقتان على احد جدران الغرفة الذي كان مغطى باجمعه بالستائر . كانت الصورة الاولى لرجل في ملابس السهرة يسير في شارع مزدحم ويقود خنزيرا مربوطا بشريط ازرق ، وفي وسط جبينه عين كبيرة . اما الثانية فكانت لرجل يرتدي قميصا وهو مسنلق على ظهره تحت شجرة تفاح في ضوء القمر . كانت الشجرة وفاكهتها مرسومة بالوان غامقة خضراء وحمراء وزرقاء ، كانت ضبابية شاعرية لا تنسجم والانسان الاصفر الراقد تحت الشجرة . وقد كتب عنوانا للصورتين باصباغ الزيت في اسفل الصورة الاولى باللغة الفرنسية: « الغرامبات الصفراء » ، والثانية بالانكليزية « صورة ذاتية في ضوء القمر » . وكانت كلتا الصورتين تحملان توقيع « غلاسب » ومؤرختان في عام ١٩٤٨ .

كان الباب الآخر يقود الى حجرة صغيرة ، كان جدارها الخلفي مغطى برفوف الكتب . وفتح الضياء ليلقي نظرة عليها فوجدها تافهة . كان هناك الكثير من المؤلفات في الادب الانكليزي ، ومجلدات اخرى حسبها سورم من كتب ن المدرسة . كانت هناك أيضا كتب للاطفال ، واخرج سورم واحدا منها لا على التعيين - « كتاب قصص للاطفال » فوجده يحمل توقيع اوستن ن ١٩٣٥ ، داخل الغلاف . ووجد نسخة مختصرة من كتاب (الفصن الذهبي) لغريزر قد اعطيت هدية مدرسية له في عام ١٩٤٠ ، ويبدو ان قارئ الكتاب كان قد قرأه بأكمله حيث انه كان يحمل اشارات بقلم الرصاص . وقد انفتح الكتاب من تلقائه في احدى الصفحات في بدايته بينما كان سورم يتصفحه ، واقترب من الضياء ليقرأ الجزء المؤشر بالحبر الاحمر :

« أن فكرة الانسان الاله ، او الانسان الذي وهب القوى الالهية الخارقة للطبيعة ، ترجع في جوهرها الى مرحلة مبكرة من التاريخ الديني حيث ما زال الالهة والبشر ينظر اليهم باعتبارهم من صنف واحد . وقبل ان تفصل بينهما هوة شاسعة ، انفتحت بينهما بعد مراحل من التفكير

المتأخر .

وحمل الكتاب معه الى غرفة النوم ، وجلس على الديوان ليقرأ فيه .
واحس بوجود نين يهيمن عليه بصورة غريبة . ورفع رأسه بهزة عنيفة
كأنه يوقع ان يرى نين واقفا في عتبة الباب ينظر اليه ، ثم قال بصوت
عال : انا الامس واليوم والغد ، واني املك القدرة على ان اولد ثانية . ولطف
صوته من التوتر الذي كان يحس به ، ولكنه خلف وراءه شئاً من الاضطراب
الذي حيره وشعر وكأن شئاً كريها يوشك ان يقع ، شعور من يفيق
اثر كابوس . ثم وقع بصره على الحقيبة الجلدية بالقرب من المدفأة . وشعر
ان الاضطراب كان مقرنا بمنظر الملابس النسائية التي حزمها قبل قليل .
وعندما حاول ان يحلل هذا الشعور تذكر ان اوستن قد طلب منه ان يعيد
الى مكانه اي كتاب مفتوح يجده مبعترا . ولكنه لم يتذكر انه رأى كتابا كهذا .
واقطعه ذلك لسبب يجهله . وذهب الى الغرفة الاخرى ونظر حوله فلم
يجد شيئا . وذهب الى غرفة النوم وسحب جميع الستائر والقي نظيرة
بين الديوان والجدار . واخيرا ، رفع حافة غطاء الديوان . ونظر في
الجال الضيق بينه وبين الارض ، فعتري على كتاب مفتوح ، ملقى على وجهه
على البساط . كان عنوان الكتاب : (الاجرام ، ظروفه ووسائله) . وقلب
الكتاب فرأى صورة فوتوغرافية لامرأة مذبوحة من حنجرتها ، وقد كتب
تحتها : لاحظ الجروح على يديها المتسببة اثناء الدفاع عن النفس . فالتقى
الكتاب على السرير ، واحس بدوار ، وذهب الى المطبخ .

وهناك في المطبخ اصلح ضوء النهار من حالته النفسية ففتح صنبور
الماء ، وراح يحدق في الماء المنساب ، فسرع بالارتياح . لقد شعر بان
الغرفة التي تركها لم تكن طاهرة ، واحس بالنفور منها . كانت هذه هي
المرءة الاولى التي يرى فيها صورة لموت العنف ، واحس وكأنها افسدت
الهواء الذي كان يستنشقه باشمئزاز ظاهر . وشعر وكأنه اكتشف جثة
مقطعة الاوصال في دولا ب نين .

وما لبث يقنع نفسه بانه من السخف ان يسعر بالاشمئزاز وانسه لا
يحق له ان يصدمه منظر العنف . وبعد لاي ، عاد الى غرفة النوم وحمل
نفسه على التقاط الكتاب ثانية . فلم يكن للصورة الاثر الاول الذي احدثته
فيه . وجلس على السرير وهو يفتعل التسجاعة وراح يتطلع في الكتاب .
كان كتابا مدرسيا معززا بالوثائق الجيدة لاستعمال الشرطة الامريكية .
كان يحتوي على فصل كامل عن السيارات المسروقة وفيه صور فوتوغرافية
عن الاثار التي تتركها اطارات عجلات السيارات على الطين . وكان الفصل

الاحر يعالج موضوع طبع الاصابع وانا الاقدام . وكانت الفصول الاخيرة من الكتاب تلك التي تعالج اسباب الوفاة والنعر على الجنث ، هي التي تحتوي على صور العنف . والفي سورم نفسه يقلب صفحات الكتاب وقد اسنبد به توتر وكأنه كان يتهيأ للقى ضربة على جسده . وحمل نفسه على قراءة السروح المكنوبة تحت الصور قبل ان ينظر الى الصور نفسها . وبعد ان فرغ من تصفحه الكتاب اعاده الى الرف العلوي ، لضعه بين الكتب التي تبحث في الطب العدلي . وراح سورم ، وهو يقف على الدبوان ويسند الى الجدار ليحفظ توازنه ، يفتح بعض هذه الكتب ويلقى نظرات اليها . لم تعد تصدمه الصور ، ولكنه ظل يشعر بقل في معدته ناجم عن الاسمزاز الدائم . وعندما خفض نظره الى الرف الذي يلبه والذي يحوي على مؤلفات مالارميه ونرفال ودي ليل ادم وتوبنهاور ، اخذ يحس بنخطيه عالم الواقع . ولاح له ان هؤلاء الأشخاص لم يعرفوا شيئا عن حقيقة الموت عندما كتبوا ، وان تلك الصور قد ابرزت بطريقة ما هراء انفماس دى ساد وبودليير بالخطيئة .

واحس وهو في موقفه على السرير بعنمة في مساعره كاتقطاع الفلم السينمائي فجأة . وبفى لحظة ، وقد غمره احساس بعث وجوده . لقد عادت رؤيا السنت التي هبطت عليه يوم الاحد الفائت اثناء الليل . احس وكأنه يراقب شيئا لا قوة له عليه ، فارعبه هذا الاحساس . وجلس على الديوان . واخذ هذا الشعور بالزوال . فحاول ان يعيده وهو يشعر بقوة بان عليه ان يواجهه وان يطفي عليه ويفحصه . ولكن الشعور كان قد اختفى تماما .

وتنبه سورم الى برودة الغرفة . كان جالسا بحديق في الفراغ مقطب الجبين ، وهو يحاول ان يحلل الخوف . كان ذلك عسيرا عليه ، ولكنه كان وانقا بان لهذا الخوف علاقة بتميزه الذاتي . وانشأ ينأمل في الكلمات التي طافت في ذهنه وهو يقف على الديوان : العبث . الوجود الذي يفرض نفسه فرضا . وقال بصوت عال : ذلك لانه من الممكن ان اكون اي شخص او اي شيء ، او ان لا اكون ابدا . ولكنى اذا لم اكن ... انا . اننا اكون . انها تعني السيء نفسه .

وراح ينمنسى في الغرفة ، وهو يفكر بصوت عال ، كأنه يتحدث . كانت اشياء خداعة . انا . يخصني . ان الانا الشرعية لا تعترف بنسيء يخصها . كل شيء غريب عنها ، حتى الوجود . يجب ان اتخلى عن الوجود ايضا . لانني اذا كنت موجودا ، معناه اني وقعت في الفخ .

وبزغت في ذهنه فكرة جديدة: المحدودة . انا لا اريد الحدود . ان الحدود هي الغريبة عني . الكون ، المسافة ، الزمن ، الكينونة — يجب الا يكون هناك شئ محدود . انا الله . انا الامس واليوم . انا الاله (طم) صانع السماء ، خالق الاسماء الموجودة . ولو لم اكنه ، فالحياة لا معنى لها . وتناول مجلدا في الطب العدلي ، واخذ يحدق في صورة رجل قتل بحادث قطار . وعجزت الصورة عن ابارة رؤيا التستت نانية . وشعر بان صورة الموت في الكتاب لم تعد تمثل الواقع . انها ، مل بودليز وديساد ، لم تزل بعيدة عن الواقع بدرجتي .

وبعد ان غسل افداح السراب وجففها ، خرج واتجه نحو بدايسة سارع كينسنغتن وركب قطار النفق . وجعله الجمهور المتدفق في سامة الغداء يحس بالسرور . لقد انهكه الصمت والاحساس بالحيرة .

* * *

وفتحت المراه الاسكوتلانديه الباب ، ولما وقع بصرها عليه تجههم وجهها . وقال سورم على عجل :

— انه ينتظرني .

— كان بنظرك . وقد حان وقت راحه الان .

وافضبه سلوكها ، ولكنه كظم غبطه وقال بأدب :

— آسف ساعود في يوم آخر .

فترددت ، وعادت وفتحت الباب :

— ادخل ، وسأرى حالته .

وقال بهدوء :

— شكر لك .

لقد جعل صوته منخفضا لئلا يسمعه مونسيل ، فلم تكن له رغبة في ان يراه في تلك اللحظة . وتوجهت المرأة الى الطابق الثاني دون ان تكلف نفسها ادخاله الى غرفة الجلوس . وسره انها لم تسرف في الكلام . وعندما اقرب من الباب الزجاجي سمع لعطا من الجانب الاخر . فظل واقفا في الرواق المظلم ، مسندا الى حاجز السلم وظهرت المرأة في اعلى السلم ، وانسارت اليه ان يصعد .

— انه لا يستطيع ان يمنحك اكر من بضع دقائق . الان وقت نومه ، فلم ينل نسيئا من النوم طول النهار . فقال سورم يعدها :

— سوف لا اطيّل البقاء .

و حالما لامست خياشيمه رائحة المادة المعقمة الباهتة في الرواق تذكر
حديثه مع الاب في اليوم السابق ، واخذ يساوره شعور بالتوقع عندمسا
كان يقترب من الباب . ولكن هذا الشعور اختفى تماما عندما رأى القسيس
ووجهه القبيح بشكل غريب القابع فوق سترة المنامة ، وبدلا من ذلك ،
احس بذلك الشعور الخافت بالخيبة الذي انتابه عند لقائه به لأول مرة .
كان الاب كارائز يجلس على كرسي مريح قرب المدفأة . وكان نصفه
الاسفل ملفعا بلحاف وغطاء صوفي .

— تعال اجلس . كيف حالك ؟
ووضع سورم معطف المطر على السرير وجلس على الكرسي الاخر .
— اني بخير ، ايها الاب . اني ابوقع عودة اوستن اما اليوم او غدا .
— طيب ، هل كتب اليك ؟
— اتصل بي تلفونيا مرتين منذ امس .
واخرج القسيس من فمه حنجرة وتبت نظره في سورم . وادرك
سورم ما يدور في ذهنه ، وقال :
— لم تكن مجرد نداءات للسؤال عني . يلوح ان لديه شيئا يشغل
فكره . هل يميل اوستن دائما الى الشعور بالاضطراب بدون مبرر ،
ايها الاب ؟
— كيف ؟

— حسنا ... انه غريب الاطوار يميل الى كتمان افعاله . ويتصرف
وكانه يفعل شيئا في الخفاء . اشعر بالقلق عليه ..
— لم الحظ ذلك عليه قط . ما هي الغرابة في افعاله ؟
وقص سورم قصة النداءات التلفونية مختما اياها بوصف للشقة .
ولاحظ وهو يتحدث ان القس كان يصفى بكل جوارحه . وسأل القس اخيرا :
— اريد ان اعرف بالضبط السبب الذي يدفعك لتفضي الي بكل ذلك .
واضطرب سورم للسؤال . واجاب عليه بعد ان فكر في كلماته
بعناية قائلا على مهل :

— ان اوستن ليسحرني ، ولكني لا اعرف تماما سبب ذلك . و...
على كل حال فاني اميل اليه . واضح ؟
كادت لهجته ان تكون متحدية ، لانه لم يستطع ان يفكر بطريقة اخرى
للقائنه . وابتسم القس ، وضاع القبح بين ثنيات الابتسامة الخيرة التي
اشرقت في وجهه . وقال :
— فهمت .

— وبالإضافة لذلك ... شقته تلك ... جعلتني اشعر اني ازددت معرفة به . ولذا اريد ان ازداد معرفة به .
واغمض القس عينيه . واخذ يتحدث وقد ادار وجهه نحو المدفأة ، كأنه يحدث نفسه .

— ما سدتني منه بنأى النقطة لم يسبق لي ان علمته ، وان الأدرع جاء مفاجأة لي الي حد ما . ولكن ، على اي حال ، قد لا يكون هنالك داع للدهشة هذه . كما انها ربما توضح السبب في انقطاع اوستن عن المجيء الي . الرومانتيكية ملاذ غير مؤتمن ، ولكنه ليس ذا خطورة ، ولن يمكث فيه احد طويلا .
وقاطعه سورم :

— هل تعتقد انه سيعود الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية في الاخير؟
— ما اظن ذلك امرا غير محتمل .

وظفق سورم يتأمل في كلمات القس ، وهو يحمق في النار . وبقيت العينان المزروعتان في وجه هذا الرجل المقعد الشاحب مغمضتين .
وقال سورم :

— الرومانتيكية ... فهمت ما بعينه . فهذا يفسر وجود مؤلفات دى ليل ادام وهويزمان وغيرهما . ولكن ما قولك في صور الاجرام ؟
ودى ساد ؟

— لقد وضعت انت الجواب على سؤالك . دى سادرومانتيكي اخر .
ان الصور السادية ...

— لا اعلم اذا كانت الصور سادية ام لا . كانت كريهة فقط .
— بالنسبة للشخص الذي تحركه الميول السادية ، الاشياء الكريهة تولد له اللذة .

— هل لاوستن هذه الميول السادية ، ايها الاب ؟
اطلق سورم السؤال بسرعة ومن دون تفكير . وسرعان ما خطر له انه تمادى في نقاشه . وفتح القس عينيه واخذ ينظر اليه ، وقال بصوت هادئ :

— فلنقل اذن ان اوستن له ... شيء من هذه الميول .
فقال اوسن بصلافة :

— اسمع ايها الاب . اذا كنت تظن اني اتحدث فيما لا يعنيني فقل لي ذلك . فلا اريد ان اتطفل .
فقال القس مبتسما :

— لم اكن اعرف شيئا عنك يوم امس . واليوم ، انك تعرف الكبير
عن اوستن ، وانا اعرفك اكثر قليلا من قبل ، واعتقد انه يمكننا ان نتحدث
الان بصراحة .

وانبسط اسارب سورم ، فقد اسعره زوال الغموض بالارتياح .
فانفجر وجهه عن ابتسامة عريضة وقال :

— اشكرك ، ايها الاب . انك لرقق . فكما ترى ، اني احس فعلا
بشيء من المسؤولية الموقنة تجاه اوستن . وقد شعرت اني تأثرت عندما
قال بأني الشخص الوحيد الذي ينق به .

— تماما .

— ولكني لم افهم تبثا من الامر على الاطلاق . فمتلا ، ملابس
النساء هذه ...

— ابن هي الان ؟

وقال سورم وقد ارتسم الامتعاض على وجهه فجأة :

— تركتها في الطابق الاسفل ، في الرواق .

— لا يهم ، فهي في مأمن تماما .

وعيس سورم وهو يتفرس في راحة يده . وقال مترددا :

— ايها الاب ، دعني اخبرك بما يدور في ذهني ، فاذا تبين لك انه
مجرد هراء فلا تتردد في ان نخبرني بذلك .

— طيب .

— اسمع ، يبدو الامر كذلك ... صباح امس ، حاول اثنان من رجال
الشرطة التحقيق مع رجل عجوز يسكن في البيت الذي اقيم فيه ...
حول جرائم القتل التي وقعت في القطاع الشرقي من لندن . واني لو اسق
الان من انه لم يكن لدى الشرطة سبب خاص لهذا التحقيق — لم يكن
لدبهم ما يحدو بهم للارتياح فيه . كان مجرد انسان عجوز مخبول ، وربما
كان يوما ما منهما بجنحة جنسة ، ولا شك انه واحد من العنرات الذين
حققت معهم الشرطة . والان يطلب الي اوسن ان اخرج الملابس النسائية
هذه من سقته . ولنفرض انه يتوقع ان يحقق معه الشرطة ؟ ولنفرض انهم
على علم بميوله الساذبة الا يبدو ذلك معقولا ؟

وقال التسبس :

— لا اخالك بطن جادا ان لنن علاقة بهذه الجرائم ؟

— يا للسماء ! كلا مطلقا ! بالطبع لا . ولكن الشرطة لن تدع بابا الا
وتطرقة ، الست على صواب ؟ وهذه الملابس تخص امرأة . فما رأيك ؟

- هذا ممكن ... هذا ممكن . ولكن ذلك لا يفسر الكتمان الذي يحبط أوستن الامر به .
- لم لا ؟ محتمل جدا . على اي حال ، من المحتمل ان نن نفسه بحسب سببنا من الشرطة . على كل ، رجل مله وله هذه الانحرافات يحتمل ان يحدث بعض المتاعب للشرطة . كما يحتمل الا تكون الشرطة ما يخشاه اوسن ، الا يجوز ان احدا يستغل معلوماته عن أوستن فيهدده ليبر أمواله ...
- ونوقف عن الكلام — لقد احس ان الاسترسال في هذا التفكير لا يؤدي الى شيء . ورفع القس نظره الى وجهه ثم اخفضه ثانية :
- قد تكون على صواب . بيد ان افضل طريقة لمعرفة حقيقة الامر هي ان ننتظر الى حين يعود أوستن ، ونستفسر منه . فليس من المستبعد مطلقا ان الشرطة قد تحقق معه حول جرائم ويتشبال — بالطبع اذا تبين ان القاتل منحرف جنسيا . فاذا كان القاتل ذا نوازع سادية فالشرطة لا ننحرج ان نلقي شباكها في كل مكان . وليس لديهم حيلة اخرى ...
- ماذا يعني ، ايها الاب .
- تحدث الجرائم الاعتيادية بان يكون للقاتل دافع ، فالامر لا يتعدى محاولة اكتشاف ذلك الدافع . اما في الجرائم الجنسية ، فما لم يضبط الجاني منلبسا في الجريمة ، فليس للشرطة طريق يبدؤون السير فيه . كنت في دوسلدورف عندما وقعت جرائم كورتن ، وقد بلغ عدد المشبوهين الذين حققت معهم الشرطة خلال سنوات ثلاث ما يزيد على مئات الالوف . فليس من العجيب او غير المحتمل ان يكون أوستن من بين من تريسد الشرطة التحقيق معهم .
- وقال سورم مبتسما :
- او التحقيق معي ... او اي شخص اخر .
- بالضبط .
- ونفض سورم وقال :
- اسمع ايها الاب ، لن اطيل معك اكثر من هذا ، فاني اعلم ان الوقت وقت راحك . وشكرا للاستماع الي . كان علي ان اتحدث الى شخص ما عن ذلك والا كنت انفجرت .
- حسنا فعلت بمجيئك الي . ولكنني ارجو ان تزورني يوما لتتحدث عن نفسك .
- اشكرك ، ايها الاب .

- هنالك شيء آخر . لدي صديق - طبيب الماني - يعمل في
سكوتلانديارد . فاذا تحدثت الى اوسنن وتشعرت بأنه يحتاج الى مساعدة
فاجعله يتصل بي . قد يستطيع الدكتور شاين ان يوفر علينا بعض المتاعب .
- شكرا ، ايها الاب . سأفعل ذلك .
- والتقط معطفه ثم فتح الباب . وفيما هو يفتح الباب تذكر سؤالاً
نسي ان يوجهه :
- وبالمناسبة ، ايها الاب ، هل تعرف رساما يدعى غلاسب ؟
- نعم ...
- لدى اوستن بعض صورته معلقة على الجدران . كم يبلغ من العمر؟
- ل... لست متأكدا . حوالي السادسة والعشرين .
- السادسة والعشرين ؟ يجب ان يكون فنانا موهوبا . انتنان مسن
الصور مؤرختان في عام ١٩٤٨ ، ويعني ذلك انه كان في السابعة عشرة
عندما رسمهما .
- انه موهوب جدا - او بالاحرى كان موهوبا . وهو فقير الحال
جدا ، وقد ادخل كذلك مستشفى الامراض العقلية مرتين . ربما سيقدمك
اوستن اليه .
- هل تعرف اين يسكن ؟
- كلا مع الاسف . لم التق به منذ سنوات . ربما تجد عنوانه
لدى الاب راكوسي . سيقدمك اليه اوستن بالتأكيد .
- هل هو كاثوليكي ؟
- نعم ...
- وفتحت الباب وهو واقف هناك ويده على المزالح . واطلت المرأة
الاسكوتلاندية .
- حان وقت راحتك ايها الاب .
- فقال سورم :
- سأحاول المجيء قريبا ، ان استطعت ، ايها الاب . وداعا .
- وداعا .
- والتقى في الصالة بالقسيس الهنغاري وقال :
- المدة . يقول الاب كاراترز انك ربما تعرف عنوان رسام يدعى
غلاسب .
- نعم . اتريده ؟
- ان لم يضايقك ذلك ، رجاء ؟

- انتظر لحظة . سأجده لك .
 ودخل القسيس غرفة تجاور غرفة الانتظار ، وخرج بعد قليل حاملا
 دفتر ملاحظات :
 - العنوان : ١٢ شارع داروارد .
 سجله سورم في دفتر العناوين وسال :
 - اين يقع السارع ؟
 - في القطاع الشرقي ، وايتسابل .
 - هل تعرف اسمه الاول ؟
 وبدأت الدهسة في وجه القسيس :
 - انك لا تعرفه ؟
 - كلا ، ولكني رأيت بعض لوحاته . وظننت انني قد اسطيع لقاءه
 في يوم من الايام .
 - آه . ولكنك لن تجده حسن المعسر . اسمه الاول اوليفر . ليس
 من اليسر الحديث معه .
 ودفع سورم الدفتر الى جيبه :
 - اشكرك ايها الاب . ربما ابعث اليه رسالة . طاب مساؤك .
 ولما خرج ، راح يبحث بصورة لا شعورية عن دراجه حتى تذكر انه
 قدم بقطار النفق . وسار باتجاه محطة (تشانسري لين) والحقيبة الجلدية
 تتأرجح في يده . لقد تيقن ان غلاسب هو الذي رسم تلك اللوحات ، فقد
 كانت تحمل الحروف ا.غ. - اي اوليفر غلاسب . ولكن ذلك يجد ذاته
 لا يعني شيئا . انه مجرد شظية واحدة من هذا اللغز الذي يحيط بنن .
 لقد اكثر من التفكير في نن حتى اصبح وجود نن شيئا خياليا .
 وراح يتأمل : انني اميل الى السلبية - تلك هي المشكلة . انني سلبي،وقد
 اوليت اهتمامي بنن لانه ايجابي . انا كالبركة الراكدة ، اما نن فهو الحجر
 الذي حرك الزبد المستقر على سطحها .
 وسار باتجاه كينغسواي ، وقد استفحل القلق والكآبة اللدان اسراه .
 وادرك ان بعض السبب يرجع الى انه لم يتناول شيئا منذ الفطور . كما
 ان مفعول المشروبات التي تناولها اخذ يتلاشى .
 وكاد يأخذه النوم وهو جالس في قطار النفق ، ومسح بمنديلـه
 الدموع التي سالت من عينيه بمسح فاه متائبا .
 - متعب . تلك هي المشكلة . سأكل تم انام عندما . . اوه . يا للعنة .
 ويذكر كارولين ، وتذكر ان عليه ان يلنقى بها بعد ساعتين . واحس

بالاكتئاب . وخطر له ان يتصل بها تلفونيا ليعتذر لها عن اللقيا ، وشعر
ان هذه الفكرة اتعس من فكرة الذهاب الى ساحة ليستر في الساعة
السادسة . واخيرا ، نزل من القطار في كامدن تاون ودخل حانوتا للملابس
الجاهزة ليتاع له سروالا .

* * *

وما كاد يمضي معها ربع ساعة حتى ادرك انه يميل اليها ، وان هذه
الامسية ستكون ممعة . وروعا الكلفة فيما بينهما ، وشعر انها تعامله
بصورة طبيعية ، كأنها تخرج معه للمرة العاشرة لا المرة الاولى . كانت
تعامله دون تقيد ، كصديق قديم . كان في طريقتها ما يذكره بسلوك ن .
كان المطعم في الطابق السفلي على شارع (كينفس رود) ، والدخول
اليه يكون خلال مقهى . وحالما دخلت هتعت بعض الاصوات نناديها ،
وهب من مكانه شاب ذو لحية يرندي معطفا سميكا واحاطها بذراعيه
وقبلها وهو يصرخ :

— الو ، يا جيبتي ، ما اسعدني بلياك .
وقدمنه الى سورم قائلة : هذا فرانك ، الشخص الذي يقوم بدور
فرلين في المسرحية التي نمتلها .
كان هذا الشاب ذا وجه منتفخ لا يبدو عليه النضوج ، وكانت لحينه
قليلة السع حريرية الشكل . ولم يسنطع سورم ان يتصور شخصا اقل
شبهها بفرلين . وقال الشاب ، بلهجة عامية :
— كيف حالك ، ايها الشريك ؟ ارجو الا تكون جئت باحنا عن المتاعب ،
فليست معي غير ست رصاصات ! قهوة لكليكما ؟
فقالت كارولين :

— جئنا لتناول الطعام في الطابق الاسفل . قد نراك فيما بعد .
— تعالا الى الحفلة . ستقام في المحل الذي سقطت فيه القنبلة
امام مدرسة التمثيل . واجلبا معكما زجاجة شراب .
فقالت :
— ربما .

وشقا طريقهما بين جموع الفتيان والفتيات المزدحمين عند طاولة
البار والمقاعد العالية التي تحاذي الجدران . وسمع سورم احدهم يقول :
— ها هي ملكة جمال بيدابل لعام ١٩٥٨ .
كان الطابع الاسفل منقسما الى جزئين بواسطة ستارة منسبكة ، وكان
مضاء بمصابيح منضدية مصنوعة من قناني شراب الكياني . وعندما خف

اليهما الخادم ذو البسرة الزيتونية توقع سورم انه سيدعو كارولين باسمها الاول ، ولكنه قال فقط :

— طاولة لاثنين ، يا سيدي ؟

كانت قائمة الطعام كبيرة الحجم ، نكاد تكون بحجم صفحة مسن صفحات الجرائد :

— بعض الإصناف تكلف غاليا جدا .

— لا تكتربي ، فقد سطوت هذا الصباح على خزانة نقودي .

وراحت تتفحص القائمة وسألته اخيرا :

— هل تعجبك القواقع ؟

واعترف لها بانه لم يذق طعمها في حياته .

— هيا اذن لنطلب منها . وهل تنتهي الثوم ؟

— اموت فيه .

— حسنا . فلنكن خنازير ونطلب اثني عشر لكل منا .

وعندما وصلت اطباق القواقع اخذت تعلمه كيفية استعمال الملقط ، والحت عليه ان يشرب الزبد المنصهر من القوقعة نفسها بعد ان ينتزع منها قطعة الحلزون السوداء الطرية ويأكلها . وطلبا بعد ذلك المزيد من الجبن واللبمون واتبعاهما برجاجة نبيذ ابيض . وبدأ سورم يشعر بالاسترخاء واللامبالاة . واعترف لها :

— اني لم اكن اتطلع بشوق الى هذه الامسية مطلقا .

— كلا . لم لا ؟

— كنت قلنا اخشى الا ينسجم كلانا مع الاخر . هل تعلمين امرا ؟ اني لم اخرج مع فتاة خلال السنين الخمس الاخيرة .

— يا للسماء ! ماذا كنت تفعل ؟ كنت تلبس مسوح الرهينة ؟

— كلا قضيتها في غرفتي على الغالب ، او احيانا في غرفة المطالعة في المتحف البريطاني .

— ولكن لماذا ؟ فانت لست خجولا ..

— لا . كنت ابحث عن شيء ما ... اذا فهمت قصدي ؟

وسألته ضاحكة : تبحث عن اى شيء ؟

ووصلت اطباق الدجاج المنسوي ، فمنحنه وقتا ليفكر في جواب . وقال اخيرا :

— الشيء الذي كان رامبو يبحث عنه : رؤيا .

فقال على الفور :

— كنت أحاول قراءة كتاب عنه ولكنه مليء بالنصوص الفرنسية .
لقد كان يحاول ان يتلف حواسه ، او ان يفعل شيئاً من هذا القبيل ،
أليس كذلك ؟

— نعم .

— هل حاولت ذلك انت ؟

— كلا . حاولت تطبيق نظام معين . ولكن لم يحدث شيء .

— وماذا تعتزم محاولته الان ؟

— من المضحك ، انا الان اقرب من السابق الى الرؤيا . هل تعرفين

ما معنى كلمة العامل المساعد ؟

— كلا .

— هو الشيء الذي يسبب تفاعلا كيمياويا دون ان يطرأ عليه تحول .
فيمكنك تحضير غاز حامض الكبريتيك بتسخين الاوكسجين وثنائي اوكسيد
الكاربون . ولكن يجب تسخين هذه المواد على الاسبست ذي البلايسن ،
والا لن يحدث شيء ، غير ان الاسبست لا يتحول . اما انا ، فكانت في
داخلي عناصر كثيرة لم تمتزج ، كانت لدي اكداش المعلومات التي لم تكن
تعني اي شيء بالنسبة لي . ومنذ ان التقيت بنن يوم الجمعة الماضي ،
بدأت اشعر اني اعيش للمرة الاولى منذ سنين عديدة .

فمطت شفتيها وقالت :

— وانا ، اليس لي مكان في اطارك ؟

— بالطبع . لو لم التق باوستن لما تعرفت بك ، اليس ذلك صحيحا ؟

— كيف تعرفت باوستن ؟

وسرد لها القصة اثناء ما كان يأكل ، وكان لما يزال يحدثها بعد ان
انهايا الطعام واخذوا يرقبان السلم الى الطابق الارضي لتناول القهوة . ولما
بلغا منتصف السلم توقفت والتفتت اليه وهمست :

— اتعلم ، اني ثملة قليلا .

ومالت الى الخلف قليلا ، فوضع يده حول خصرها ليسندها .
فوضعت يديها على يديه وشدت عليهما ثم ارخت قبضتها . ولكنه كان
يسمر بالشبع والنعاس الشديدين فلم تثره هذه الحركة ، ولكنها زادت من
شعوره بالارتياح والاستقرار معها .

وفيما هما يحترسان القهوة سألته فجأة :

— هل تعتقد ان جيرترود جذابة ؟

- فحذق في الفنجان بصلابة وقال بلهجة ناقد فني :
- اجل ... انها جذابة .
- فقالت بلهجة ابحائية :
- ولكنها ليست من طرازك .
- لا ... ليس هذا . ولكنها البساطة التي تنظر بها الى الاشياء .
- انها تحيرني .
- تحيرك ؟ ماذا بحق السماء يحيرك فيها ؟
- هي اما ان تكون مخادعة بارعة او بدائية في بساطة عقليتها الى درجة لا يستطيع ان اميزها . وتذكري ، يمكنني ان افهم كيف يكون الانسان مسيحيا يؤمن بالكتاب المقدس ويعتقد ان الكتاب المقدس هو بداي الاشياء ونهايتها . ولكن انطباعي عنها انها ليست من ذوي هذا النوع من الدهن . انها تبدو وكأنها قرأت مؤلفات فرجينيا وولف واخذت ترعى الادباء الشباب المحليين .
- انها تفعل ذلك !
- نعم ... اظنها تفعل ذلك . هل تعرفين شيئا عن حياتها قبل ان تأتي لتسكن في همبستيد ؟
- كلا ... لا تتحدث امني عنها ابدا . ولكن افلنت منها بعض العبارات يوما ظانة اني لم اكن اصغي . كان هنالك رجل في حياتها .
- وماذا حدث ؟
- لست ادري ، في الواقع . لم هذا الاهتمام ، هل ترسم الخطط لاقتناصها ؟
- انت التي اثرت موضوعها !
- اظن ذلك . على كل حال ، اظن انها ترسم الخطط لك .
- غفرانك رباه ، تعنين ...
- تعلم ، انها وحيدة هناك ، وذلك ما يجعلني اذهب احيانا لأمك بصحبتها بعض الليالي . واعتقد انها تتمنى لو اكرت من زياراتك لها .
- اليس لها اصدقاء مقربون اخرون ؟
- كلا . كان يزورها في وقت ما احد الرسامين ، ولكنه انقطع .
- تعنين كان لهما علاقة ؟
- اوه ، كلا . كان عمره يعادل نصف عمرها . شاب يدعى غلاسب .
- اوليفر غلاسب ؟
- نعم ، لماذا ؟

- سمعت عنه . اعتقد انه صديق لا وستن .
- نعم ، واعتقد ان اوستن اخذه معه اليها لاول وهلة .
- ولماذا انقطع عن الذهاب اليها ؟ هل تعلمين ؟
- نعم . اصيب بانهيار عصبي فدخل مستشفى الامراض العقلية .
- انها لم تتحدث عنه كثيرا ، ولكنهما ، على ما اظن تخاصما ايضا .
- وانها احتساء القهوة . وقال سورم :
- هل نصادر ؟
- وانزلت نازلة عن المقعد والتقطت قفازيها . وسألها :
- اين تودين الذهاب الان ؟ العودة الى سوهو لاحتساء بعض الشراب ؟
- لا يهمني . اين ترغب انت في الذهاب ؟
- فلنمنس على كل حال . لقد افرطت في الاكل .
- كانت الليلة باردة ، ساكنة الرياح . وكانت السماء لا نجوم فيها .
- وسألته :
- هل يضررك زيارة انتين من صديقتي ؟ انهما يسكنان في عوامة على
- قناسة (تسيسي) .
- كيف نصل الى هناك ؟
- مسيرة عشرة دقائق .
- هل نتسري بعض الشراب لناخذه معنا ؟
- فكرة طيبة . لا اعتقد ان لديهما شيئا من الشراب . انهما ممثلتان ،
- ولكنهما عاطلتان في الوقت الحاضر .
- وابتاعا زجاجة من النبيذ الابيض من احد مخازن المشروبات وسارا عبر
- المجلس البلدي . وعلى بعد مائة ياردة شاهدا وهج نار .
- تلك هي الحفلة التي تحدث عنها فرانكي . لا نريد ان نذهب ،
- اليس كذلك ؟
- انا لا ارجب .
- كانت النار قد اقيمت على قطعة من الارض الخربة التي كانت تنعزل
- عن الشارع بجدار واطيء . وكانت الارض نفسها تنخفض عن مستوى الشارع
- بحوالي عشرة اقدام . وكان الطلبة يزدحمون في المكان واكثرهم يمسسك
- بيده بزجاجة او بقدح . وراح لفيف منهم يسحب جلدع شجرة ليلقي به
- في النار . كان كبيرا لا يمكن وضعه مستلقيا على النار فصار كالجسر يمر
- وسطها ، ويستند من طرفه بفروعه .
- لنمر بالمكان لحظة واحدة ، يا جيرارد ؟

وجر سورم خطاه متبرما وهي تنجه الى حافة السارح . كانت الارض
تنحدر تدريجيا الى البقعة التي اقيم فيها الاحتفال . وسأل والريـب
يساوره :

— هل تعرفين الكثير منهم ؟

— قليلا . ولكننا لا نريد ان نختلط بهم . لندفئ ايدينا قليلا ونرحل .
وكان على مقربة منهم راديو يدوي يعزف موسيقى راقصة ، ولكن لم
يكن هناك من يحاول الرقص . واستلقى على العشب في الجوانب المظلمة
قرب الجدار الفتيان والفتيات ، اثنين اثنين . ولكن اكبرهم احاط النار
بدائرة واسعة . كانت النار شديدة الحرارة لا مجال للوقوف قريبا منها .
وقد استطاع سورم ان يميز في وسط اللهب اريكة بالية وبقايا باب . وفيما
هما يقفان ، ففز احدهم على جذع الشجرة المنتصب فوق النار وقفز بحركة
غير رشيقة الى الجانب الاخر وانا عاصفة من السرر الاحمر . وانطلق عدد
من الطلبة يهتفون له بطريقة عصبية . فاستدار الشاب وقفز الى الجانب
الاول وهو يفتح ذراعيه في الهواء ويزعق انناء القفز . فقال سورم باشمئزاز:

— احمق ملعون !

— اسمه ايفور فيشر . كنت اخرج معه .

وكظم سورم كلمات الغضب التي كادت ان تنطلق وادار رأسه وهـز
كتفيه . فنهلت بذراعه وقالت :

— لنذهب .

وعندما بلغا مسنوى السارح قال وقد اكتأبت اساريه :

— هذا الضجيج يجعلني احس اني في الخمسين من العمر . انسى

امقت الطلاب .

— لا بأس بهم .

— كل على انفراده ربما . ولكنهم بمجموعهم يثيرون الاشمئزاز .

وبعد مسيرة قصيرة سمعا رنين اجراس بعيدة . واذا بعربة حريق
تمر امامهما وتقف امام المكان . فقالت كارولين :

— جاؤوا لاطفاء الحريق — هيا نتفرج .

ولما عادا الى بقعة الارض وجداها خالية من الطلاب ، وقد تجمهروا
خلف الجدار وهم ينظرون الى النار . ووقف سورم وكارولين في نهاية
الجدار وهما يراقبان عمود الماء الابيض الذي كان يثـز اثناء مروره بالعشب
الى النار . وفي الحال ، صعدت سحب البخار وخبث السنة اللهب .
واصطدم الماء بجذع شجرة وتركها تتأرجح فوق العشب . وسرت زمجرة

بين الطلاب ، وصاح احدهم :

— يا مفسدي المرح ، ايها الاوغاد .

وانطفأت النار ، ولم يستغرق ذلك ثلاث دقائق .

وعندما شرعا في السير ثانية ، احس سورم بالخلج من الامتعاض الذي شعر به قبل لحظات ، لا لانه تعاطف مع الطلاب ولكنه احتج بصورة تلقائية على فكرة قيام السلطة بانهاء احتفال . ونظرت الى وجهه اتناء مرورها تحت مصباح من مصابيح الشارع وسالت :

— ما الذي ازعجك ، يا جيرارد ؟

فضحك وقد احس فجأة انه كان مقطب الجبين .

— لا يرعيني شيء . ولكن اعتقد ان لا سبيل الى ارضائي .

— ماذا تعني ؟

— كرهت هؤلاء الطلاب لظهورهم بمظهر جماعة قدرة غير منتظمة من المراهقين . وهذا يجعل مني مؤمنا بالسلطة . ولكني بنفس الوقت اكراه السلطات عندما تقف بملابسها الرسمية وتصدر الاوامر . ولهذا فاننا فوضوي اي اني فوضوي يؤمن بالسلطة !

وانجها نحو (تشين دوك) . كان النسيم المقبل من النهر باردا . فقلبت ياقتها ومالت براسها على ذراعه . واجتازا الشارع الى الجدار المطل على النهر وتوقفا للتحديق في الماء . وكانت الاضواء المنبعثة من جسر البرت تتمايل في الظلام الداكن . وشعر انها كانت تنظر اليه . ومال اليها وطبع قبلة على شفتيها الباردتين واحس بارئبة انفها كالثلج على وجهه . وقالت :

— لا يهمني ما تكون .

— لا داعي للاهتمام . فانت لست مضطرة للعيش بالطريقة التي اعيش فيها .

وقالت بعناد :

— لا يهمني مطلقا ان اضطررت للعيش معك .

وقبلها ثانية وراح يتساءل ، وهو يقبلها ، كم قبلة طبعت على هسه الشفاه في الظلام ، وكم من الرجال . وامسك عن المضي في تفكيره هذا ، ولكنه لم يستطع ان يمنع شعوره بالنفور منها .

وعبرا الجسر الذي كان يؤدي الى مرفأ صغير ، كان يخرج منه ممر خنسي ضيق الى البيوت العوامة الراسية . وقال :

— يحسن بي ان اتقدمك . الليل اشد سوادا من قبعتك . اي عوامة منها ؟

- الثالثة .
- وماذا نفعل ان لم نجدهما ؟
- اما ان ننتظرهما ، او نعود الى البيت .
- وعندما وصل الى حافة العوامة الثالثة وجد الشبايك مظلمة .
- يبدو انهما في الخارج . ماذا نفعل الان ؟
- لنذهب الى سطح العوامة ، لعل الباب مفتوح ؟
- واجتازا طرف العوامة الى السطح وساعدها في العبور . وسالت :
- هل لديك عود ثقاب ؟
- فوجد علبة الثقاب واشعل عودا . وسحب مزلاج الباب فاذا به يفتح .
- شكرا لله ! يمكننا الدخول على كل حال .
- وتبعها بشيء من الفضول . وفتحوا نورا كهربائيا كشف عن مطبخ صغير مع اسطوانتين للغاز بالقرب من الموقد الغازي . فهتفت :
- هل هنا أحد ؟ وووو ! باربارا ! مادلين !
- ولمح فتاحة قناني تتدلى من كلابة على الجدار .
- يمكننا ان نتناول بعض الشراب على كل حال :
- ومزق الفلاف الرصاصي وفتح الزجاجاة . لم يعثر على الاقداح ، ولكنه وجد كوبين خزفيين على الرف . وقالت كارولين :
- هيا ادخل هنا .
- كانت غرفة صغيرة للنوم والجلوس تحتوي على سرير عريض واحد وكريسي كبير . ولم تتجاوز مساحة الغرفة ستة اقدام .
- هذه غرفة باربارا . اما غرفة مادلين فمجاورة ، ولكنها اصغر من هذه .
- اين يتناولان الطعام ؟
- في المطبخ ؟
- واين يستقبلان الضيوف ؟
- هنالك غرفة اخرى هناك ، ولكنهما يصبغانها في الوقت الحاضر .
- وناولها كوبا مليئا الى منتصفه بالنبيذ ، وسالت :
- اي نخب نشرب ؟ نخبنا ؟
- نخبنا .
- والتقت نظراتهما عندما اخفضا قدحيهما ، فرفعت وجهها متهيشة لقبيلته . وذاق طعم الخمر على شفتيها . وكانا ما يزالان ممسكين بالقديحين .
- وقالت :

- ماذا تقول العمدة جبرترود لو رأتنا الآن ؟
- اخاف ان افكر .
- وقدف بمعطفه على الكرسي وجلس على السرير .
- هل تظنين ان باربارا سوف تنزعج لجلوسي على السرير ؟
- كلا ابدا . ازحف قليلا .
- وحذاءاي ؟
- اخلعهما .
- وفك شريط حذاءيه ونزعهما ، وزحف نحو الحائط . فاسنقت حالا الى جنبه واغلقت عينيها .
- الا تريدين شرابك ؟
- بعد قليل .
- وانحنى فوقها وجعل شفثبه تتجول على وجهها الطري الذي لم يزل بارعا . وقالت بنعومة :
- ما اجمل ذلك !
- ولمست باطراف اصابعها مؤخرة رقبتة ، ومدت لسانها بين شفثيه .
- فاعتدل واخذ يتنفس عميقا .
- علينا ان نتوقف ، اتعلمين ؟
- صحيح ؟
- اجل . قبل ان يكون من المسحيل !
- ففتحت عينيها وابتسمت له :
- لا يضيرني ان تكون عشيقتي .
- ولكن هذا العرض لا اخلاقي جدا !
- كلا ابدا . فانت الاول .
- ومع هذا فهو لا اخلاقي ! على كل حال ، انت اصغر من ان يكون لك عشيق .
- هذا سخف . فلست صغيرة . كاد ان يكون لي عشيق في العام الماضي .
- وماذا حدث ؟
- طلب مني ان اذهب معه في نهاية الاسبوع الى برايتون . ووافقت .
- وهل ذهبت ؟
- كلا . فقد اصبت بالتهاب الحنجرة قبل يوم فلزمت الفراش .
- طريقة رائعة للسلوك ! لقد صعقت !

- فاعدلت في جلسنها ومدت يدها الى كوبها .
 - هل انت جاد ؟
 فقال باهتمام .
 - هل كان ذلك الاخرق الذي كان يقفز فوق النار ؟
 - ايفور ! يا الهي ! كلا . هل اضطجع مع هذا الانسان ! كلا ، كان هذا
 ممثلا ، في الخامسة واللاثين من العمر طلق مرتين . ولقد جننت به ثلاثة
 اسابيع ، حسبت اني لا اسطيع الحياة بدونه .
 - ولم يحدث اي شيء ؟
 - كلا . تخاصمنا بعد عطلة الاسبوع تلك . ثم اضطر الى الرحيل ،
 فقد انتقلت فرقته الى ليفربول . وكان ما كان .
 وشرب بقية الشراب ، وشرع بضحك .
 - ماذا يضحكك ؟
 - لا شيء . مجرد المقارنة بينك وبين عمك .
 فقالت بلهجة مؤكدة .
 - حاشا ان اكون منلها !
 - لن تكوني متلها .
 ووضعت الكوب على الطاولة وتركت رأسها يسقط على الوسادة ومدت
 شفيتها لسورم كي يقبلها . وقال :
 - لا . ليس من المعقول . لقد ارتفع ضغط الدم والرغبة لان انزع
 عنك ملابسك .
 - لا يمكنك ذلك . ليس هنا ، فقد تعود باربارا .
 - لنقفل الباب ؟
 - لا يمكنك ذلك . لا يمكن غلق الباب .
 - كيف علمت ؟
 - باربارا هي التي اخبرتني . عندما كان صديقها معها كان عليهما ان
 يضعوا الكرسي خلف الباب .
 - هل تعترض باربارا لو عادت ووجدتنا في سريرها ؟
 - كلا . انها واسعة الصدر . على كل حال ، يمكننا سماع وقسع
 اقدامها من بعيد . فيمكنك الجلوس على ذلك الكرسي وتبدو محترما .
 وقبلها لانية ، ولم يبذل جهدا ليكبت التهيج الذي بدا يرتفع فيه .
 وفتحت شفيتها السفلى عند التقبيل لكي يتدوق داخله الندى الاملس . وبعد
 دقائق قليلة رفع وجهه عنها واعتدل في جلسته فسالت :

— ماذا حدث ؟
 — لا يمكنني التماذي . اذا استمرينا على ذلك فسانفجر . هل انت
 واثقة انها قد تعود قريباً ؟
 — لست ادري . لا ادري متى تعود .
 واخذ يلبس حذائيه .
 — لنذهب الان . سنترك لهما السراب كهدية .
 — اين تريد ان تذهب ؟
 — الى اي مكان . العودة الى سوهو . يمكننا ان نتناول قدحا من
 الشراب . ما تزال الساعة العاشرة .
 ونهضت على قدميها الحافيتين الا من الجوارب . وكان عليه ان
 ينحني ليصل الى رأسها . كان يحس بقلق وهو يقبلها . وادرك ان ذلك لن
 يجدي شيئاً في تلك اللحظة . وان اي اتصال اخر معها يحتم عليه ان يضبط
 عواطفه . وبدأ له كأنها احست بذلك ، فافلتت منه برفق . وقالت :
 — حسناً ، لنذهب .

* * *

بعد ان تركها في محطة نوتنهام كورت رود احس بالانبساط والرضى .
 وراح يتطلع من خلال زجاج نافذة الباص عند مروره بشارع (كوج) واطلق
 العنان لتفكيره ليتأمل في هذه الفتاة وسرعة رضوخها . لم يكن ليخفى الوقوع
 في غرامها ، فذلك امر بعيد الاحتمال . لقد افتنن بها وحسب . كانت
 ساذجة جداً . وكانت عملياتها الدهنية اوضح من ان تدعه يأخذها على
 مأخذ الجذ . ولم تتسم علاقتها بعنصر الغموض او الانتشاء ، كما لم تعطه
 الفرصة لاي شكل من اشكال الجهاد من اجلها فقد جعلته يرى ، ومن دون اية
 مقدمات ، انه يثيرها وانها على استعداد لان تتدله في غرامه اذا لم يكن لديه
 اي مانع . ولم يكن لديه اي مانع ، واطربته فكرة ان يكون عشيقها . كان
 الامر ابسط من صفقة تجارية .

واخذ يتساءب ، ويمسح عينيه النديتين بمنديله . ونهضت الفتاة
 التي تجلس امامه في الباص وتركت كلبها الابيض الصغير ينزل الى
 الارض . كانت حسنة الشكل انيقة اللباس . والقى اليها بنظرة ثم ادار
 وجهه عنها وسره عدم الاكتراث الذي شعر به . وطاف في ذهنه انه يكاد
 لا يستطيع التحرر من الرغبة الجنسية ، فبمجرد التفكير في المرأة في
 اي ساعة من ساعات الليل والنهار ، يعكر عليه استقراره ويثير فيه
 الاستياء الذي تورنه الشهوة التي لا تجد اداة التنفيس عنها .

وعاد اليه الشعور الذي احس به ذلك الصباح بينما كان يراقب
 الفأة التي خرجت من المصعد : شعور بالاطمئنان والقوة ، وانعدام الشعور
 بالغيرة انعداماً تاماً . كان يستطيع التفكير في نين بموضوعية تامة ، لبس
 لانه يعتبر مزايانا طارئاً او آتية ، بل على العكس ، فهناك احساس يديره
 نين هو ان المال والترف امران لا يمر منهما . بيد ان هذا يجد ذاته لا
 ينير الغيرة . كان في خياله بنصور ان نين يمثل الوجود المادي ، الاحساس
 المباشر بالحياة الطبيعية . وان المحيط الطبيعى الذي يمكن لنين ان يعيش
 فيه هو بخت نظيف في البحر المتوسط ، او اشعة الشمس البيضاء فسي
 انعكاسها على الجبلد بالقرب من تروندهايم ، والصخور النائية من ضفة
 النهر في (غالوى) حب يصطادون سمك السلمون . واستجاب سورم
 لهذه الافكار كما استجاب لكارولين ، ولكنه شعر ان هناك شيئاً خلف هذه
 الافكار يضيق عليه . في حياة الانسان الطبيعية عبث مناصل كان يلقي
 الرعب في نفسه .

واحس بالبرد عندما نزل من الباص في شارع (برنس اوف ويلز)
 واخذ يرتعش وتتسنىج عضلات كفيه ، فمشى مسرعاً عبر الطريق . لقد
 احتفى الانبساط واخذ يحس بتوجس لا يجد مبرراً له . وقد بدأ هذا
 التوجس يسلور عندما ترك شارع (كنس تاون) ورأى سيارة من نوع
 جاكوار تقف خارج البيت .

وبحث على الطاولة الموجودة في الصالة عن رسائل او نداءات
 تلفونية . ووجد قصاصة من غلاف رسالة كتب عليه : المستر سورم ، لقد
 اتصل المستر نين تلفونيا . كانت الرسالة موقعة بالحرف : ك.
 ورأى الضياء المنبعث اسفل باب غرفته قبل ان يدخل . كانت
 الغرفة بختنق بالدخان . وقال :

— هلو ، اوستن . كم طال انتظارك ؟

الفصل السادس

وقال نن :

— كنت على وشك الرجل . خامرنى الظن انك سنقضي ليلتك خارجا . كيف حالك ؟

— بخير . هل تناولت طعاما ؟

— منذ ساعات . وكنت اشرب ابضا . خذ سيئا من البراندي .

واشار الى قدح على الطاولة . كان يجلس على الكرسي الكبير ويمد قدميه على كرسي ختبي على الطرف النائي من السجادة . كانت النار الغازية تستعمل بدرجة منخفضة . وجلس سورم على الكرسي المقابل وسكب قليلا من البراندي في قدح . وقال :

— من الجميل ان اراك . متى دخلت ؟

— في الساعة الخامسة . حاولت ان اتصل بك حال عودتي ولكنك كنت غادرت .

— كان سورم خلال الايام الاربعة التي مرت منذ ان غادر نن ، قد نسي الكبير من الاشياء عن نن . نسي ان الصوت المهدب المفتعل كان يخدش اعصابه وان وجهه الذي تبدو عليه اثار الجدرى كان يقرفه . كان نن الذي يجلس في مواجهة سورم تلك اللحظة يختلف تمام الاختلاف عن نن الذي كان سورم يفكر فيه في الباص . وقال سورم :

— كنت مع كارولين دينبيغ — ابنة اخ العمه جيرترود .

— من ؟ آه ، جيرترود . كارولين ! لا اظنني رأيتها منذ ان كنت صبيًا . ولكنها في الثالثة عشرة من العمر ، اليس كذلك ؟

— كلا ، انها في السابعة عشرة .

— اوه . هل وقعت في طريق سورم ؟

- لست ادري .
- وقال نن ، مأوها :
- اعتقد ذلك - ملها ملنا جميعا . هل ستضطجع معها ؟
- ونظر اليه سورم بدقة : كان وجهه هادئا تنسوبه السخرية .
- المسألة تعتمد ... قد أفعل .
- وبرزت السخرية بصورة واضحة .
- وهل يمتك ذلك ؟
- فقال سورم :
- اثرت نقطة جيدة . قد لا اسمتع . اوه ، ولكني قد اخفسر
- بالاحساس المير . ولكن ماذا سنؤول اليه الامور ... لا ادري ان كنت
- مستعدا لنحمل النتائج .
- وسكب نن المزيد من البراندي في قدحه .
- حسنا ، لنترك كارولين . لقد حصلت على الملابس ، كما ارى .
- اجل . هل بحثت عنها ؟
- نعم . اشكرك جدا . هل لقيت صعوبة في الحصول عليها ؟
- كلا ابدا . تعرفت على فانيت . وحاول اقناعي بان ابقى معه
- للفداء . ولكني لم ابق .
- ذلك متوقع منه . ان لهذا الشخص فضول باندورا .
- بم امضيت ساعة في سقتك . اوه ، وقد جربت بعض انواع
- مسروباتك .
- حسنا فعلت . كان ينبغي علي ان اخبرك بان تمتع نفسك .
- والقيت نظرة على كتبك . قضيت ساعتين منيرتين هناك .
- واحنى نن كنفيه ، ووتر ذراعيه بم مدهما واخذ يتشاءب .
- اني اشعر بالامتنان لك يا جيرارد .
- وغطس نن في كرسيه كأنه تلقى ضربة على رأسه ، وظلت عيناه
- تحدقان في سورم بهدوء تأملي وقال :
- اعتقد انك متشوق لمعرفة هذا الامر الغامض ؟
- فهز سورم كتفيه .
- ليس تماما .
- وهبط عليه احساس غريب ، كأنهما انجرفا في عملية ابطاء مفاجيء
- في الزمن ، كأنهما يستطيعان الجلوس والتحديث في وجه كل منهما ساعات
- او اياما دون ان تدفعهما الحاجة للاسراع . ولم يكن هذا الشعور من اثر

الشراة كلها . وقال ن بآوت آاف :

ـ انك لانسان كرم ، يا جرارد .

ـ كلا ابدا .

ـ هل نعنى انك غير مكرت بسقى ؟ وعن النداءات اللفونة ؟

وراح سورم يامل وقال :

ـ لا . لا اعنى ذلك ، ولكنى مسوق الى معرفك انت معرفة افضل .

وابنسم ن له . وادرك سورم ان ن كان نعا مكثبا . كان الاجهاد

بلوح فى عينه ، فلم سارك بفة وجهه فى الابسامة .

ـ ما الذى يسوقك الى معرفنى ؟

ـ احب ... احب كوننا نعيس . بلوح ذلك قولاً مبتذلاً ، ولكنه

صحيح لا انخلى قط عن السائل لماذا انا على قيد الحياة ، ولا انقطع عن

القلق فى احتمال وجود خطأ هناك ... ولكن مهما كانت الحياة ، فاني

احبها . غير ان المشكلة هي انى اصاب بالملل . انى افترط فى التفكير

بالحياه ، واذا واتانى الحظ ، تعيد الى بعض الاشياء الاحساس باننى سعيد

لانى اعيش : سنفونية لموسارت ، قطعة سجع حارة فى صمونة ، رائحة

الاسيتون . انها تير فضولى للحياة ، انها تعطينى معنى جديدا لكونى

اعيش . وحيانا يخلق هذا الشعور كتاب ما . اما الاشخاص فلن يولدوا

هذا الاحساس . اعتقد احيانا ان الناس اكر الاشياء افتقارا الى اسارة

الاهتمام فى العالم كله . انهم يعكسون الاندحار الذى احمله معى اينما

ذهبت . على كل ، فانك احد الناس القلائل الدين التفيت بهم ممن يتيرون

اهمامى . هنالك اشياء كثيرة احسها فبك تقلقنى بعض الشيء ـ انك

انسان غريب الاطوار ، انبىان متعصب ، انسان شاذ .

ولاحظ الدهشة المفاجئة التي اسنولت عليه حين نطق بكلمة «شاذ» .

ولكنه لم يحفل بها . اذ كان على نقة بما يعنيه . غير انه قلق للاجهاد

الذى كان يبدو على ن ، فقدكان يحس به طول الوقت . وفيما هو يتكلم

رفع ن غطاء الزجاجاة واخذ يصب بعناية ما تبقى من البراندى فى

قدحيهما . ولاحت عيناه منطفئتين وهو يدفع بالقدر نحو سورم . وقال :

ـ لقد دعوتنى متعصبا شاذاً . هل تعرف بالضبط طبيعة شدوذى ؟

واسرعت نبضات قلب سورم ، ونبت نظره فى وجه اوستن ، ليخفى

اضطرابه ، واحس بالحرارة تسري فى رقبته ووجنتيه :

ـ كلا ، ولكن يمكننى الحدس .

ـ لا داهى للحدس ، سأخبرك انا . اننى سادى .

- واحس سورم بقلبه يخفق بعنف وخشي أن يظفر من بين ضلوعه .
 وقال وقد سبطر على نبرة صوته :
 - كيف ؟ وافرغ ن ن قدحه وحدث فيه :
 - انك تعرف ما هو السادي ؟
 - اجل .
 - فابتسم ن :
 - اشك في انك تعرف . ماذا تعتقد ؟
 - الشخص الذي ... يستمتع بالالم .
 لقد ادرك سورم ان صوته سيرتعث ان هو غامر بجملته اطول .
 كانت اذناه تنوقدان حرارة .
 - اجل ، يا جيرارد . ذلك هو السادي ، ولكن ليس هذا وحسب .
 هذا مجرد تعريف قاموسي له ، انه لا يدخل في الحساب اشياء كبيرة
 اخرى ، كالتوتر الذي يسبقه والخوف الذي يليه .
 ولم يجتهد سورم للسيطرة على انفعاله الذي كاد ان يخنقه ، ولكنه
 ارتضى وهو يجلس على كرسيه وراح يتصور صوت ن ن ينبعث من
 غرامافون . وقال الصوت :
 - ان الخوف لا يتوقف ابدا . انك تسعر كالبساط الذي سقطت عليه
 قطعة من الفحم المأجج - مجرد فجوة حيث يجب ان يكون القلب ، فجوة
 محترقة الحواشي . ان الجنس يفترض فيه ان يكون الرغبة الطبيعية في
 الجسد ، ولكن ماذا يحدث فيه عندما يكون تراكما لحالات من التوتر لا
 سبيل الى ادراكك عنها ؟ وانك اذ تحس بها لا يمكنك تعريفها ، وعندما
 تنتهي ، تسعر بالخلو ، ولكنك لم تزل غير قادر على تعريفها .
 وما لبث سورم ان احس بتحسن ، وقال :
 - ارجو ان تغفر لي جهلي ، ولكن ما الذي يمنعك من ارضاء حاجاتك ؟
 لا بد وان هناك اناسا ... على كل ، يفعلون ذلك على سبيل المهنة .
 - انك لا تفهم يا جيرارد . هنالك اناس كهؤلاء ، هذا صحيح
 ولكن ... لا يستطيع التوضيح . اترى ما اعنيه ؟ اذا احسست بالرغبة
 الجنسية فانك موقن نوعا ما بانك ستجد المرأة التي تريد ان تأخذ ما يمكنك
 ان تمنحه ، بيد ان الحالة في السادية هي ... انها تريد ان تأخذ ما لا
 يريد ان يمنحه الاخر . وان اراد ان يمنحه ، فليس الشيء نفسه .
 وقال سورم ليناقض قول ن ن :
 - ولكنني افهم تماما . اني كثيرا ما احس بالشيء نفسه . فليس

هناك ما بمزق نفسى اكثر من امرأة يريد منى مغازلها ، وحسنى لسو
تصورت من الجوع الجنسى لسنة اشهر لثقلنى الفيان اذا دلفت الى
نفس الفراش الذى نضطجع فيه امرأة مفرمة بالجنس . واذا لبنت سة
سهور فى محاولة لاغواء فتاة ، واذا سمعتها وهى تثن قائلة : « خذنى ،
بالله عليك » بنصف دمية قبل ان انهبأ لاخلدها ، لفقدت رغبتى فيها
على الفور . فلن اكون فادرا على مغازلنها . اليس هذا الشعور الشئ نفسه؟
- لیس تماما . انك تريد سريكة سلبية جدا ، ان من المحتمل ان
هناك ملابس الفتيات اللواتى برغبين ان يكن سابقات .

فقال سورم مكشرا عن ضحكة :

- انمنى ان اجدهن .

وطافت فى ذهنه وهو يفوه بهذه العبارة المس كوينسى وكارولين
رغامره احساس باللدة وفد مرت بحاطره ذكرى تلك الامسية .

ولم يتسهم نن ، بل فال بصبر :

- مهما يكن من امر ، فهن موجودات .

وفاطعه سورم :

- انظر يا اوسن ، الست تبالع فى الامر ؟ يمكن لكل انسان ان
يعيس ب ... حاجانه ... على كل حال ، دون ان يعذب نفسه . لقد
تعرفت ببعض ممن تنزعون الى الجنس المسابه ، وكانوا يجعلون من امرهم
ماساة وقضوا وقتهم بأكمله يتحدثون عن الاضطهاد والخيبة . وقد عرفت
ايضا بعض السواذ منهم ، وقد صنعوا من مشكلتهم امرا عظيما وكانوا
يستمتعون بكونهم من السواذ . الا يحدث السوء نفسه بالنسبة لك ؟ ان
الامر ليس الاستسلام الى سلوكك الساذ وحسب ؟

- ليست هذه هي المشكلة . المشكلة هي ان تجعل المجتمع يقرر
هذا الامر .

ومد نن يده الى زجاجة ، فوجدها فارغة ، فنرك يده تسقط ، كأنها
معبأة . وقال بلهجة غير مألوفة بصورة واضحة :

- هل قرأت مؤلفات ديساد ، يا جيرارد ؟

- كلا ، بعض النصوص المبتورة فقط ، على كل حال .

- كان ديساد محقا فيما قاله عن الساديين . لا يجد السادى تعبيراً
نما لنفسه الا ان يكون طاغية شرقيا . هل تفهم ؟ فليس هناك منح واخذ،
وانما الاخذ فقط .

- شيء سىء جدا بالنسبة لضحيته ، على ما اعتقد .

- اجل ، ولكن على المرء ان يكون قاسي القلب في هذا الامر .
- الست قاسي القلب ؟
- لست قاسيا عادة .
- فقال سورم مبتسما :
- فاستخدم اذن فسيلك هذا في الخلق . ذلك هو العلاج الكلاسيكي .
- فاعندل نن على كرسيه وقال فجأة :
- اسمع ، هيا نذهب لنبحث عن المزيد من الشراب .
- هل ترغب في المزيد فعلا ؟
- فقال نن بصوت فاتر :
- ان انمكن من النوم هذه الليلة ان لم اشرب . اريد ان اتحدث اليك .
- حسنا ، ابن تريد ان تذهب ؟
- يمكننا الذهاب الى سُقي او الى ناد اعرفه .
- فهز سورم كتفيه ونهض . ولم يعد يشعر بالنعاس .
- طيب . ابهما تفضل .
- ووضع نن يده على كف سورم وهما يجتازان الغرفة الى الباب . وقال :
- انك تحتملني جيدا ، يا جيرارد .
- كلا ابدا .
- كانت الريح باردة منعشة وهي تعبث بوجهه وهو في سيارة «الجاكوار» المفتوحة . كان الشارع هادئا ، ولم يشاهدا احدا على طول شارع (الباني ستريت) . واخذ بفتش عن الصلة بينه وبين فكرة القسوة . وكان من العسير ان يجد مثل هذه الصلة فقد لاح وجهه في نور مصابيح الشارع ساحبا مضنى ، لا يتصف بالنسوانية بصورة خاصة .
- ولم يلتقيا باحد في الممر المؤدى الى الشقق . وكانت الغرفة التي عليها العنوان « البواب » خالية . وارسل سورم نظره صوب الكرسي الذي كان قد اقتعده صباح ذلك اليوم ، وكان من الصعب عليه ان يدرك ان ذلك كان قبل اقل من خمس عشرة ساعة . كان يلوح له كأن اياما عديدة مضت منذ ان رأى ذلك الرجل العجوز ذا الشارب الابيض والفتاة التي كانت ترتدي الفراء وهما بخرجان من المصعد .
- هل انت تعب ، يا جيرارد ؟
- والى نفسه يتشاءب .
- كلا . كلا مطلقا .
- وتوقف المصعد عند الطابق الثالث . كان البلاط الابيض المرمرى الذي

يغطي ارض الرواق وجدرانه يكسب الرواق مطهر المستشفى . وكان نن بسقى سورم وهو يعبث بحزمة معاييح . وتوقف عند باب داكن مؤطر وادخل المفتاح . ووجد سورم نفسه يفضل السقة التي تقع تحت الارض في كسانغ بليس ، حيث كان الجو فيها اقل برودة .
- بعدك يا جيرارد .

وانارت المكان مصابيح نهارية وكسف عن غرفة واسعة ونيرة الاتسك بدد الاحساس بالكآبة . وكان انانها يجتمع بين لونين : الخشبي الفساح والاررق السماوي . كان سقفها والبساط المفروش على ارضها من لون واحد هو الازرق السماوي وكان انان من الجدران من اللون الاسمر الفاتح . امسا الحداران الاخران ، فكانت تغطيهما رفوف الكتب التي كان لها نفس اللون ، وكان الاماث اكبره من الجلد الازرق . وكان الجزء من الجدار الذي يعلو الموقد مغطى بلوحة كبيرة لماكلانجلو هي « الله يخلق آدم » وقال سورم :
- يا الهى ! ما افخم المكان ! انك لسعيد حقا !

- انه ليس لى . انه لوالدتي ، ولكنها لا تسكن فيه ابدا . هلا جلست . واجتار نن الفرفة في الحال الى دولاب المسروبات وفتحها . وقال :
- ماذا تسرب ؟ نفس النبيء مرة اخرى ، ام تفضل شيئا من النبيذ ؟ وفيما هو يتكلم صب من البراندي في قدح ثم ابتلع نن جرعة كبيرة . وقال سورم :

- بل افضل النبيذ ، اذا كان لديك شيء منه .
كان يجيل بصره فى خزانة الكتب القريبة من الباب . كان يبدو انها لا تحتوي على غير الكتب الفلسفية . كانت هالك طبعة لمؤلفات شليفيل بعسرة اجزاء ، ومجلدات لكنت وفيخته وشيلنغ باللغة الالمانية . وكان الرف الذي يعلو هذه الكتب يحنوي على صف من الكتب المجلدة التي تحمل كلها نفس العنوان : كريل . وتناول سورم الجزء الاول منها ، فوجده يبحث في الرياضيات . واقبل نن من المطبخ وهو يحمل زجاجة من نبيذ الراين .
- اخشى الا يكون باردا . فالنلاجة مطفأة .

- هل هذه الكتب جميعها لك ؟
- اجل . ورتتها عن عمى . اشياء ساحرة .
وناول سورم قدح شراب كبيرا مليئا بالنبيذ الذي يلوح بلون النبن . ووضع الزجاجة على الطاولة قرب الاربكة ، وهو يقول :
- هيا اشرب .

وصب المزيد من البراندي فى قدحه وتكوم على احد الكراسى ، وهو

يبدو كدمية محسوة بنسارة الخشب ، لا حياة فيها .
 - اجلس ، يا جيرارد . ساريك كتبني في المرة القادمة عندما تزورني .
 وجلس سورم على الأريكة وأخذ يرشف الشراب . ولكي يتجنب
 ضرورة فتح موضوع للكلام تناول رشفة أخرى من قدحه .
 وقال نن :

- جيرارد ، امرض اني رحلت الى أمريكا الجنوبية او اي مكان آخر
 فهل ترافقني ؟
 فنظر اليه سورم وقال بحذر :
 - هل انت جاد ؟

- تماما . اود الذهاب الى بلد آخر - الى مكان آخر اسطيع ان ابدأ
 الحياة فيه من جديد .
 - لماذا ؟

- لانني ... لانني متعب .
 - ينبغي الا تكثر من التجوال . ثم لا تحاول ان تستأجر غرفة في القطاع
 الشرقي - واينسابل ، متلا - ولا تخبر احدا بمحل اقامتك ؟
 وبدأ شيء في ابتسامة نن مما احدث توترا في نفسه . وقال نن :
 - واينسابل ؟
 - اوه . كلا ، لقد نسيت امر جرائم القتل هناك .
 وأخذ نن يحدق في وجهه مدة استغرقت ثلاثين ثانية كأنه يحاول ان
 يذكره بسؤال ما . وقال اخيرا :
 - بالضبط .

ومضى سورم يتساءل في نفسه ما مقدار ما يستطيع ان يشربه نن من
 البراندي دون ان يفقد قابليته على الكلام المتزن . فلم تبد على نن حتى ذلك
 الوقت علامات السكر رغم ان حركاته وكلماته كانت قد اوضحت بطيئة بليدة
 كمن اضناه اجهاد هائل . اما سورم فلم يشعر الا بقليل من تأثير الشراب ،
 ولم تكن له الرغبة في اتمام قدحه ، كان طعم الشراب على لسانه كعصير
 الليمون والماء . وقال نن :

- اريد الهرب في الحال ، بعيدا عن المدن . انها تقرقني ...
 ولم يقل سورم شيئا . لم يستطع ان يفكر بحجة لا تدحضها ولا
 تغندها الحقائق . وقال في نفسه : انها منسكلته .
 - اخبرني يا جيرارد ، الم تسعر يوما بانك لا تهدف الى شيء ؟ كأنك
 لا تفكر ان تختار طريقا تعمل فيه لانك لا تعدو ان تكون طفاوة ؟

— نعم . ولكن ليس لمدة طويلة مع هذا .

فقال نن ، كأنه لم ينتبه لجواب سورم :

— انا أشعر بذلك . انعلم ، عندما كنت في اوكسفورد كان لي صديق يدعى نيكول باركر . صبي رائع . اذكي انسان صادقته في حياتي . لاعب ممتاز للكريكيت ، ومخصص في الدراسات الكلاسيكية ، وعالم في الرياضيات . كان احسن من يلم بجميع الالعب الرياضية ، في كلية بيلول ، ولكنه لم يكن من هؤلاء اللاعبين الفارغة ادمغتهم . وقد حصل على جائزة في السعير الاغريقي . وكنت اقسم بان حياة بديعة تنتظره — بلوح كمن خلق لصنع شيئاً عظيماً . ولكن الفبي سقط من فرسه يوما ، ودق عنقه . لم يمت ، ولكنه نصف منسلول الان . شيء مضحك . يجعلك تسعر ان الاشياء لا تسر على ما برام .

فقال سورم :

— هل تعلم ما هي مشكلتك يا اوسن ؟ انك نحس اكثر مما ينبغي بانعدام قيمتك .

واوقف نن قدح البراندي الذي كان يهم باحتسائه ، واخذ يحملق في سورم والدهشة في اساربره :

— لقد اصبت كبد الحقيقة . السعور بلا قيمى . بالضغط . اتعلم كان عندنا في بيلول قس يتحدث عن ذلك ... يقول لنا ان الاناس الذين لا يخدمون الله لن يجدوا طريقهم في الحياة .

وافرغ قدحه ، وبدا كأنه سرح في التأمل . وقال اخيرا :

— انك محق فيما قلته من اللاقيمة . واذا كان هنالك على الارض نفل لا قيمة له فهو انا . كنت شكسا مريض الاعصاب خلال طفولتي ، وقد زججت نفسي في كتير من المناعب طوال ايام صباي . كنت دائما احطم سيارتي او اقتحم بها جدار حديقة احدهم . ولا بد ان يبادر الى ذهنك انه اذا كانت هناك اية عدالة على الارض فيجب ان اقتل انا لا ان يصاب انسان مثل نيكول . شعور سورم بالحراجة تجاه اتهامات نن لنفسه . فلم يكن في موقف يمكن به ان بردها عنه . وقال بتردد :

— على كل حال ، لك القابلية على الخلق ، فانك تؤلف الكب .

فقال نن ساخرا :

— الكتب ! لا قيمة لكتبي حسب اي مقياس فني ، واني اعلم ذلك ، كما تعلمه انت .

— وماذا يهم ؟ انا لا اقول انها عديمة القيمة ، ولكن لنفرض انها كذلك ،

- فماذا يهم ؟ انت لم تزل حرا ، يمكنك ان تؤلف الكتب الجيدة .
 - هل استطيع ذلك ؟
 - لم لا ؟ كثير من الكتاب بدأوا من هذا الشعور باللاقيمة . . بودلير
 ودوستويفسكي . . .
 فقال نن بصوت خافت :
 - بودلير . كل شيء في العالم يفوح بالجريمة . . .
 وعندما حملق سورم فيه والحيرة في عينيه ، قال فجأة :
 - لا تكثر لكلماتي . اننى متعب قليلا ونمل .
 وايدت عيناه قوله وقد استقر نظره على سورم : كانت عيناه خاويتين
 لا حياة فيهما . كان يبدو عليه انه يجهد ارادته ، فلاحته فيهما مسحة من البشر .
 - وانك على ما يرام ، الست كذلك يا جيرارد ؟ انك متزن ، عاقل ، سوي ؟
 وارتاب سورم في ان نن يخفي نكة بين كلماته . فقال في حذر :
 - كلا ، انا لست متزنا . اننى مجرد شخص راكد .
 - اوه ، كفى ! لنترك هذا الكلام !
 فقال سورم ، وهو يكشر عن ابتسامة :
 - راكد ، كئيب ، جائع جنسيا .
 - ينبغي الا تكون جائعا جنسيا ، على كل حال . انا واثق ان كارولبن
 سنشعر بالامتنان ، او تلك الفتاة المكتنزة التي فتحت الباب لي .
 ولا حظ سورم حدة صوته .
 - بالطبع . ولكني قد لا اجد متعة في ذلك . اتعلم ، كان لدينا تعبير
 عن ذلك عندما كنت اخدم في القوة الجوية الملكية ، كنا ندعو العمل الجنسي :
 « نبذر حبوب السموفان » ، فهذا التعبير يمثل الموقف تماما - العمل الجنسي
 المباشر - الدغدغة ثم ايلاج العضو .
 ليس هذا ما يدعى بالجنس . الجنس هو شيء معاكس لكل ذلك . انه
 معاكس لهذا الشعور باللاقيمة واللاجدوى . انه شعور طاغ بالقوة والامان .
 انه الاختفاء التام للشعور بانك شيء عادى . انه ايمان غامض بانه لا شيء يهيم ،
 بان كل شيء هو جميل .
 فقال نن باهتمام :
 - هل يعني كل ذلك بالنسبة لك حقا ؟
 - احيانا .
 - انك سعيد الحظ اذن .
 - ربما . ربما لست الوحيد المحظوظ . كل انسان يمكنه ان يكون

محظوظا لو عرف ذلك .

— بضمنهم الساديون ومختلو الاعصاب الدين لا يرجى منهم شيء .
— نعم . اتعلم ، تقول انك تسمر غالبا بان لا قيمة لك . وهذا ما اشعر به انا احيانا . ولكنني اعلم بانني لست كذلك في الاساس . عندما كنت صغيرا ، كان والداي يقولان دائما انني ولدت سعيد الحظ . وما يضحك في الامر هو اني شعرت دائما بانني محظوظ ، في الاساس ...

— اذن فقد كنت سعيد الحظ فعلا ، يا جيرارد . اما انا فلم اكن . لقد مررت بطفولة مقينة . كان والدي يضايقني ، وكان والدتي تهيمن على كالدجاجة التي تجثم على بيضها . لقد خنقني بكل معنى الكلمة . كانت مساعري الكبرى في الطفولة هي الخجل والسر . هذا ما كانت عليه طفولتي فما رأيك في ذلك ؟

— افهم ذلك . كنت كثيرا ما امر بمساعرك هذه . كل الاطفال يفعلون ذلك ، الا اذا كنت تقضى جل اوقائك في احلام اليقظة . انه مجرد الشعور بالانعدام السام للهدف لدى الطفل . انك لا تبدأ باملاك ذلك الا عندما تكون في سن المراهقه . وهذا الاحساس بالفاية ، الذي يسحوذ عليك ، هو اعظم ما يمكن ان يقع للانسان .
فقال نن :

— عاى شرط الا تكون منمرغا الى اذنيك في لجة من الانفعالات .
— اتق بها بعيدا . اخنقها . لقد فعلت ذلك انا . وعلى كل حال ، فهناك لحظات تهبط عليك تكون لديك بصيرة تنفذ بها الى اعماق نفسك ، فنعوض بذلك عن كل شيء .

— هذا ما يحدث لك انت ، ربما .

— اجل . اتعلم ان المصريين جميعهم كانوا يعتقدون انهم انحدروا من الالهة ؟ هذا هو الشعور الذي اقصده . لان المصريين كانوا يعتقدون ان الانسان هو ضرب من ضروب الالهة — اله في المنفى . اما بالنسبة للكنيسة المسيحية فالانسان روح خالدة ، متوازنة بين الجنة والنار . وفي العصر الحاضر ، الانسان هو مجرد عضو اجتماعي له واجبات تجاه الآخرين . ان قيمة البشر تتناقص باطراد . هذه وظيفتنا انا وانت با اوستن — نحن الكتاب والسعراء . يمكننا ان نحارب هذا التضخم . وظيفتنا هي ان نرفع من كرامة الانسان ، ان نعود بها الى القمة التي وضعها المصريون .

واخذ يسمر بالسعادة والحماس وهو ينكلم ، وبالايمان لنن لانه اطلق في نفسه هذا الشعور بالنقة . كان نن بصفي والاهتمام باد في مجباه ، ولكن

الاستجابة لم تكن تبدو في وجهه . ونحيله سورم وهو ينظر اليه كأن هنالك حرقاً في داخله ، كنفرة يحدثها حرق في البساط . انه يسبه ذلك بالضبط . لقد احرق شيء داخل بن . لقد حرق الالم والاجهاد قابليته على الاستجابة . ومهما سببكم سورم فلن يستطيع ان يلقي الاستجابة ، ليس هنالك ما يسجيب له نن . فوقف سورم عن الكلام واخذ يحرق فيه وهو يحس بلا جدوى المزيد من الكلام . وقال اخيراً :

— اتعلم يا اوسن، اود لو نستطيع ان نخبرني ماذا يقلقك الى هذا الحد؟
— لا شيء . لا شيء لا تعرف عنه شيئاً .
— لا افهم ما يعنيه . ما فائدة تعذيب الضمير ؟ ان كنت فعلت شيئاً فلا تبدد وقتك في الندم . وان كنت لا نستطيع ان نتحمل فعلتك فانسها ، اطردها من ذهنك . وابدأ بداية جديدة .
واعدل نن في جلسه على الكرسي . وادرك سورم ما كلفه ذلك ممن الجهد . وابسم لسورم ابسامة تعبي .
— اسمع يا جيرارد . لننس الامر . لا يمكنني ان اشرح لك . ولكنني سأشرحه لك يوماً ما . لا يدهبن بذهنك ان الامر سر غامض . ولكن ارجو الا نتحدث عنه الان .

وفال سورم :

— اوسن ، سأتركك الان . تبدو شديد التعب .
— اجل ، سأناول جرعة منومة قوية . هل يضرك الا اوصلك الى البيت بسيارتي .

— لا بالطبع .

— سأطلب تاكسي لك .

— كلا !

— نعم ، وباصرار .

— لا تكن احمق . اني اسنمع بالمسي .

وعندما عاد من المراض بعد دقائق قليلة ، كان نن يضع سماعة السمع في مكانها وقال : سيصل التاكسي بعد دقائق قليلة . سيكون على حسابي ، فلا ندفع له شيئاً .

وبسء ، وتمطى بم بطر الى نفسه في المرآة وهو يقول :

— شعر نسائي واسنان الليث . اتبته احد الوحوش في لوحة «الوحي» .

لم خلفت بهذا القبح ؟

وجلس سورم واللعط قدح الشراب .

— أنك معبوه حقاً يا أوستن .
 فمد نـن يده ولمس شعـر سورم قليلاً . وقال :
 — عزيزي جيرارد .
 والتقط سماعة التلفون دانية وأخذ يصفى بضع لحظات . ثم قال :
 — هلو ، البواب الليلي يتكلم ؟ المستر غريغوري ؟ اه ، المستر نـن
 ينكلم . هل تظن أنه يمكنك أن تضع سيارتي في الكراج ؟ هي في الخارج الآن ؟
 كلا ، سأرسل المفاح مع صديق لي بعد دقائق قليلة . اشكرك . طاب مساءك .
 وقال سورم .
 — وبالمناسبة يا أوسن . هل يمكنك أن تحدثني عن أولفر غلاسب ؟
 فاسعل سيكارة وقال :
 — ماذا تريد أن تعرف ؟
 — من هو ؟ يبدو انساناً موهوباً .
 — هل اطلعت على أعماله ؟
 — اللوحات الني في سقنك فقط .
 — فد تميل إليه . ولكنه أكبر مخاصم في لندن . أنه قليل الصبر .
 — هل له ... بعض الصفات الخاصة ؟
 — أنه ليس شاذاً جنسياً ، إذا كان هذا ما تعنيه . لم أحقق يوماً عن
 حياته الجنسية . كان قد دخل مستشفيات الأمراض العقلية — يميل إلى
 الانطلاق والوـرة ويلقي بالأشياء . وهو دائم التفكير في الألم . كانت
 كلمة « الألم » الكلمة المفضلة لديه — على الأقل ، عندما تعرفت به . نسـم
 نخاصمنا . لم استطع احتمال سرعة انفعاله . كان يحاول في ذلك الوقت أن
 يعيش حياة متقشفة — بنام على حديد السرير الخ .
 ورن جرس التلفون . فقال نـن :
 — جاء التاكسي .

ولما عاد إلى غرفته التقط قنينة البراندي والاقداح وصعد بها إلى
 المطبخ . كان المطبخ يتوضع برائحة الفواكه العبقة ، لقد كان على المنضدة وعاء
 يحنوي على التفاح .
 وأحس بتعب جسمي ، وبانفعال غريب مع ذلك ، فقد أوحى له الحديث
 مع نـن بالرغبة في التغيير . وطفق يفكر ، بنقطة تامة مفاجئة : لقد اضعت
 سنوات خمساً ، وأنا مقبور في الغرفة . لقد كان العالم مفعماً بالحياة . أما
 أنا ، فلم أفعل شيئاً .

مسكين انت يا اوسنن ! انت وميولك السادية ، شارد الدهن ، شهواني ، لا ينفلك الا الانشخاص والامكنة . اني اكثر حرية منه ، ومع هذا فقد سلكت خلال الاعوام الخمسة كأنني سجين . لماذا ؟

وفتح نافذة المطبخ واطل منها . كان هواء الليل نقيا . واحس بالانتعاش بالحياة ، والثلاثة ملايين الذين يقطنون في لندن ، والروائح التي تستقبله في الحياة ، والثلاثة ملايين الذين يقطنون في لندن ، والروائح التي تستقبله في غرف البيوت العليا وفي الاسواق .

وسمع وهو في موقفه ذلك بابا بغلق . فاستدار وراح يسترق السمع . كانت غرفة الرجل الفرنسي . ربما سيجيء كاليه الى المطبخ . ولم يستمع فكرة التحدث فهبط السلم بهدوء ودلف الى غرفه .

وبدلا من أن يفتح الضياء اجتاز غرفته وفتح النافذة وتسلق سلم الحريق . وجلس هناك واخذ يحرق في الظلام الذي كان يبدده نور خافت صادر من المصابيح ومن أضواء النيون على دار السينما . ولمع ضياء فوق رأسه ، كان في المطبخ . فرفع نظره ورأى طيف كاليه يمر على الرجاج . فغبط نفسه على فراسه ، ولكن الضياء ازعجه فقد جعله يشعر كأنه يتجنب كاليه . وبعد لحظة من التفكير ارتقى سلم الحريق الى الشرفة التي تقع امام غرفة الرجل العجوز . كان ذلك في اعلى سلم الحريق ، فمن تلك النقطة كان هناك سلم حديدي يكمل المسافة الى السطح . واخذ سورم يهز السلم ليتأكد من قوته قبل ان يمسك بالقضبان ويتسلقه . وكان السلم ينحني فوق سور سطح البناية مؤديا الى السطح .

كان السور يرتفع قدما واحدا وكان يحيط بجانبين فقط من سطح العمارة ، السمالي والسرفى . اما في الجانب الغربي ، فكان يفصل ميزاب بين البلاطات في الطوابق الخمسة من السطح الى الارض الخربة التي تقع بين الببت والكنيسة . كان النسبم باردا ، فمضى الى فوق زاوية السطح ليحفظ نفسه منه ، وجلس على البلاطات بحذر وقدماه تستندان الى السور . ونظر صوب كامدن باون ، كاتب أضواء مصنع البلاستيك الذي يعمل طوال الليل نثير السماء . وكان ما يزال يحس بالانساء ، ولكنه تحلل الى شعور بالهدوء والقوة . وعندما تنهى اليه صوت سيارة لوري ضخمة تمر في شارع كنسس باون رود اخذ سورم يسبق اللوري بدهنه خلال منطقتي وينستون وباريب ، نحو الشمال . كان يسيطر على افكاره بوضوح وتدبر . كانت المناسير التي نسوقها بلوح كأنها تجري بآنة أكيدة . كانت تجري نحو مظهر من مظاهر الامتنان ، الخسوع والاكيد كانت تبدو كأنها كاتدرائية ، اكبر كاتدرائية عرفها ،

رمز المجهول . واخذ يفكر : لقد استغرق ذلك خمس سنوات ، رؤيا بجمع المعرفة كلها ، وتتضمن الانجازات البشرية في الخيال والتجاعة . ليست رؤيا المتصوفين ، بل رؤيا الفلاسفة ، المتحررين من التفاهة والعجلة . انا الاله الذي يسكن العين ، ولقد اتيت لامنح الحق والحقيقة الى (ر ع) ولكن كم مرة ؟ ست مرات خلال خمسة اعوام . والان يستنيرني انسان سادي شاذ جنسيا وفتاة متدللة . لقد نجح لن حيث فشل افلوطين . واخذ يضحك ، وظهره يهتز على البلاطات،وقدماه على الحاجز . وادرك انه بحس ببرد شديد . وود لو جلب معه معطفه .

لا يمكنني ان اكون من اليوغا . لا املك الصبر الكافي . او انني احتاج الى مناخ اكثر دفئا . الحياة المركزة . دير في جبال هملايا . وراح رجل عجوز يحدق في الفجر ، وقد حمرت قوة ارادته خطوطا في وجهه ، غير آبه للوادي الذي يهبط خمسة الاف قدم ، اشعيا ، او مايكلانجلو ، ويمسك بقبضته المتشددة ارادة العالم ، الى ما وراء الماساة . خط من الضياء لا يكاد يتميز بحاذي الافق الشرقي .

— انغير . انغير . الى ماذا ؟

وطافت في خاطره صورة كارولين ، واحس بنسيء من النفور لبرهنة وجيزة . هذا السيء اللامرئي ، تلك المغامرة الخيالية — هذه الاشياء بالذات ما لم تكن تمثلها كارولين . ملها مثل كي ، الفتاة التي تعرف عليها في مدرسة (سليد) للفن ، انها تسيء الى المنالية . ذلك الجسد الدافئ الممتلىء ضراوة ، والرغبة في ان تفتصب . كان شبقها الحيواني يبدد التوتر ، كالمسلك الارضي الذي يقود النحنة الكهربائية ليبددها في الارض .

ان انغير . ولكن ليس تغيرا جسيما ، بل التركيز المستديم في الخيال الذي لا يحناج الى رمز الكاتدرائية لابقائه واستعادته . ايزويل غودي ، روجة الفلاح ذات التدي الكبير ، تنزى عرفا وتتلوى ازاء الظلام المجرد السدي يداخلها،والافرازات الدافئة التي تنساب لنعين شرا لا شكل له على الدخول . للهروب من بلادة الحياة في مزرعة اسكتلاندية في وضح النهار ، مصييده الزمن ، رمز اللامرئي . اللامرئي هو كل ما لا يمكنك رؤيته في تلك اللحظة . الى ان يتمطى الوعي ليضم بين جوانحه كل المكان والتاريخ . اوزيريس يطلق غمامة عاصفة في جسد السماء ، فيتحرر هو ، وحوروس يزداد قوة يوما بعد يوم . لم مصيدة الزمن هذه ؟ لم هذا السياج ؟ قيود غير مرئية ، قيود غير موجودة . البسر يحبون الخيول معصوبة العيون . لقد نفذ البرد خلال سترته وسرواله ، فأحس بالعري . فأخذ يمسد

ويمط -باطرافه ، ونفخ في كفيه المكورتين . وجعلت برودة حديد السلم الخدر يسري في اصابعه ثم اخفض نفسه من فوق سياج السطح، واخذ يبحث بقدميه عن درجات السلم . واخذ يحس بالخوف ، وهو ينزل ، من الخدر في اصابعه ، وهو يعلم ان عليه ان يقفز الى الحافة الكونكريتية . وشعر بالارتياح عندما لمست قدماء الحافة الحديدية .

وعندما فتح الضياء الفى يديه وقد اسودتا من التراب ، وكانت على خديه لطخة من الخام ، حيث لمسه بيده . وذهب الى المطبخ ووجد اناء الماء مملوءا الى نصفه بالماء الساحن .

وبعد ان اغتسل ، وقت ساعته لتوقظه في الثامنة . كانت الساعة انذاك تشير الى الثالثة والنصف صباحا . وسيطر عليه النوم حالما اغمض عينيه .

الفصل السابع

كان المغيّب شاحبا في شهر كانون الاول هذا ، وقد جعله يتصبّب عرقا وهو يقود دراجته في شارع ليدنهول ستريت . كان الشارع يعج بالسيارات ، وكان يعلم انه اذا سار بدراجته بين صف السيارات الواقفة من شدة الزحام وبين الرصيف يطير صواب سواق السيارات ، وقد لذ له ان يطير صوابهم . فكان يشعر وهو يقود دراجته بان كل واحد من هؤلاء السواق عدو لدود لشخصه .

لقد اورثه نساظه الدهني في الليلة الماضية شعورا بالتجدد فلم يزعمه ازدحام المرور . وعندما نزلت امرأة ما من الرصيف وصارت امامه فاضطرته الى الوقوف فجأة ، ابتسم لها فقط وهز رأسه عتابا . وخمن انها اجنبية لانها كانت تلتفت عند العبور يسرة بدلا من يمنة .

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والنصف قليلا عندما توقف عند شارع الدفيت هاي ستريت . واسند دراجته الى جدار مطعم ليونس كورنر هاوس واقفل عجلتها الخلفية . كان المطعم الذي يخدم فيه الزبون نفسه خاويا من الرواد تقريبا . وطلب قدحا من الشاي وقطعتين من الخبز المحمص وجلس الى طاولة قريبة من النافذة . وكانت هناك امرأة في متوسط العمر ترتدي رداء ورديا تجمع الاكواب الملوثة من الموائد . ورد على ابتسامتها وشعر وهو يفعل ذلك كأنه يتوقع شيئا ، كالتفاهة من مرض . المطعم كله يعج بروائح طعامه ، والعامل الذي يجلس مقابلا له يقرأ الجريدة ، والمرور المزدحم في الشارع خارجا - كلها مست اوتار الحنين والذكريات في نفسه . شعر كأنه استيقظ من نوم طويل . واخرج دفتره ذا الغلاف الجلدي وانبرى يكتب: «واتشابل» الاول من كانون الاول . اني اقوم بدور فاوست معاصر . سجين في غرفتي ، افكر اكثر مما ينبغي . ودخل اوستن مفيستوفيليس ،

وهو يبرم نهايتي شاربيه ... ولكن من هي غريتشن ؟
فانقطع عن الكتابة ، وهو يفكر ان كارولين او جرتروود قد تريان الدفتر .
كان على وشك ان يطنب في شرح السؤال ، ولكنه بدلا من ذلك كتب : « اوستن ،
منل مفيستوفيليس ، بيعني الحب او الحياة . اما موقفي من الصفقة فلم
يزل غامضا . »

وعلى الجانب المقابل من الشارع بدا صندوق موسيقى بالعزف . كان
صونه معدنيا ، كل نغمة فيه تدندن كعلبة من القصدير الصديء ملقاة مسن
ارتفاع . واثارت في نفسه ذكريات تشبه ما اثاره احساسه باللون والرائحة .
وافلنت هذه الذكريات من ذهنه فترة وجيزة ثم عادت : مكتب في المدينة ،
رائحة دفاتر الحسابات ، ورائحة التبغ الفرنسي الذي كان يستعمله ذلك
الموظف الاسكوتلاندي المخاصم الذي كان يقطن في ساوثيند .

كان اخر مرة سمع بها هذا اللحن « قلبي يتفتح لصوتك » هو في امسية
يوم من ايام الخميس منذ خمس سنوات ، عندما ترك العمل في الدائرة دون
ان يعطي انذارا بذلك ، وقد طوى بعناية تامة رسالة محاميه ووضعها في محفظة .
ثم خرج الى زحمة المرور ونور السمس في منطقة بيتوب غيت ، ولم تزل
تسبطر عليه نسوة الانطلاق من القيود .

وادهسته ان يسعيد تلك الذكرى بكل دقائقها والاحاسيس التي اثارتها ،
حتى لقد اعادت اليه الاحساس برائحة دخان السيارات في تلك الامسية
الحارة ، والرطوبة في مدخل الدائرة حيث كان يضع دراجته . وخطر له لبعض
الوقت ان يتمشى الى هاوس ديتش ليلقي نظرة الى بناية دائرته ثانيا ، ولكنه
ابعد الفكرة اذ تذكر ما تراكم في نفسه من الضجر والاحتقار الذاتي وقد قضى
اكثر من سنة هناك .

وتلاشى على الفور شعوره بالرضا والاستقرار . لقد تذكر ذلك الكاتب
الاسكوتلاندي بوجنتيه الورديتين وشاربه الاشقر الذي يشبه حزمة من
القس . واثارت الذكرى في نفسه الخجل والغضب . كان هذا الاسكوتلاندي
يضمهر كرها عنيفا للساميين ، وكان يسمى منطقتي همبستيد وكولسدوز
جرين مستعمرتين يهوديتين . وكانت مناقشاته مع سورم تنتهي دائما بان
يعلن كل منهما ازدرائه للآخر ، وتترك في نفسه شعورا بالتفاهة . كانت
هذه المناقشات وعلاقة عاطفية فاشلة مع فتاة في نفس المكتب كل ما علق
في ذهن سورم من ذكريانه عن العام الذي قضاه في تلك الدائرة . كان
اسم الفتاة مارلين ، كانت مكتنزة الجسم ، ليست ذات جاذبية متميزة ،
وكانت قد جاءت من مدينة ستيين غربن . وكانت تميل الى ارتداء ملابس

تكاد تكون شفافة مع اقل ما يمكن من الملابس الداخلية تحسها . وكانت اذا انحنت على درج الملفات تتراعى خطوط لباسها الداخلي من خلال رداها ، وكان الكتبة الثلاثة يختلسون النظر حتى تعتدل ثانية . ودعاها اخيرا ان يخرج معها ليذهب الى المسرح ثم ليشربا شيئا بعدئذ . وقد علم فيما بعد ، من نفس تلك الليلة ، وهما في حديقة فيكتوريا ، انه لم يكن يرغب في امتلاكها ، وان ما حسبه رغبة جنسية تجاهها لم تكن الا وهما اورنه اياه الضجر والتلميحات الجنسية التي تدور اثناء الحديث في الدائرة . وربما اعتقدت الفتاة انه بدافع من التهمة عاد وانزل طرف تنورتها برفق بعد ان رفعنه له . واحس بالفرح ، وبعد ثلاثة ايام ، عندما ترك الدائرة دون ان يراها ، ثم شعر بالاحتقار لنفسه لانه احس بالفرح . وولدت هذه الذكرى في نفسه شعورا بالقلق والخجل . فانهى قطعة الخبز المحمص ثم خرج .

ومضى على الرصيف وهو يدفع دراجته الى جنبه الى ان وصل الى شارع مدلسيكس ، ثم امتطى الدراجة وقادها على مهل صوب بيسوبس فيت . وصرف عن ذهنه تلك الذكريات وراح يعتمد التفكير في كارولين وجرترود ، فسرعان ما تحسنت حالته النفسية . وعندما صار في شارع وايدغيت جعل يحرق باهتمام في امرأة حبلى كانت تدفع عربة صغيرة مهدمة محملة بالغسيل واحس بانطلاق توتره الداخلي الذي يولده اللون والرائحة . وبتجدد في توقد عواطفه . واسندار نحو سوق سبيتالفيلد وترجل ، فقد كان من المستحيل السير بالدراجة بين الحشود المزدحمة بين سيارات اللوري الواقفة وبناية السوق . وراى على الفور رجلا يرتدي قميصا يقذف بشبكة مليئة بالملفوف من اعلى اللوري وكادت تصيب رأس سورم قيد شعرة . فكسر الرجل وصاح : خذ حذر ! فكسر سورم بدوره ثم توقف لحظة يتفادى عربة موسوقة باكياس البطاطا . كان الدفء الذي يحس به في داخله ، كشمع بالسكر ، ولكن من دون القيود التي يفرضها السكر .

وفي زاوية شارع برشفيلد ، توقف ليلقي نظرة على خارطة لندن التي يحملها في حقيبة دراجته . كان خط المترو في شارع كومرشيال كالسبل المتدوق الذي لا ينقطع ، يملأ الهواء بالضجيج وبرائحة الدخان .

* * *

كان رصيف شارع داروارد يكاد لا يزيد على القدمين عرضا . وكانت السقوف واعتاب النوافذ وحافة الرصيف ، كلها تسير في خطوط متوازية

بالنسبة للناظر من احدى نهايتي الشارع . كان الشارع مقفرا .
وتوقف امام الباب الذي يحمل الرقم ١٢ وكان الدهان البني على الباب
الامامى قد تحول بمفعول الجو الى حراشف .
وظل في موقفه امام النافذة يأمل ان يسمع حركة في الداخل قد
تبدد تردده .. واذا هو يهم بطرق الباب ، تذكر تعليق ن عن غلاسب وما
حدره منه ذلك القسيس الهنغاري . واخذ يحاول ان يفكر في الكلمات
التي سيقدم بها نفسه . واخيرا ، نقر على الباب بقوة ، ولبث ينتظر .
وفنحت نافذة فوق رأسه . فرجع الى الخلف لينظر ، وهو يأمل ان
يجد غلاسب . كانت نافذة البيت المجاور . وسألته امرأة :
— هل تبحث عن المسز غرينبرغ ام النزيل ؟
فقال سورم :

— رجل يدعى غلاسب .
واحس بالحرجة ، كان سرا مخجلا قد انكشف للشارع كله .
فقالت المرأة :
— النزيل اذن . لن يطول غيابه . انه يخرج في هذا الوقت عادة
لسناول الفطور . ولا اعلم الى اى مطعم يذهب .
— لا يهم ، سأعود فيما بعد .

وانغلق الباب ثانية بقوة . وجذبت انتباهه ستائر البيت المقابل كان
احدهم كان يراقبه . وعاد ممتطيا دراجته وهو يشعر بالفضب من نفسه
ومن تلك المرأة التي تسكن البيت المجاور لتدخلها فيما لا يعينها . فقد
جعله تصرفها يسر كأنه متطفل .

وترجل عن دراجته في نهاية الشارع واسندها الى الجدار تحت
لافتة كتب عليها (ممنوع الدخول) . غير ان فكرة البحث عن غلاسب
في المطاعم المحلية لم ترق له . ونظر الى ساعته وقرر ان يتمشى في تلك
المنطقة . لقد مضى وقت طويل منذ ان تمشى في وايتشابل ، وهو يفكر
في جرائم ماك السفاك . والان وهو يحس بقابلية على تقبل الاشياء لذت
له فكرة الذهاب . فوضع القفل في الدراجة بعد ان لف السلسلة مرتين
حول العجلة .

وكان بنصب مقابل نهاية شارع داروارد هيكل لبنانية مسرح تحطمت
عوارضه واسودت جدرانه . فوقف هناك ، واخذ يجيل بصره فيه وهو
وهو يحس برغبة في تسلق الحاجز الخشبي الذي كان يحيط بالطابق
الاسفل ، وشق طريقه بين الالواح الارضية البالية ، ليشم رائحة الرطوبة

والعفن المنبعثة من اكوام الانقراض . لقد كان ما يحسه يكاد يكون حاجة جسمية . ولقد اذهله ذلك . كانت هنالك امور تجري في اعماقه من العسير عليه ان يعيها ، كان اعصابه تفككت ثم عادت وارتبطت في نظام اخر فولدت لديه شهوات جديدة واحاسيس جديدة . ثم استدار وسار في شارع فالانس رود مبتعدا عن الشارع العام . وشق طريقه عبر الارض التي كانت موضع وقوع القنبلة وهو يحذر الا يطأ اطواق البراميل الصدئة . ورأى على الجانب الثاني من الشارع مبنى مدرسة يلوح مقفرا مثل ذلك المسرح المهدم . وقد كتب على جدران المدرسة بحروف كبيرة : النقابة ستتخلص من الحمر . وعلى طرفي هذه العبارة دائرة في داخلها رمز للصاعقة . ثم عبر الشارع المحاذي للمدرسة الى قطعة اخرى من الارض الخربة تحفها بيوت خاوية وبقايا جدران مهدمة ، وتوقف هناك لحظة ليطل خلال فتحة لا شبك فيها لاحدى البنايات المتفطرة . كانت الارضية مغطاة بالركام والجرائد القديمة التي قضمتهما الجرذان وكان هناك مشد صدر وردي ممزق . وكان هناك سلم لم تمسه القنابل يلتف حول الجدار المقابل . وفيما هو ينظر رأى جرذا يركض من تحت الجرائد ويختفي في جحر في لوحة قريبة . لقد ذكر له احدهم هذا البيت قبل : ففي عام ١٩٤٣ ، وجدت جثة ملاح فنلندي ملقاة في الطابق العلوي عندما كان بعض الاطفال يلعبون لعبة « الاستغماية » لقد سرقوه وتركوه ليموت بعد ان هشموا راسه بأجرة مدلاة بجورب نسائي حريري .

كان البيت المجاور ما يزال مسكونا . كان بابه الامامي مفتوحا، تنبعث منه رائحة السجق المقلي . وكانت امام الباب عربة صغيرة يركب فيها طفل . وراح سورم يطوف السوارع القذرة ، دون ما هدف . وفي شارع هانبري ستريت بدت له التسقق الجديدة وساحات لعب الاطفال ناشرة المظهر . وتوقف ثانية خارج دكان الحلاق في البناء رقم ٢٩ . كانت تالفة جرائم جاك السفاك قد وقعت في الساحة الواقعة خلف الدكان . وقد رأى مرة صورة للمحل التقطت بعد حادثة القتل مباشرة . رأى البقعة لم تتغير على الاطلاق خلال السبعين سنة التي مرت عليها . ورفع الحلاق بصره من زبون كان يقوم بحلاقته . بينما كان سورم يقف عند الباب . وهتف الحلاق :

— هلو . لم ارك منذ مدة طويلة .

فقال سورم : كيف حالك ؟

— بخير . الا تأتي للحلاقة هذه الايام ؟

— لا أسكن هذه الاصقاع الان .

وفي نهاية شارع هانبري ستريت السفى نفسه يواجه سوق
سبيتالفيلدس تانية . وعندما مر بكنيسة رين ، رأى رجلا يخرج من
المراحيض العامة ، ثم التفت الرجل وتمتم :
— هل تترفق علي بقدر شاي ؟

ومد سورم يده الى جيبه ، وقد لوى بنظره بعيدا لكي لا يرى القطرة
التي تتدلى في طرف انف الرجل . وتناول الرجل بيديه الياسنين
المغضنتين قطع النقود ، ثم تلفت حوله لئلا يلحظه احد رجال الشرطة .
واستقرت يد الرجل على ذراع سورم . فلم يدرك سورم مراد الرجل
فأخذ ينظر في عينيه الزرقاوين النديتين . كان الرجل يتمتم بكلمات
غير مفهومة ويشير الى قدميه اللتين ينتعل فيهما حذاء باليا . فافترض
سورم ان الرجل يطلب المزيد من المال ، فأخذ يفتش في جيبه عن قطع
صغيرة أخرى — واستوقفته كلمات الرجل : ... وقد عشت هنا —
يقرب من السبعين سنة .

— سبعين سنة ؟

— نعم ، سبعين سنة تقريبا .. عشت هنا .

ثم مسح انفه بكم معطفه فاخفت القطرة . فحلت محلها قطرة أخرى
على الفور . فادار سورم راسه . كان المعطف طويلا جدا وكان طرفه يمس
الارض . وقال سورم بأدب :

— أنك لا تبدو مسنا الى هذا الحد .

— بلى . عمري ثلاث وسبعون سنة ، قضيت كل يوم منها بالعمل .
وادرك سورم أن الرجل لم يكن ثملا ، وإنما كان يتحدث ليبدو
وحدته او ربما امتنانا لقطعة النقود . ولم تكذ كلماته تتميز . وقال سورم :
— لا بد وانك كنت حيا في ايام جرائم جاك السفاك ؟

— من ؟ جاك السفاك ؟ نعم . ويمكنني ان اقول لك شيئا عنه . كانت
آخر جريمة اقترفها هناك ..
— ميلرز كورت !

— أجل . هناك ، قبل بناء السوق في البقعة ، كانت تسمى انذاك
شارع دورسيت ستريت . اعلم ذلك لاني كنت ابيع الصحف هناك .
فقال سورم بدهشة :

— كم كنت تبلغ من العمر انذاك ؟

— كم كان عمري ؟ دعني افكر ...

وركن الرجل بصره بعينيه النديتين . وسقطت القطرة الشفافة من
أنفه الى الرصيف . وقال اخيرا :

- كنت في العاشرة .

فأخذ سورم بحسب بسرعة . المدة بين سنة ١٨٨٨ و ١٩٥٦ -
ثمانية وستين سنة . وقال :

- وتقول انك في الثالثة والسبعين ؟

- اجل . الثالثة والسبعين وسأبلغ الرابعة والسبعين في شهر نيسان
القادم . كنت آخذ الصحف صباح كل يوم الى ميلرز كورت . وفي صبيحة
يوم من الايام وجدت هناك جمهورا محتشدا من الناس امام الباب . فقال
لي احد رجال الشرطة : انها لن تريد الصحف بعد اليوم يا بني . لا تأت
بالصحف بعد اليوم . تلك هي الطريقة التي علمت بها كيف قتلت . كان
القاتل جاك السفالك . فنظر سورم الى ساعته وقال :

- امر مدهش ! طيب ، يجب ان ارحل الان . وداعا ..

ورفع الرجل يده محييا وهو يهم بالسير . واتجه سورم نحو شارع
فورنيير وهو يفكر : اما ان تكون سنه اكبر مما يعتقد بخمس سنوات، او
يكذب . واخذ يسرع الخطى ، متخذا اقصر الطرق ليعود الى حيث خلف
دراجته .

وفك القفل عن العجلة ، وحل السلسلة ، وراح يسلم عندما تلوت
اصابعه بالزيت من اعواد العجلة . ومسحها بمنديله ثم مشى وهو يدفع
بالدراجة في شارع داروارد ستريت . وكان الشارع ذا ممر واحد يقود
الى النقطة التي يتفرع فيها - وكان احد رجال الشرطة يقف في ركن الشارع .
وقبل ان يتقدم اكثر من مائة يارد في شارع داروارد ستريت اخذ
يرقب المرأة المعجوز التي اقبلت نحوه من الطرف الاخر من الشارع . كانت
تحمل قطعة من الخبز تحت ذراعها وترتدي ثوبا من الصوف الارجواني
الذي يشبه الكيس . وتوقفت وادخلت المفتاح في الباب . فوضع قدمه
اليمنى على قضيب القدم في الدراجة فانطلقت به مسافة بضعة امتار
اوصلته الى المرأة ، فوقف خلفها بينما هي تفتح الباب وقال : المعذرة ..
فدخلت البيت دون ان تلتفت اليه . فظننا صماء ، فمد يده ولمس
كتفها ، فالتفتت اليه والفرع يلوح في وجهها . فقال بصوت عال :

- لطفا . هل يسكن المستر غلاسب هنا ؟

وحدجته المرأة بنظرة ساهمة من عينيها المتعبتين اللتين احمرت

زواياهما ، فكرر السؤال . فالتفتت ولوحت بيدها نحو السلم بحركة تدل على اللامبالاة المطلقة وقالت :

— نعم . هنا ، اصعد .

فارتسم على وجهه الشك ، وهو ينظر الى الغرفة المظلمة التي تفوح منها رائحة القدم واثاث العصر الفكتوري . فصاح : فوق ؟

ولكنها كانت قد استدارت واجتازت الغرفة ، تاركة اياه وحده ليفلق الباب خلفه . ولما وصلت الجانب الاخر من الغرفة قالت من فوق كفها :

— ربما تجده نائما .

وارتقى سورم السلم بحذر ، مائلا بجسمه الى الامام متحسسا بيديه الألواح الخشبية العارية التي يغطي القماش المتسمع بعض اجزائها وتعثر وهو يصل اعلى السلم ، فاطلق شتيمة بصوت خافت . كان المكان يسبح في الظلام ، ويفوح برائحة زيت البارافين السديدة . وبينما هو واقف هناك ، يتطلع في الظلام ، فتح باب على يمينه وقال صوت رجل :

— هلو ، من هنا ؟

فقال سورم :

— المستر غلاسب ؟

— نعم .

كان الصوت يتميز بسيء من لكنة يوركتاير .

— اسمي جيرارد سورم . رايت لوحاتك امس وقصد رغبت في التعرف بك .

— هل انت رسام .

— كلا ، كاتب .

وقال الصوت بسماجة :

— الافضل ان تدخل — فليس لدي وقت طويل .

— لن اطيّل مكوثي . .

وشعر بالارتباك قليلا ، فلم يكن على استعداد ليقف وجها لوجه مع غلاسب على هذه الصورة المفاجئة . كان يود لو منح بضع لحظات ليقرر ما سيقوله . كما ان لهجة غلاسب دلت على ان المقابلة ستكون قصيرة . وقال غلاسب :

— تفضل بالجلوس .

كانت الغرفة واسعة ، يلوّح انها كانت في الاصل تتألف من غرفتين هدم الجدار الذي يفصل بينهما فصارت غرفة واحدة . كانت بشكسل

حرف « ل » غير منتظم ، ولها بابان كل على طرف من طرفيها . كان اتانها الوحيد سريرا قديم الطراز له قضبان نحاسية ومقعد وطاولة صغيرة . كانت هنالك الواح كثيرة تستند الى الجدران . وكان امام النافذة منصة للرسم من النوع الذي يستعمل في المدارس وعليها لوحة اخرى . وجلس سورم على المقعد بالقرب من النافذة ، في وضع يستطيع منه ان يرى الغرفة كلها . وكانت هناك بالقرب من المقعد مدفأة نفطية تشتعل ، فوضع سورم يديه بصورة تلقائية لتدفئتها . وقال غلاسب :

— حسنا ، ماذا يمكنني تأديته لك ؟

كانت لهجته غليظة يبدو عليها الانفعال . كان واقفا بالقرب من السرير يستند الى حافته : كان رجلا بارز العظام ، كث الشعر ، لم يحلق ذقنه . وكان ثوبه الازرق قد تصلب لكثرة بقع الصبغ عليه .

وقال سورم معتذرا :

— انظر . انا اعلم اني تطفلت وجئت لتقديم نفسي اليك بهذا الشكل . فاذا كنت تعتقد اني اضيع وقتك فلا تتردد في ان تخبرني بذلك ، وسأغادر . فبدت الدهشة على غلاسب ، ولكنه لم يحس بضعف في موقفه ، وقال بصوت اجش :

— كيف لي ان اعرف هل انك تضيع وقتي قبل ان اعرف ماذا تريد؟
— لا اريد شيئا غير مجرد الرغبة في لقاءك . رايت اثنتين من لوحاتك يوم امس واعجبت بهما . فقال غلاسب ، بلهجة ساخرة :

— يظهر انك مشغول جدا ، تذهب لزيارة كل رسام تعجبك صورته . فرفض ان يحمل هذه اللهجة على محمل الاسنياء وقال :
— انك مخطيء في التعبير ، ان المسألة ليست مسألة « اعجاب » فقط . اعتقد ان الصور غريبة جدا .

وظل وجه غلاسب خاليا من دلائل البسر ، وان ارتسم شيء في محياه ، فانبا هو قليل من الاستياء . وقال :

— هل لي ان اسالك اين رايتها ؟

— في شقة تخص اوستن ن .

— اوه ، انك اذن صديق لاوستن ؟

وبدت لهجة السخرية واضحة لا لبس فيها هذه المرة .

— نعم .

— واحد من حماة الفن ، ان جاز التعبير ؟

فقال سورم بصوت حازم : كلا . وهو يحاول ان يكظم بورتته .
وارد :

— انا لا اشتري الصور ، لا يسمع ايرادي بذلك . اردت ان اتعرف
بك فقط .

وحاول ان يجعل صوته طبيعيا ، وهو يتهيأ لينهض ويترك الغرفة .
لقد اخذت لهجة غلاسب تثير اشمئزازه ، وقد غضب على نفسه لانه
وضعها في موضع المتطفل على غلاسب .

والتقط غلاسب من الارض كوزا عليه خطوط زرقاء وبيضاء واخذ
يرتشف منه . ثم جلس على حافة السرير وقال :

— طيب ، ساكون صريحا معك . انا اسكن هذا المكان لاني لا اريد
مقابلة الناس . وكذلك ، بالطبع ، لانه رخيص ، ولكن السبب هو بالدرجة
الاولى لاني لا ارجب في الناس كثيرا ..

— لماذا ؟

— لم لا احب الناس ؟ لنفس السبب الذي اكره من اجله رائحة
شراب الروم او الشاي الصيني ، على ما اعتقد .

كان سورم يحاول جاهدا ان يكون عنه فكرة . كان في نبرة غلاسب
شيء من الاستهجان المكتوم مما جعل سورم يعتقد بانه مريض بداء العظمة
والنسيء الوحيد الذي كبح رغبته في ترك الغرفة هو انه كره ان يشعر
بالاندحار التام . وحاول ان يقوم بمجهود اخر . واصطنع البشاشة
وقال مبتسما :

— في الحقيقة ، كان اوستن والاب راكوسي كلاهما ينصحاني بالآ
اتي لزيارتك .

— لماذا ؟

— يبدو ان انطباعهما عنك هو انك انسان فظ .

فزجر غلاسب ورشف جرعة اخرى من الكوز . فنهض سورم وقال :
— حسنا ، لك مطلق الحق ان تظل لوحداك . ولذا ساتركك .

كان غلاسب يحدق في الكوز الذي كان يضعه بين كلتا يديه في
حضنه . ولم يتحرك . وقال :

— لم اردت مقابلتي ؟

واحسن سورم ثانية بضعف اسبابه ، وقال :

— ظننت انه قد يمكنك ان تخبرني بشيء عن اوستن .

فرفع غلاسب بصره اليه ، وقال وهو يكشر بابتسامة :

- لماذا ، هل تريد ابتزاز امواله بالتحايل عليه ؟
- كلا .
- هل انت شاذ جنسيا ؟
- كلا .
- فلماذا اذن ؟
- لم يعد غلاسب يتخذ سلوكا معاديا بشكل صارخ ، كان يبدو حياديا غير مبال واحس سورم بانه اثار فضول غلاسب . فقال بتعقل :
- اصغ . انك تعتمد في تعقيد الامور بالنسبة لي ، اليس كذلك ؟
- كل ما في الامر هو ان صورتك اعجبني فاردت لقاءك . وكذلك علمت انك من اصدقاء اوستن . واني مهتم باوستن ايضا . فاذا كنت تكره مقابلة الاخرين ، واذا كنت لا تشعر بالميل الى الحديث عن اوستن ، فقل لي ذلك ، وسأخرج .
- فنظر اليه غلاسب . كانت تعابير وجهه تأملية جامدة ، كالتعابير التي تظهر على وجه شخص على وشك ان يشتري بضاعة يريد ان يقلل من قيمتها . ومد يده وتناول لوحة الالوان من الطاولة واخذ ينظفها بسكين مائدة . وقال دون ان يرفع رأسه :
- ليس لدي الكثير عن اوستن . لم اكن على معرفة تامة به ابدا ، ولم اعجب به يوما . فلماذا يثير اهتمامك اذا لم تكن منحرفا ؟
- لنفس السبب الذي يثير اهتمامي فيك .
- ما هي الصفات التي اشتهرت فيها مع اوستن ؟
- واحس سورم بالحاجة ليقول شيئا مقنعا ، ولكنه لم يهتد الى شيء . فقفذ باول ما خطر في ذهنه من الكلمات :
- اعتقد من لوحاتك ... هناك نوع من التعصب .
- فادرك على الفور انه اصاب ما كان يريد قوله . فقال غلاسب :
- وتظن ان اوستن متعصب ايضا؟ انه لم يترك لدي هذا الانطباع قط .
- من الصعب ان اشرح . لست امرفه جيدا ، ولكني اتوجس ذلك .
- ولم يثير ذلك اهتمامك ؟
- من الصعب ان اشرح هذا ايضا . كنت دائما مولعا بفكرة الحياة وحيدا . وكنت افكر في دخول احد الاديرة . .
- فقاطعه غلاسب قائلًا :
- انت لست كاثوليكيًا ؟
- كلا .

— فلم لم تمض في فكرة الدير هذه ؟
— لم ار في ذلك جدوى . فضلا عن ذلك . فلم اكن واثقا من اني
سأستمتع بكوني راهبا . واشك في ان اهداف مجتمع الرهبان هي نفس
الاهداف التي ابغها .

— وما هي اهدافك ؟
ونظر سورم اليه واحس بالارباح للاهتمام السافر الذي يبديهِه
غلاسب . وقال :
— لا ادري ... اعتقد اني اردت ان ارى الرؤى .
فنهض غلاسب ، وقال :
— وماذا حدث ؟

— لم يحدث ما يدعو الى الاهتمام . امضب عاما واحدا في قراءة
افلاطون والقديس فرانسيس دي سال وغيرهما ... ولكنني شعرت بانني
افتقد شيئا ما ، بدأت احس ان خيالي قد مات ، واخذت اشعر بانني في
حاجة الى الجنس والى الاجتماع بالناس . فكونت لى بعض الاصدقاء
وارتبطت بعلاقات مع فنانين لفترة قصيرة . فلم يساعدني ذلك كثيرا ،
لاني لم اكن ارغب في هذه الامور ايضا . فاخذت افكر بانني فقدت كل رغبة
في البقاء حيا . وشعرت بانني مللت الكتب ، ومللت الناس ...
فقال غلاسب :

— اني اعلم بهذا الشعور .
واخذ يعصر انبوبة الاصباغ على لوحة الالوان . واخرج الفرشاة من
قارورة المربي التي كانت على عتبة النباك ، واخذ يرسم . وقال بهدوء :
— مررت بكل هذه الحالات . هنالك علاج واحد ... هو العمل .
— فكرة لا بأس بها اذا كنت تعرف ما تريد ان تفعل . اما انا فلم
اكن اعرف .

— تقول لم تكن تعرف ، فهل تعرف الان ؟
— على كل ... نعم . النقيت باؤستن منذ اسبوع — بل اقل من
اسبوع . واني احس بالاسف له في كثير من النواحي . انه يشبهني
ايضا ، ولكن ... لا استطيع ان اوضح . ولكن فجأة ، اخذت احس ان
شيئا مهما صار يحدث في نفسي — شيئا كضياء النهار ينساب في .
فقال غلاسب :

— ولماذا تخصص اوستن ؟ اعتقد ان هذا هو ما تسمونه ، انتم
السادة الادباء ، الهوة بعد الذروة !

فقال سورم :

— لست اعرف . بل انه ليلوح لي انه يشبهني تماما بصورة غريبة . .
— فأجابه غلاسب :-
— حقا ؟

وكان صوته ينم عن شكه في الامر :

— اجل . ترى هل اتيح لك ان تزور شقته في كوينس غيت ؟
— لم اكن اعرف ان له شقة في كوينس غيت ؟
— لقد ذهبت اليها بالامس وادهشتني . لقد لاحت وكأنها من نسيج
خيال ادجار الان بو ، ستائر القטיפه السوداء ، ودولاب المسكرات ، ومؤلفات
دى ساد ومازوك ، ولوحاتك ...

فقال غلاسب بدهشة :

— آه ، لقد رأيتها هنالك اذن ، حسنا ...
كان يتسم حين استعر على الرسم واضاف :
— تلك ناحية جديدة من شخصية اوستن : غلاسب ودى ساد ، هه ؟
اللوحتان اللتان اشتراهما منى ..

— لديه ايضا لوحات يابانية مطبوعة وموقعة بتوقيع ا.غ.
— انها كورية وقد استنسختها من مجموعة في المتحف البريطاني .
وطفح يرسم بصمت فترة من الزمن ، ثم تراجع الى الخلف لينظر الى
ما رسم . وقال دون ان ينظر الى سورم :

— مهما يكن الامر فلست اجد شيئا مشتركاً بين ذوقيكما ...
— كلا . ولكن هنالك تشابها في الهدف ، ما عدا ...
— ما عدا ماذا ؟

— انني لاتسأل أحيانا هل ان الامر لا يعدو ان يكون الرغبة في
الاقدام على المغامرة . انا لا اشاركه اذواقه ، ولكنني اشاركه الرغبة في
الاقدام على التجارب . يبدو ان الامر جيد بحد ذاته ...
— تعني ملاحقة الاولاد الصغار ؟

— كلا لم اكن افكر في ذلك . كنت افكر في السادية .

وتوقف غلاسب عن الرسم واخذ يحدق في وجهه :

— هل هو سادي ؟ لم اكن اعرف ذلك .

— الم تكن تعرف ؟ ظننت انك تعرفه جيدا .

فقال غلاسب ، وهو يستأنف الرسم :

— كلا . ليست لي معرفة جيدة به مطلقا ، كما يظهر . كيف

اكتشفت ذلك ؟

- قال لي ذلك بنفسه . والاب كارانرز يعرف ذلك عنه ايضا .
- ما هي الافعال التي يقوم بها ؟
- وظهرت لهجة يوركنساير في كلام غلاسب فجأة بشكل صارخ . وكان يلوح عليه انه ركز اهتمامه في اللوحة . وقال سورم :
- لا اعلم . ليست اشياء خاصة ، على ما اعتقد . ربما يستخدم الضرب مع اصدقائه الاولاد .
- وفي الغرفة المجاورة ، بدأ البخار ينبثق من ابريق ماء كان على الموقد الغازي ، واخذ الماء يبتقي ويفيض على ارضية الغرفة المكسوة بالالسواح العارية . فذهب سورم ورفع الابريق . وقال غلاسب :
- هل لك في قدح من الشاي ؟
- نعم ، شكرا ،
- وضع غلاسب لوحة الالوان على الطاولة واعاد الفراشي الى قارورة المربي .
- ما لا يمكنني فهمه هي فكرتك ان لك شيئا باوستن . فمن حديقك الى لا يبدو ان لديكما اشيء مشتركة .
- كلا ؟ اعتقد ان اوجه السبه بيننا كبيره . فكلانا غير راض ، وكلانا مولعان بالسجارب ، بيد انه تمادي في تجاربه اكثر مما يمكنني حتى ان احلم به .
- كان غلاسب يعسل ابريق ساي من الالمنوم على المغسلة في الغرفة النائية . وقال :
- لا ؟ تعني انك تريد ان تستخدم الضرب مع صديقاتك الفتيات ؟
- فقال سورم ضاحكا :
- كلا ، انا وابق اني لا اضربهن ... على كل ...
- ولم اردت مقابلتي ؟ هل تصورتني واحدا من ...
- واحدا ممن ؟
- من هؤلاء الذين يصلحون للتجربة عليهم ؟
- ظننت انه ربما تكون واحدا منهم .
- فقال غلاسب مبتسما :
- ولنفرض انك مصيب في ظنك ، فماذا بعد ذلك ؟
- فقال سورم :
- لا شيء بعد ذلك . ربما ..
- وتناول كوب الشاي ووضع فيه بضع ملاعق من السكر . ولاحظ

ان غلاسب عندما يتسّم تتقلّص جبهته وترتعش بحركات تلوح لا ارادية عصبية . وراى غلاسب ان سورم لاحظ ذلك ، فقال سورم ليعبد اهتمامه عن ذلك :

– لك يدان واسعتان ، تنبهان يدي اوستن .
وضع غلاسب السكر في الشاي واخذ يحركه . كانت يداه كبيرتين قبيحتين ، مفاصل اصابعهما بارزة . كانتا تلوحان سوداوين قليلا ، وقد ارتسمت عليهما شبكة من الالوان من بقايا الاصباغ التي اخترقت المسامات .
وقال بالفرنسية :

– يدا ترويمان .

– من ؟

– ترويمان . الا تعرف شيئا عنه ؟ جان بابنيست ترويمان ، القاتل بالجملة .

– كلا . من كان ضحيته ؟

– عائلة كاملة ، تتألف من نمائة اشخاص .

– لاي سبب بالله ؟

– المال . لقد حصل على بضع مئات من الفرنكات من هذه الصفقة . كانت يداه ضخمتين . ولهذا لا يزال الناس يسمون الايدي الكبيرة « يدا ترويمان » في بعض انحاء فرنسا . واعتقد ان افراد اسره تميزوا بهذه الصفة .
لهم اكبر مما يحتاجونه من الايدي .

– هل كان ساديا ؟

– لا اعتقد ذلك . كان ينزع جنسيا الى الجنس المشابه ، وبه هوس لجمع المال .

كان الشاي مركزا حارا . ووقف غلاسب على عتبة النافذة وظل يرسم . وسأله سورم :

– هل تهتم باخبار جرائم القتل ؟

– احيانا .

– متى ؟

فاجاب غلاسب ، وقد ظهرت على وجهه ابتسامة غريبة

– الجريمة تسري في عروق عائلتنا . . بطريقة ما .

فقال سورم مبتسما :

– هل انحدرت من عائلة من اللصوص ؟

– ليس تماما .

وابتسم بدوره لسورم وهو يسرب الشاي . وارتعشت جبهته نانية . واردف قائلا :

— بفدر معرفتي بالامر ، فان علاقتنا بالجرائم كانت دائما غير مباشرة . كانت احدى عماتي اخر ضحية لجاك السفاك . وقد تناولت والدتي الطعام يوما مع لاندرو في باريس . وكان جدي الاكبر على معرفة بتسارلي بيس . — هل كانت والدتك تعلم ان الشخص هو لاندرو ؟

— كلا . لم تكن تعرف شيئا عنه . قال لها انه كان مهندسا اسمه كوسيه وحاول ان يدعوها لقضاء عطلة الاسبوع معه . وتعرفت على صورته بعد عدة اشهر عندما القى القبض عليه . قالت ان تصرفاته كانت على احسن ما يكون عليه النصف ... — مدهس !

— بعض الناس تجذبهم الجريمة ، وهناك آخرون يجذبون الجريمة . كانت عائلتي من النوع الثاني . ويمكنك ملاحظة ذلك . فحاليا جئت للاستقرار في وايتسابل بدأت فيها موجة من الاجرام . ذلك من تقاليد العائلة .

ودقق سورم النظر فيه ، واسنعر الجد في كلامه . وأحسن لاول مرة بسية من السورم في نظرة غلاسب ، وظهرت أيضا في ارتعاشة جبهته . سال :

— هل انت جاد فيما تقوله عن العممة التي راحت ضحية لجاك السفاك؟ — اجل . كانت اخر ضحاياه .

— هل كانت تلك المرأة التي قتل في غرفتها في ميلرز كورت ؟ — كلا . كانت هناك جريمة اخرى : امرأة قتلت تحت مصباح الشارع في كاسل آلي ، كانت هذه العممة الكبرى سالي مكنزي . لا اعرف الكثير عن هذه العممة سوى انها كانت على ما يبدو لا تتمتع بحب العائلة . — لم اسمع ابدا بتلك الجريمة .

— وراح سورم ينسأل هل ان القصة كلها من نسج خيال غلاسب . وقال مبتسما :

— يبدو انك انحدرت من عائلة من الضحايا .

— صحيح ، كلهم ضحايا . مازوكيون دون علم منهم ، ما عداي ، اذ اني ماروكي بارادني .

— اصحيح انك ماروكي ؟

وابتسم غلاسب للدهشة التي ارتسمت في عيني سورم وقال :

— ليس بالمعنى الذي يملئه اوسن . انني لا اميل الى ذلك .
 وحرك سورم مقعده الى قرب الجدار ليسند ظهره اليه وهو يرقب
 غلاسب . كان غلاسب يرسم بضربات نلوح مرتجة مسددة ، وهو يسدي
 بركيزا تنديدا على لوحته . وبدا لسورم كأنه لاعب سيف . وقال سورم:
 — لا أريد أن اطيل الحديث ، فقد يؤخرك ذلك عن اعمالك
 فقال غلاسب :

— لا يهم .
 وظل سورم يراقبه بضع دقائق ، وقال :
 — الا يضيرك ان القى نظرة على بعض لوحاتك ؟
 وسعر بالتردد باديا في وجه غلاسب نائبة . وكان على وشك ان
 يقول لغلاسب : لا حاجة لذلك ... ولكن غلاسب قال :
 — نفضل . ولكن لا تعلق شئاً بصدها .
 — حسنا .

وذهب سورم الى الغرفة النائبة واخذ ينظر الى اللوحات المسندة
 على الجدران . وكان اول ما لفت نظره في هذه الصور الوانها التي كانت
 اكثر خسونة من تلك اللوحات التي رآها في سقة ن . لقد اخففت الالوان
 الزرقاء والخضراء وجو الاحلام الذي كان يحمل اثر سناغال . الخطوط في
 هذه الصور خسنة عنيفة ، كانت تبرز الاثر الناشز الذي تحدده الالوان
 الاساسية المستعملة مباشرة دون مزجها . كانت اكسر الصور دراسات
 لمناظر طبيعية : اشجار ، باقة من ازهار السوسن ، جدار نما عليه العنكب .
 وكانت هنالك لوحة تبين سباجا حديديا ومصباح الشارع ، وقد رسمت
 اللوحة دون اي اثر رومانسي او حتى المحاولة لاطهار جو المنظر . كانت
 اللوحات تغطي احد جدران الغرفة بكامله .

وكانت على جانب الموقد ، في رف داخلي عريض . لوحة هائلة
 الحجم ، غير تامة . كانت اكبر من اي شيء اخر في الغرفة باربع مرات ،
 حيث كان ارتفاعها ستة اقدام وعرضها اربعة اقدام . وقد ظننها سورم
 لاول وهلة صورة لصلب المسيح . كانت تبين رجلا مسدودا الى صليب
 بالمسامير يندلى من نافذة مفتوحة . وكان الصليب يبدو معلقا بسلاسل
 عديدة ، كما كانت تظهر مكبرة خلال النافذة . وكانت احدى يدي الرجل
 المنبثة بمسمار تتدلى الى جنبه .

وكبح سورم رغبته في الاسنفاس عما تمتله اللوحة . فنراجع الى
 الورا واخذ يحرق فيها . وفيما هو يقف هناك ، سمع غلاسب يترك لوحته

ويخرج من الغرفة .

كانت صورة الرجل المصلوب معلقة عاليا على الجدار . وكان تحتها ، في الرف الداخلي عدد من اللوحات تستند الواحدة على الاخرى . وكانت اللوحة الامامية تبين وجها كبيرا لصبي يرتسم الرعب في محياه ، وكان خلف راسه ، في اعلى الزاوية اليسرى ، دولاب فيه ثلاثة ادراج مفتوحة ويندلى من الدرج العلوي ما يبدو من الملابس الداخلية النسائية الوردية اللون . وكانت تبرز من خلف رأس الصبي بد عارية ، كأنها لسخص مستلق على الارض وجهه الى الاسفل . وسحب سورم اللوحة الى الامام واخذ ينظر الى اللوحة التي خلفها . وكانت هذه تبدو من لوحات غلاسب الاولى . كانت صورة جميلة رقيقة لفتاة عارية تبدو في العاشرة من العمر وكانت تقف امام الموقد وهي تمسك بكلتا يديها منديلا تمده ليجف . كانت نحيفة الدراعين والساقين ، وكان جسدها ينم عن نقص في الغذاء ، ولكن غلاسب نجح في الاستفادة من هذه النحافة فمزجها مع وهج الموقد البرتقالي وظلال الغرفة الزرقاء لينقل هذا الاحساس بالرقيق والحنين . لقد وجد سورم هذه اللوحة مؤبرة الى حد غريب ، وقد طاب له ان يخرج الصورة من بين الصور الاخرى ويضعها حيث يمكنه دراستها بدقة اكثر . وقبل ان يهتم بذلك ، سمع صوت الماء المندفق من حوض الماء في مرحاض شقة مجاورة . وسحب هذه الصورة ، وراح يطل الى الصورة التي خلفها . كانت لوحة لحياة جامدة اخرى ناشزة الالوان منكسرة الخطوط . وترك الصور تستند الى الجدار القريب من المفصلة . وجاء غلاسب الى الغرفة الاخرى وقال :

— حسنا ؟

— انك غيرت طريقتك بالتأكيد ، اليس كذلك ؟

— آمل في ذلك . هل تعجبك هذه الصور ؟

— تعجبني جدا . انها تترك انارا عنيفة . يجب ان تضع صورتك في معرض .

— لا اريد ازعاج نفسي . انهم جميعهم اوغاد . يجب ان تستخدم

نفوذك وتزلفك لينسني لك ذلك .

واقبل غلاسب ووقف بجانب سورم ، فقال سورم ، وهو يشير الى

الرجل المصلوب :

— ما هذه ؟

— هذه صورة مانيو لوفات . قضية محاولة الانتحار القديمة .

— متسى ؟

— أوه ، لا اعلم متى بالضبط . كان مابيو صانع احذية في جنيف في زمن ما في القرن الثامن عشر ، وقد أصيب بهوس الموت على الصليب كالمسيح . فقام بثلاث محاولات ، انتهت كلها بالفشل . وفي المرة الثالثة نبت بكرة في غرفة نومه التي تطل على السوق وعلق الصليب بطريقة يمكن ان يتدلى فيها خارج النافذة . وكانت مشكلته الرئيسية هي كيف ينبت المسامير في اطرافه . لقد كان في امكانه ان يدق المسامير في قدميه واحدى يديه ، ولكنه احرار في اليد الاخرى . واخيرا اهتدى الى حل تلك المشكلة بأن عمل تقبا في الصليب سم غرز المسمار في يده اولا . ثم امسك مطرقة باليد التي غرز فيها المسمار ودق بواسطتها المسامير في قدميه واحدى يديه . وبعد ان فعل ذلك فك البكرة فانطلق الصليب خارج النافذة ليتدلى فوق السوق . ولكن لسوء حظه اكان في تلك اللحظة اضعف من ان يستطيع ان يدخل يده الني فيها المسمار بالثقب الذي عمله على الصليب ، وهكذا بقي معلقا على هذه الصورة .

واشار غلاسب الى الصورة حيث كان الرجل يتدلى كأنه بتروشكا (١) منفوخ . وقال سورم :
— هل مات ؟

— كلا. انزلوه فعاش حتى ناهز الهمالين . ولم يقم بهذه المحاولة بعد ذلك .
— هل ستنتهي اللوحة ؟
— نعم . عندما يكون لدي وقت .
— وما رأيك في هذه ؟

واشار سورم الى الصورة التي تبين رأس الصبي . فقال غلاسب وهو يهز كنفه :

— انها لا تعجبني . انها صورة هايرنز ، القاتل في شيكاغو .
— لم اسمع به ابدا . من كان هذا ؟
— صبي في السابعة عشرة من العمر . كان يتسلل خلال النوافذ ليسرق ملابس النساء الداخلية ، فاذا استوقفته احداهن كان يقتلها . وقد كتب بأحمر الشفاه على الجدار بالقرب من احدى ضحاياه بالله عليكم القوا القبض علي قبل ان اقتل ثانية .
فكثرت سورم وقال :

— الا تعتقد انه موضوع فظيع للوحة زيتية ، الا تعتقد انه موضوع يوحي بالاحاسيس المريضة ؟

— بالطبع . ان الحالة نفسها مريضة .

(١) بتروشكا : دمية ، بطل رقصة باليه لستراانسكي . — المترجم —

واسندار وعاد الى الغرفة الاخرى ، وقال سورم :
 - وما رايتك في الصور الاخرى خلف هذه ؟ هل لي ان اراها ؟
 فالتفت غلاسب وقال بلهجه حادة :

- لا . الافضل الا براها ، فهي لا تعجبني .
 فنبعه سورم الى الغرفة ، وكان قدح ضايه ما يزال على المقعد ، لم
 ينه بعد . فسربه جرعة واحده . واحس انه لم بعد في استطاعته التعبير
 عن اعجابه بلوحات غلاسب ، فقد وضع غلاسب نفسه في موضع يبدو فيه
 بوضوح انه لا بكثرث للوم او المدح . وقال سورم اخيرا :
 - اشكرك للسماح لي بان انظر الى صورتك .
 - لا شيء .

ولم يكن سورم يدري ماذا يضيف من الكلمات ، فاجال بصره في الغرفة ،
 فاسوقفته صوره لعان غوخ معلقة فوق سريره . لقد كانت معلقة في موضع
 لم يكن في امكانه ان براها من مكانه على المقعد .
 - هل انت معجب بعان غوخ ؟
 ففقال غلاسب :

- نعم .
 ثم الفت نانية الى الصورة ، كانت اضاءتها رديئة ، فقد كانت معلقة على
 نفس الجدار الذي فيه السباك ، مقابل الباب .
 وقال غلاسب :

- تلك هي فكرتي عن اللوحة الزينة العظيمة .
 - ما الذي يجعلك تعنقد ذلك ؟

- السبب عينه الذي اعنبر من اجله لوحتي مايو لوفات ووليم هابرنز
 فاشلتين . هذه اللوحة هي اكثر من لوحة زيتية فحسب - انها مأساة فان
 غوخ يرقب مأساته . في حين ان صوري تتطلب منك ان تعرف كل تفاصيل
 قصتي لوفات وهابرنز لنعي ما نعبر عنه الصورة ... صوري هي صور
 ادبية . بنما تعبر تلك اللوحة عن نفسها . انك لا تحتاج الى ان تعرف ان فان
 غوخ قطع احدى اذنيه . فعنوان الصورة يكفي : صورة ذاتية ، الرجل ذو
 الاذن المبورة . هذا ما ينبغي ان يكون عليه الرسم ، وهذا ما يجعل رسومي
 حقيرة . هل رايت صورة كوربيير بقود خنزيرا على شريط ؟ لقد اعجب بها
 اوستن . علمت انها ستعجبه ...
 فقاطعه سورم بقوله :

— لا اتفق معك . اعتقد أنك نقسو على نفسك . أن صورتك لكوريير
عظيمة الابز حتى إذا لم يسمع المرء بكوريير ، والنساء عينه ينطبق على
لوفات وهيرنز ...

وقاطعه غلاسب قبل أن يستطيع المضى في كلامه :

— اتسرك . يسرني انها اعجبتك ...

فقرر سورم أن يترك الموضوع .

فقال غلاسب بصورة ميكانيكية : لا شيء .

فاتجه سورم نحو الباب وقال :

— لم لا تأنى معي لناول الطعام ؟ لتكون لدى فرصة الحديث معك .

وكان وانقا وهو يتكلم من أن غلاسب سيجيب بالرفض ، ولكن غلاسب قال :

— شكرا ، اود ذلك . ابن تسكن ؟

— في كامدن ناون . تبدل القطار في موركنت . هل يمكنك المجيء هذا

الاسبوع ؟

— اظن ذلك .

— في اى يوم نحن ؟ ... الاربعاء . غدا او الجمعة يروقان لى .

ونوقف غلاسب عن الرسم . وقال بعد فترة من الصمت :

— طيب ، لا بأس . اى يوم ؟

— الجمعة ؟ سأعطيك عنواني .

وجلس على السرير ليكتب العنوان ، ثم رسم مخططا لبيين الطريق

من محطة نفق كنتس تاون الى مسكنه . ثم اقتطع الورقة من دفتر الملاحظات

وتركها على الوسادة ، ثم تأمل قليلا وعاد وكتب رقم التلفون .

— تعال في حوالي الساعة السادسة ، اذا ناسبك ذلك . اذن ؟

فقال غلاسب دون أن يرفع نظره عن اللوحة :

— حسنا .

كان السلم غارقا في ظلام كئيف ، فاخذ يتحسس طريقه بحذر . وكانت

رائحة زيت البارافين حادة عند السلم ، واكتشف سبب ذلك عندما وطأ

فوق بركة من الزيت المنسكب على اللوحات الخشبية وكاد أن ينزلق من السلم .

* * *

دهز الرجل ذو البدلة الرسمية الذي كان يف في باب غرفة المطالعة رأسه

وابسسم عندما مر به سورم . وفك سورم ياقته وفتح سترته : لقد شعر

بالحر من جراء الياقة . كانت تسير امامه امرأة ترتدي بدلة سباحة من

الطراز الفكتوري . ودفعت الباب ودخلت ، فرجع الباب اليه بعنف

فصله بقدمه .
 وابتنس له الرجل ذو البدلة الرمادية وذو النظرة الجادة الذي يقف
 في نافذة الاستعلامات ، وقال :
 - مرحبا بك . لم ارك منذ زمن .
 - اهلا روني . كيف تسير الاحوال ؟
 والقت المرأة بنظرة حادة من فوق كنفها كأنها اربابت في انهما كانا
 يتحدثان عنها . وتبعها سورم بنظرة وقال معلقا :
 - يبدو ان هذه الفاجرة قدرة المراج . كادت ان تهسمني بالباب .
 - نعم ، كاتب على هذه الحال منذ يومين . تخاصم معها احدهم قبل
 ايام لانها احملت منضدتين فضربته بمظلتها . ومنذ ذلك اليوم اعلنتها حربا
 على الجميع .
 فقال سورم منضاحكا :
 - كم اتمنى لو رايت المشهد !
 - اين كنت هذه الايام ؟
 - اوه ، كنت انتقل من مسكني ، واشياء اخرى مختلفة . ولكن انظر ، يا
 روني ، هل يمكنك اسداء العون لي ؟ اريد الرجوع الى كتب تبحث في السادية .
 - الا تعتقد انك تقوم بطفرة من علم الالوهيات التصوفي ؟
 فقال سورم محترسا :
 - انها مجرد فكرة للقصة التي اكتبها ، خطر لي ان ادخل فيها شخصية
 سادية .
 - اه ، طيب ، هنالك الكتب المعروفة - كرافت ايبينغ ، وسنيكل وغيرهما ،
 فما رأيك فيها ؟
 - هذه كتب اولية ، ولا بد ان هناك مؤلفين اخرين عديدين .
 - اجل . ولكن كثيرا من البحوث عن هذا الموضوع مكتوب بلغات
 اجنبية وتجده في مجلات طبية . عليك ان تلقي نظرة على المصادر الوحيدة في
 أحد الكتب الرئيسية في الموضوع - كتب بلوح او غيره . . . انظر في قائمة
 المواضيع تحت عنوان « علم النفس » هل تريدني ان انظر لك ؟
 - نعم ارجوك . ان هذه القوائم تربكني . انا ذاهب للبحث عن كرسي .
 ووضع معطف المطر على ظهر الكرسي وترك كتابين للمراجع على الطاولة
 لئلا يحتلها شخص اخر . وفي المرحاض الذي يقع في الطابق الاسفل غسل
 يديه ووجهه بالماء الساخن وعاد الى غرفة المطالعة وهو يحس بالانتعاش . لم
 ير احدا في نافذة الاستعلامات ولكنه شاهد على طاولته كومة من كتب المراجع

- ما هو كتابك ؟
- حياة القديسة تيريزا دي ليزيه ، اريد ان اتم الكتاب هذا اليوم .
- اسمع ، لم لا نتقابل بعد نصف ساعة في محل ما ؟
- آسف على ان اذهب لمقابلة احد الناشرين قبل الساعة الخامسة . ماذا ستفعل الليلة ؟
- لا شيء .
- اذن فيمكنني المجيء اليك في حوالى الساعة السابعة؟يمكننا بعدئذ ان نذهب فنشرب .
- حسنا . هدا رائع .
- وعاد الى كتبه وقد خامره احساس بالذنب . هنالك شيء طفولي يخطط بنى . وقد زاد من شعوره بالذنب الطريقة اللقائية التي اخذ بها سورم . لقد افتنن سورم بطريقة نن هذه واعجب بها . واستبعد ان تكون بسبب الميل الجنسي الساذ فقط . ووجد انه من العسير عليه ان يمضي في قراءة ذلك الكتاب عن كورتن دون شعور ، لا منطقي بالطبع ، بانه يخون نسن . وظل يقرأ مدة ربع ساعة اخرى ثم اعاد الكتب الى ناظر المكتبة . وطوى بطاقات المطالعة ووضعها في محفظته . وفيما هو يخرج من غرفة المطالعة قال لـه المنرف على المكتبة :
- امفاد انت يا جيرارد ؟
- اهلا يا روني . شكرا للمصادر .
- هل وجدت الكتب الى كنت تبحث عنها ؟
- فقال بعبوس :
- نعم شكرا . ولكنني وجدتتها فظيعة .
- لا يدهشني ذلك . اما تزال عازما على ادخال شخصية سادية في فصلك ؟
- اظن ذلك . ولكنى لا اعنف اني ساجعلها على سائكة واحد من هؤلاء .
- فببدو ان جميعهم يفتقرون الى الانسانية .
- ومضى بدراجته في الشارع القبطي وهو يطل في محلات شرب الساي اناء مروره بها لعله يرى نسن . واخيرا ، اسند الدراجة الى شبك مطعم لاينس كورنر هاوس واطل بنظره في الداخل . واحس لسبب من الاسباب بالامتعاض من نفسه ، فقد اورثته مقابلته مع نسن شعورا بالتوقع . وبدت له فكرة العودة الى مسكنه اتبته بالانتكاسة . واتجه نحو شارع بلومزبري سنريت ومضى يتخيل غرفته ويسنحضر جوها ومظهرها كيما يقرر هل هس

يرغب فعلا بالعودة اليها . وقرر على الفور انه لم يكن راغبا . ثم تذكر دعوة المس كوينسي لزيارتها . كانت الساعة تسير الى النصف بعد الثالثة ولم يزل الوقت مناسباً لمشاركتها النسائي . وفي محطة كامدن تاون اجتاز اعضاء المرور بدلا من الاستدارة الى اليمين باتجاه كنتش تاون . وعندما بلغ منتصف الطريق الى هافرستوك هيل ترجل من الدراجة وراح يدفعها ، واحس بحرارة شديدة ، وضايقه المرور ، فلم يرهق نفسه بركوب الدراجة صاعدا الطريق . وفي زاوية فيل اوف هيلت اخذ يرسل بصره محدقا خلف الفتاة التي كانت تبعد عنه صاعدة التل . لقد احس فيها شيئا مألوفا . فامتطى دراجته وبعها . وقبل ان يصل على بعد عسر ياردات منها تيقن من هوينها . فهتف :
— هلو ، كارولين !

فالنفت كارولين وصاحت :

— هلو ، جيرارد ! ماذا تفعل هنا ؟

— انا ذاهب في زيارة لجيرترود .

— انها لبست في البيت . كنت هناك توا .

— وماذا تفعلين انت هنا ؟

— جئت لامضى لبلتى هنا . وقد طلبت اجازة هذا المساء . تبدو شديد الحرارة .

كان بلهت بشدة . واسند الدراجة الى حافة الرصيف .

— اجل . اكاد اموت من الحرارة . الى اين تذهبين ؟

— لتناول قذح من النسائي في المقهى . هل يمكنك التسلق ؟

— قليلا ، لماذا ؟

— نسلق اذن من فوق الباب الخلفي لبيت العمة جيرترود وانظر اذا كانت قد وضعت المفتاح الاخر هناك . فهي تضعه عادة في سقيفة ادوات الحديقة .

— حسنا لنذهب ونلقي نظرة .

وتناول يدها وهما يمشيان نحو فيل اوف هيلت، ولكنها سحبتها على الفور:

— ينبغي الا تفعل ذلك . ربما تأتي العمة خلفنا بسيارة .

— هل يهم ذلك ؟

— ليس بالنسبة لي . ولكن لا حاجة بها ان تعرف اكثر مما ينبغي .

ونظر اليها وقد ادهشته صلابة نبرتها وتعقلها . فارسلت له قبلة بشفتيها وهي تبتسم :

واسند دراجته الى جدار الدار . وأشارت الى سياج خشبي عال

فيه بوابة .

— هل يمكنك نسلكه ؟

— اظن ذلك .

واسند الدراجة الى السباح ووقف على عارضة الدراجة . فاستطاع ان يفرج ساقيه ويعبر من فوق البوابة ويتسلق نازلا الجانب الاخر من البوابة . فصاحت :

— هل باب السقيفة مقفل ؟

فنجس الباب وقال :

— كلا .

— طيب . افتحه اذن .

ورفع مزلاح الباب وفتحها لها . فدخلت السقيفة وخرجت بعد لحظة وهي تحمل المفتاح . واجال طرفه في ارجاء الحديقة ، كان يراها لأول مرة في ضوء النهار . كانت هناك اسيجة من النبات وممر مبلط بالاسمنت يمر عبر ساحة الحشيش باتجاه اشجار التفاح في الجانب الاخر ، وكانت في وسط كل ساحة قطع مستديرة مزروعة بالازهار . وقال :

— الا تكسرت ؟ اعنى ، الا يزعجها ان ندخل بهذه الطريقة ؟

— كلا ابدا . انها تنوقع مجبئي على اية حال . هبا ادخل .

وفتحت الباب الخلفي . وقال :

— ما اسعد حظها ان تمتلك مثل هذا البيت .

— لم لا تطلب يدها ؟ فربما تنتقل انت ايضا الى هذا البيت .

— لا تكوني حمقاء .

وخلع معطف المطر وعلقه في اسفل السلم . اما هي فقد اخذت تملا الابريق بالماء لتضعه على الموقد الفاري . وقالت :

— انا لست حمقاء . لو كنت رجلا لفعلت ذلك .

واقبل سورم الى خلفها واحاط خصرها بذراعه .

— اتمنى لو تسكن انت هنا .

والقت براسها الى الوراء وجعلته يقبل فمها . وترك يديه تستقران على

جسدها لتتحسس تسطح فخذيها وكلايات جواربها . وقالت :

— اوه بكفي ! يجب ان نسلك بتعقل .

— لماذا ؟

— ربما تأتي العممة .

— طيب

وافرق عنها وهو يسعر بتوتر في معدنه من جراء الدفء الذي ولده الاحتكاك بها . وقالت بصوت ناعم :
- انا لا اريدك ان تكف .

وخلع سترته ، وقد احس فجأة بالتعب . وقال :
- سأذهب لاغتسل . احس اني قذر .

وفي الحمام خلع بلوزه الصوفي وقميصه واخذ بغسل صدره ورقبته بالماء الدافئ . ثم اتكأ على الحائط واخذ نساءب بعمق . وسمع صوت كارولين تنحرك في الغرفة المجاورة . وكان قميصه مبللا بالعرق . فدسه في بنطلونه واخذ يمسح شعره وبدأ يشعر بتحسّن . وكان قد غسل وجهه بأسفنجة تكاد تكون جافة . ونظر الى نفسه في المرآة، فوجد انه بحاجة الى حلاقة ذقنه . وانفتح باب غرفة نومها . فقال :

- ماذا تفعلين ؟

- اغيّر ملابسى .

- هل تستطيع الدخول ؟

كانت تردي بدلة قطنية مزينة بالازهار . فوقف خلفها بينما هى تسرح شعرها وهى جالسة امام المرآة .

- هل تحتفظين بملابسك هنا ؟

- بعضها . واكثرها قديمة .

- لا يبدو هذا قديما .

ومال فوقها وجعل يمر بشفنيه على اذنها . وقال :

- كان يجب ان ادخل قبل بضع دقائق .

وابنسمت له فى المرآة ثم وقفت . وحاول ان يضع ذراعيه حول خصرها ولكنها دفعتهمما .

- لا . يجب ان ننزل .

- لماذا ؟

- قد تأتي العمّة .

- يمكننا سماع السيارة .

- والابريق اخذ يغلي .

وادارها ومن ثم جذبها نحوه . لم تكن تلبس حذاء ، فكان عليه ان ينحني ليقبلها . فاحاطت رقبته بكلتا ذراعيها . وكان لو امتدل بموقفه لتعلقت على ارتفاع ست بوصات عن الارض . واحس بدفء شفيتها السفلى التي كانت قد مدتھا ، ثم احس بشفتيها ترتحيان فتفتّر قان . وكان جسدها مائلا السى

الخلف بين ذراعيه ، وقال :

— انك قصيرة جدا .

فقال ضاحكة :

— انك طويل جدا .

وضغط على خصرها وشد به نحوه ورفعها عن الارض .

— سنتصلب رقبنى لو بقيت منحنيًا على هذه الشاكلة !

وحملها خطوتين الى الوراء ثم اخفضها الى السرير ، فلمست ركبتيها من الخلف حافة السرير فجعلت جسدها يسقط على السرير . وقالت بلهجة حزينة :

— يجب ان تسلك بتعقل . ربما تأتي .

فرفع سافها ودفع بهما على الفراش ووقد بجانبها وقبلها نانية . وشعر بنفس حالة الهيجان والتوتر الى احسن بها في الليلة الماضية ، ومرت به احساس بالتكرار ثم اكتشف بصورة غريزية انها لم تكن متهيجة مثله ، وقبلها بعنف اكثر وهو يدعك تديها الايسر باليد الاخرى . وما عادت تقاومه ودمته بغطبها الى منتصفها بحسده . فلما بوقف عن تقبيلها قالت :

— انك لجرىء حقا . يجب الا ...

وطمس كلماها بقبله وشعر بها تنور تحت نقله — ثم استرخى واضطجع بجانبها ، ووجهه على الوسادة . فقال بوسل :

— لسنا في المكان المناسب . يجب ان آني لزيارتك . لا نفع هنا .

فقال :

— طيب .

وادهسته البحة في صوته . فسعل لينظف حنجرتة واخذ ينظر في وجهها . كانت ذقنها محمرة ، فتذكر انه لم يحلق وجهه ، كانت تضطجع وحدها على ذراعها الايمن ولم تكن تحاول ان تنحرك بالرغم من انه لم يكن ممسكًا بها . وكانت حافة تنورتها العريضة مفروشة خلفها على الفراش . فسدس ذراعه الايسر تحت رقبته وسحبها نحوه مره اخرى . وتمكنت من ان تحس بتهيجه . وشعر بدفات قلبها بينما كان يقبلها . ثم ضغط بيده اليمنى على فخذها من الخلف ثم حركها الى ردها واخذ تحسس نعومة لباسها الداخلي باطراف انامله وقالت :

— ليس الان ارجوك ، يا جيرارد ...

وانتبها في وقت واحد الى صوت سارة . وقال مزمجرا :

— يا لله . ما اتعس الحظ !

فجلست على حافة السرير وانزلت رداءها . واطلت في المرآة واخذت تعدل شعرها باناملها . ونظرت الى وجهه الذى يعبر عن الضراوة والكسابة وانحنى لتقلبه .

— هيا ، انهض . يجب ان اسوي الفراش .
فدحرج نفسه على مضض وهو يدمدم . وقالت ضاحكة :
— يكفى عبوسا واذهب لهيئة الساي .
وسمعا صوت باب سيارة يعلق . وقال :
— لا اسطيع . انا مسند لاغصاب اول فناة النفى بها . حى جيرتروود .
— سيكون من دواعى سرورها على ما اظن !
وركضت خارجة من غرفة النوم وهبطت السلم . اما هو ففد دخل الحمام وجلس على حافة مقعد المرحاض وهو يحرق في قدميه . وما لبث ان خفت الهيجان الذي كان يحس به في كنفه وفخذه . وسمع صوت مفصاح يولج فى الباب الامامى ثم الباب يفتح .
وهف صوت كارولين :
— هلو ، اينها العممة .

فقالت المس كوينسى :
— هلو ، ايتها العزيزة ، كيف دخلت ؟
— اسنطاع جيرارد ان يجلب مفصاح الباب الخلفي .
— جبرارد ... ؟
وتفهقرت اصواتهما الى المطبخ . ونظر الى نفسه في المرآة ، وسرح شعره واراد ان يخلق سببا لوجوده في الطابق العلوى فسحب سلسلة المرحاض ، ثم تأكد من هندامه وخرج نازلا .
كانت كارولين وحدها في المطبخ تسكب الماء في وعاء الساي . وعندما رمقها بنظرة ساؤل ، اشارت الى الباب . فذهب الى الغرفة الاخرى فوجد المس كوينسى تخرج عددا من الكب من حقيبة بدها وتنضدها في المكتبة .
وفالت بلهجة منسقة :

— هلو جبرارد . ماذا جاء بك الى هنا ؟
— كنت آمل في مشاركتك نرب الساي .
— هل هناك امر هام ؟
— كلا ... كنت في المسحف البريطانى هذا المساء ، وتعبت من القراءة فخطر لى ان آتى لزيارتك .
— جميل منك . كان يجب ان نتصل بى تلفونيا . كم مضى عليك هنا .

- خمس دقائق فقط . النقيت بكارولين في نهاية الشارع . . .
وابنسمت له .
— على كل ، يجب ان تأتي في امسية اخرى . هل تبقى للعشاء هذه الليلة .
— وماذا عن اجتماعك ؟
— لا داعي للمجيء اذا لم ترغب . يمكنك ان تذهب مع كارولين في نزهة
في منطقة « هيث » . ينتهي الاجتماع في التاسعة .
— كلا . اود ذلك ولكنني على موعد مع اوستن . . . على كل حال ، ليس
لدينا الكثير مما نقوله لبعضنا ، اليس كذلك ؟
فقالت بصوت مرح :
— كلا . اعتقد أنك على حق .
وضعت يدها على ذراعه وعصرتها وهي تمر به وتبتسم . وراح يتساءل
ما الذي جعلها بهذا المزاج اللطيف . وجعله ذلك الشعور الطفيف بسال الدنب
حول كارولين يشعر انه كان سعيد الحظ الى حد غريب مهما يكن الاسباب .
وعندما سمعها تتحدث الى كارولين في المطبخ احس بالفرح لانه سيرى
اوستن فيما بعد . فلم يكن لديه عذر للبقاء . لقد كان يشعر وهو مع المراتين
معا في نفس الغرفة باحساس من الانقسام الذاتي يستنزفه ، وكان يحس
بأنه يقع ضحية .

الفصل الثامن

- بالله عليك ! نكفينا ما تتريناه من الوسكي ! ستورم عيناى قل الوصول الى النادى .
فقال نن :
— اشرب ما فى اسنطاعتك .
وناول سورم قدحا مليئا الى منتصفه بالوسكي . وقال نن :
— والان . حان وقت الطعام . لنر ما عندنا فى الثلاجة .
— هل نسمح لي بالقاء نظرة على مطبخك ؟
— تفضل .
وتبع نن خارج الغرفة وظل واقفا فى باب المطبخ يرقبه وهو يخرج الطعام من الثلاجة ويصفه على عربة صغيرة . وقال :
— ما اوسع مطبخك ! ويكفي لتجزئه الى اربع مطابخ .
— كان لعمي ، وكان عمي يميل الى اقامة حفلات العشاء الكبيرة السي نسلمز عددا من الطباخين . انه فى الواقع اوسع مما احتاج ، ولكن يعجبني ان يكون هناك مجال واسع اناء الطبخ .
وكان الانطباع الذي يتركه المطبخ هو انه كان فى الاصل معرضا لادوات المطبخ او انه نقل مباشرة من «معرض البيت المثالي» . كانت رفوف الاطباق الزجاجية والخزفية وقدر القلي المصطفة وحنى الطاولة الخشبية الكبيرة التي تتوسط الغرفة كانت كلها تدل على ان المطبخ لم يستعمل ابدا . وكان فى المصطبة المطلوبة باللون الابيض القريبة من المدفأة الغازية عدد من الازرار الكهربائية مبنية على حافتها . وكانت الاشكال المرسومة على الجدران باللونين الاصفر والابيض تتكرر نفسها على الرخام فى ارضية الغرفة . وقال سورم :

— الا تلتقي ابدا بالفتيات اللواتي يحاولن الزواج بك للاستمتاع بهذا
المطبخ؟

حدث ذلك فعلا . ولكن منذ مدة طويلة . ولذا لا ادع الفتيات يرينه
بعد . هل يعجبك الهليون؟

— لا اعتقد اني ذقته في حياتي .

— حقا؟ اذن فابدا به .

— ما هو رأي جيرترود في هذا المكان؟

— تأتي احيانا وتستعمل هذا المطبخ ، عندما تريد ان تهيء طعاما غريبا .
فهناك اجهزة توقيت كهربائية لكل شيء . . . خذ !

ودفع العربية فجأة دفعة جعلتها تنطلق نحو سورم . فقال سورم ضاحكا:
— مخبول !

وامسك بها قبل ان ترنطم بالجدار . كانت تحمل صحننا عليه اعواد
الهليون وفرخ دجاج بارد انتزع احد فخذه . وكان هناك ايضا وعاء زجاجي
فيه سلطة ميونيز تبدو جامدة من البرودة . وقال سورم :

— ماذا كنت ستفعل لو لم استطع مسكها ؟

— لكنك ذهبت بك الى احد المطاعم . هلا دفعت العربية هناك ؟

اني اضع الربد على الخبز . وياشر بالاكل ، ستجد الصحن وغير ذلك
تحت . وسأجلب انا السلطة .

وفي غرفة الطعام انتزع سورم جناح الفرخ واخذ يقطعه الى شرائح
عديدة وترك الفخذ لا وستن . وملا صحنه بالهليون ثم تناول بالملقعة قليلا من
الميونيز الجامد ووضعه على جانب الصحن . ثم اسند احد الكتب على
الوسائد واخذ يطالع . وسمع في المطبخ صوت فلينة تنطلق من زجاجة .
واقبل نن اليه بينما كان يقرأ وكوم شيئا من السلطة في صحنه .
وقال نن :

— وجدت بعض الشمبانيا .

— حسنا . ولكن لم يزل لدي قدح الوسكي ذاك .

— اشربه فيما بعد .

وتوقف سورم عن القراءة عندما ترنح الصحن وكاد يسقط من على
ركبتيه . وقال نن :

— انتظر . سأحضر لك صينية .

وبعد ان اجال بصره حوله قليلا ، قال :

— لا اجد واحدة . استعمل هذا .

- وسحب كتابا كبير الحجم رقيقا من المكتبة وناول له سورم . فسأل سورم :
- ما هذا الكتاب ؟
وفتحه فوجد اوراقا موسيقية كُتبت بقلم الرصاص وقد رسمت رموز
غريبة الشكل بين السطور .
- هل يمكنك معرفته ؟
- كلا . فلا يستطيع قراءة الرموز الموسيقية .
- انها ليست مجرد نوتة موسيقية . انها النسخة الخطية الاصلية
لـ « طقوس الربيع » لنجنسكي . وهذه الرموز المضحكة هي نوتة الرقص
التي استنبطها هو . هذا خطه في أعلى الصفحة .
- اين حصلت عليه ؟
- من احد بائعي النحف .
واسنانف سورم تناول الطعام . وترك المخطوط مفتوحا على الوسائد
بقربه . فقال نن مبتسما :
- الا تستطيع الاكل دون النظر اليه ؟
- انه احساس غريب . . . ان تعلم انه كتب كل ذلك بيده .
- هذه الكلمات المكتوبة بالحبر الاخضر على الغلاف هي بخط سترافنسكي .
- صحيح ؟
- لاحظ ، لا تأكل عود الهليون باكملة !
- اليس المفروض ذلك ؟
- كلا . كل الى الجزء الصلب . مثلي .
- آه ، بهذا الشكل . شكرا .
ومد يده ليتناول قذح السمبانيا . وقال :
- لنشرب نخب فاسلاف .
وافرغ القذح جرعة واحدة . وانساب في اعماقه احساس بالدفء
والبهجة كنيار كهربائي ضئيل . واعاد نن الكلمات :
- نخب فاسلاف نجنسكي .
ثم شرب الكأس . وقال سورم :
- اعتقد انه من اللطيف ان يكون المرء غنيا .
فعبس نن :
- افضل من ان يكون المرء معدما . ولكن الغنى لا يضمن لك شيئا .
- كلا ؟
وضحك وهو يحس انه ينبغي عليه ان يعبر عن السرور الذي يشعر به .

وقال نن بفضول :

— لماذا تضحك ؟

— كنت جائعا .

ولكنه لم يخبر نن بالسبب الحقيقي لضحكك : ذلك انه احس فجأة بأنه على وفاق مع وجوده ، في وسعه ان يزن وجوده ، وان يلخصه ، ولايسعر بغير الامتنان . لقد كان يسره ان ينقل هذا الاحساس الى نن ، لشعوره بالامتنان له لانه كان السبب في تبصره في اعماق نفسه ، ولكن مجرد نقله بالكلمات لم يكن يعني شيئا . ونهض سورم وصب المزيد من السمبانيا في كلا القدحين . وقال :

— يدهشني انك شديد الحماس لنجنسكي . انك لم تره يرقص .
فهز سورم كتفيه :

— ليس ذلك . هنالك شيء اخر . . . الاستقلال . نوع من الحيوية المجردة .

— ويدهشني انك لا تفضل عليه شخصا من لدده . لورنس الذي يعبر عن ذلك بوضوح اكتر .

— كلا . لا يمكنني التعلق بلورنس . انه بالنسبة الي يمثل ما كان يمثل نجنسكي ولكن بطريقة مخففة محلولة . انه دائما يولد لدي الشعور بأنه يكثر كثيرا للأشخاص . انهم يساكسونه وهو لا يحبهم كثيرا . على كل حال ، فقد كان مخطئا في كل ما قاله عن الجنس .

— اظن اني لا اتفق معك . اني لتدديد الاعجاب به .

— طيب . لندع النقاش حوله . قل لي ، ما هو سبب هيام جيرتروذبك ؟

— لست ادري . يعرف واحدنا الاخر منذ مدة طويلة . . .

وابتلع آخر لقمة من فخذ الدجاجة ووضع العظمة بعناية على جانب

الصحن وقال ، وكلماته في غير محلها بصورة واضحة :

— يسرني ان امورك تسير على ما يرام مع جيرتروذب .

— انها رائعة ، ولكن ما يزعجني هو انغماسها في الدين .

— لا تدع ذلك يزعجك . انها تميل اليك .

— هل نعتقد انه كانت لها اية تجربة مع الرجال ؟

— قليلا جدا ، ربما . لماذا ؟ هل تجدها جدابة ؟

فقال سورم معترفا :

— انها النوع الذي يعجبني . رشيقة . جميلة القوام .

— ولكن ارجوك الا تضطجع معها . فان ذلك سيجلب لها الضرر .

— لماذا؟

— لأنها تحمل كل الامور على محمل الجد واذا كانت بحاجة الى رجل وهي في هذا العمر المتأخر ، فينبغي لها الزواج .
فقال سورم باكتئاب :

— اقول انك على حق .

وندم لانه فتح الموضوع ، فانه لم يكن على يقين من نفسه فيما اذا كان جادا في علاقته مع جيرترود كوينسي . وبدأ له الحديث عنها سابقا لاوانه .
وقال نن ، كانه قرا افكار سورم :

— لا تغتم ! فلست ارتاب في نواياك تجاه جيرترود . على كل حال ، انها كبيرة السن بالنسبة لك . وليس هذا سبب رغبتك في زيارتها ، اليس كذلك؟
ونظر سورم اليه باهتمام :

— كلا . ليس هذا . ماذا تعتقد انت ان يكون السبب ؟

— شيئا يتعلق بمعتقداتنا . لا يمكنك الاستنتاج هل انها غير مخلصة في معتقداتها .

— تخمين لا بأس به ! ولكن الامر لا يتعلق بجيرترود فقط . . . انه يتعلق بي . اريد ان اعرف النقاط التي اختلف فيها معها . اتعلم . . . يجب ان يصيبنني انهيار عصبي او يجب ان تجري عملية غسل ذهنية او شيء آخر قبل ان استمرىء ذلك الهراء عن ان الكتاب المقدس هو المرجع الاخير عن كل شيء . . . لا يمكنني فهم ذلك ابدا . اعني . . . هل نشأت على هذا الاعتقاد؟ هل ذلك هو السبب ؟ فهي تبدو على جانب من الذكاء في النواحي الاخرى . هل تفهم ما اعنيه ؟ لو انها وضعت على رأسها شعرا مستعارا وادعت انها مدام دي بومبادور لما حيرني امرها . . . فيمكنني ان اتصور شخصا في رأسه افكار غريبة . ولكنها تبدو تامة الاتزان . انها ليست من طراز اوليفر . . . غلاسب . . .

— اوليفر ؟ هل تعرف اوليفر ؟

وتوقف سورم ، واحس ، لفترة قصيرة ، كانه افشى سرا . ثم استعاد حالته وقال :

— نعم . ذهبت بالامس لزيارته .

وبدت الدهشة واضحة في وجه نن :

— لم زرته ، بالله ؟

— كان ما اخبرتنني به عنه اثار فضولي . ثم اني اعجبت برسومه . وقد اعطاني الاب راكوسي عنوانه .

- ونظر اليه نـن باهتمام :
- انك لغريب الاطوار حقا ! لم لم تخبرني بذلك ؟
- نويت ان اخبرك . فليس فى الامر سر .
- وعسم تحدثتما ؟
- لم نتحدث كثيرا . وظننت انه سيكون فظا قبل كل شيء . وزمجر كالكلب .
- هذا ما يتصف به اوليفر !
- ثم تحدثنا عن ... اوه ، الدين والتكشف ، واخيرا عن القتل ...
- هذا ما يتصف به اوليفر ايضا !
- لماذا ؟ هل الحديث عن القتل من المواضيع المفضلة لديه ؟
- اجل . انه من مواضيعه المفضلة .
- يدهسني ذلك . لماذا ؟
- لا اعلم . انه دائم التفكير فى الالم والعذاب . لانه يدع هذه الافكار تقوده الى الشرود احيانا . وهو يتأمل فى هذه الامور اكثر مما ينبغي . عندما التقيت به لأول وهلة ، كانت لديه نظرية ما ... دعني افكر ... اجل ... كان يعتقد ان الحياة انما هي استعداد للعذاب الابدي . وقد هيا كل تفاصيل هذه النظرية . يعمل الجسد على صد الالم ، ولكننا مع هذا نتالم طول الوقت . وعندما نتحرر من الجسد لا يوجد هناك ما يصد الالم ... فيبقى الالم الابدي . وقد استنتج من تلك الفكرة ان على الانسان ان يعرض نفسه للعذاب دائما ... على سبيل التمرين للعذاب الابدي . واعتقد انه كان يرتدى دائما قميصا مطعما بالمسامير .
- حقا ؟ لم اتوقع ذلك .
- ولكنه لا يبدو ان يكون مخبولا ، اوليفر هذا . اعتقد ان له قدرة على التنبوء حقا .
- هل انت جاد فى قولك ؟
- تماما . اعرف انه من عائلة ارلندية ؟
- ظنننه من يوركساير ؟
- من لانكساير . ايرلندي من ليفربول . لا اعتقد انه زار ارلنده يوما .
- وقد اخبرني احدهم مرة — اعتقد انه الاب كارانز — بان جدة اوليفر كانت امرأة معروفة تجمع بين عمل السحر والقداسة فى كاوثي كلير ... انها تقوم بالتنبوء والوساطة وغير ذلك . وتظهر هذه الاعراض على اوليفر احيانا .
- كيف ؟

- عدني الا تخبره بذلك .
- اعدك .
- طيب . لقد اضرب نومه مرة واخذ يرى الكوابيس . فأخبر صاحبة البيت في صبيحة أحد الأيام ان شخصا يدعى توماس سيموت غدا في ذلك الليلة . فظنت صاحبة البيت انه مصاب بخبل . وفي تلك الليلة نصب كمين لرجل يدعى توماس فعلا وحاول اللصوص سرقة محفظة نقوده ، ولكن صربتهم كانت قاسية جدا فقضت عليه . وقد رأى اوليفر الحادث في حلمه كما وقع بالضبط .
- واحس سورم ان شعره ينتصب على جلدة رأسه . وقال :
- يا الهي !
- ولم يستطع اوليفر الرقاد في الليلة التالية - فقد الحث عليه الاحلام ، ولحسن الحظ ، فقد ارسلته صاحبة البيت لمراجعة طبيب فأرسله الطبيب بدوره الى طبيب نفسي . وهيا له الاب كارانرز المال ليدخل مستشفى الامراض العقلية فترة من الزمن . فسفي بعد ذلك . ولكن حلمه بحادثة القتل قبل وقوعها ما يزال حقيقة واقعة .
- هل انت متأكد من انه حلم بالحادث قبل وقوعه ؟ اقصد ، هل هناك دليل على ذلك ؟ هل حاول الاتصال بالشرطة متلا ؟
- لا اظن ذلك ، حسب ما اعلم . ماذا كان يمكنه ان يفعل ؟ ان كلابهام كومون منطقة واسعة وهناك الاف من الناس في لندن يحملون اسم توماس .
- من قال لك ذلك ؟ اوليفر نفسه ؟
- كلا . الاب كارانرز .
- ووزع آخر ما بقي من النخبانيا على القدحين . وقال :
- والان ، ما رأيك في فاكهة ؟ هل تريد خوفا ام بوظة ؟
- لا اريد شيئا ، شكرا . كان الطعام لذيذا .
- لم تنه قدح الوسكي .
- لم ابدا به بعد !
- ونظر ن الى ساعته .
- النصف بعد العاشرة . الوقت لم يزل مبكرا للذهاب الى البلايكا .
- يجب ان لا نكون هناك قبل الساعة الحادية عشرة والنصف . هل يضيرك ان افرغ من بعض النداءات التلفونية ؟
- كلا ابدا . اخنى ان اكون في طريقك ؟
- كلا ، سأذهب لاستخدم تلفون غرفة النوم . انظر ، اشرب قليلا من

الوسكي أن اردت . لن اتأخر ...
وغاب في غرفة النوم . وتشاءب سورم ثم تمطى . كان يحس بقليل من
السكر . وانتظر حتى سمع رنين جرس التلفون عندما رفع نون السماعه من
قاعدتها وسكب كمبه كبره من قدح الوسكي في القنينة . كان ينظر هذه
الفرصة منذ ان صبه له نون . ثم جلس ثانية وامسك بالقدح الذي كان
لا يحتوي اكر من ربع بوصه من الكحول واحس كأنه في حلم غريب، كأنه
لا جسد له ، وراح ينصفح مخطوط نجسكي .

* * *

وفتح عينيه عندما اجنازت السيارة شارع ايجوير رود ، ثم اغلقهما
برية . وقال نون :

— هل تذكر سقراط في محاوره « المادبة » ؟ عندما زحف جميع
السكيرين المتترسبين تحت الطاولة ، ظل متبظا يتحدث عن الماسه . كان
نيتشه يمقته ، غير انه كان يحمل صفات السوبرمان . هل جرك النوم ؟
— كلا .

— لا ننم . ها قد وصلنا .

ونسطت حيوية نون في الساعة الاخيره . وبالرغم من اصرار سورم على
الا يشرب المزيد من الخمر فقد قبل قدح وسكي آخر واخذ يصفى الى نون
وهو يتحدث عن ابيه . وشعر سورم انه ازداد سكرًا ، فقد أخذت متاعب
نهاره تظهر فيه . وقد ساعد هواء الليل على انعاشه .

وتوقفت السيارة في شارع ضيق ووقفت بين بوابات احد المصانع وصف
من البيوت القدره . ومد سورم يده الى قبضة الباب . وقال نون :
— انتظر ، سأرجع بالسيارة الى تلك الارض الخالية .

ولمح نون شظايا الزجاج المهشم تعكس ضياء السيارة الخلفي ، وصعدت
السيارة الرصيف برجة . وتناهد اليهما سعلات البخار الصادرة من قطار
يسير ببط . واغلق سورم الباب ونزل مترنحا . فامسك نون بمرفقه :

— سر باعندال ، ايها الصبي ! الى الامام !

فرفع سورم عصاه الى مستوى كتفه وهو يؤشر .

— كم ببعده المكان ؟

— مسيره عشر دقائق . انها سنو قظك . هيا ، ايها الصبي !

فقال سورم مكشرا عن اسنانه :

— انك تنادينني كأني كلب الزاسي .

— لم اكن اقصد ذلك . هل سبق ان ذهبت الى ماخور ؟

- هل نحن ذاهبان الى ماخور ؟
- تقريبا . لا تقلق ، انهم قوم مهذبون .
- هل ذاك الذي يقف هناك رجل ؟
- يبدو كذلك .
- كان الرجل مستلقيا على الرصيف ورأسه في مجرى القاذورات . كان ساكنا بلا حراك ، ولكنه تملل عندما اجتازا الشارع باتجاهه . وقال نن مخاطبا الرجل :
- هل أنت بخير ؟
- ووخز عجزه بعصاه . فقال الرجل بصوت غليظ غير واضح :
- يا حبيبي . اذهبوا عني بالله عليكم .
- لقد اغلقت الحانات . حان وقت عودتك الى البيت .
- ورفع الرجل جسده وجلس على ركبتيه وراح يزحف على الرصيف . وجلس بعنف فارتطم رأسه بالجدار . وقال :
- يا حبيبي . اذهبوا عني . للنوم .
- فقال نن :
- سمعنا وطاعة .
- وداس نن على ساقَي الرجل الممتدتين ، وقال :
- فرجيل يقود دانتني الى الدائرة الثانية .
- ثم اردف بالاطالية : حيث تصمت الشمس . ثم اتم عبارته بالانكليزية :
- حيث تغلق الشمس مصيدها .
- فقال سورم ضاحكا :
- ليس فرجيل وانما مفيستوفيليس .
- ما اجمل الافكار التي في رأسك ! اود ان ارتدي الملابس الداخلية الحمراء .
- وسأل الرجل الذي يقف خلف الباب : اعضاء ؟
- فأجاب نن :
- أنا عضو .
- هل تحمل بطاقتك ؟
- ما هذا اللغو ، يا سام . الا تعرفني ؟
- اسف ، لا يسمح بالدخول بعد منتصف الليل بدون بطاقة .
- لم احمل بطاقة في حياتي .
- ومال نن الى الامام وهمس شيئا في اذن الرجل . واستقرت نظره

الرجل على المحفظة التي نقر نسن عليها بعصاه . ثم التفت الى سورم ، وقال :
— هل هو على ما يرام ؟

— بالطبع . اكثر وعيا مني .

عشرة شلنات لكل منكما . العضو وضيغه . وقعا السجل وجاء .
كان السلام ضيقا . وتذكر سورم محلات شرب القهوة العديدة في سوهو
وتشلسي . ورأى لافتة على الباب كتب عليها : نادي بلالاكا : للأعضاء فقط .
وكانت هناك صور آلة البانجو تحت الكتابة .

كان اول ما وقع بصر سورم عليه هو قاعة واسعة تزدهم بالرجال
والنساء . وكانت الاضواء مغلقة بالاوراق الوردية . وكان يقف على ارضية
عالية اربعة من الزوج يعزفون على الاتهم موسيقى مرتجة غليظة تؤذي
الاعصاب ، وهرع لاستقبالهما رجل طويل القامة يرتدي سترة العشاء . وقال :

— طاب مساؤك يا مستر نسن . كيف حالك ؟

— بخير ، اشكرك ، يا متزي . الليلة رواد كثيرون .

— اه ، نعم . كانت الليلة مزدحمة . هذه طاولتك يا سيدي .

وتقدمهما عبر حلبة الرقص الى مائدة في زاوية القاعة . وسحب نسن
المائدة لسورم قائلا :

— اجلس انت في الداخل ، يا جيرارد .

وسأل الرجل :

— ماذا تطلبان !

— شامبانيا ، كما اعتقد . الا تعتقد ذلك يا جيرارد ؟

فقال سورم :

— اي شيء .

كان يفضل الصودا فقط ، ولكنه لم يشأ ان يطلب .

— شامبانيا ، ارجوك يا متزي .

وبينما كان نن يوجه الطلب ، سنحت الفرصة لسورم ان يجلس
بصره . لم ير شيئا يستوقف نظره في الصالة او في الاشخاص الذين كانوا
يرقصون . ولم يكن يلوح على احد منهم السكر . وكان على مقربة منه رجل
يرتدي بدلة مسائية يقبل فتاة دافعا براسها الى الجدار . وكانت احدي يديه،
التي غطى جزء منها فطاء المائدة ، مستقرة على فخذه . ثم تخلصت منه
وقالت بصوت رجالي غليظ :

— ابتعد عني ، هيهه ؟

واشاح سورم بعينه بسرعة ، فوجد نسن يرمقه باستمتاع .

- كيف تجد المكان ، يا جيرارد ؟
- لم ار شيئاً بعد .
- اسمع ، يا جيرارد . لم لا نهرب ؟ بعيداً عن انكلترا ؟ نذهب الى بلد آخر .
- لقد اقترحت علي ذلك تلك الليلة .
- صحيح ؟ وماذا كان جوابك ؟
- لا اذكر . ولكن الخطة غير عملية .
- لماذا ؟
- لاسباب عديدة . قبل كل شيء ، لا املك النقود .
- امرف ذلك ! ولم اكن اتوقع انك سننفق شيئاً !
- هذا ما يجعل المسألة اصعب !
- لماذا ؟
- اوه ... لا يمكنني ان آخذ نقودك . ونانيا ، لا اريد ان اضيع وقتي مطوفاً حول العالم . افضل البقاء في لندن للعمل .
- يمكننا العمل على ظهر السفينة . هنالك متسع من الوقت . يمكننا الذهاب الى الهند ...
- قلت لي اميركا الجنوبية في ذلك اليوم !
- كلا ، الهند . لنذهب الى الهند . اتعلم ، يا جيرارد ، ارغب في الالتحاق بدير للبوذيين فترة من الزمن ... يمكنك العمل هناك !
- افضل البقاء في لندن .
- ولكن لم ؟ لقد اعترفت لي قبلاً بانك مللت لندن .
- كنت مللتها . هذا صحيح .
- الا زلت تشعر بالملل ؟
- ذلك هو الغريب في الامر يا اوستن . منذ ان التقيت بك اخذت اشعر احسن من قبل ... اخذت احسن بوجود غاية .
- ولكن الملل سيصيبك نانية عندما ارحل الى الهند !
- انك لا تفهم .
- طيب اشرح الامر لي ...
- واخذ سورم يجتهد للتغلب على سكره . كانت افكاره واضحة ، ولكنه احسن بالمجهود الذي ينبغي عليه ان يبذله ليعبر عن هذه الافكار دون ان تترنح في فمه الكلمات .
- الا ترى ، يا اوستن ، ان الامر هكذا . قبل ان التقي بك ، كنت اشعر

... كلا ، ليس ذلك ما اعنيه . ما اعنيه هو ... كنت احس باللاهدفية .
تلاحظ ؟ كنت اعيش من يوم لآخر ... لماذا ؟ لانني كنت حيا ، وما دمت حيا
فمن الايسر ان تعينس من ان تفعل اي شيء اخر . ولم يكن الامر كذلك دائما .
فكما تعلم ، عندما كنت اعمل كنت اعتقد بان رغبتني الوحيدة في الحياة هي ان
اكون حرا ، ان اكون حرا في عملي وفي فعل ما اريده . وكنت اقضي الامسيات
احيانا بقراءة كتاب او الاستماع الى موسيقى سمفونية وعندما يحين موعد
النوم كنت اشعر بالانفعال و ... اشعر بانني واثق تماما مما اريد عمله في
حياتي الى حد لا يمكنني فيه النوم ، مجرد انني لا اسطيع النوم . واعتقدت
باني لو لم اكن مضطرا للعمل طوال اليوم لاستطعت ان افعل كل ما ارغب في
فعله . هل تفهم ؟ كنت اسنطعت ان اقرأ الكتب وان استمع تلك السمفونيات
في الساعة العاشرة صباحا فاشعر بالسعادة وتنتابني تلك الانفعالات قبل
ان ينتصف النهار ، وبعدئذ يمكنني التفرغ للكتابة كالمجنون بقية النهار ، ما
دام الوحي موجودا . هذا ما اعتقدت اني كنت سافعله ...

— ولكن الامر لم يكن كذلك ، صحيح ؟

— كلا ، لم يكن كذلك . لقد اخبرتك كيف كان الامر . لقد بلغت مرحلة
اعيش فيها كالحيوان — مجرد الاكل والنوم وشعور بالازدراء لنفسني يلتصق
بي كالسخام . كنت اعلم بانه لو كان لدي المال الكافي لانفقت ايامي كلها اقتني
الكتب والاسطوانات — او ربما منلك اذهب الى باريس لسماع محاضرة لسارتر،
او اذهب الى ميلان لاسمع غناء ماري كالا .
فتمتم اوستن :

— انت مرهف الحس ايها الولد العزيز .

— حسنا ، يكفيننا ذلك . اعتقد اني نسيت كيف اعيش . لقد انزلت
الى هاوية القذارة والضجر ، هذا كل ما في الامر . ومنذ ان التقيت بك بدا
ذلك الشعور القديم بوجود غاية يعود الي . اوه ، ولكنه ليس شعورا واضح
المعالم . انه مجرد شعور بالانفعال والحماسة كأنك على وشك ان تكتشف
شيئا . ولكنه شعور صادق . لقد كنت انت الذي حركت هذا الشعور ، غير
انه لا يمسك من الناحية الشخصية .

— اوه ، بهذا الشكل ...

— لا تأخذ المسألة مأخذا شخصيا . سيؤلمني كثيرا ان تغادر ...

فقال نن وقد اكفهر وجهه :

— احترس . في يوم من الايام سيسعدك ان تهرب من لمحات الغائبة هذه .
— لماذا ؟

وبدا على ننه انه صبحا فجأة من السكر - وراح يحرق في غطاء المائدة .
وقال :
- الامر يعتمد على مقدار ما تنفقه للحصول عليها . . . ماذا حدث لك ؟
تبسو شاحبا .
- احس بجيشان ومرض . اعتقد ان الحر هو السبب .
- هل آتي لك بدواء ؟ خذ حبة من الانفوستورا . اني اتناول فرصا
منها كلما احس بالغثيان .
- كلا شكرا ، اعتقد من الافضل ان اخرج الى الهواء الطلق . . .
- هنالك باب بالقرب من غرفة التواليت ، تخرج الى الساحة الخلفية .
يمكنك الجلوس هناك .
فقال سورم :
- شكرا .
وتوقف الرقص ، ونهض سورم آملا ان يجد طريقه الى الباب دون ان
يعيقه احد . ولكن لسوء الحظ ابتداءات الموسيقى بالعزف ثانية على الفور .
وقال ننه :
- اسمع يا جيرارد . اذا كنت تشعر بجيشان في معدتك فاصعد سلم
الحريق الى الباب الثاني الى اليسار ، فتجد حماما هناك .
- شكرا ، يا اوستن .
وشق طريقه بين الراقصين الى الباب ، وهو يحس بالعرق يتصبب على
وجهه . كان الهواء الليلي باردا ، وشعر بتحسّن وهو في الساحة . واخذ
يحس كأن مخلوقا حيا مسطحا ، مخلوقا له ساقان ، راح ينقلب على قفاه في
اعماق معدته .
كانت الساحة تسبح في ظلام دامس عندما خرج . وراى سلم الحريق
فجلس على الدرجة الاولى ، فسمع حركة وهمسا في ركن بعيد من اركان
الساحة . ولكن حالته لم تكن تسمح له حتى بأن يكثرث وهو يضع خده على
قضيب الحديد البارد .
ومر قطار على الجانب الاخر من الجدار وصفر ونفث البخار فجفلس
سورم . وسقطت على وجهه بضع قطرات من الماء . وكانت السماء صافية
مليئة بالنجوم . وتناهى اليه من الداخل صوت الموسيقى ، متعبة غير مترابطة .
وتقدم اليه احدهم عبر الساحة . وسمع صوتا رجاليا :
- اسمع ، الا تخرج من هنا ، بالله عليك ؟
واقترب الوجه منه ، كان زفيره يفوح بالتبغ والثوم . كان اكثر مما

يمكنه ان يتحملة . فقفز على قدميه وادار ظهره الى الرجل حالما لامست انفه تلك الروائح . كانت معدته تجيش ، فشد برأسه على الحائط وهو يحس في فمه بطعم الشمبانيا والوسكي والهليون في وقت واحد . وانتابته حالة من عدم التصديق ، ودهش كيف امكنه ازرداد هذه الاشيء كلها ، اشيء تبسّدو كلها كريحة برمتها ، اشيء لا يمكنه ان يتخيل انه سيجدها لذيدة الطعم في اي وقت . وطفى عليه كذلك الشعور بغبائه ، فكيف يشرب الشمبانيا في الوقت الذي لا رغبة له في شربها . وسمع وقع اقدام الرجل عائدا عبر الساحة . وهو يقول :

— اوه ، يا للمسيح ! انه مريض ، لنحرح .

وسمع اصوات اقدام تمسي . وقال صوت رجالي اخر :

— لنذهب الى محل اخر .

وخرجا من الباب . وشعر بالملقت يتأجج في صدره لهذين الرجلين لوجودهما هناك ، واحس بالارتياح الشديد عندما غادرا .

وعاد مترنحا الى سلم الحريق وجلس هنالك نائبة ، مبتهجا للبرودة التي كانت تنفذ خلال ملابسه . ولكن معدته ظلت تتقلب وهو يحاول ان يتناساها . وبصق بم مسح بيديه العرق من وجهه . وعرف ان الجيشان سيرتفع في معدته نائبة ، وتمنى لو استطاع ان يتقيأ كل ما في معدته مرة واحدة ، وادرك مدى تمرد معدته على كمية الكحول التي تناولها . وعندما احس مرة اخرى بالغثيان نهض واستند الى القضيب الحديدي واحس بموجات من الحرارة ترتفع من معدته كالحمى . وظل واقفا بضع دقائق وهو يسعل محاولا ان يهدئ نفسه ، وهو يفكر : لن افعل ذلك نائبة ، لن افعل ذلك نائبة ، لن افعل ذلك نائبة ، لن افعل ذلك نائبة . واحس بالدموع باردة على اهدابه . واخيرا ، اقنعد السلم مرة اخرى ، وشعر بالعرق يبرد في رقبتة وعلى بطنه . وسمع صوتا فسي الدهليز وخشى ان يأتي احد الى الساحة . ولم يأت احد ، ولكن مجرد الفكرة اقلقته . ونهض ، محاولا ان يتذكر تعليمات نين بشأن الوصول الى الحمام . كان الباب الذي في نهاية المنعطف الاول من السلم مقفلا ، فارتقى السلم ببطء الى المنعطف الثاني متوقفا مرة لينظر الى السكة الحديدية التي كان باستطاعته ان يراها الان . كان الباب مفتوحا ، فدخل منه الى رواق مضاء . وكان باب الحمام مفتوحا ايضا . فدخل وجلس على قرص المراض واتكأ على انبوب الماء . واحس بالرغبة في الجلوس على هذه الصورة بقية الليل . كانت الحرارة ما تزال تندفق من معدته وكانت غرفة الحمام تتضوع برائحة اللورد ، ولكنه احس بالنفور منها . وجعلت ارتعاشات معدته انفاسه تتشنج وجلس هناك حوالي ربع الساعة ، لا يرغب في التحرك ، وهو يحرق في خطوط الدهان

الثلاثة المتوازية على وجه حوض الحمام المطلي بالميناء المتفطر . وعاد الجيشان الى معدته فجنا على الارض واخذ يتقياً في المرحاض فلا يخرج شيء سوى كميات قليلة من سائل مر كان يبصقها على رسوم الازهار الزرقاء التي كانت تزين الجزء الداخلي من المرحاض . وراح يفكر : يا الهي ، ماذا فعلت بمعدتي فيكون هذا جزاؤها لي ؟ واخذ يحس بألم في ركبيه فسحب قطعة من حصير الحمام ذات ننوءات مطاطية ووضعها تحت ركبيه . وعندما تلاشى الجيشان سحب سلسلة المرحاض وتمدد على الارض مسنداً رأسه على حصير الحمام . وسمع احدا يحاول فتح باب الحمام ثم يذهب في سبيله وظل راقداً بلا حراك مدة عسر دقائق اخرى فكادت ان تأخذه غفوة .

وصاح صوت نن :

— جيرارد . هل انت هنا ؟

— نعم .

— هل تحس بخير ؟

فكثر وقال :

— كلا .

— هل ادخل ؟

فجر نفسه جراً ونهض واقفاً وهو يتمنى لو يذهب نن عنه ، وفتح الباب .

فدخل نن :

— هل انت بخير ؟

فقال سورم بصوت غليظ :

— تقيأت ثلاث مرات . وانتوقع ان اتقيأ ثلاث مرات اخرى .

وجلس على حافة حوض الحمام .

— هل تريدني ان اوصلك الى البيت ؟

— كل ما اريده هو ان ابقى هنا . فترة قصيرة .

— مسكين يا جيرارد ! انا آسف تبدو هريضا .

ففكر سورم وهو يتميز غيظاً : تعليق سخيف . وقال لنن :

— ارجو ان تتركني لوحدي قليلا .

— حسناً . انظر ، لدى فكرة . سأعود بعد قليل . اغلق الباب .

ومال سورم الى الامام واغلق الباب خلفه . وجلس على الارض ثانية ودفن وجهه بين يديه . ولاحظ ان يديه قدرتان ، ربما بسبب التراب الذي علق بهما من سلم الانقاذ ، وأدرك انه قد لوث وجهه به . ولم يحس بالرغبة في النهوض والتأكد من ذلك بالنظر الى المرأة . كانت الغرفة باردة ،

وكان تيار الهواء يدخل الغرفة من تحت الباب . وسره ذلك . كان يخشى ان يحس بالغثيان مرة أخرى ، فقد تمللت معدته كأنها تهدده عندما مرت بخاطره عرضاً ذكرى الطعام .
وهتف نن :

— انانن . هل ادخل ؟

وفتح الباب مرة اخرى فلمح وجهه لمحة خاطفة في مرآة للحلاقة . كان يبدو كعامل منجم للفحم . كانت الدموع قد اختطت الاخاديد من بين القدارة .
— اسمع يا جيرارد . لقد رتبت لك النوم هنا ، فليدهم غرفة للنوم .
هل يمكنك الصعود اليها الان ؟

— يحسن بي ان اغسل وجهي .

— لا تهتم . هنالك طشت للفسيل في غرفتك . تعال .

وتبعه سورم ليصعدا السلم . وقال :

— ما كان ينبغي ان تزعج نفسك . سأكون بخير بعد نصف ساعة .
ويمكنني العودة الى البيت .

— لا حاجة لذلك . لقد رتبنا كل شيء .

والنفث نن وقال بصوت خافت :

— انا باقى ايضا ، على كل حال .

ولم يجب سورم ، كان يفكر : ارجو الا يكون قريبا مني .

واضاف نن وكأنه احس بهواجس سورم :

— سأمكث في الغرفة التى تقع تحت غرفتك . فأضرب على الارض

ان احتجت شيئا .

واحس سورم فجأة بالخجل من الشعور بالكراهية الذي اخذ

يصيبه ، وقال :

— اشكرك .

وكانت الحال افضل في الظلام . وسكنت نوبة الغثيان بعد نصف ساعة وتركته في حالة من الارتياح التام . كان صمنا غريبا ، مزيجا من التعب والقوة . لقد سره ان يرقد هناك على السرير المعد لشخصين وتصل الى سمعه نثف من الانغام الموسيقية ، نحاسية بعيدة . كانت هنالك نافذة في السقف فوق رأسه ولكنه لم يستطع ان يثبين النجوم خلالها من جراء الغبار المستقر على زجاجها . وبالرغم من التعب فلم يزل يحس بالقوة الداخلية التي لازمه

الاحساس بها طوال النهار . كما اصابه شعور بالانقطاع ، كان جميع ما حدث له في الماضي لم يحدث في الحقيقة . وراح يتأمل : عنوان جـيـد للكتاب : « الأشياء لا تحدث » . واحس بأن حتى ادراكه بأنه سيموت لم يحرك فيه شيئا ، فهو موقن بأنه لن يقع شيء نهائي لا سبيل الى تغييره . وعندما خطر نـن ببـالـه احس بالرائـاء له ، وفكر : نـن مستبـك اكـتر مما ينبغي . انه سوف لن يكون حرا . انه لا يدرك ان الاشياء لا تحدث ، وانه ليس هناك شخص هو هو في الحقيقة ، وان الانسان هو الله في صندوق .

وكانت اغطية الفراش رقيقة خفيفة ، ولكنه لم يشعر بالبرد . ثم غاب عن وعيه قليلا ولكنه استيقظ نانية وهو يحس انه من العـبـث ان ينام فيسـد شـمـوره باليقين . ولكن النوم داهمه بعد لحظات قليلة على كل حال ، ورأى نـن في حلمه : كان نـن يقف على سطح احد البيوت في باركلي سكوير وهو يصرخ مثل بتروشكا في السماء الليلية . واستيقظ فجأة ، وصورة نـن امامه ، كانه موجود في الغرفة . لم يكن هناك احد . رأى نـن في حلمه يقف على السطح يلوح بذراعيه ، وهو يصرخ بشيء في وجه السماء ، وعلى الارض تقف الجماهير وهي تراقب تلك القامة السوداء المتمردة وكان الكثير منهم يصيح به ويحنه على القفز . ولكن نـن لا يقفز . كان سورم واثقا من ذلك وادخل وثوقه هذا السرور في نفسه . وكان سورم يقف في فناء الدار ، فهرع مرتقيا السلم العاري ليصل قبل ان يلقي نـن بنفسه وهو يحس بانفعال مبهج ، لتيقنه من ان نورا من النبوة سينبثق فوق مدينة لندن من اسلنفتون الى ماريلبون ، ومن بريمرورهيل الى سنت جونز وود ، ويتدلى فوق حدائق كنسنغتن كالنمس الحمراء . ان نـن لن يقفز . انه سيظل واقفا هناك ، اوسنن ، فاسلاف ، بتروشكا ، على سطوح المنازل . ولكنه لم يكن في بيت خال . كان في ماخور وهو يضطجع في احدى غرفه العليا . وكان اوسنن معه . كان يقف بالقرب من السباك ، وهو يحرق من خلاله ، وكان ذلك الجسد الكبير العاري يبدو ، في نور الفسق ، كتمثال مرمرى . كان الكتفان عريضين ، ملفوفي العضل ، مثل كتفي راقص .

ولم يستطع سورم ان يرى عينيه . كانتا عينيـن صخريـتين ، ليستسا مغلقتين تبدوا ساكنتين في دكنة الفجر ، ولم تكن كعيني القسيس الرمادية في وجه تمثال حجري قبيح . وعندما اغلق سورم عينيه رأى الراقص وجسده الكبير يتحرك دونما مجهود في الهواء ، يتحرك ببطء ، يتحرك دون ان يلقي مقاومة ، ثم يعود الى الارض ، صامتا كالطيـف . كانت معالمه واضحة جدا . كان الوجه نحيفا عضليا ، ينحني اليه ، وقد ضفرت بخصلات شعره مسبحة

من اوراق الورد ، كان وجه حيوان اسطوري ، وكانت عينا هذا الحيوان
البنية تبسم له ، متخطية حدود الخير والنر .
باردا كان نور الفسق على السطوح المرمرية ، اكثر اتصالا بالواقع من
موسيقى الجاز . انك ستفقدني يا عزيزتي . اروقة زجاجة تقود الى حيث
لا يعلم احد .

ثم تلك القفزة ، اعنف من هطول نور الشمس على الجليد ، الى ما وراء
السرير ، عائمة من دون ضجيج ، الى الامام ، من خلال النافذة المفتوحة .
واضطربت الانفعالات في صدره كالنار . ذلك اللون الرمادي ، السواد
الدموي في النور الفضي ، بدأ ينحول الى لون احمر اخذ يصبغ الفجر الذي
راح يتنفس فوق سطوح بادنتن . حانت الخاتمة . والقيت بوردة من احدى
النوافذ المفتوحة ، فراحت تتلوى فوق سطوح لندن التي تمللت متيقظة ، ثم
سقطت ، وقد تفتحت اوراقها ، في نهر التايمس الملوث باللون الرمادي .
واراد ان يطلقها صرخة ، بكل ما في صدمة الدهول الذي اصابه من عنف :
اذن ، فهذا من تكون !

كان على يقين لم يسبق له مثيل من ان السبه تام .
وعندما استيقظ كان ما يزال يحس بالسرور والدهشة اللذين ولدهما
هذا الاكتشاف ، ولكنهما تلاشيا فيما هو يجيل بصره في الغرفة المضيئة .
وقال بصوت عال : فاسلاف .

القسم الثاني

الفصل الاول

واحس بالفرفة باردة ، تلوح وكأنها مهجورة . واشعل موقد الغاز تحت ابريق الماء ، واستلقى على السرير مغلق العينين . كانت الساعة تشير الى الربع بعد السابعة لقد استغرق ساعة وبعض الساعة ليقطع المسافة مشيا من بادنفتون . كان يحس بالضعف والتعب ، وباطمئنان غريب . وتساءل هل سيجد ن الرسالة التي تركها له على الوسادة ، فلم ير احدا عندما كان يغادر البيت .

كان الراديو مفتوحا في الفرفة التي تحته . وسمع صوب رجل يهتف . ماذا فعلت بزر ماكينة الحلاقة الكهربائية ؟ وكانت السماء تلوح خارج النافذه داكنة بالغبوم وبلون الفجر . كان يستيقظ مبكرا لاول مرة منذ شهور ، وقد صاحب هذا الاحساس شعور بالانتعاش وراح يتخيل في ذهنه خادمت مايل ايندرود وهن ينتظرن سيارات الباص ويتصور رجالا بملابس العمل يحملون علب طعام الغداء . وانخفضت سحب المطر كالدخان .

وهيا التسي وجلس على السرير ليحتسيه وقد غطي ركبتيه بالغطاء . كانت الفرفة قارسة البرد ، بالرغم من اشتعال الموقد الغازي . وظل يقرأ الى ان وصل سمعه اشارة الوقت مشيرة الى الثامنة من الراديو في الفرفة السفلى .

والبقى بالفساء الألمانية عندما عاد من الحمام . وقالت :
— هنالك رسالة لك على المنضدة .

— اوه ، شكرا .

كانت الكلمات مكتوبة على الغلاف بخط انيق غير مألوف ، ولكنه عرف
العنوان في اعلى الورقة . وكانت الرسالة مطبوعة على الالة الكاتبة كما يلي :

هنالك شيء اريد ان احدثك عنه . هل يمكنك الاتصال بي تلفونبا
عندما تسلم الرسالة ، رجاء ؟ جيرترود كوينسي .

ومر به نزيل الطابق الاول وكان يحمل حقيبة يدوية ، فاحتك به وقال
متضايفا : عفوا . فتحرك سورم بصورة تلقائية وهو يحرق في السطرين
المكتوبين على الالة الكاتبة ، وهو يعبس ويجتهد في تخمين ما كانت تبغيه
المس كوينسي . واخرج من جيبه حفنة من قطع النفود الصغيرة وانتقى
اربعة بنسات . وعندما رن التلفون خامره تردد مفاجيء لتبكيه في المخبرة .
وفال صوت نسائي :

— هلو ؟

— جيرترود ؟

— من المتكلم ؟

— جيرارد سوم .

— هلو ، جيرارد ! كارولين تتكلم .

— اهلا ، يا عزيزي . ماذا تفعلين هناك .

— اناول الفطور في هذه اللحظة .

— ابن عمك ؟

— في الحديقة . ابق على الخط سانادياها . . .

— انتظري . لا تذهبي . متى اراك ؟

— الامر ينعلق بك .

— هل يمكننا اللقاء غدا مساء .

— انا ها قد جاءت العممة جبرترود .

وسمعها تقول : انه جيرارد ، ايتها العممة . وقال صوت المس كوينسي

— هلو جيرارد .

— استلمت رسالتك توا .

— نعم . اشكرك على المخبرة . متى يمكنك المجيء الينا ؟

كان صوتها طبيعيا كصوت سكرتيرة تهيء موعدا .

— متى تشائين . . . الى حد ما .

- هل يمكنك المجيء عند الغداء ؟
 - اظن ذلك ، هل الامر مهم ؟
 - ساشرحه عندما اراك .
 - حسنا . سارك اذن . وبالنسبة ...
 - نعم ؟
 - هل سيكون معنا احد ؟
 - كلا .
 - اه ... حسنا ، سارك فيما بعد . وداعا
 واعاد السماعه الى محلها وهو يسمر انه في موقف احمق . واخذت
 بعض السكوك تساوره في ان يكون سبب الدعوة هو للاجتماع باحد زملائها
 ممن ينتمون الى شهود يهوه .
 ومرت بجواره الفتاة ، وهي تحمل ملء ذراعيها اغطية .
 وقالت :
 - اراك بكرى في النهوض هذا اليوم .
 - اريد ان اصلح حيائي - حياة نظيفة ، صحية .
 واغلق باب غرفته خلفه واستلمى على السرير . واحس فجأة بالنعب .
 ولم سره فكرة تناول الغداء مع المس كوينسي ، كما لم ترق له فكرة زيارة
 أوليفر غلاسب له وتناول العشاء معه . لان عليه ان يبتاع بعض الطعام
 والسراب ، وان يذهب الى البنك ، او ان يكتس غرفته ويرتبها .
 وبينما هو غارق في هذه الافكار ، جرفه النوم .
 وعندما استيقظ ، كانت الساعة تشير الى النصف بعد الثانية عشرة .
 وظل لحظة لا يعي الوقت ولا يدري ماذا كان يفعل هناك . وعندما تذكر موعد
 الغداء مع المس كوينسي لم يشعر بالرغبة في ترك الفراش . واخيرا ، جلس
 على حافة السرير ومر باصابعه خلال شعره وكانت النار الفازية ما زالت
 منسعة ، والغرفة خائقة الهواء . واستوقف نظره ، وهو في مجلسه ذاك ،
 شيء ابيض بحت عقب الباب . فاجتاز الغرفة وهو يمشي متثاقلا كالمل
 والتفته ، ووجد علبه سكاير ممزقة كتب على ظهرها : لقد اتصلت المس
 دينيغ بلقونيا ، وستاتي مساء غد .
 وفي الحمام غطس وجهه في طاس فيه ماء بارد واخذ يتمخط بعنفس
 ليحس بالنقاء في رأسه ثم تعرى الى خصره واخذ يتفسل . ثم ابدل قميصه
 وسرواله وخرج مسرعا من البيت . كانت الساعة تشير الى الواحدة الا خمس
 دقائق . وشعر بخفة وكأنه قد نهض توا من رقدة ستة اسابيع في مستشفى .

وكره ضوء النهار وصخب المرور. واحس كأن شيئاً في اعماقه يتكرر فيصبح
كرة متوترة . وفي البنك سحب خمسة باونات ، ولكن بعد ان نبهه الصراف
بانه نسى توقيع الصك .

وقرع جرس الباب على المس كوينسى بضربة عنيفة بابهامه ، وهو يحس
دون مبرر بانها اغتصبت وقته . وحالما وقع بصره عليها تلاشى توتره .
واسرف وجهها بابتسامة فرحة وقالت :

— هلو ، جيرارد . لقد انصلب نوا بمسكنك لانحفظ الا تكون نسيت
الموعد .

— اننى سديد الاسف . رحت في غفوة ولم استيفظ الا قبل نصف
ساعة .

— لا بهم . اخلع معطفك . هل جئت على دراجتك ؟ هيا اجلس .
قدح نسيري ؟

— كلا ، شكرا . اعتقد من الافضل ان استغني عن الشراب اليوم .
— لماذا ؟

— احس بالضعف . بقيت مستيقظا يوم امس حتى ساعة مآخرة .
— مع اوستن ؟

— نعم .

وراح ينسأل في نفسه عن معنى نظرتها التي حدجته بها . وقالت :
— طيب ، اجلس على كل حال . ساحضر لك بعض الحساء .

كان الراديو يذيع حفلة موسيقية . واغلق عينيه ليصغي الى احدي
كونسرات موزارت ، وتمنى لو كان في تلك اللحظة في بيته مستلقيا في
الفراش . وتذكر كارولين . ولكن فكرة مجيئها الى بيته لم توح له بالسرور .
انها ذكرته فقط بان عليه ان يبدل اغطية الفراش ، ويعني هذا بالنسبة له
الذهاب على دراجته الى احد محلات غسيل الملابس . ثم انتقل تفكيره الى
نن ، والحلم الذي راه في الليلة السابقة . وبدا له ذلك الحلم لا معنى له .
وشعر بالامتعاض منهم جميعا ، المس كوينسى ، واوستن ، وكارولين ،
وغلاسب . واخذ يفكر ، وهو مفلق العينين : مالي ولهؤلاء المجانين ؟

وصاحب هذا الشعور بالكراهية حنين الى العزلة ورغبة غامضة في
حياة اكثر تركيزا .

— حساء ؟

— شكرا . الا تأكلين انت ؟

— بعد قليل ، فقد تناولت حسائي . هل تريد صينية ؟

- لا سكر ، ساجلس الى المائدة .
- وانارت فيه اول ملعقة من حساء الطماطة شعورا حادا باللذة كساد
- ان يدفعه للضحك وانبسبت معدته بامتنان ، وغمره احساس بالطمأنينة
- الداخلية مر عليه كالنسيم ، كان سرا ومض به فاكشفه . وسالت المس
- كوينسي :
- الا يضيرك ان تأني لناول الطعام في المطبخ ؟ بعد ان تنهي حساءك
- بالطبع .
- شكرا .
- كان المطبخ دافئا ، والسبايك معنمة من تكثف البخار على زجاجها
- وكانت الموسيقى ما تزال مسموعة من مكبر للصوت موضوع فوق المائدة .
- ارجو ان تعجبك « الكلاوي » ؟ انها فطيرة كلاوي .
- وابتلع اول لقمة فاستلد بها . وقال :
- متى تخبريني عن سبب استدعائك لي ؟
- فيما بعد .
- ونظر اليها ، وهو يحس في صونها تسرعا ولده القلق المكبوت . وقال :
- لا بأس .
- ومصت تأكل دون ان ترفع نظرها . كان رداؤها يتلسوى حسب
- انحناءات جسمها وينير فيه الانطباع بان وجهها كان اكبر سنا من جسدها .
- ورفعت نظرها فجأة وباغتته وهو يحدق فيها .
- وقالت بلهجة ناقدة : - لا تبدو بصحة جيدة .
- اشعر بخير .
- كانت على حق ، فقد كان ما زال يحس بالاعياء والرغبة في ان يفلق
- عينيه ويتخلص من ضرورة تركيز اهتمامه .
- اين كنت في الليلة الماضية ؟
- في احد النوادي الليلية ...
- اى ناد ؟
- مجرد احد النوادي الليلية .
- ينبغي الا تدع اوستن يجرك الى النوادي .
- كلا .
- انه يعاني من حالة من الضجر الدائم . عليك ان تدرك ذلك .
- احسبك على حق .
- واعلن المديع بان الجزء الاخير من البرنامج سيكون السمفونية

الخامسة لبروكوفيف . فقال سورم :

— جيد . انها سمفونيتي المفضلة . هل يمكن رفع الصوت في السماعه ؟
كان يريد عذرا لانها وجبته دون كلام . ومدت المس كوينسي يدها
طائعة ورفعت الصوت نم مضت تاكل دون ان تنبس بكلمة . وومض في
نفسه حب مفاجيء لهذه المرأة ، وهو ينظر اليها وقد لوت وجهها جانبا ،
واحس بانه من اليسير له ان يؤلمها .
وبعد ان انهى الاكل ، قالت : فواكه ؟
— لا شكر . لقد شبع ، واسنمتعت بالطعام .
— طيب .

وحاول ان يصوغ عبارة يمدح بها مقدرتها على الطبخ ، ولكنه ما لبث
ان تخلى عن المحاولة . وخيل اليه بنسيء من الكآبة ، وهو يرقبها تملأ
الابريق بالنساي ، بان جودة طبخها قد منحتها حق القاء محاضرة عليه .
كما أضحى من المستحيل ، بعد مثل هذه الوجبة ، ان يرفض حضسور
اجتماع واحد على الاقل من اجتماعات شهود يهوه . وتوصل اخيرا الى
ان هذا هو ما تريد ان تتحدث به معه .

— اتريد سماع الموسيقى في الغرفة الاخرى؟ سأجلب القهوة بعد قليل .
وعندما جاءت بعد عشرين دقيقة الفته نائما بالقرب من المدفأة
الكهربائية . كان الراديو يذيع حديثا لاحدهم عن البسننة ، فاستيقظ حالما
اغلقت الراديو . فوصل اليهما صوت المطر ينقر زجاج النوافذ . كانت
الرياح ترشق المطر على دفعات . وقال والندم في نبرته :
— اني ضيف عديم النفع ، اكاد لا اسطيع البقاء يقظا .
ووضع في قهوته السكر الذي تناوله من اناء كانت تمسكه بيدها .
— ماذا حدث الليلة الماضية ؟

— اوه ، شربت اكثر مما يجب . . . فاصبت بالغثيان .

— هذا كل ما في الامر ؟

وحدها بنظرة من الدهشة .

— نعم ، فماذا تظنين ؟

— لا اعلم .

لم يكن بوسعه ان يرى وجهها بوضوح من حيث كانت تجلس . كان
نور امسيات شهر كانون الاول الباهتة يملأ الغرفة ظلالا . وظل يرقبها ،
ينتظر ان تبدأ الكلام . كان من العسير عليه الا يبقني نظرائه خفوضة . وطال
الصمت . وسأل اخيرا :

- الا يهملك ان اوجه اليك بعض الاسئلة الصريحة ؟
 — كلا . هيا اسالي .
 كان يحس بتردها اكثر مما براه . وخامره نسيء من الشك ومض
 في رأسه :
 — ما مدى معرفتك بنن ؟
 فقال بامانة :
 — لست ادري . لماذا ؟
 واخذت تحرك قهونها بسرعة واضطراب . وحدقت في وجهه . وقال:
 — ماذا ينبغي على في اعتقادك ان اعرفه عن اوستن ؟
 وعندما تكلمت اخذت انفاسها تلهث قليلا . تشعر كأنها كانت تنظر
 الى اسفل من علو شاهق ادخل الرعب في نفسها .
 — هل تعلم ... لم لم يحاول اوسن ان ينزوح ؟
 واعتدل في جلسته على الكرسي ، وقد اتسع الشك في رأسه
 فاستحال الى دهشة وعدم تصديق . فاجاب على عجل :
 — اعتقد انه لا يميل الى الفيات .
 وراح يراقبها وقد تيقظ تماما وهو يتوقع ماذا كان على وشك ان يحدث
 بينهما ، ولا يحس برغبة في معاونتها . اراد ان يرى كيف ستدبر الحديث،
 وسألت ، بعد صمت :
 — هل نفهمني ؟
 — لست وانقا . ما هو سؤالك ؟
 — انا .. من الصعب بالنسبة لي ...
 — طيب لم لا تدخلين في صميم الموضوع مباشرة ؟ من كان يحدثك
 مؤخرا عن اوستن ؟
 — بجب الا تذكر ذلك له .
 — كلا .
 — حسنا ... الاخ روبنز .
 — بالله ماذا يعرف عنه ؟
 — ولاح عليها السرور وقد عادت تنحدث عن بعض الاشياء الملموسة .
 — كان عليه ان يقوم باعمال اجتماعية كثيرة — يذهب من بيت الى
 بيت . وعندما التقى باوستن لاول وهلة — منذ اسبوعين — ظن انه رآه
 قبلا . ولم يخبرني بذلك في اول الامر ، ولكنه راح يجري التحقيق ...
 — نعم .

... فاكشف ان اوستن معروف لدى جماعات معينة .. معروفة
لدى الشرطة .

— مجرمين ؟
— اوه ، كلا !
ونفذ جبر سورم ، فاطلقها صريحة :
— تعنين من النسواز جنسيا ؟
فقال بصوت واهن : — نعم .
فقال سورم بجفاء :
— يبدو ان زميلك الاخ روبنز ثرثار سخيف .
— اوه ، كلا . اعتقد بانه ينبغي علي ان ...
تلاشت بقية الكلمات في شفيتها . كان المجهود الذي بذلته للتحدث
في هذه المسألة قد جعل صوتها يرتعش بصورة ملحوظة . وسألت اخيرا :
— هل ذلك صحيح اذن ؟
— نعم .
— وكنت تعلم بذلك طول الوقت .
— اكثر الوقت . وهل في ذلك ضير ؟
كانت تنظر اليه نظرة ثابتة ، واستطاع ان يرى في وجهها خليطا من
المشاعر تحاول جاهدة ان تجد تعبيرا لها وقال :
— دعيني اجب على السؤال الذي يقوم في ذهنك . انا لست منحرفا
جنسيا .
فقال وقد احمرت وجنتاها :
— كنت اعلم بذلك .
— صحيح ؟ كيف ؟
— انا ... انت ...
واخذ يتساءل فجأة هل كانت تشعر بالنظرات التأملية التي كان
يختلسها في تقاطيع جسمها . ومضت تتكلم ، وفي صوتها نبرة من اليأس :
— ربما لم اكن اعلم ، ولكنني افترضت ذلك فقط .
وتلاشى موقفه العدائي منها ازاء حيرتها هذه . وشعر بالبلبل الى ان
يطوقها بدراعيه . وقال :
— اسمعي . لا داعي للانفعال في موضوع كهذا . كنت اعرف ذلك
عن اوستن منذ اثبتت به ، ولكن الامر لم يقلقني ، انه من شأنه فقط . اني
اميل اليه لانه ... على كل حال ، فكلانا مولعان بالتأليف ، ولدينا اشياء

- منسركة كثيرة . و . . . هو شخص لطيف المعسر .
- ولكن . . . الا تعتقد ان للامر اهمينه فعلا ؟
- تعنين ، هل ان الامر في اعتقادي ضرب من الالم ؟ كلا ، ليس كذلك بالذات . اني سعيد لانني لست نزاعا جنسيا الى الجنس المشابه ، ولكن المسألة على كل حال مسألة ذوق . واني لاعلم بان هذا النوع من الانحراف الجنسي لدى بعض الناس انما هو ولد التفاهة المجردة ، غير ان هناك من يبدو انه ولد ليكون كذلك . . .
- وكان اناء حذبه يتذكر القلق الذي احس به اخر مرة زار فيها المس كوينسي ، والضيق الذي انابه امام نقتها بنفسها . ولقد انهارت هذه الثقة الان ، ولم يشعر بانه افضل حالا لذلك . لقد انعكست الاية بينهما انعكاسا تاما .
- هل هناك اناس ولدوا على هذه الصورة ؟
- بالطبع ! الم تعلمي بذلك ؟
- كلا ، انا . . . لم التقي باحد من هؤلاء قبلا . هل تظن ان اوستن كان دائما هكذا ؟
- من المحتمل جدا . لست على معرفة تامة به . كيف كانت طفولته؟
- هل كان الطفل المفضل لدى امه ؟
- اوه ، نعم . كانت تدله كثيرا . لماذا ؟
- اوه ، لذلك علاقة بالامر .
- ومضى يتحدث ، وهو يحاول ان يكون موضوعيا بقدر المستطاع عن الاحصاءات حول السدوذ الجنسي هذا وعوامل تأثير الطفولة فيه وعن الغدد الجنسية ، وهو يحاول ان يرى وجهها في النور الخافت . وظلت تصفي اليه دون مقاطعة . وعندما توقف لينظرها تتحدث ، قالت فجأة :
- الا يمكن سفاؤه ؟
- لا اعلم . لقد فات الاوان . ومن المحتمل انه لا يريد ان يشفى منه . وبالإضافة لذلك ، قد لا تكون هذه مشكلة ن الحقيقية ، فانه راض بها ، وهناك شيء يقلقه .
- ماذا تظن يقلقه ؟
- لست ادري . كبير من المنحرفين جنسيا يحيون حياة عادية . وقد يعيش الواحد منهم مع صديق له من نفس الجنس ويستقر معه كأي زوجين .
- الا يلاحظ الناس ذلك ؟
- احيانا . ولكن لا غرابه عادة في رجلين يشتركان في شقة .

— هل تعتقد أن أوستن يشعر بأنه انم ؟
— كلا . ولكن هنالك شيئا يجعله عصيبا مضطربا . لا اعلم ما هو .
شيء ما يعذبه . ومهما يكن هذا الشيء فانه تقوده الى حالة كحالة
الدئب الوحيد . لا اعتقد انه سيستطيع يوما ان يعيش مع احد .
فقلت بدهشة :

— امل الا يعيش مع احد ! فماذا سيظن والده بذلك ؟
فقال مبتسما :

— هذا سؤال اخر لا يمكنني الاجابة عليه . يمكنني فقط ان اقول
لك ما يقوله اي طبيب او نفسياني — ان المسألة ليست بالضرورة مسألة
فساد خلقي .
فقلت بنردد :

— ان الكتاب المقدس يحرم ذلك ...
— بلا شك . الكتاب المقدس يحرم الزنى واشياء اخرى كثيرة
يقترعها الناس دائما .

— هذا لا يعني أنهم على حق !
— كلا . انك على حق . لا يجعلهم محقين . ولكن الرجال والنساء
يمكنهم الزواج وجعل علاقتهم امرا مشروعا . اما المنحرفون جنسيا فلا
يمكنهم ذلك . فما العمل اذن ؟

وجلست وراحت تحمق في قضبان المدفأة الحمراء . وكان الصوت
الوحيد الذي يسمع في الغرفة صوت وقع قطرات المطر . وارسل سورم
طرفه الى الحديقة ، وكان من حيث يجلس يمكنه ان يرى دراجته وهي
ملففة بغطائها الاصفر . وبدت الحديقة ، تحت السماء المبتة ، وقد انتشرت
عليها الاوراق الدابلة ، بدت مخيفة كأنها ارض مجهولة . غير ان الظلام
والمطر انارا فيه احساسا بالراحة . وراح يتأمل ، وهو ينظر الى المس
كوينسي ، هل في امكانه ان يقبلها ، لمجرد ان يرى كبف سيكون رد فعلها ،
واثارت فيه الانطباع بانها تواجه مشكلة لا سبيل الى السيطرة عليها ، وبانه
لم يعد هنالك بعد ما يبر دهشتها . وسألت :

— الا يمكننا اقناعه بمراجعة طبيب نفسياني ؟ لمجرد احتمال ان
ينجح العلاج ؟

— في الامكان المحاولة .

— لا ادري هل يشك فيه ابواه ؟ ولكن لا، لا يمكنهما ...
— قد يشكان .

وكانت كأنها تتحدث الى نفسها . وكان يجيب لمجرد رغبته في مجاملتها .
وقالت :

— كان دائما طفلا غريب الاطوار . كان يميل الى القسوة .
فسأل سورم باهتمام :

— صحيح ؟ كيف ؟

— ليس قسوة حقيقية ، وانما دافعا لها فقط ...
— كيف ؟

— دفع مرة ابن البسناني من سطح الزريبة فسقط الطفل وكسرت
ساقه . وكان يكره الدمى الى حد غريب .
— هل كان يقسو غالبا ؟

— ليس غالبا ، كلا . وانما كان له نوع من ... الجانب المظلم في
نفسيته . كانت تصيبه حالات يظل فيها اياما عبوسا مقطباً ويرفض ايعة
محاولة لاجراجه منها . ولم يكن يسعه قط الاحتفاظ باللعب أكثر من بضع
ساعات — كان يكسرها . ولم يكن على ما يرام مع بقية الاطفال لانه كان احيانا
يؤذيهم او يحطم لعبهم . كان يكره الاطفال مل كرهه للدمى .
— لمن كانت تعود الدمى ؟

— لابة فتاة . فقد هنيء في احدى المرات دمية جميلة لابنة عمه جين .
كانت دمية كبيرة جاءوا بها من النمسا . هنيءا بمطرقة . وقد كسر جميع
الدمى التي كانت عندي ...

فسأل سورم مبتسما :

— كنت تلعبين بالدمى ؟

— ليس في ذلك الوقت . ولكن كان لدي بعضها وكنت احتفظ بها في
دولاب قديم . فوجدها اوستن ومزقها اربا .

— يلوح اوستن كطفل جانح .

— كلا ، ابدا . لم يكن دائما بهذا الشكل . كان يحدث ذلك احيانا
— كان الشيطان يدخل فيه . وعندما كان ذلك يحدث ، كان يبدو وكأنه
شخص اخر .

— وما هو سبب تحطيمه الدمى في اعتقادك ؟

— لا اعلم . انه سريع الملل ، وعندما ينتابه الضجر تحدوه الرغبة في فعل
شيء عنيف . ومن السهل عليه ان يطلب منك ان تحزم امتعتك وتذهب معه
في رحلة الى الطرف الاخر من العالم .

— لقد طلب مني ذلك فعلا !

- وبماذا أجبتنه ؟
- رفضت ، فلدي امور اخرى افعلها .
- طيب ، لا بد وانك صارم معه ، ويمكنك لهذا ان تؤثر فيه . . . اذا لم يدعك تقتفي خطاه .
- لا يمكنه ان يقودني الى ابعد مما اريد ان اذهب !
- وبدت كأنها استشعرت في كلماته تهديدا لها . وسألت بتسكك :
- الا تظن انه من الافضل التوقف عن اللقاء به ؟
- وماذا افعل بدلا من ذلك ؟ آتي لالتقي بك ؟
- وقال عبارته هذه ليستفرها مازحا ، ولكنها ، لدهشته اجابته برزانة :
- يمكنك ان اردت .
- وحدث فيها، محاولا جهده ان يرى التعبير الذي ارتسم في وجهها . وقال:
- يسرني ذلك .
- ولكن ما الذي ستفعله بشأن اوستن ؟
- لا افهمك . ليس هناك ما يمكننا عمله . على كل حال ، ينبغي علي ان ارحل الان .
- في هذه اللحظة ؟ ولكن المطر لم يزل يهطل .
- كنت اريد . . . ان استحم . اشعر كاني حزمة من القش . وعلي ان اهيء طعام العشاء فيما بعد لاحد الاصدقاء . فأرجو العذرة .
- ونهض وترك الغرفة .
- وعندما خرج من غرفة التواليت ، نادته :
- بالمناسبة يا جيرارد ؟
- لم لا تأخذ حماما هنا ؟
- كلا ، أشكرك . . .
- واحس لسبب ما ان اقترحها اخرج .
- هل من السهل لك ان تأخذ حماما في محل سكنك ؟ هل يتوفر الماء الحار دائما ؟
- هناك مرجل غازي - اضع فيه شلنا و . . .
- وعندما تذكر الحمام ، وبابه ذا الزجاج البني ، والحوض العميق العتيق الذي يمتلىء بالماء ببطء لا متناه من مرجل الماء ذي المزاج المتقلب، اخذ يسمر بان اقتراح المس كوينسي لا يخلو من الصواب . وقالت :
- يبدو ان حمامك مزعج الى حد مضحك . ما اسهل الامر هنا .
- الا يضايقتك ابدا ان استحم هنا ؟

— كلاً ابدا .

— حسنا — في هذه الحالة ، شكرا . . .

وراح ينخيل وهو يخلع ملابسه ان جيرترود كوينسي قد اوضحت خليلته،
وانه يسكن معها الان . ووجد لسبب يجهله ان من اليسير عليه ان يتخيل
صورة كهذه . ما عدا بالطبع وجود كارولين . . . لقد كانت كارولين حجر
العنبر . وطفق ينأمل في الامر فيما هو يسترخي بحذر في الماء الدافئ . خمس
سنين من الامتناع عن الجنس وليل من الضجر والمحاولة غير الموفقة
ليجني ثمار انزاله . ثم فجأة يجد نفسه مستبكا مع اناس كثيرين ، ومع
امرائين يمكن ان بنخذ منهما خليلين . لقد منحته كارولين نفسها بصراحة
عجيبة — من الاشياء التي لا يتخلها الشخص تحدث الا في احلام اليقظة ،
فاذا ما حدثت ، فمن المستحيل مقاومتها . ومع ذلك ، كانت جيرترود افضل
الاثنين من نواح عديده . كانت تنطوى على تحد اقوى .

وتناول بعض المساحيق المسنعة في الحمام من بين صف العلب على
عتبة النافذة . كانت تنبث منها رائحة الليمون . وعندما اعاد العلبه السي
موضعها تناهى اليه صوت غناء . وراح يستمع باهتمام فادرك انه صوت
المس كوينسي . وتوقفت بعد لحظة . وظل جالسا ، مرهفا اذنيه ليمس
صوتها من خلال ضجيج الماء الذي يعود ليملأ حوض الماء الحار . كان من
العسير عليه ان يتصور المس كوينسي نغنى لنفسها ، وخصوصا بعد الحديث
الذي جرى بينهما .

وفيما هو يجفف جسده ، سمعها تنتقل في الغرفة المجاورة . كانت تلك
الغرفة التي تنام فيها كارولين . واخذ يمسط شعره وهو يترنم في لحن
من سمفونية بروكرفيف . ومضى يتساءل كيف يتوصل الى معرفة جيرترود
كوينسي معرفة افضل .

وفتح الباب ووضع قدمه على ارضية الغرفة . وسمع حركتها في الغرفة
التي تقع عند نهاية الرواق . فراح يمسى صوبها ، وهو يطأ الارض بهدوء
على البساط السميك .

فقال : اوه ، لقد افزعني !

— آسف .

— كيف تسعر الان ؟

— عظيم . افضل كبيرا .

وانتهت من نشر الغطاء بم سوينه . وفيما هي تلتفت امسك بها من
خصرها ورفعها عن الارض ودار بها دورة حول نفسه قبل ان يعيدها ثانية

- على الارض . وقال :
- ينبغي ان اغتسل مرارا اكثر .
- وأبارة لمس جسدها . اما هي فقد توردت وجنناها . وقالت :
- يسرني أنك تشعر بتحسن .
- ورأى من الصعب عليه ألا يمد يده اليها نائية . وقبل ان يعتزم ان يكرر العملية ، خرجت من الغرفة وهي تقول :
- تعال . يجب الا تكون هنا .
- لم لا ؟
- لانها غرفة نومي .
- ليس هذا سببا معقولا .
- فقالت :
- لن يروق ذلك للآخرين .
- وتبعها هابطا السلم . وقال :
- لن يعلم الناس بذلك . كما انه ليس من شأنهم ، على اية حال .
- من المحتمل الا .
- وسبقته الى المطبخ . واخذ سورم يحس كانه يلاحقها ، فأمسك عن تتبعها وذهب بدلا من ذلك الى غرفة الجلوس . وجلس هناك وحاول ان يقرأ الصحيفة ، على حين كانت افكاره تقوده باستمرار الى الاحساس الذي يشيره فيه لمسها والى عدم مقاومتها محاولته . وجعلته شكوكه يحس بالقلق ، وما لبث ان شعر بالامتعاض من نفسه . وبعد هنيهة ، فتحت الكوة بين المطبخ وغرفة الجلوس وسالت :
- اترغب في قدح من الساي قبل مغادرتك ؟
- اه . . . شكرا . ماذا نفعلين الان ؟
- اغسل الصحون .
- هل تريدين مساعدة .
- كلا . شكرا . انهيت كل شيء تقريبا .
- وذهب الى المطبخ فالفها تقف الى المفصلة وقد ارتدت صدرية من البلاستيك . وقالت :
- ما كان ينبغي لك ان تأتي .
- لا ؟
- وقف خلفها واحاطها بدراعيه من وراء ، وقال :
- أردت ان آتي . وبعد تلك الوجبة الفاخرة . . .

- توقف ، يا جيراند !
- ولم تبد اية محاولة لازاحة يديه . فأخفض رأسه حتى استقر ذقنه على قمة رأسها .
- هل تعارضيني ؟
- بالطبع اعارض . توقف ، ارجوك .
- فخلى سبيلها وتناول منشفة صغيرة .
- هل يفضبك ان يلمسك احد ؟
- كلا . . . ولكنه عمل لا معنى له ، اليس كذلك ؟
- لم تكن لهجتها مشجعة ، ولكنه كان قد اتخذ قرارا . وقال بلهجة مرحة :
- اوه ، لا اعلم . ولكن ينبغي ان اعترف بانني استمتع به .
- لا تكن سخيفا .
- سخييف ، لماذا ؟
- ينبغي الا تغازلني لمجرد دعوتك للغداء معي .
- وتناول اخر شوكة منها واخذ يجففها .
- انبئيني ، يا جيراند . . . شهود يهوه هؤلاء الذين يزورونك . . . الا يغازبونك ابدا ؟ اعني الرجال منهم ، بالطبع .
- اكثرهم متزوجون .
- هممممم . وكيف الحال مع اصدقائك الفنانين .
- اي فنانين ؟
- اخبرني اوستن بان لك اصدقاء متأدبين كثيرين .
- فنظرت اليه بدهشة :
- لست افهم عم تتحدث . اعرف واحدا او اثنين ممن يسكنون في همبستيد - ضابط متقاعد ، ومراجع لدى احد الناشرين .
- وارتاب سورم في انها تحاول ان تعتمد في جعل الحديث لا يتركز في موضوع معين . وكان ابريق الماء قد اخذ يغلي ، فبدأت بتهيئة الشاي . وقال :
- وهل تعارضين في ان يغازلك احد ؟
- لا تكن سخييفا .
- ليس هذا بجواب .
- فابتدرته بقولها فجأة :
- كلا ، لايهمني . ولكنه لا معنى له ، اليس كذلك ؟
- لا اعلم .
- كان يجلس على حافة الطاولة . وعندما استدارت حاول ان يمسك بها

مرة أخرى . ولكنها لوت نفسها بعيدا ودفعت ذراعيه .
 - كفى ، يا جيرارد ! في الواقع لا أدري ما الذي يدفعك الى هذا السلوك .
 فقال ضاحكا :
 - منذ نصف ساعة كنت تظنينني اميل الى الجنس المشابه جنسيا!
 - كلا لم اظن ذلك ! لم اظن ذلك لحظة واحدة .
 - طيب . ما دمت واثقا منك .
 وصبت الحليب من القنينة الى الاناء بحركة من يدها ننم عن الفيظ .
 فتدفق الحليب وارطم بحافة الاناء وانسكب الى الصينية . وقالت :
 - اوه ، جيرارد ، حقا !
 كان يهم ان يقول : «الخطأ خطأك» عندما النفط اليه فجأة . ولدهنسته
 وجد الدموع تكاد تطفرف من عينيها . وقالت :
 - كفى ارجوك !
 - طيب . . . انا آسف . لم اكن ابغى ازعاجك .
 وبدأ ينسك في انها تسنمتع في دخيلة نفسها بمحاولاته لمغازلتها . ولكن
 كآبتها اذهلته . فاستدار ومضى الى الغرفة الاخرى والقى بنفسه على الاركة .
 لم يكن موقفها يخلو من القوائد . فقد حطم على الاقل تلك التكيليات التي
 اضجرته في المرة الماضية . والتقط الصحيفة وحاول التركيز . كان المقال
 الذي انبرى يقره يفيد بأن الناس يستخدمون من عضلات الوجه عند
 التعبيس ثلاثة اضعاف ما يستخدمونه عند الابتسام ، ولهذا فيخزن الانسان
 طاقته عند الابتسام . فطوى الصحيفة وقذف بها الى الكرسي المقابل ومضى
 يعبت في قضبان النار ويتساءل ماذا سيقول لها عندما تعود . وتأخرت كثيرا
 في احضار الشاي . وطفق يتسائل هل تريده ان يغادر المنزل دون ان يراها .
 ودخلت بعد لحظة وهي تدفع عربة صغيرة .
 - آسفة للتأخر .
 فقال بصورة تلقائية :
 - لسم تتأخري .
 ومضى يرقبها تصب الشاي دون ان يتكلم . وعندما ناولته الكوب قال :
 - في الحقيقة اني لا افهمك .
 فوضعت السكر في كوبها دون ان ترفع نظرها اليه . وقالت :
 - لا افهمك انت .
 - هل تستفظعين حقا ان يلمسك احد .
 - بالطبع لا ! ولكن ان الامر مجرد . . . انه من السخف ان نبدا بالتصرف
 على هذا الوجه .

- وقال ، وقد اعتزم الا يتعاون معها في الاجابة :
- على اي وجه ؟
- افضل ان نتحدث .. كما فعلنا في الليلة السابقة ... عن اشياء معقولة .
- فقال بتعقل :
- انا يعجبني الحديث معك ايضا .
- فلنستمر كما كنا !
- ولكني ارجب في ان المسك . يلد لي ذلك .
- وشعر بنرددها .. فحاول ان يستخلص ما امكنه من الفائدة من هذا الحديث ، فمال اليها وقال مبتسما :
- وحتى في تلك الليلة ، عندما كنا نتحدث . ظللت افكر كم من الملد ان احيط خصرك بذراعي .
- واخفضت عينيها الى الكوب .
- ولكن لم ؟
- لاني اراك جذابة جدا .
- ونظرت في وجهه بجد ، وقد اختفى الضجر من عينيها . وقالت :
- ولكنه امر سخيف ، يا جيرارد !
- لماذا ؟
- لانه ... ما جدواه ؟
- فهز كتفيه وقال :
- لست ادري .
- لا جدوى فيه . لا شيء البتة . اود ان اكون صديقتك ولكنك اصفر مني اعواما كثيرة ...
- وقرر فجأة ان يتمادي في المسألة :
- هل تريدني مني ان انقطع عن المجيء هنا ؟
- لا ، بالطبع ، لا اريد ذلك ! يعجبني ان اتحدث اليك . اعتقد ...
- اعتقد بانك شخص جاد وانك تبحث عن شيء ... واود ان اساعدك فسي العثور عليه . لاني اكبر منك سنا و ... لانني مررت انا نفسي بهذه المرحلة ... واستطيع فعلا ان اعاونك ... ولكننا يجب ان نكون جادين في ذلك .
- فقال وهو يهز بكتفيه :
- ففي هذه الحالة ، لم يعد هنالك ما نتحدث عنه .
- لماذا ؟

وانهى قدح الشاي . وشعر بان الحادثة قد بلغت خاتمتها الطبيعية ، وبانه لم يعد هنالك مبرر للاستمرار في الحديث . فقال بلهجة صريحة جازمة :
 - كنت وحيدا منذ خمس سنين ، ويمكنني ان امضي في وحدتي خمس سنين اخرى ، او خمسين سنة اخرى اذا كان لابد من ذلك . انا لا احتاج الى العون ، ولم احتج اليه قط . واني ارجب في ان التقى بك ، ولكنك اذا شرعت ترسمين الخطوط وتضعين الحدود ، فالأفضل ان استغني عن الامر كله .

وضع الكوب على الصينية . فسالت :

- المزيد من الشاي ؟

فنظر الى ساعته وقال :

- كلا ، شكرا . يجدر بي ان ارحل .

فقالت بهدوء :

- يجب الان خصاصم .

- حسنا .

ولم يكتثر لشعوره بأن علاقتهما قد بلغت خاتمتها . وقالت :

- تناول قدحا اخر من الشاي .

- حسنا .

فصبت الشاي وناولته اياه . فشربه بصمت . وبدأت تتكلم ، بلهجة

متردة :

- اعلم انك كنت وحيدا . وانا لا اريد ان ... احاول ان اتدخل لقد اعتدت انت الى شعورك بأن عليك ان تخوض المعركة وحيدا حتى اصبحت تشك في الآخرين . لقد صممت اذنيك عنهم . ولكنني اعلم بانك لست فسي الحقيقة بهذه الصلابة ... اعلم بانك مفعم بالاحاسيس ... وربما تخشى ان يؤذيك احد ...

وجعله ميلها لاستعمال تعابير مثل « تبحث عن شيء » و « تخوض المعركة » ان ينتفض في داخله وان يزيد من ضجره . وراح يتساءل هل كانت تنظر الى محاولاته للتغزل بها على انها عملية معقدة يدافع بها عن نفسه ضدها . وقاطعها بقوله :

- ان رغبتني في مجانبة جماعتك من شهود يهوه ليست لانني اخاف الاذى انه الخوف من ان اصاب بالسأم .

وظل لحظة يتساءل هل تمادي في كلامه . ولكن لم تبد على وجهها دلائل التأثير . وقالت بلهجة عاقلة :

- لم اسع في ان اجعلك تقابل واحدا منهم ، أليس كذلك ؟

— صحيح جدا .

ونهض وقال :

— يجب ان اغادر الان .

كان الاضطراب باديا في وجهها وهي تنظر اليه ، واستشف من سورم انها كانت تحاول ان تقيس مقدار امتعاضه منها . وقالت بتردد :

— انك لتفهم ، هه ؟

— اجل ، افهم .

— ولن تخبر اوستن ؟ ..

— كلا .

وتبعته وهو يخرج الى الصالة . واحكم اضرار معطف المطر ولسف الحزام حول خصره ثم انتزع غطاء الرأس « البيرية » من جيبه . وهيمن عليهما الصمت ، الصمت الذي كانت تملؤه عادة كلمات الشكر والرد عليها والنفاهم الغامض على اللقاء مرة اخرى . وبدا له الموقف منطويا على مهزلة كبيرة ، غابت عن المس كوينسي تماما ، ولم يسنطع ان يكبح ابتسامته . وقالت له وهو يفتح الباب : وداعا ، يا جيرارد .

— وداعا .

والتفت اليها وامسك بها من خصرها وسحبها اليه . واحس بها تتصلب برهة بين يديه ثم ترتخي . ولوت بوجهها قليلا حتى تلمس شفتاه وجنتها . وظل ملصقا شفتيه بوجنتها لحظة واحدة وهو يحس بدفء الانتصار يتحرك فيه ، ثم خلى سبيلها . واستدار مبتعدا عنها وخرج من الباب دون ان يلتفت الى الراء . وسار بحذر على العشب المبتل كي لا يتزحلق فيفسد خاتمة الفصل .

وبينما كانت الدراجة تنحدر من تلقائها الى اسفل طريق ايست هيث احس بنشوة صرفة . وقال بصوت عال : ايتها الحمقاء،حان وقت نضوجك!

* * *

دقت ساعة الكنيسة معلنة الرابعة عندما كان يمر بمحطة نفق تسوك فارم . وذكره منظر حوانيت البقالين بانه لم يزل عليه ان يبتاع الطعام لفلاسب . واشترى نصف باون من لحم الخنزير المقدد واربع علب مسن الخضراوات وكدهسا في حقبة الدراجة .

وعندما هم بركوب الدراجة نائية وقع بصره على عنوان الصحيفة المسائية في داخل المحطة . فرمى بعدد من قطع النقود في علبة النقود وتنازل واحدة منها . كان عنوان الصحيفة البارز يقول : « هل انتقل

القاتل الى غريننش ؟

وشعر بالقلق يتحرك في احشائه ، فاتكأ على الجدار ومضى يقرأ .
« عثر على جثة امرأة شابة في مستودع للبضائع مهجور يقع بالقرب
من طريق غرينتش صباح اليوم . وقد شخصت الجثة في وقت مبكر من
هذا المساء من قبل زوجها واتضح انها دوريس اليزابت مار التي تبلغ من
العمر خمسة وعشرين عاما وتسكن في شارع البحري في ديتفورد . وقد
افاد زوجها الى البوليس ، ويدعى ريجينالد مار ويبلغ من العمر ٢٦ عاما
ويعمل ليلا في محل غسيل ديتفورد ، بأن زوجته قد خرجت في الساعة
العاشرة من الليلة الماضية لزيارة امها في وولويتش . »

وانتقل بنظره الى اسفل العمود : « ان السؤال الذي يوجهه الى
انفسهم القاطنون جنوب النهر هو : هل قرر مجرم وايتشابل الانتقال ؟ »
وشعر باحساس كره الى حد غريب يوخزه وينير فيه الاشمزاز ،
احس بحرارة وبشعور لزج في منطقة معدته .

وابتاع في محطة كنتش تاون الصحفيتين المسائيتين الاخباريين ولفهما
ودسهما في جيبه . وكان يصاحب هذا الشعور بالاشمزاز ، بطريقة ما ،
احساسه بالرضى كلما كان يفكر في المس كوينسي . واستمضى عليه
فهم هذا الاحساس بالتطير الذي اورثته اياه قراءة الخبر .

ولما عاد الى غرفته ، جلس على السرير وطفق يقرأ بترو التقارير
الثلاثة المنشورة عن حادثة القتل . وقد نشرت احدى الصحف مقالا مفصلا
عن الحديث معززا بمخطط يبين موقع الجريمة ، وتساءل كاتب المقال
كيف انحرفت المرأة عن الطريق المعتاد من ديتفورد الى وولويتش ، وكان
يميل الى الشك في ان يكون قاتل هذه المرأة هو نفسه مجرم وايتشابل .
كانت الساعة تشير الى الرابعة والدقيقة الثلاثين فقط . ولا يتوقع
وصول غلاسب قبل ساعتين . وعندما اغلق عينيه ، طاف في مخيلته
وجه المس كوينسي ذات الفم الناعم والعينين الفزعتين قليلا . كانت تلك
النظرة هي ما تبدو عليه المرأة قبل ان تدرك النية التي تكمن وراء العنف
الذي يظهره الرجل الذي اعتزم قتلها . وحاول جاهدا ان يبعد وجهها
عن ذهنه والفاه يبرز من جديد كلما اغلق عينيه . واهتز جسده رثاء لها
وقرأ منها ، فمد يده الى المكتبة وتناول اول كتاب لمسته انامله ، فكان
كتاب « الجيل ذو القصص السبع » تأليف ميرتن . وشرع يقرأ ، ولكنه
وجد من العسير عليه ان يركز عليه . واخيرا ، وضع الكتاب على الأرض
واغلق عينيه ثانية .

لم ير شيئا في اول الامر . كان نوما نقياً لم تتخلله الاخيلة . ولكنه ما لبث ان رأى المنظر : في الظلام الباهت ، في مستودع البضائع ، كان هنالك حيوان يسبه السرطان ، شيء مسطح له اطراف ذات مخالب ، ولم يكن يحس بوجود اي شيء سوى هذا الحيوان الذي يتسبه السرطان ، يتحرك بصمت في تلك العتمة ، يتحرك بطريقة غريبة ، مائلة ، ولكنه ينحرك نحو الهدف ، والهدف هو ذاته ، وقد امتلكه دافع ما ، وهذا الدافع هو ذاته ، هو تماسك ذاته التام برغبة واحدة ، بسهولة واحدة ، وبقيين واحد . لم يكن هذا انسانا ، كان ما يكمن في اعماق الانسان اذ هو ينظر .

* * *

وسمع سورم طرقا على الباب في الطابق الاسفل بينما كان يقشر البطاطا . فهتف : هلو !
فاجابه صوت غلاسب : اه ، لقد قصدت المكان الصحيح ، اذن !
فقال سورم :

- طيب . اصعد . لقد بدأت توا بتهيئة العشاء .
وارتقى غلاسب السلم بحذر ، واخفض رأسه عندما وصل عطفة السلم . وانجز سورم تقطيع البطاطا الى شرائح والقي بها في السمن النباتي الذي كان يثز في القدر . وناول غلاسب جريدة قديمة مس الطاولة وطفق يمر بنظره على الصفحة الامامية دونما اهتمام . كان يجلس وقد مد قدميه الى الامام وكتفاه ملتصقان بالجدار . وكان وجهه كমা كان عليه في اليوم السابق شاحبا غير حليق . ولاحظ سورم أن جوربيه كانا من لونين مختلفين . وقال :

- يظهر ان مجرم وايتنسابل قد غير بقعة نشاطه ...
- ماذا ؟
- ألم تقرأ الصحف ؟
- كلا ؟
- تصدى احدهم الى امرأة في غريننش وقتلها . ويظهر ان الشرطة يعتقدون انه الرجل نفسه ...
فقال غلاسب :

- غريننس ؟ لا اصدق ذلك . لا يمكن ان يكون الرجل نفسه .
- لم لا ؟ ماذا يحدو بك الى الاعتقاد بانه ملازم لسبيتالفيلدز ؟
فهز غلاسب كتفيه :
- لا اعلم . ولكنه لازم تلك البقعة الى الان ، اليس كذلك ؟

— نعم ، ولكن هذا بالتأكيد سبب جيد لجعله ينتقل . اذ ان وايتشابيل سرعان ما ستصبح اكثر حرارة مما يمكنه احتماله . وماذا يدفعك الى الاعتقاد بانه يريد ان يبقى هناك ؟ هل تعتقد انه يبحث عن شيء ما في وايتشابيل ؟

فقال غلاسب :

— والان ، كيف لي ان اعرف ؟ ان حدسك ليس افضل من حدسي . لقد سمعت اليوم احدهم يقول ان الفاشست فعلوا ذلك لارهاب اليهود . — اين سمعت بهذا ؟

— شخص ما يقف على الرصيف . انه شيوعى .

— هل كانت احدى الضحايا من اليهود ؟

— لست ادري . لا اظن ذلك .

— ولكنك لا تظن ان قاتل غرينتس هو نفس الشخص ؟

فقال غلاسب وقد نفذ صبره :

— اوه ، ارجو الا تسألني ! فلست ادري .

واحس سورم بان الامتعاض الذي بدا على غلاسب لم يقصد به — الاساءة . فكبح سورم وخزة الانزعاج التي ولدها غلاسب . وتوصل الى ان هذه الفظاظلة الظاهرية في سلوك غلاسب انما هي وليدة حياة الوحدة مدة طويلة . وقال :

— آمل ان يقبضوا على القاتل ، لتعرف من هو .

ورفع غلاسب نظره اليه ، وقال بلهجة ساخرة :

— اعتقد ان الكثيرين من الناس يشعرون بهذا الشعور .

— اي شعور ؟

— يريدون ان يلقي القبض على القاتل ليرضوا فضولهم ، وليس لانه يقتل النساء .

فقال سورم بجهد :

— انك لعل حق . على كل حال ، كيف لاحدنا ان يقرن نفسه بالعاهرات

اللواتي يقطن في القطاع الشرقي من لندن ؟ ربما يعتقد اكثر الناس ان القاتل اجدر بالراء من ضحاياه . على الاقل انه يفعل ما في وسع اكثر الناس فعله . . .

— هل تعتقد ان اكثر الناس مجرمون ؟

— اجل . نحن لم نزل حيوانات ذات شهوات مفاجئة عنيفة . لا يمكنني

ان احصي المرات التي امر فيها بامرأة في الشارع فاتمنى لو استطعت ان اناها في الظلام . الم تمر بمثل هذه الحالات ؟

— احسب ذلك . ولكن امر هذا القاتل اكثر من مجرد الافتصاب . اما

انا فاريـد ان يمسك بالقاتل لانه مصدر رعب في الجزء الذي اسكن فيه . فربما يجهز غدا على شخص لي معرفة به .

وبرزت لكـنة غلاسب الشمالية بصورة اوضح . واثرت نبرته في سورم بجديتها . وقال :

ـ احسبك على حق . وهذا سبب اخر تأمل من اجله ان ينتقل الى غرينستش .

ـ وما هو الاختلاف في الامر ؟ اينما يتحرك ، تدمر حياة اناس . على الناس ان يموتوا لمجرد ان هناك انسانا له اسوأ من صفات الانسان ، حيوان قدر ، مخلوق لا يفكر الا ببلدته ، معدوم الحس الاخلاقي .

كان غلاسب نائرا حادا في لهجته الى حد جعل سورم يقرر ان يغير الموضوع . وسجل ملاحظة في ذهنه ان يثير الموضوع ثانية عندما يكون غلاسب في حالة نفسية افضل . وقال :

ـ طيب . لنأمل ان يلقي القبض عليه عاجلا . هل تعود الى الغرفة؟ تحتاج شرائع البطاطا هذه الى عشر دقائق اخرى .

وفتح زجاجة من النبيذ الاحمر وصب محتوياتها في قدحين . وتلمظ غلاسب بشفتيه قائلا :

ـ هذا النبيذ من النوع الجيد . لطيف جدا . ما نوعه ؟

وتناول الزجاجة ونظر الى رقعة العنوان . وقال سورم :

ـ احب الشراب ، عندما يمكنني شراؤه .

ـ وافقك على ذلك . اما انا فلم استطع خلال السنين الخمس الماضية

اقتناء شيء سوى الشراب الاسباني الذي يشبه الماء العكر .

ـ سأترك لحظة . تتصفح كتبتي . وهناك بعض الاسطوانات اذا كنت

تهوى الموسيقى .

وفتح الباب فاذا به يصطدم بكارولين التي كانت قد رفعت يدها

لتطرقه . وقال :

ـ هلو ، ايها العزيزة ! لم اكن اتوقع مجيئك .

ـ لم آت للبقاء ، فلا تخف .

وصارت في داخل الغرفة ، وقال سورم :

ـ انكما لم تعرفا على بعضكما، ها؟ اوليفر غلاسب ، كارولين دينبغ.

فقالـت كارولين :

ـ اوه ، انت اوليفر غلاسب المعروف ! التقيت بك قبلا في محل ما

اليس كذلك ؟

- كان غلاسب يحدق فيها ، وفي وجهه تعبير غريب كئيب . وقال :
- لا اعلم .
- واتسعت لكنته فاصبحت متعمدة كلكنة ممثل هزلي من يوركساير .
- ووجد سورم وهو ينظر الى كارولين انه من المستحيل ان يتصور السبب الذي يدفع غلاسب الى السخط . كانت مرتدية معطفا من الفراء له غطاء رأس من الفراء ايضا يكاد يغطي وجهها . وكان وجهها الذي تحيط به خصلات من الشعر الاشقر ، يبدو ورديا مدورا كوجه دمية . وقال :
- هل لك في قدح نبيذ ، ايتها العزيرة ؟
- اوه ، لا بأس .
- وازاحت غطاء الرأس الى الخلف لتحتسي اول رشفة من النبيذ . كانت ترتدي قفازا اسود . وقال سورم :
- يجب ان اذهب الى المطبخ لقلبي بعض البطاطا . تعالي معي .
- وعندما كانا لوحدهما في المطبخ ، قالت :
- لا اظنه يميل الي كثيرا .
- اوه ، لست ادري . انه خشن السلوك دائما . ولكنه لا بأس به
- عندما يكون الانسان على معرفة وثيقة به .
- اليس الجو حارا هنا ؟
- اخلمي معطفك .
- كلا ، يا عزيزي . انا في طريقي الى التمرين وقد خطر لي ان امر بك لاسلم عليك . لا يبدأ التمرين قبل التامنة . اردت ان اتحقق من انك لست مع نساء أخريات .
- من اين اقبلت ؟
- من عند ألعمة جيرترود . سأنام عندها الليلة .
- اوه ، نعم . كيف حالها ؟
- انها بخير . لماذا ارادت رؤيتك ؟
- حول اوستن .
- آه . نعم !
- لماذا ، ماذا ظننت . . ؟
- اوه ، لا اعلم . انها تريد ان تزح بك بين شهود يهوه .
- كيف علمت ؟
- اوه ، ان الامر واضح ، ماذا ارادت ان تعرف عن اوستن ؟
- لقد اكتشفت انه منحرف جنسيا . واعتقد بانها كانت تريد ان

واخذ غطاء القدر يهتز بقوة عندما كان يدفع به البخار . وتركها وهو
يحس بالاسف وعاد الى المطبخ . وقالت :
- اتعلم ، لقد التقيت بهذا الرجل في محل ما ...
- ايمن ؟
- لا اعلم . دعني اتذكر . سانت مارتنز ... سانت مارتنز ...
- مدوسة الرسم ؟
- كلا ، ا ... انه شيء ... آه تذكرت . في ساحة اللهو في طريق
تشيرنك كروس . رأيته هناك .
- لا يبدو على اوليفر انه يرتاد مثل تلك المحلات !
- بلى ، كان هو . اني واثقة . كانت تصحبه فتاة صغيرة ، وقد اسار
شجارا حول احدى الالات - لم تشتغل . كان يرتدي معطفا سميكاً قدرا .
- كيف كانت الفتاة ؟
- لست ادري . لم الاحظها في الواقع . كانت فتاة صغيرة - في العاشرة
او الحادية عشرة مثلاً .
- جميلة ؟
- ماذا ، بهذه السن ! لا اخالك نظنه يميل الى فتيات بهذا السن ؟
- لست اظن ذلك . ولكني رأيت لوحة زيتية رسمها لفتاة صغيرة ،
ربما تكون هي .
واستدار واطل الى اسفل الدرج ليتحقق هل يصل صوتهما الى غلاسب
فاستبعد ذلك . وسألت :
- كم الساعة الان ، يا جيرارد ؟
- الساعة والدقيقة العاشرة .
- ينبغي ان اذهب .
- الا ترغبين في شيء من العشاء ؟
- كلا ، شكراً ، تناولت الشاي .
واخرج الصحن الدافئة من تحت الشبكة الحديدية واستخدم
سكين السمك ليضع عليها لحم الخنزير . ثم هز قطع البطاطا ليخلصها من
السمن وافرغ البطاطا من السلة السلكية ووضعها على الصحن . وقالت
كارولين مستحسنة عمله :
- مممم ! انك طباخ ماهر . اذا حدث وتزوجنا فستكون نافعا جداً .
وسألهما :

- أتريدين الزواج ؟
ففركت كتفه برأسها :
— لن أرفض الزواج بك .
— ماذا ! بعد معرفة اقل من أسبوع ؟
وعندما التفت ليواجهها احاطت رقبتة بكلتا ذراعيها ، وقالت بصوت
ناعم كأنها تدافع عن نفسها :
— لا حاجة بي أن أكون على معرفة بك مدة طويلة . اني اعرفك الان جيداً .
— صحيح ؟ ماذا تعرفين عني ؟
— على كل ، أنك لطيف المزاج وستحقق يوماً ما نجاحاً هائلاً .
— هممم . لا اعرف شيئاً عن لطف المزاج هذا .
وسحبت رأسه اليها . وبعد أن قبلها قالت :
— هل افضي لك بسي ؟ قررت أن ارسم الخطة لان احظى بك منذ
اللحظة التي رايتك فيها عند العمة جيرترود . ما كان ينبغي لي ان اقول لك ذلك .
— لم لا ؟
— يشعرك ذلك بانك ملاحق .
— ولكنني عفيف . (١)
— انا لا اقصد ذلك ، سخيف ! اعني قد يجعلك تشعر أنك ملاحق .
— انا فعلاً ملاحق .
— صحيح أنك كذلك — فهل يضيرك في شيء ؟
— كلا مطلقاً . انظري ، ايتها العزيرة ، يجب ان اذهب بالعشاء الى
اوليفر . فتعالي وتناولني شيئاً من السراب .
— كلا ، فلم اتم هذا بعد . وعلى كل حال ، لا اريد ان ادخل الغرفة
مرة اخرى . لذا افول لك وداعاً الان . لا ترافقني الى الاسفل .
وعندما قبلها ، الصقت جسدها به ونفثت فيه الدفء . ولما خرجت استنشق
الهواء بملء رئتيه واطلق زفرة طويلة . واحس بالمرح في صدره وظهره كأنه تلقى
ضربة بوسادة . وكان يحس بالشهوة بخفق وتخبو .
وكان غلاسب يجلس على السرير وهو يقرأ في احد مجلدات « محاكمات
بريطانية شهيرة » . وشرع ياكل بسرعة وشراهة . وبعد ان ابتلع لقمتين
من الطعام قال بصوت غريب مبحوح :
— واه ! كنت احتضر من الجوع !

(١) هناك تشابه لفظي في اللغة الانكليزية بين كلمتي « ملاحق » و « عفيف »

فقال سورم مبتسما :

— عظيم .

كان سورم اكثر انصرافا الى التفكير في كارولين من رغبته في الكلام . وظلا يتناولان الطعام بصمت مدة عشر دقائق وملأ سورم القدحين للمسرة الثانية . ووضع غلاسب صحنه الفارغ على الارض وجذب انتباه سورم نحوه بزمجرة حيوانية فائلا :

— قلت انك لم تسمع باخر جريمة قتل ارنكبها جاك السفاك ؟

— صحيح .

— ولكنها مذكورة هنا .

وابتلع غلاسب ما تبقى من الطعام من فمه ، وسعل لينقي حنجرتـه

واخذ يقرأ :

« في صبيحة يوم ١٨ تموز عام ١٨٨٩ وجدت امرأة مجهولة الهوية قتيلة في زقاق كاسل في وايتسابل وكانت الجروح التي اصببت بها تشبه تلك التي وجدت على جنت الضحايا السابقة وفي الساعة الثانية عشرة والرابع من الصباح الذي ارتكبت فيه الجريمة دخل الزقاق احد رجال الشرطة وتناول عشاء خفيفا تحت مصباح الشارع . وترك الزقاق في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين ليتحدث الى شرطي اخر من نفس التوبة . ولما عاد في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين وجدت امرأة قتيلة تحت مصباح الشارع حيث وقف سابقا . وكانت الارض تحت الجثة يابسـة بالرغم من ان ملابس المرأة كانت مبتلة . ففد انهم زخة من المطر في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين . وعليه فقد حدثت جريمة القتل هذه بين الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين والساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين ، عندما اخذ المطر بالهطول ... »

وقال سورم :

— لم اقرأ هذا قبلا . ما هو الكتاب ؟

— محاكمة جورج تشابمان .

— اه ، نعم وجدت الكتاب في الغرفة عندما انتقلت اليها يوم السبت الماضي ، ولكن الا يذكر الكتاب فيما اذا عرفت المرأة ؟

— نعم . كانت العمة سالي . سالي مكنزي .

كانت قنينة الشراب تكاد ان تفرغ . وفتح سورم قنينة اخرى . واسترخى غلاسب مستندا الى الجدار ، ومد ساقيه على الفراش وهو يتشاءب . وقال :

- كانت وجبة شهية . انك سعيد الحظ ، يا جيران .
- لماذا ؟
- اوه ، لديك مال كاف لتفعل ما تشاء .
- وانت ؟
- كلا ، ابدأ . ان دخلي اليسير يانيني من ناجر حقير يمتص دمي حتى ينضب !
- هل ياخذ جميع لوحاتك ؟
- كلا . فقط تلك التي يستطيع بيعها . مثل مناظر في الشارع او مناظر طبيعية مزوقة .
- وتعتمد في معيشتك عليها . شيء عظيم .
- لا تدرك ربحا يذكر .
- على كل حال ، كيف اكون انا سعيد الحظ ببضع مئات من الجنيهات سنويا ؟ الانسان السعيد الحظ هو فقط الانسان الذي له القابلية على الخلق .
- اما انا فقد تسمرت الى الكتاب نفسه منذ خمس سنين .
- لم لا تنم ؟
- لا اسطيع . ولكني مسمر في المحاولة . هناك شيء افتقد اليه .
- ما هو ؟
- اوه . . . الوحي ، على ما اعتقد .
- اهذا كل شيء ؟
- ونظر سورم اليه . كان واضحا ان الطعام قد لطف من مزاج غلاسب الى حد كبير . وقال سورم :
- لا ، ليس هذا كل شيء . لدي مشاكل اخرى ايضا .
- مثلا ؟
- فقال سورم مبتسما :
- لا ادري اذا شرحتها لك هل تفلت زمام نفسك .
- فقال غلاسب :
- ايه ؟ انا ؟ ماذا تعني ؟
- اوه . . . اعني حالتك عندما كنت ابحت معك جرائم وايتشابل اول ما اتيت .
- اوه ، الامر يختلف هنا . . .
- لا يختلف كثيرا . لاني اجد بعض جوانب نفسي يعكسها ذلك القاتل .
- الا تلمسها انت ؟

— كلا . وعلى كل حال ، فما علاقة ذلك باكمال كتابك ؟
 — طيب ساحاول ان اشرح . اني اسأل نفسي : لم يقترب الانسان
 جريمة جنسية ؟ انا اعلم ان بعض السبب يعود الى محض الضعف . ولكن
 هذا لا يجيب على السؤال . وقد قرأت قبل ايام ان سبعين في المائة من
 الجرائم الجنسية في الولايات المتحدة يقتربها مراهقون . فما هو في اعتقادك
 السبب ؟

فهز غلاسب كتفيه وقال :

— لان سيطرتهم على انفسهم اقل في تلك السن .
 — ليس هذا فقط . لانهم يظنون بانهم سيحصلون على اكثر مما
 يحصلون عليه عادة . قرأت مرة عن قضية شاب كان يسوق سيارة لسوري
 وممر بفتاة في طريق مقفر . فاستدار بسيارته وصادم بها الفتاة ثم اغتصبها
 في مؤخرة سيارته . وبعد ذلك القى جثتها في بئر هناك ومن ثم نسف البئر
 بالديناميت . واخيرا القى القبض عليه وارسل الى الكرسي الكهربائي .
 ونوفس سورم عن الكلام ليفسح المجال الى غلاسب لببدي رأيه . ولما
 رأى سورم ينظر اليه قال غلاسب :

— حسنا ، نال عقابه ، اليس كذلك ؟

— نعم ، ولكن ليس هذا ما يستوفيني . ان الذي اتر في هو حماقة
 العمل ، والتفريط بالانسان ، والموقف الذي يثير العطف . حاول ان تضع
 نفسك في محله . . . هل نستطيع ؟
 — اظن ذلك .

— افرض انه اقلت بفعلته هذه . فما هو شعورك نحو فعلتك هذه ،
 وانت تعود بذاكرتك اليها . . . حتى ولو كنت لا نخشى ان ينكشف امرك ؟
 الا نشعر بالفراغ السخيف بين الدافع الذي حدا بك الى ارتكاب الجريمة
 وبين ما ظفرت به فعلا منها ؟ فقد رأى هذا الانسان فتاة مغرية على قارعة
 الطريق . وفجأة ، احس بانها تمثل لديه كل ما فرضه عليه سن المراهقة
 من محرمات وضروب الفشل . فيحس بانه ينبغي عليه بالحاح ان يظفر
 بهذه الفتاة . الذكر ، في الميثولوجيا الاغريقية ، كيف ان الاله زيوس مضى
 يفتصب كل من يراها — وكيف حول نفسه الى اوزة ثم الى حمامة ثم الى
 نور ؟ جعل شقيقته ديميتر تلد له ابنة ثم اغتصب تلك الابنة ايضا . . . اتفهم
 ما اعنيه ؟ لقد شعر هذا المراهق بذلك تماما . . . شعر بان له ما لاله من
 امتيازات . انه يتمرد على قيوده فيستدبر بسيارته . . . ولكنه ليس الها ،
 وهو يعيش في دولة لها قوانين ، فتحكم عليه القوانين بالموت .

— كان غلاسب قد بدأ يبتسم بينما كان سورم يتكلم . ثم قاطعه بقوله:
— ولكنه ليس بالدكاء الذي تتصوره . هل تظن بان لديه أية فكرة عن
زيوس وعن ليذا عندما استدار بسيارته ؟
— كلا ، ولكنني احاول ان اصف مشاعره ، بالرغم من انه لا يستطيع
التعبير عنها ...

— اعلم . ولكن ذلك غير صحيح . قد لا يعدو ان يكون هذا الشخص
قرويا سمجاً كالثور الهائج لا يفكر الا بعدد الفتيات اللواتي يمكنه ان يثقبهن
خلف جدران المراقص في امسيات ايام السبت . وهو عندما يقتصب الفتاة ،
لا يحس باية نغمة عليها لانه قتلها بسيارته . انه لا ينسعر بذلك ، اذ لو كان
يرغب فيها حقاً لاستطاع بكل سهولة ان يتعرف عليها وان يغويها دون ان
يلجأ الى قتلها . ان حياتها لا تعني شيئاً بالنسبة له ، ولا مشاعر ذويها .
انه يضع كل ذلك في كفة وشهوته العمياء في كفة اخرى ، ويدع شهوته
نريج . فهل نسعر باي تعاطف معه بعد كل ذلك ؟

— اتفق معك ، انك على حق . ولكن مع ذلك ، ليست هذه هي الحقيقة
كامله . اصغ . في يوم من الايام كنت اقود دراجتي على الشارع المحاذي الى
النهر فرايت فئاة بصحبة احد الجنود ينظران الى النهر . كان يوما عاصف
الرياح ، وفجأة اطارت الرياح رداءها فارتفع الى فوق رأسها . واقول لك،
شعرت كأنني تلقيت رفسة في معدتي . وظللت عدة اسابيع بعد ذلك ينتابني
شيء يشبه الحمى كلما فكرت بالحادث .
فقاطعه غلاسب :

— يلوح شعورك هذا حرمانا جنسيا معتادا !
— اعلم . ولكن ما الذي كان سيشبعه ؟ لو كانت الفتاة لوحدها ، اظنني
كنت تعرفت بها ، وكنت اقنعته في الاخير ان اجرها الى الفراش . ولكن
ذلك وحده لن يرضي هذه الرغبة . انها اعنف جدا واكثر نزوعا للاشباع
الاتي من مجرد الرغبة في الانغماس في علاقة غرامية . انها حنين مفاجيء الى
حرية اوسع بكثير مما نملك فعلا . انها بصيرة الى الحرية — ولذا فهي
رغبة جامحة . وفضلا عن ذلك ، فهي لا ترتبط بشيء في الشهوة الاعتيادية .
كانت لي في يوم من الايام صديقة ... عندما كنت اعينس في الطابق السفلي
على مقربة من شارع ماريلبون . على كل ، التقيت بها في يوم من ايام الاحاد
وضاجعتها اكثر مما كنت انصور اني استطيع — حتى شعرت كأنني خرقة
مبللة من شدة التعب . وانتابني شعور بانني لن اتوق بعد الى المرأة طوال

حياتي ، وباني قد افرغت كل ما في نفسي . ثم خرجت من الباب الامامي
 لاجلب قنينة الحليب ، ورأيت فتاة عابرة تمشي على الرصيف الى اعلى وهي
 ترتدي تنورة فضفاضة كانت تتأرجح فتكشف عن ساقها وفخذها . واعلم ،
 احسست بشوق لان اختطفها وارفض بها راسا الى السرير . ولقد ادهشني
 ان ادرك باني لم استنزف بعد ما في نفسي من الرغبة . وانما استنزفت فقط
 رغبتي تجاه فتاة معينة . كانت شهواني للنساء عامة لم تتأثر .
 كان غلاسب مقطب الجبين . ولم يكن قد مس قدحه منذ ان مسلاه
 سورم نانية . وقال :
 - لست افهم ماذا تحاول ان تثبت . لا افهم ما تعنيه بالبصيرة في
 الحرية .

- لا اتمكن من شرح المسألة بسهولة . انها شيء كهذا : ضرب من
 الرؤيا لحياة اكثر . تجعلك تحس كأن سلطات الاله قد سلبت منك . كأننا
 نحن انفسنا الالهة ، كأننا حقاً احرار ، ولكن دون ان يدرك هذا احد . ويعود
 اليانا هذا الادراك مرارا خلال الجنس .
 فتمتم غلاسب : د . هـ . لورنس وفصيلته .

- كلا ، ليس هذا وحسب . لا يعنيانا من هذا مجرد الجماع الجنسي ،
 لدي صديق يشتغل في الصحافة له ولع لا يكل كولع كازانوفيا في ملاحقة
 النساء واغوائهن . ولكنه لا يلد له في الواقع مضاجعتهن . حيث ان هذا الجزء
 من العلاقة يضجره . انه يريد فقط ان يحس بالنصر ، ان يحس بمقدرته على
 مضاجعة النساء ان هو اراد ذلك . لايمكنني شرح هذا . . ولكنني احس
 كأننا مدعوون لان نكون الهة ، كان حرية الالهة ينبغي ان تعود لنا وانها من
 حقنا الطبيعي ولكن شيئاً جردنا منها .

فابتسم غلاسب وقال : لك ميزات الكاثوليك ، مع هذا .
 - اشك في ذلك . انا اشعر فقط بان عبوديتنا الى الجنس هي مجرد
 الحاجة لاعادة شيء كان من حقنا الطبيعي ان نملكه . انها حالة داخلية من
 التركيز الهائل . وفي هذه الحالة لن تكون بعد جرائم جنسية . انها جالة
 من القوة الداخلية التي تجعل من الاخرين اشياء زائدة عن الحاجة . ان
 حاجتنا للمرأة هي حاجتنا لاعادة ذلك التركيز الداخلي لرهة من الزمن . .
 ومد غلاسب يده ليسكت سورم . فسأل سورم :

- ما الخبر ؟

فقال غلاسب :

- شخص يناديك .

ونفض سورم وذهب الى الباب ، فسمع صوت الفتاة يهتف :
 - تلفون ! ايها المستر سورم .
 فصاح : سُكرا .
 ونزل السلم مسرعا وهو يحس بالدفع الذي ياتي من الرضى الذي
 يولده الطعام والشراب . كانت سماعة التلفون على طاولة الصالة . وقال :
 - هلو ؟
 - جيرارد ؟ اوستن يتكلم .
 - اهلا ، اوستن ! كيف حالك ؟
 - بخير اشكرك جدا . ماذا نفعل الان ؟
 - فرغت توا من تناول العشاء .
 - الست مشغولا ؟
 - بلى . اوليفر غلاسب معي .
 - اوه ...
 واستشف سورم الخيبة في نبرة اوستن . وراح يتسائل هل تنطوي
 على كراهية نون لغلاسب وقال :
 - ماذا هناك ؟
 - لا شيء . متى يذهب ؟
 - اوه ، خلال ساعتين . لقد وصل قبل قليل .
 - اوه .
 - لماذا ؟ هل اردت ان اتي لزيارتك ؟
 - نعم ، في الواقع . الا يمكنك التخلص منه ؟
 - كلا ، في الحقيقة ، الا اذا صرت فظا معه . وانك تعلم بانه سريع
 التأثير . هل الامر مهم .
 - كلا . اود ان اراك فقط . هل يمكنك المجيء بعد ساعتين ؟
 فقال سورم متأوها :
 - كلا ، يا اوستن . اكاد اموت من التعب ، ولم استطع ان افتح عيني
 من التعب طوال اليوم . وعندما يذهب اريد ان انام .
 - ولكنني لن ابقىك طول الليل ، اعدك بذلك .
 وكاد سورم ان يستسلم لالحاح نون ، ولكنه تذكر مشقة الذهاب الى
 شارع الباني واحس بيقين داخلي مفاجيء بانه لا يريد الذهاب ، فقال :
 - ليس هذا . ولكنني منهوك تماما . ولن تفيد مني شيئا اذا جئت .
 فقال نون ولم يستطع ان يخفي امتعاضه : اوه ، حسنا !

- لنتقي غدا او في مرة اخرى .
- سانسصل بك ثانية .
- وانقطع الخط ، فبقي سورم يصيخ السمع قليلا لا يدري هل قطع الخط من البدالة . تم اعاد السماعة الى مكانها وعاد الى غرفته . وقال :
- اوستن انصل بي الان .
- فقال غلاسب :
- نعم ، وماذا اراد ؟
- ليسأل عني فقط . بقينا حتى وقت مآخر من الليلة الماضية .
- هل اراد ان يراك الان ؟
- اقترح علي ذلك ، ففلت له بانني لا استطيع .
- كان غلاسب منحنيا على صندوق الاسطوانات . وقال :
- اعتقد بانك ستجد المستر ن شخسا شديد الاحاح قبل ان تتم
- نعم ؟
- كان غلاسب جالسا عند نهاية السرير وقد نشر جميع الاسطوانات على غطاء الفراش . وقال :
- انه مثل بقية الضعفاء يستخدم اصدقاءه عكازات له .
- انظنه ضعيفا ؟
- الا بظنه انت كذلك ؟
- لست واتقا .
- فقال غلاسب :
- ستكتشف ذلك .
- وانتقى احدى الاسطوانات وقال :
- الا اذا كنت تريد ان تتحدث ، فما رأيك في سماع موزارت ؟
- بالتأكيد . المزيد من الشراب ؟
- كلا ، شكرا . ولكن بعد ذلك ، ان وافقت ، فنذهب الى اقرب حانة لارد لك بقليل من البرندي بعض الكرم الذي ابديته تجاهي . . .
- لا داعي ان تفعل ذلك .
- ومع ذلك ، فاود ان افعل .
- كان غلاسب قد اتخذ لهجة غريبة متحذقة واسلوبا راقيا في الكلام ، فقال سورم ضاحكا :
- امر رائع بالنسبة لي .

ووضع الاسطوانة في الفرامافون ثم استرخى في كرسيه واغمض عينيه .
وما لبثت حوادث الاربع وعشرين ساعة الماضية تدور في ذهنه فيما هو يصفي
الى الموسيقى . وتشعر كان الحوادث وقعت لشخص اخر .

* * *

كان الليل قارس البرد . واخذ وهو يخرج من محطة نفق كنتش ناون
يشد اللعاعة حول رقبته ويحكم ازرار معطف المطر عند ذقنه . كان غلاسب
ثملا تماما عندما دخل قطار النفق ولكنه رفض عرض سورم ان يرافقه الى
مورفيت . وشعر بالدفع داخليا ، وبالتعب الملد ، ولكنه لم يكن ثملا .

ولما بلغ منتصف السلم سمع رنين جرس التلفون . فاستدار وعاد
نازلا . وانفتح باب الطابق السفلي ولكنه صاح :

— لا تتعبي نفسك ، يا كارلوت . سارد عليه انا .

— وقال الصوت :

— هل يمكنني الكلام مع المستر سورم ، رجاء ؟

— يتكلم !

— جيرارد ؟ لم اميز صوتك ! بيل يتكلم .

— هلو ، ايها الصبي . اين انت ؟

— جئت توا الى الجريدة لامضي الليلة . اننا سنعد تقريراً صحفياً

عن حادثة القتل في غرينتش ، اتود المجيء ؟

— ما هو نوع التقرير ؟

— اوه ، انك تعرف هذه الاتيياء . . نذهب للتجول مع شرطة العسس

وناخذ الصور الفوتوغرافية . ابروق لك ذلك ؟

— والله . . لا ادري . كنت سآتي ولكنني شديد النعاس . لم ادخل

الفراش حتى الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم .

— طيب ، لنترك الموضوع . لدينا مقعد خال في السيارة اذا اردت

المجيء . هل تعرف المصور ، تيد بيلينكس ؟

— اوه ، نعم ، اسمع ، اشكرك جدا لعرضك هذا ، وسأكون مسرورا

لمصاحبته في اية ليلة اخرى . . ولكنني في الواقع منهك القوى . ولكن اسمع ،

يا بيل ، اذا حدث شيء مهم فاخبرني . فيسرني ان آتي الى هناك . غير

اني شديد النعاس الان . .

— طيب ، ايها الصبي . لا تكثرث . سأتصل بك في ليلة اخرى . ظننتك

تريد المجيء . سأراك فيما بعد .

وفيما هو يخلع ملابسه احس بالاسف لتعبه الشديد . لقد كان يود

مصاحبة بين في اعداد التقرير . وخشي ان يحرم عليه التفكير في هذا الموضوع النوم .

وحالما كان على السرير ، شعر انه احسن صنعا برفض الخروج . وراح يداعبه سيل من الدفء . ومضغ حبة « الكالين » ثم ابتلعها ليقي نفسه من انار الشراب وضغط براسه على الوسادة . وطافت في مخيلته صورة كارولين واتارت في نفسه احساسا باللذة نتيجة تذكره انه طلب منها قضاء الليلة معه وادراكه بانه حتى لو قبلت هي فسوف لن يكون في امكانه مضاجعتها . وكان الاحساس ايضا وليد الشعور بالتوقع .

واستيقظ وراح يحرق في الباب . وظل برهة من الزمن في حيرة هل كانت ذروة احد الاحلام هي التي ايقظته بهذه المفاجأة . وفيما هو يصفي سمع همهمة . واطل خلال الظلام في ساعته المضيئة فوجدها تشير الى السادسة . وانقلب على جنبه ودفن وجهه بين اغطية الفراش ، وبعد لحظة سمع صوت وقع اقدام على السلم . فرفع راسه ليصفي . وطرق احد الباب عليه . فصاح : نعم ؟

وانفتح الباب قليلا ، وقال صوت رجالي :

— احدهم يطلبك على التلفون . انت المستر سورم ؟

— نعم . . اشكرك . يا الهي . . في هذه الساعة المبكرة ! انا اسف جدا .
ولبس الروب وخرج من الغرفة . كان الرجل يسبقه نازلا السلم ، وهو يقول :

— التلفون امام غرفتي . لقد ايفظني .

— انا في الحقيقة اسف جدا . . .

كان سورم يفكر مع نفسه : انه اوستن ابن السـ !

— يقول الشخص ان الامر مستعجل . . .

وذهب نحو التلفون وهو يقول في نفسه : ساخبره بانهم سيتردونني اذا استمر على هذا النحو . . . الساعة السادسة . . . يا للاحمق .

واختطف سماعة التلفون وكبت الرغبة في ان يصرخ بها ، وضبط نفسه وقال : هلو ؟

— هلو جيرارد . بيل بين يتكلم .

— بيل ! ماذا تريد ؟

— طلبت مني ان اتصل بك اذا ما حدث شيء . حادثتنا قتل في وايتشابل . . .

وارتعد شعره كان تيارا كهربائيا سري بجسده . وتدللت يده التي

- تحمل السماعه الى جنبه لحظه ، وسمع صوت بين كانه يصدر من بعيد .
ورفع السماعه بعد قليل وسمع بين يقول :
- ... كان ذلك منذ ساعة . ولذا ، اذا اردت المجيء فتهال على الفور .
- اين ؟
- شارع مايتز . على اليسار من محطة اولدغيت . هنالك مقهى
صغيرة على مسافة قليلة من المحطة . سارك هناك .
فقال سورم :
- حسنا . سانيك باسرع ما يمكن .
واعاد السماعه وجلس على حافة الطاولة . ولم يكثرث لبرودة الجو .
وبدا له كأن صوت دقات قلبه يصل الى كل نزل البيت .

الفصل الثاني

وبالرغم من ارتدائه القفار ، احس بالخدر في يديه قبل ان يصل هولبورن .
 وخلع القفاز عن يده اليسرى وراح يقود دراجنه ويده في جيب السروال يشد
 بها على تقعر فخذه . كانت شوارع المدينة مهجورة . لقد ايقظه البرد ، ولكنه
 كان يحس بانهاك داخلي يكاد ان يكون خمولا مترفا كان موافقه كلها تيسار
 كهربائي اصيب بعطب . واحس بحرية غريبة . وقبل ان يصل نهاية شارع
 ليدنهول نسي سبب خروجه في هذا الصباح الباكر . واثار فيه منظر رجل
 عجوز ، يجلس القرفصاء في احد مواقف الباصات ، وقد تلفع بمعطفه ، سيلا
 من الافكار عن مشاق الحياة البشرية وعن ميل الانسان لتعقيد هذه الحياة
 باتيان حركات لا فائدة منها . وعندما تخيل هذه الشوارع التي ستزدحم خلال
 ثلاث ساعات بحشود من الناس الذين لا يحركهم دافع اخر غير العمل اليومي ،
 ولا يقودهم يقين عميق لمواجهة هذا الاضطراب ، شعر بالامتنان لصمت هذه
 الشوارع والصمت الداخلي الذي تسبب عن اعيائه الداخلي .

واستطاع ان يميز بين واقفا الى جانب مدخل قطار النفق . كان
 يشعل سيكارة ويضرب بقدميه على الارض ليدفئهما .
 وصاح سورم :

— هلو ، بيسل !

— هلو جيرارد — يسرني انك توفقت في المجيء .

واسند سورم دراجته الى الجدار وراح يبحث في الحقيبة عن السلسلة :

— حسبك ستنتظر في المقهى ؟

— لقد خرجت منذ دقيقة فقط ، طلبا للهواء . هل ستترك دراجتك هنا؟

— اظن ذلك . ليس في الامر ضرر .

- طيب . هيا لنذهب ، اذن .
- اين يقع المحل ؟
- مايتير سكوير . على الجانب الاخر من هاوندسدريتش .
- ماذا حدث ؟
- لا اعلم بعد . عثر على امرأة اخرى . وقبل ذلك بنصف ساعة كانوا قد وجدوا امرأة اخرى في شارع برنر اي في الجانب الاخر من الشارع التجاري .
- يبدو ان القاتل كان يحيي مهرجانا !
- سيخلق هذا الامر بعض المصاعب ، يا جيرارد . ستكون اكبر قضية بحث عن قاتل عرفتھا انكلترا ، فلن تجرؤ الشرطة على ان تتركه يفلت الان .
- هل رأيت الجنتين ؟
- القيت نظرة على الجنة التي وجدت في مايتير سكوير . اما الاخرى فقد نقلت .
- في اي ساعة وجدت ؟
- هذه الاخيرة ؟ منذ حوالي الساعة . كنا في طريقنا الى المكتب عندما وصلنا النبا . ولقد خففنا مسرعين الى هذا المكان قبل ان يصل احد اخر .
- شكرا على مخابرتك لي .
- لا شيء . فأمور كهذه لها فائدتها بالنسبة لمؤلف مثلك . في الواقع ، هذه اول حادثة قتل اراها عن كتب . ولكن ، اتعلم يا جيرارد ، ان الامر في غاية الغرابة . لا بد انه قتل المرأة في شارع برنر ثم جاء مباشرة الى هنا ليقترب جريمته الثانية خلال خمس عشرة دقيقة .
- هل اتصلت تلفونيا بمكتبك لتنقل اليهم القصة ؟
- بالطبع . نكاد ان نحصل على سبق صحفي . اول من يصل الى موقع الجريمة ؟ وقد اخذنا صورا وغيرها . . .
- كان سورم مندفعاً للكلام بصورة منفعة ، فقد احتشدت في رأسه عشرات الاسئلة تبغي كلها مخرجا في آن واحد . وقال :
- حدثني عن الجريمة بالتفصيل . قل لي ماذا وقع بالضبط .
- لا اسطيع فنحن انفسنا لا نعرف القصة كاملة بعد .
- اقصد - حدثني ماذا حدث لك طوال الليل .
- انتظر لحظة . فنحن على وشك الوصول .
- كيف قتلت ؟
- الاخيرة ؟ ذبح من حنجرتها . ولكن جنتها متل بها تمثيلا فظيحا .
- كيف ؟

— اشبع وجهها طعنا وتمزيقا .
 — يا للمسيح !
 وقال بين عبارة قصيرة : جعلني المنظر اشعر بالفتيان .
 ودلفا الى شارع ضيق ، ونظر سورم الى الرقعة التي كتب عليها اسم
 الشارع ، فقرا : شارع ديوك . وقال بين :
 — ايه ! بدا الناس بالاحتشاد من الان .
 ورأيا في نور الفسق الخافت اناسا متجمهرين على طوال الجزء الثاني
 من الشارع . وقال بين :
 — يحسن بنا ان نذهب من الطريق الاخر . هنالك زقاق ضيق يؤدي
 الى الساحة من هذا الجانب .

وسأل سورم :
 — ماذا تظن سيحدث الان ؟ لا شك ان الامر سيتير الرعب العام .
 — لا استطيع التكهن . واني لارتاب في ان الحكومة تريد ان تجعل
 الصحف تنشر اخبار هذه الجرائم بعناوين بارزة لتصرف اهتمام الناس
 عن الموقف الدولي .
 — فكرة مثيرة ! انك تعتقد بان وزارة الخارجية هي وراء حوادث
 القتل هذه ؟

— لا يدهشني ذلك ! يقولون ان الوزارة مليئة بالمنحرفين الجنسيين ...
 ليس من النوع الذي يميل الى النساء ، على كل حال .
 ثم استدارا ثانية تاركين شارع اولدغيت ودلفا في الشارع الذي كان
 يسير باتجاه شارع ديوك . كان شارعا ضيقا وقد احتشد فيه الناس من
 الرصيف الى الرصيف .
 وقال بين بياس :

— اخشى انه لا يمكنك رؤية شيء . كان عليك ان ترافقني ليلة امس .
 وشعر سورم بالخوف والانفعال يحركان احشاءه . كان الصمت مطبقا
 على الشارع ، وقد اثار فيه هذا الصمت جوا من التوتر والتوجس . وعندما
 اقتربا من الجموع ، وجد سورم انهم كانوا يتهايمسون فيما بينهم باصوات
 خفيفة ، وقد تجمعوا كتلا كتلا . وكانت اكبر هذه الكتل جمعا من المصورين
 الفوتوغرافيين حاملين الات التصوير ذات المصابيح الواضحة . فاقترب بين
 منهم وقال :

— هل وقع شيء ، يا تيد ؟
 فاجاب رجل بدين قصير القامة احمر الوجه :

— هلو ! هل عدت ؟ كلا — لم يحدث شيء بعد .
كان الرجل يدفن يديه عميقا في جيوب معطفه الضخم . وكان يعقد حول
عنقه لفافة صوفية ذات خطوط ملونة ، كتلك التي يلبسها طلاب المدارس .
— هل وصل ماكمردو ؟
— اجل . جاء منذ عشر دقائق . ذلك هو .
واشار برأسه الى الحبل الذي يفصل الساحة عن الشارع :
— هل اخذت صورة له .
— نعم . ولكنه استاء لذلك .
فقال احد المصورين :
— لقد آن له ان يعتاد على ذلك !
ثم بصق في مجرى المياه .
واقترب سورم من الحاجز ، ولم يكن من الصعب الوصول اليه ، فالحشد
لم يكن متراصا . ولكنه لم ير ما يستحق المساعدة . كان على يسار الساحة
مستودع للبضائع عال يحمل اسم « كيرلي وتونج » . وكان المخرج الوحيد
من هذه الساحة زقاقا ضيقا في طرف الزاوية اليمنى . وكان رجال الشرطة
متجمعين هناك ، وكان اثنان من الشرطة يجلسان القرفصاء على الرصيف
ويقومان ببعض القياسات بواسطة شريط القياس . وقد استطاع سورم
ان يرى ، من خلال سيقان الشرطة ، جثة القتيلة مغطاة بالقماش .
وكانت على احد جوانب الساحة البعيدة امرأة تولول ، لم تكن تصرخ ،
ولكنها كانت تنتحب بصوت خشن . وبدا الاهتمام على الناس المحيطين
بسورم . وقال احدهم :
— هه ! هه هل تعرف عليها احدهم ؟
فأجابت امرأة :
— كلا . لم يقترب من الجنة احد .
وانقطع العويل فجأة . واقترب بين من جيرارد وقال :
— هل فهمت ما حدث ، يا جيرارد ؟
— كلا . صدر الصوت من ذاك الزقاق .
وتقدم بين الى احد رجال الشرطة الذي كان يقف بجوار الحاجز وابرز
هويته الصحفية وسأل :
— هل استطيع المرور ؟
— كلا ، مع الاسف يا سيدي . لدي امر الا ادع احدا يمر حتسنى
يصصل الطبيب .

- نعم . وقد تأخر كثيرا .
- من الطبيب ؟ سيمبسن ؟
- لست ادري ، يا سيدي . كل ما اعلمه انه تأخر كثيرا .
- وتقدم شرطي اخر من بين الجماعة التي تقف في الزاوية . وسأله بين :
- هل لديك فكرة عن سبب النحيب ؟
- وكان الشرطي عريفا في متوسط العمر وقال بعدم اكتراث :
- مجرد امرأة اصببت بنوبة هستيرية .
- وشق احد الواقفين قرب الحاجز طريقه متدافعا بوقاحة وقال :
- واني لاعتقد ذلك ايضا . بالله ماذا تعملون ايها السادة لقاء ما تتقاضونه من اجور ؟ اريد ان اعرف .
- وقالت امرأة بدينة كانت تضع شالا على راسها :
- رويدك يا بيرت ، لا تكن قدر اللسان . انهم يفعلون ما في وسعهم .
- فقال الرجل وقد تصلب برأيه :
- انا لست قدر اللسان . بصفتي مواطنا يدفع الضرائب لي الحق
- ان اعرف لماذا يقف الشرطة مكتوفي الايدي . اليس كذلك ؟
- ولم يبد الامتعاض في وجه العريف .
- وتقدم صحفي اخر شاقا طريقه خلف سورم . وسأل :
- هل تعرف من هي ، ايها العريف ؟
- كلا .
- طيب ، لماذا يستمر قتل النساء ؟ هذا ما اريد معرفته .
- تم اشترك في النقاش رجل طويل القامة هزيل كان يقف وراء المرأة
- ذات الشال . كان صوته عصبيا حادا . والتفت اليه العريف ببطء ، ثم هز
- كتفيه وقال :
- هذا ما نريد معرفته كلنا .
- ثم استدار وراح يمشي لينضم الى جماعته . فصاح الرجل خلفه :
- فهذا ما تنقاضون اجوركم عليه ايها الحمقى — مجرد اكتشاف السبب !
- وهمس بين في اذن سورم :
- هنالك شعور شديد ضد الشرطة .
- لا يدهشني ذلك .
- واخذ بين يحاول التخلص من بين الحشد . وقال :
- هلم ، ليس هنالك ما يستحق المشاهدة .
- وتقدم رجل ضخم الجثة له شارب اشقر ووقف خلف بين واطمه

- على كتفه . فقال بين :
- هلو ، توم ! وصلت الان فقط ؟
- فقهقه الرجل الضخم وقال :
- ربما . كنت هنا قبل ان تنهض انت من النوم .
- انك لم تكن هنا ، اتعلم ! كنا اول من وصل الى محل الحادث .
- فقد كنا في وايتشابل عندما وصلنا النبا .
- صحيح ؟ فاني اعتذر في هذه الحالة .
- لا تغتم ، ايها الصبي . سلمي ما تشاء من الاسئلة . ولكنني اتقاضى منها اجرا طفيفا بالطبع .
- والتفت بين الى سورم وقال :
- انك لم تتعرف بتوم موزلي ، اليس كذلك يا جيرارد ؟ توم ، اقدم لك جيرارد سورم .
- هل يشتغل للصحيفة ايضا ؟
- كلا . جيرارد مؤلف ..
- فقاطعه موزلي بقوله :
- بالمناسبة ، هل سمعت صراخ تلك المرأة ؟
- نعم ، ماذا كان السبب ؟
- اشاع احدهم بان الشرطة عرت على قضيب حديدي ملطخ بالدماء،
- فصرخت المرأة : كنت أقف على بعد قليل منها . جعلت شعر رأسي ينتصب .
- هل وجدوا فعلا قضيبا ملوثا ؟
- كلا . كان الامر مجرد اشاعة . هل رأيت الجثة الاخرى ؟
- نعم . كنا هناك عندما وصلتنا انباء هذه الجريمة .
- هل صحيح ان رأسها وجد مهنسا ؟
- نعم . ولكن يبدو انه تلقى ضربة واحدة فقط .
- هممم ... لا يلوح ان صاحبنا هو الذي فعل ذلك ، هه ؟
- لست ادري . ربما اضطر الى ان يقطع جريمته .
- وقال سورم :
- ماذا حدث ؟
- وقبل ان يستطيع بين الاجابة ، اخذ احدهم يصيح :
- افتحوا الطريق !
- واقتربت عربة اسعاف من الحاجز . وراحت ومضات آلات التصوير
- تنطلق فتضيء الساحة برهة كانها البرق . وقال بين :

— يظهر ان ستار وصل .

— من ؟

— الطبيب .

ونظر سورم باهتمام الى الرجل العريض المنكبين ذي الوجه الذي يبدو لين الطبع كوجه مزارع . وكان يسبق طريقه ليصل الى الساحة . وتبعه بين فوراً وهو يمسك بسورم من كفه . فاوقفهما الشرطي واعاد الحبل الى محله . فالتأم الجمع ثانية في كتلة متراصة في مدخل الساحة وقال بين :

— اردت ان اجد مكانا لراغب الامور من هنا .

— ماذا سيحدث الان ؟

— لا شيء . انهم سيرفعون الجثة فقط . راقب وجوه بعض

هؤلاء الناس .

ونظر سورم حوله بحذر فوجد وجوها جامدة لا يبدو عليها التأثير . ولم يكن فيها شيء من التطلع والانفعال المريض الذي كان يتوقعه . وهمس :

— يبدوون معسبي الوجوه .

واوماً بين براسه باقتضاب وهو يحدق عبر الساحة . وقد شكل رجال الشرطة دائرة حول الجثة وقد جثا الطبيب الى جوارها . واجرى فحصاً مختصراً للجثة ثم املأ شيئاً الى فتاة كانت تسطر بعض الكلمات على دفتر . ثم نهض الطبيب و اشار الى رجال سيارة الاسعاف الذين كانوا يحملون صندوقاً معدنيا رمادي اللون فوضعه بالقرب من الجثة . ولكن سيقانهم حجبوا الجثة عندما حملوها ، ولم ير سورم غير حافة تنورة ممزقة كانت تجرجر على الارض عندما كانت الجثة ترتفع الى الصندوق . وبعد لحظة ، انطلق باب سيارة الاسعاف ، وتحركت السيارة . فزازح الشرطي الحبل ثانية وهو يقول : افسحوا المجال !

وبدا الحشد يتفرق . وخرج من مستودع البضائع على الجسائب الاخر من الساحة رجل عجوز يحمل سطلا وفرشاة . واخذ يرش الماء على الرصيف حيث كانت الجثة ملقاة ثم يفركها بالفرشاة . وخرجت سيارة الاسعاف من الساحة ببطء . وسرت رعدة في ظهر سورم ارتعش لها . فاستدار ومر امام شبالك حانوت صغير فواجهته ابتسامة فتاة في اعلان لمعجون الاسنان . وطاف في ذهنه ، لبرهة وجيزة ، حدس لحالة القاتل الدهنية ، فتمرد على التلميحات المجردة ، والوجوه المقطبة الازلية والرسوم الخشبية التي تطل من لوحات الاعلان التي تهيمن على عربات القطار

والمستودعات التي تقع على جانب الطريق .

وقال بين :

- لنذهب وتناول شيئا من الشاي .

فقال موزلي :

- فكرة طيبة .

- اثنائي معنا ، يا جيرارد ؟

- اجل .

- يلوح عليك التعب .

- قليلا .

وكان يقدمهم رهط من المصورين . كانت السماء قد استنارت الان وتأخر سورم قليلا وراء الجماعتين ، اذ كان يتوق الى ان يركز على بصيرته التي طافت في ذهنه حتى تلاشت ، وهو يعلم انه لا يستطيع التعبير عنها بالكلمات . كان جائعا ، وقرر ان يتناول شيئا في المقهى . كيف يتسنى لابة بصيرة ان تبقى بعد المد والجزر اللانهائيين اللذين يعسوران الدم ، وبعد نقليات الفصول الجسدية ؟ لقد خسر المعركة مقدما .

وقال بين :

- اجلس انت يا جيرارد . اما انا فذهاب لاحضار الساي .

- اريد شيئا اكله ايضا .

- حسنا . سأجلب لك شيئا . سندويتس جبن ؟

وجلس سورم بجوار موزلي الى طاولة في احد اركان المقهى . واخذ المخبر يدون بعض الملاحظات بالكتابة المختلة . وشغل المصورون الطاولة التي تقع قرب النافذة . وشعر سورم بالتعب ، وقد ثبتت عزيمته فكرة العودة بدراجته الى كامدن تاون . ورفع موزلي بصره اليه فجأة :

- ما رأيك ؟

- فيم ؟

- الطريقة التي تصرف بها كل واحد من الناس ؟

- يبدو انهم جميعا كبخوا جماح عواطفهم ، هذا ما ينبغي ان اقله .

- بالضبط . كبخوا جماح عواطفهم .

وجلس بين في مواجهتهما . وقال :

- الا يدهسكما ذلك ؟ هذه الجريمة ترفع العدد الى ست جرائم

خلال اشهر قليلة . ان الناس ليتساءلون كم جريمة تنتظروهم .

- هل تعتقد ان التقصير هو من الشرطة ؟

- ماذا يمكنهم ان يفعلوا ؟ انهم لا يستطيعون سوى ان يتبعوا الدلائل ويأملوا بأنه سيقع في الفخ .
- وقال موزلي :
- كما حدث في قضية كومنز .
- فسأل سورم :
- وما هي تلك القضية ؟
- اثناء الحرب . كان كومنز مصابا بجنون الاجرام الجنسي . قتل اربع نساء — اكثرهن مومسات — في منطقة سوهو . واخيرا ، باغتسه احدهم حينما كان يخنق فتاة في مدخل احد البيوت في هايماركت . ففر هاربا وترك كمانه الغازية فاستطاعوا ان ينالوه . . . ولكن ما يلد في الامر هو انه عندما فوجيء في قضيته الاخيرة هرب على الفور ووجد فتاة اخرى في بادفتن وحاول ان يقلبها ايضا . ولكنها تخلصت منه .
- وقال بين :
- حدث ذلك قبل ان ابدأ انا بالعمل . على كل حال ، هل تعتقدان ان هذا القاتل مصاب بجنون الاجرام الجنسي ؟
- فهز مورلي كتفيه وقال :
- انه مصاب بالجنون على كل حال .
- واقبل سورم على سندويتس الجبن بنسراة ، ولما اتمها اجتاز الى طاولة البار وطلب اخرى . وعندما عاد الى طاولته ، الفى بين يقول :
- . . . ووجد شخصا ينحني فوق الجبة . وصاح : هل وقع شيء ؟
- وقال الرجل : نعم ، اعتقد انها ميتة . اذهب واستدع احد رجال الشرطة ، اسرع ! وعندما عاد الرجل بعد خمس دقائق وجد الشخص قد هرب ولم ير غير جثة المرأة .
- فسأل سورم :
- ما الخبر ؟
- عن حادثة القتل الاولى في الليلة الماضية ؟
- هل يعتقدون ان ذلك الشخص كان هو القاتل ؟
- لسب ادري . ولكن الامر يبدو محتملا .
- وقال موزلي :
- سيكتشفون ذلك حالما يعرفون الوقت الذي فارقت فيه الحياة .
- وسأل سورم :
- هل يستطيع الرجل ان يصف ذلك الشخص الذي طلب منه

الذهاب لاسندعاء الشرطة ؟

— كلا . حدث ذلك في الظلام ، ويقول الرجل انه لم يقترب من الرجل اقل من عشرة ياردا ت . ولا يدهسني ان يكون ذلك الشخص هو القاتل !

— كيف قتلت ؟

— بضربة على رأسها . لا بد انها كانت ضربة شديدة سددت الى رأسها بقضيب ما .

— وهل وجدت الاخرى ذبحة من حنجرتها ؟ انه يلجأ الى وسائل متنوعة بالتأكد !

وسأل سورم :

— هل تظن ان القاتل هو نفسه الذي اقترف جريمة غريننش ؟

وهز موزلى رأسه :

— اسك في ذلك . وانك تعرف الجرائم التي اقترفها هذا القاتل ، ليس كذلك ؟

فقاطعه بين :

— كان القاتل مل عناوين الصحف التي تتساءل: هل توغل جنوب النهر؟

— بالضبط .

وشرب ثلاثهم الساي بصمت .

وقال موزلى اخيرا :

— ما لا يمكنني فهمه هو هذا . لا بد وان ملابسه تلونت بالدماء بعد

الجريمة الثانية . ولا بد وانه مر باحد الشرطة اناء هروبه ، فقد كان ذلك المكان يزخر بهم . فكيف تم له ذلك ؟

فقال سورم :

— من المحتمل انه كانت لديه سيارة تقف قرب موقع الجريمة .

— ذلك خطر جدا . ان رجال الشرطة يسجلون ارقام جميع السيارات

التي تقف في هذه الاصقاع ليلا .

فقال بين :

— لا بهمنا من يكون القاتل ، ولكنه اما ان يكون ذا شجاعة مذهلة او

انه مجنون .

— مجنون ؟

— ولكنه لا بد وان يغى شئنا في واينسابل . . . اما ذلك ، او انه

سكن في هذه المنطقة . والا فلم يلتصق بهذه البقعة ؟

فقال موزلي :

— انه لا ينبغي شيئا . كيف ينبغي شيئا وهو لا يخنار ضحاياه ، وانما يتناول كل من يعترض طريقه ؟ هل سمعت بفكرة الفوطة الجلدية ؟
— كلا . ما هي ؟

— اوه . يعتقد الكثير من الناس انها رجل يدعي « الفوطة الجلدية » ولا يعلم احد من هو وماذا يفعل سوى انه رجل اجنبي يرهب بعض العاهرات اللواتي يتجولن هنا .
وسأل بين :

— هل ذكرته في تقريرك ؟
— نعم . ولا اعتقد ان الامر سيتمخض عن شيء ، ولكني سمعت اسمه يذكر عدة مرات هذا الصباح .
— وهل وجهت اية اسئلة ؟
— بالطبع . ولكني لم اتوفق . يبدو انه مجرد اسم .
فقال بين :

— قد يكون من النافع تعقيب الاسم .
— هل سمعت قصة الخبراء الاجانب في الجرائم ؟ يقولون ان هناك عددا منهم يعملون في هذه القضية .
فقال سورم :

— سمعت بذلك . يقال ان هناك خبيرا المانيا ... نسيت اسمه .
فقال موزلي :

— بالمناسبة ، هل قرأت رسالة في صحيفة التايمس يوم امس ؟
— كلا .
— من الممتع جدا ان تقرأها فيلوح انه قد حدثت عدة جرائم قتل في محل يدعى بوكوم في المانيا بعد الحرب — جرائم مثل هذه تماما . ويلوح ان الرجل كتب رسالة الى الشرطة يخبرهم فيها بانه سوف يقتل ست نساء اخريات ثم يتوقف . وتوقفت جرائم القتل حالا بعد رسالته .
— ولم يقبضوا عليه ابدا ؟
— كلا .

فاطلق بين ضحكة ناعمة :

— سمعت بنظرية تقول ان القاتل تركي قتل عدة نساء في اسطنبول ينبغي ان يتفرغ فرغ خاص من الامم المتحدة ليتعقب هذه القصص !
واتم سورم احتساء قدح الشاي ، وراح يحرق في فتات الخبز

التي تركها في صحنه . كان يحاول ان يتخيل ما سيفعله لو انه التقى بالقاتل في احدى الليالي القائمة في وايتشابل . وراح يتخيله رجلا نحيفا في متوسط العمر ، اصلع الرأس ، اصفر الشفاه ، له عيون المتعصبين . وعندما طفق يتصور القاتل ، في تلك اللحظة ، في احدى نواحي لندن ، طليقا ، وربما يتناول الشاي مع امرأة ما في احدى المقاهي ، او متشبها بالكلابة الجلدية المتدلاة وهو في قطار النفق ، احس بحركة خفية في معدته . ونهض موزلي فجأة وقال :

— اوه ، طيب ، لنعد الى العمل ! هل تأتي يا بيل ؟

— كلا سأتناول قدحا اخر من الشاي اولا .

ونهض سورم وهو يدفع كرسيه الى الامام ليفسح المجال الى موزلي ليمر . وقال موزلي :

— شكرا ، ايها الرجل . حسنا ، وداعا . اذا ما وصلتك اية معلومات عن الفوطه الجلدية فاخبرني ... فقال بين :

— سأفعل . ما عليك الا ان تعود الى مكتبك وتتناول قسطا كافيا من النوم ، واترك الامر الى بين .

وبينما كان موزلي خارجا ، ذهب بين نحو طاولة البار وهو يقول :

— قدحا اخر من الشاي يا جيرارد ؟

— ارجوك . دعني اقتنيهما .

— لا ! هذا جزء من مصاريف العمل .

واحضر قدحي الشاي السميكين ووضعهما على الطاولة التي كان يكسوها مطاط مخدش عكر اللون . وتمطى بين ثم ثئاب .

— يجب ان اعود لانام قليلا . كيف تشعر يا جيرارد ؟

— كالميت .

— هل انت نادم لانني اخرجتك من مخدمك باكرا ؟

— كلا . بل يسرني ذلك . كان شيئا ممتعا ..

— لماذا ؟

— كل ما يمنحك احساسا بالواقع شيء ممتع . فاني لم استطيع ان ادرك لسبب من الاسباب ان هذه الجرائم حدثت فعلا . لم تعتقد ، يا بيل ، ان الانسان يقدم على فعلة كهذه ؟

— الامر يعتمد ، يعتمد على الشخص ومن يكون . فالاسباب تختلف اذا كان القاتل استاذنا في جامعة او اذا كان بحارا سكيراً او مراهقا استبد

به الجنس ...

وقال سورم :

— لا يهمنا من يكون ، ولكنه الان حى فى احد اطراف لندن ... وله
اصدقاء ربما لا يرتابون فيه مطلقا ..

* * *

وفجأه ، بينما كان يمر بسوق سميثفيلد قرر ان يقوم بزيارة للاب
كارانر . كان قراره عفويا ، لم يتخذ بدافع معين ولكنه بحديثه .
وفتح القس الهنغاري الباب . كان سورم يتوقع ان الوقت الذى
اخساره للزيارة لم يكن مناسباً ، ولكن الاب راكوسي لم يبد اية دهسة .
ولم يطل جلوسه لحظات معدودات في غرفة الانتظار الباردة السي نسير
الكتابة حى عاد الاب .

— يود الاب كارانر ان يراك الان .

— اسكر . اسف لازعاجك .

ورد عليه القس بانسامة حيه .

كان الاب كارانر يف بحوار المكتبة ، مرتديا روبا مطعميا باللون
الاحمر . وكان بلوح وهو واقف صغبر الحجم ، كانه قزم . ولكنه كان
يبدو احسن مما كان علمه في المره السابقة .

— اه ، جيرارد . كيف حالك ؟

— بخير سكر . يبدو احسن هذه المره .

— بل اني احسن اليوم ... طيب ، ان الساعة مبكرة جدا للزيارة
نوعا ما . هل من امر خطير ؟

— ليس شيئا خاصا . ايها الاب .

— لماذا ؟

— دعاني صديق لي يعمل صحفيا . اسمعت عن الجريمة المضاعفة ؟

— كلا . ماذا حدث .

واقنع الاب الكرسي الكبير ومد ساقيه بانجاه نار الفحم التي كانت
تخنق الغرفة بحرارتها . وقال سورم :

— فنلت امران في الليلة الماضية — وقعت الجريمة الثانية بعد
الاولى بنصف ساعة .

— ولم ذهبت الى وايتسابل ؟

واذكر سورم ان السؤال كان في محله . وقال وقد شعر بالاحراج :

— اوه ... لمجرد ان صديقي خطر له ان يدعوني لمصاحبتة ... فمن

المسد بالنسبة لكاتب ملى . . .

كان سورم ، وهو ينقوه بهذه الكلمات ، يعلم بأنه غير صادق فسى قوله ، وشعر أيضا بيقين غريب بأن القسيس عرف أيضا أنه غير صادق . بيد أن ذلك الوجه القبيح البالي لم يظهر ما ينم عن عدم النصديق . وقال القسيس فقط :

— تبدو معبأ .

— صحیح .

وسمعا طرفا على الباب . فصاح القسيس : هلو ؟
فأطل رجل قصير القامة ابض الشعر برأسه من الباب . كانت عنياه تنتقلان بين الاب كارائز وسورم .

— صباح الخير يا لاري . اخسى ان اكون قاطعتكما ؟
كان صوته عميقا رنانا ، وكان ينطق بلهجة المانبة واضحة . وقال القسيس :
— هلو ، فرانز . كلا ، انك لا تقاطعنا . تفضل بالدخول .
ودخل الرجل الالماني واغلق الباب خلفه بعناية . وامسك بدي القسيس بيديه وهزهما ببطء رزين ، سائلا :

— طيب ، وكيف حال صديقى اليوم ؟ انك تبدو احسن حالا .

— اسعر احسن هذا اليوم ، اشكرك يا فرانز ، دعنى اقدم لك جيرارد سورم — البروفسور نشتاين من دوسلدورف .

والتفت نشتاين الى سورم وانحنى له قليلا . كان وجه الرجل العجوز الذي يفيض بالشوق عريضا واضح التقاطيع . كانت شفته، التى سلو ذقنه البارزة ، مستقيمة مزمومة . وكانت عيناه صلبين صافيتين كأنهما الزجاج الازرق . وكانت خصلة الشعر الابيض التى بالاشتراك مع بقية نقاط وجهه تكسبه مظهر انسان ذي قوة عظيمة تلوح غير منسجمة مع جسمه القصير البدين . وصافح سورم يد الرجل والفى نفسه ينحني قليلا ردا لتحيته . وقال نشتاين :

— آمل الا اكون قد قطعت الحديث بينكما ؟

— كلا ، ابدا . انى اقوم بزيارة عرضبة فقط .

— فقال نشتاين .

— كما افعل انا ، اذن .

واطلق ابتسامه ساحرة لسورم وشرع يصارع معطفه ليخلعه عنه . ولما اخذ يعاونه فى خلعه قال :

— الجو هنا حار الى حد فظيع يا لاري . انا واثق ان الحرارة لاتفيدك .

آه . . . اشكرك يا سيدي .

وبدا استعماله للكلمات الدارجة بلهجته الالمانية مضحكا . ووضع سورم
المعطف على السرير . وقال شتاين :
- عن اذنك يا لاري ، اريد ان اجلس الى جوار معطفي ، فلا ارجب ان
اجعل من نفسي قطعة شواء .
وقال القسيس بلطف :
- الشباك مفتوح .
واخرج شتاين من جيبه منديلا وراح ينمخط بصوت عال ، كصوت
البوق . ثم فتح علبة سعوط وقدمها الى القسيس ثم الى سورم . وقال سورم :
- كلا اشكرك .
وراح يرقب الرجلين باستمتاع خفي وهما يتنشقان السعوط كأنهما من
الدواقة . واخذ القسيس يسمح بعض ما سقط من هذا المسحوق على
ملابسه . وقال :
- حسنا يا فرانز ، اذن كنت انت ايضا تطوف في وايتشابل ؟
وبدت الدهشة في وجه شتاين .
- انك سمعت بها ؟ لم يخطر ببالي انك قرأت الصحف .
- انا لا اقرا الصحف . كان صديقنا جيرارد هناك .
ونظر شتاين الى سورم ، وسال وقلة قطب جيبه :
- هل تسكن هناك ؟
فقال سورم :
- كلا . لكنني ذهبت ... عندما سمعت بالحادثتين .
- لا شك وانك سمعت بهما في وقت مبكر !
- اجل لي صديق يعمل صحفيا اتصل بي في الساعة السادسة صباحا .
ارجو المذرة ، هل لك علاقة ما بالتحقيق بهذه الجرائم .
- انا ... ا ... لي علاقة بهم ... بطريقة معينة . انا طبيب في علم
الامراض بالاضافة لكوني عالما نفسيا . ولكن قل لي ، لم اردت ... ا ...
ان تزور المحل الذي وقعت فيه الجرائم ؟
واحس سورم بالدم يصعد الى وجهه . كان يحس بالقسيس يشخص
ببصره اليه وهو يجيب :
- انا مؤلف . وهذه تجربة تشير اهتمامي ...
وقال شتاين بلهجة مؤكدة :
- بكل تأكيد . ان تجربة مثل هذه ذات قيمة عظيمة لدى الكاتب . لقد
سمعت هاينريخ مان مرة يدلي بهذه الملاحظة ... قال ان قليلا من الكتاب

الجادين يبحثون القتل بالصدق اللازم - ما عدا زولا ، ربما . هل قرأت قصته « تيريز راكان » ؟

- كلا .

والتفت شتاين الى القسيس وقال :

- لكن هذه الجرائم شيء فظيع حقا ! انك تتحدث عن الشرور البشرية، ايها الصديق ولكنك لو قضيت ثلاثين حولا ، كما فعلت انا ، تبحث في الجريمة والعنف لما تحدثت بغير المرض البشري .

وانتظر سورم ان يجيب القس ولما اكتفى بالابتسام ، قال سورم :

- هل تعتقد ان القاتل انسان مجنون ؟

ونقل شتاين نظرتة النفاذة نحو سورم :

- كيف لنا ان نعرف ، ما لم نمسك به ؟ ان الجرائم التي قام بها تثبت

شيئا واحدا - هي ان حالته مرضية .

وقال القسيس :

- هل تعتقد ان الشرطة على وشك القاء القبض عليه ؟

- من يدري ؟ لقد استلموا رسالتين كتبهما رجل يدعي بأنه القاتل . فد

يساعد هذا في معرفته .

وقال سورم وقد لاح عليه الاهتمام :

- صحيح ؟ وهل نشرت الرسالتان ؟

- اعتقد بانهما نشرتا اليوم . انا شخصا اعتقد انهما مجرد لغو .

- وماذا في الرسالتين ؟

- اوه ... انهما تسخران من رجال الشرطة لفشلهم في التوصل الى

معرفته ، وتندرانهم بجرائم اخرى . وقد وصلت الرسالة الثانية صباح هذا

اليوم ، بعد ساعات قلائل من جريمة القتل الثانية .

- يبدو ان القاتل هو الذي كتبها .

- لماذا ؟ كان في امكان اي شخص من وايتشابيل ان يكتب هذه الرسالة

في ذلك الوقت، حتى انت . تقول انك سمعت بالجريمة في الساعة السادسة؟

القيت الرسالة في صندوق بريد سكوتلانديارد في حوالي الساعة .

فقال سورم مبتسما :

- فهمت وجهة نظرك . ولكن ما كنت اعنيه هو انه يبدو ان من ميزات

القاتل ان يكتب الى الشرطة .

- ولماذا تقول ذلك ؟

- كانت صحف الامس تتساءل اذا كان قد انتقل الى غرينتش . وفي

اللبلة الماضية تجده يرتكب جريمتي قتل في وايتسابل . انه ليسبه شخصا يعرف انه قد أصبح مسهورا بين الجماهير .

فقال شتاين باسم :

— هذا صحيح . ومع ذلك فأنني اسك ان في الامر نكتة مؤذية .

وقال سورم متسائلا :

— الديك سبب معين لذلك ؟

كان سورم يحاول ان يسبغ على حذبه التأذب والحدرد ، وكان يدرك انه كان في موقف ممتاز لانه كان في وسعه ان يوجه الاسئلة الى شتاين ، بيدانه كان يحاول ان يبدي فضوله . وعقدستاين اصابعه وراح بحملق بجسد في ركبتيه ، ولاح عليه انه كان يعتبر اسئلة سورم طبيعية تماما .

— لنبدأ بالقول بان المصاب بمرض القتل لا يفخر في الغالب بما يقوم به من أعمال . وهكذا ترى ان جرائمه تصدر دائما عن دافع شديد الالاحاح ، فاذا اخفى هذا الدافع فانه قد يصبح شخصا مختلفا . ونحن نطلق اسمها معيننا على هذا النوع من الجرائم في المانيا . اننا نسميه Instmort

— القاتل الذي يحس بالاستمتاع . القاتل الذي يحس بالاستمتاع دون ان يكون لديه حافظ ما . ومثل هذا القاتل لا يكون عادة فخورا بالدافع الذي يحوله الى حيوان وحشي بين حين وآخر . هل رأيت ما اعنيه ؟

فقال القس بنعومة :

— ولكن ، اذا لم تخفي الذاكرة ، اعتقد ان صديقك كورتن قد بعث

برسالة الى الشرطة .

— هذا صحيح ، ولكنه لم يفعل ذلك ليفخر — وانما ليجتذب الانتباه الى جثة . ولعلك تذكر ايضا قضية القاتل في شيكاغو — الذي نسب اسم — فقد كتب رقعة وضعها على احد ضحاياه : امنعوني قبل ان اقتل ثانية . فتمتم سورم قائلا :

— هايرينز .

— آه ، انت اذن تعرف القضية ! حسنا . انك لتري ان هذا هو القاتل

المرضى بالنسيزوفرينيا .

فالتفت الى القس وارسمت على وجهه ابتسامة شريرة وقال :

— ها انت ترى يا لاري لماذا تعين علي ان اصبح طبيبا نفسيا بدلا من ان اكون قسيسا . اذ كيف استطيع ان افرض عقوبات على الخطايا حين لا اكون وانقا من ان الشخص الذي يعاني من العقوبة هو نفسه ذلك الذي يقترب الخطايا . تلك هي مشكلة لا يمكنك ان تجيبني عليها .

فقال القس باسم :

— اننا نعتزف بامال شخصيتك المنقسمة فى الكنيسة ، كما نعرف يا فرانز ، ولكننا نتحدث عن الخطيئة والندم بدلا من ذلك ، ولبس هناك خلاف بين هذا وذلك ...

فندت من شتاين. ضحكة مختنقة ، كان يلوح واضحا انه كان يستمتع باستدراج القس الى النقاش . وقال شتاين :
— كلا ، كلا ، بالارى . انه ليس السىء نفسه ابدا . فانك عندما تصف العقاب تفترض ان الشخص الذى اقترف الخطيئة هو نفسه الذى سيجرى عليه العقاب . ولكن ما قولك اذا كانا هما فى الواقع شخصين مختلفين ، هه ؟
ما قولك فى ذلك ؟

وقال القسيس بهدوء :

— اني لا افرض العقاب على انسان كهذا .
فقال شتاين وهو يرفع حاجبيه الكنين :
— كلا ؟ وماذا كنت تفعل اذن ؟
— احاول ان اساعده ، كما تفعل انت تماما .
— كيف يمكنك مساعدته اذا كان التعريف الوحيد الذى تطلقه على حالته هو انها خطيئة .

فقال القسيس :

— انى لا احتاج الا الى كلمتين لفهم حاله — الروح والمادة .
فقال شتاين مبسما :
— وليس الله والشيطان ؟
— وليس الله والشيطان !
— فقل لى اذن ، يا سيدى ، كيف تفسر سلوك انسان مثل كورتن حسب هذين المفهومين ؟

— ينبغي ان افكر فى الامر اولا ...
— اه ! قلت ذلك فى اخر مرة دخلنا فيها بنقاش !

والتفت الى سورم وغمز له بعينه وقال :

— انه انسان من العسير الجدل معه . ان جميع مسؤولاء القسس الدرمينيكان سواسية ... عندما تحصرهم فى زاوية ، يطلبون وقتا للتفكير !

وبقى التعبير المرتسم فى وجه القسيس هادئا تأمليا . ثم قال ببطء :

— طيب ، ان اردت منى المحاولة فى النرح ... فاننى امبر عنها على هذا النحو . يعرف الانسان نفسه على انه جسد ، وما يعرفه عن الروح يصل اليه

عن طريق النعمة الالهية ، اي ما يسميه الشاعر بالوحي . غير ان الروح ترسل نفحاتها حين تشاء ، وليس للانسان سيطرة على وحيه . فاذا حركت قطعة موسيقية او قصيدة شعرية عواطفه مرة ، فليس بوسعه قط ان يكون على يقين من انها ستحركانه مرة ثانية . ولكن الانسان يكره التفكير في انه يفتقر الى السيطرة على روحه . لان هذا يشبط من شجاعته كثيرا . انه يميل الى الاعتقاد بان في امكانه ان يستحضر روحه بطريقة اعتيادية . وبدلا من بذل الجهود ليهيئ نفسه لها بالتزام نظام صارم وبالصلاة ، يحاول ان يستحضرها بطريقة غير منتظمة وبالصدف عن طريق عملية مادية - كان يحتسي بيرة دوسلدورف ، مثلا . . .

فقال شتاين مقهقهة :

- وهي الطريق التي يستقدم بها جميع سكان دوسلدورف الطيبون ارواحهم ، ما دامت بيرتهم افضل بيرة في جميع المانيا .
وضحك القسيس معه . ومر بسورم لبرهة من الزمن انطباع غريب كأنه يصغي الى نقاش بين طالبين في اوائل دراستهما الجامعية بدلا من رجلين في العقد السابع من عمرهما . دفن نفسه في كرسيه لكي يغيب عنهما وجوده . وكان القس اول من توقف عن الضحك ولمح سورم تلك النظرة التي تكمن دائما في اعماق عينيه . وعاد شتاين ايضا الى وقاره وقال :

- طيب ، ولكن ما علاقة ذلك بالقائل ؟

- هذا له علاقة بالجنس . ان الجنس هو الوسيلة المفضلة لدى الانسان للوصول الى الروح . ولما كانت هذه الوسيلة هي في الوقت عينه هبة الله لتكاثر النسل ، فهي دائما وسيلة ناجعة . . . ليس كالموسيقى والشعر .
فقال شتاين : او البيرة .

- بالضبط . ولكن الجنس ايضا غير معصوم من الخطأ . والانسان يكره التفكير في انه يفتقر الى السيطرة على روحه . وكلما خيبته هذه الوسائل الجسدية المادية اكثر لاحقها بنهم اعنف . وتصبح محاولاته لاحضار الروح اكثر جنونا . فاذا كان معتادا على الشراب ، شرب المزيد حتى تسري الخمر في عروقه بدلا من الدم . واذا كان شبقا استنبط الانحراف الجنسي .
فقال شتاين :

- ٥٢ .

- هنالك طرق اخرى كثيرة ، بطبيعة الحال - شهوة المال والسلطان ، مثلا . وكلها تستند الى رفض الانسان مواجهة حقيقة ان الروح تهب حيث تشاء ، وان ليس هنالك فعل مادي يضمن استحضرها . . .

ونسى سورم اعتزامه ان يلزم الصمت ، وقال :

— ولكن اليست هنالك ابدا اية طريقة معينة لاستحضارها ، ايها الاب .

وظل القس ينظر الى شتاتين وهو يجيب :

— كلا ابدا . افضل ما يمكننا فعله هو ان نروض انفسنا على الصبر .

وعندما يتهل القسيس الى الروح ان تهبط اثناء القداس لا يتوقع ان يراها او يحس بها . انه يسلم بايمانه في ان الخمر قد تتحول الى دماء سيدنا والخبز الى لحمه . ان القسيس ليعلم بان كل ما يمكنه فعله هو ان ينتظر .

وظيفة الدين هي تعليم الانسان على الصبر . وحالما يفقد الانسان صبره ، يفقد كل ما يملك ...

فقال شتاتين :

— هكذا ! وبماذا اخبر مريض الذي يشعر بدافع شديد لاغتصاب طفل؟

اقول له ان يتجمل بالصبر ؟

فاجاب القسيس بلهجة حادة غير متوقعة :

— فبماذا تخبره اذن ؟ لماذا يريد ان يغتصب الطفل ؟ كيف تفسر ذلك ؟

فهز شتاتين كتفيه :

— ينبثق هذا الدافع عادة من الشعور بالقلق وعدم الاستقرار . او من الضجر . كثير من مرضاي كانوا يشكون من شعور مستديم بالظلم — بان من حقهم ان يحيا حياة اكثر متعة . والانسان الذي يعاني من الخيبة الجنسية يعبر عن احساسه بالظلم عن طريق جرائم القتل الجنسية .

وبدا التعب على القسيس ، فانخفض صوته واصبح رتيبا ، وقال :

— من تعاليم الدين ان الناس متساوون جميعا بنظر الله ، وان المتسول ليس افضل من الملك وان الناس جميعهم فانون وانهم خاضعون لصنسوف البؤس ذاتها . فاذا شعر الانسان بهذا كيف تنتابه الرغبة في اغتصاب الطفل ؟

فقال شتاتين :

— صحيح ، ولكن على الانسان ان يكون فيلسوفا ليحس بذلك ، واكثر المرضى نفسيا ليسوا بفلاسفة ...

فقال القسيس بهدوء :

— لكن الانسان اما ان يكون فيلسوفا ... او مسيحيا .

ونهض شتاتين ، وقال :

— لملك على حق ، ايها الصديق . ولكنني اعتقد انه ينبغي علينا ان نشرط الامر الان . اعتقد اننا اخذنا نتمبك قليلا .

ولم يستطع سورم ان يكتفم ابتسامة على ظلم شتاتين له في استعماله

- ضمير الجمع . وقال القسيس :
- كان لطفا منك ان تأتي لزيارتي .
- فقال شتاين مبتسما : يطيب لي ان اراك .
- ثم التفت الى سورم وقال : يعرف احدنا الاخر منذ خمسين عاما .
- فقال سورم بأدب : حقا ؟
- فقال شتاين : اذن ! نتركك الان الى تأملاتك .
- وقال القسيس : تعال نانية يا جيرارد .
- اشكرك جدا ، يطيب لي ذلك .
- هل رأيت أوستن منذ ان زرني في المرة الاخيرة ؟
- نعم . عدة مرات . اريد ان نحدث عنه يوما من الايام ، ايها الاب . . .
- وبالمناسبة ايها الاب . . .
- ونظر بعدم ارتياح الى شتاين قبل ان يتفوه بالسؤال ، ثم مضى في قوله :
- هل تعرف . . . المسز نسن عن . . . أوستن ؟
- وفهم القسيس ما بعينه حالا وقال بسرعة :
- كلا . لماذا ؟
- كنت اتساءل . ان عمته — وهي من شهود بهوه — كانت قد اكتشفت ذلك بواسطة احد اصدقائها الفضوليين . ولكني لا اعتقد بانها ستذكر لوالديه شيئا .
- كان شتاين قد ارتدى معطفه ووقف قرب الباب . كانت قطرات العرق مستقرة على وجهه . كان ظاهرا انه وجد حرارة الغرفة خانقة . وقال سورم :
- حسنا . وداعا ايها الاب . . .
- وداعا يا جيرارد ، وداعا يا فرانز . ارجو ان تزوراني ان مررتما من هنا مرة اخرى .
- فقال شتاين بالامانة :
- اراك فيما بعد ، يا لاري .
- واردف بالانكليزية :
- اني سأزورك بالتأكيد .
- وتبع سورم هذا الرجل القصير القامة العريض المنكبين هابطا السلم .
- وقال شتاين من فوق كتفيه :
- لاحظت انه كان تعباً . انه يتعب بسهولة .
- تماما .
- وخرجا من الباب الامامي . وقال سورم :

- طيب ، وداعا ايها البروفسور . ارجو ان نلتقي ثانية .
- الست ذاهبا في هذا الاتجاه .
- كلا ، هذه دراجتي .
- اه ، معقول جدا . طيب . . . الا تنساركني احتساء بعض القهوة ؟
- فقال سورم :
- يسرني ذلك .
- ودهس سورم لعرض الرجل الالماني . حيث انه عندما كان في غرفة القسيس كان واقفا من انشتاين كان ينظر اليه كسخص ثالث زائد عن الحاجة .
- واحس فجأة بالودة لهذا الرجل القصير . واعاد كلابات الدراجة الى جيبه ومسى الى جنب نشتاين في شارع روزبري ومنه الى طريق فارينكن . وفيما هما يسيران ، راح نشتاين يشرح :
- انا ولاري بلقينا دراستنا معا في روما منذ اربعين عاما . كنت في ذلك الوقت انها لآكون فسا من الجزوت . تصور !
- وماذا حدث .
- اكتشفت مؤلفات فرويد فغربت رأيي .
- وفهقه الرجل الالماني بصوت صادر من حنجرتة .
- اكان عليك ان تدرس الطب ايضا ؟
- درست . كان والدائي يفضلان ان اكون طبيبا بدلا من قس . ولهذا فلم تكن على اختلاف . وغادرت روما الى فيينا لافتش عن فرويد . . .
- كانت المقهى خاليه . وكانت هنالك امرأة تنظف الارض بفرشاة وسطل .
- واسندت الفرسة في احدى الزوايا ثم جفت يديها بصدرينها لنصب لهما القهوة . واخرج نشتاين علبة سيجار وقدمها لسورم . واشعل هو واحدة ثم استلقى الى الخلف في كرسيه ، وراح ينفث الدخان بتأمل ريتما تصل القهوة . وبينما كانت المرأة ننحني بينهما ، نظر الى سورم وسأل فجأة :
- كيف حال اوسنن هذه الايام ؟
- وفاجاه السؤال ، فقال بدهنسة :
- هل تعرف اوسنن ؟
- على . . . معرفة بسيطة به . ولكني اعرف الكثير عنه .
- وادرك سورم بيقين مفاجيء ان ذلك كان السبب الذي دعاه نشتاين من اجله لتناول القهوة . وقال :
- اوه ، انه بخير ، شكرا .

- وشرع يسكب من وعاء الكريمة في فنجاناه وترك الخطوة التالية لشتاين .
 - هل أنت من اصدقائه المقربين ؟
 ونظر سورم في عينيه الزرقاوين النلجيتين ودهش للموقف الدفامي
 الذي تولد في نفسه .
 - اعرفه جيدا نوعا ما . اني شديد الاهتمام به ...
 وابتسم شتاين فجأة ، ومال الى الامام قائلا :
 - لا دامي لان تجزع . اعرف عنه بواسطة لاري . واعرف انه سادي .
 - ما سبب اهتمامك به ، اذا سمحت لي بالسؤال ؟
 - بالطبع . ولكن لا تخبره بما سأقوله .
 - كلا .
 - كان في دوسلدورف مدة من الزمن وكان معروفا لدى الشرطة . ليس
 في الامر شيء خطير ، بالطبع ، ولكنني عرفت بذلك خلال صلتني بالشرطة .
 واستلقى شتاين الى الراء ، وسحب نفسا عميقا من السيجار . وبدأ
 عليه كأن الموضوع لم يعد يثير اهتمامه . وشرب سورم القهوة ، وترك الصمت
 يستطيل . ومضى يتساءل : ترى هل ان شتاين هو من الاشخاص الذين
 يوثق بهم ؟ وماذا كان يتوقع منه ان يخبره عن نسن . والتقت نظراتهما فابتسم
 شتاين ، كأنهما مسافران في عربة قطار واتفق ان يجلس كل منهما في مواجهة
 الآخر . وقسال سورم :
 - ايها البروفسور ، ارجو اجابتي عن هذا السؤال ، ان شئت ... هل
 هناك سبب يدعو اوستن الى التخوف من الشرطة ؟
 فاجاب شتاين على الفور :
 - حسب ما اعلم ، كلا . هل لديك انت اية اسباب ؟
 - كلا . ولكنني لست منحرفا جنسيا ولست ساديا .
 - اه . قل لي اذن ، كيف تكون صديق اوستن ان كنت لا تشترك معه
 بهوايته ؟
 - اتفق اني اميل اليه ...
 - تماما . لا غرابة في ذلك . منذ متى وانت تعرفه ؟
 فقال سورم مبتسما :
 - منذ اسبوع بالضبط .
 واستطاع سورم ان يرى الخيبة وفقدان الاهتمام . واطفا شتاين عقب
 سيجارة وافرغ بقية فنجان القهوة وقال :
 - يجب ان نتحدث الى لاري عن اوستن . انه على معرفة افضل مني

به . ولكن دعني اقدم لك نصحا . قد يخطر ببالك بأن في امكانك ان تنشئ
علاقة مع اوستن بحيث لا تكون فيها اهمية لانحرافه الجنسي ولساديته . لا
تؤمن بذلك . قد يفاجئك يوما .

— اشكرك . سوف لا اخذ العلاقة على علاتها .

ونظر اليه شتاين مليا لحظة وقد اقترب حاجباه الكثيفان . وقال
باقتضاب : طيب .

ونهض والقي ببعض قطع النقود على طاولة البار . وقالت المرأة :
— اشكرك ، يا سيدي .

وعندما صارا في الخارج مرة اخرى ، في طريق فارينكتن الباهت النور ،
فقال شتاين :

— لاري رجل رائع . ولكنه لن يعيش طويلا . اذا كنت تميل اليه
فيجب ان تراه اكثر مما يمكنك .

— سأفعل ذلك . اني اميل اليه كثيرا — بالرغم من اني تعرفت عليه
منذ اقل من اسبوع .

— حقا ؟ انك شخص كثير الاتصالات .

— كلا ، ابدا .

— كلا ؟ حسنا ... يجب ان اودعك الان . سنلتقي ثانية .

وهز سورم اليد التي مدت اليه ، كانت قبضتها شديدة . وظل واقفا ،
يرقب شتاين وهو يمشي باتجاه السارح الذي يحاذي النهر ، وقد القى
برأسه الاشيب الى الوراء .

* * *

واوصد باب غرفته واشعل النار الغازية . كان يحس بالخدر في يديه
وقدميه . كان سرواله مبتلا عند الركبة ، فقد بدأ المطر بالهطول عندما مر
بسانت بانكراس . وخلع سرواله وقميصه وارتدى الروب ثم ملأ الابريق بالماء
ووضعه على النار الغازية . وجلس ومد ساقيه صوب النار . كان اشد نعاسا
من ان يرغب في القراءة ، وادهشه ذلك الصمت الداخلي الذي استحوذ عليه
وهو ينفرس في النار الحمراء . كان تركيزا تاما و يقينا تاما . وراح يحرك
لسانه بين اسنانه فعثر على فجوة في احد الاسنان كانت تحتاج لان يملأها
واخذ يمتص بها . ولم يكن يحس بالعجلة ، ولم ينتبه شعور بالدنب لتسويفه
الامور . ومد يده وتناول الكتاب الملقى على الطاولة — كان عنوانه : « جون
وطسن لوري » — وطفق يقرأ مقدمته . وبعد ان قرأ بضع صفحات منه القاه
على الطاولة . كانت حادثة القتل في اران تبدو عادية مملة بالنسبة لجرائم

وايتنبابل . وغلى الماء فى الابريق . فحضر الشاي نم دخل الفرائس ليحتسيه ، بعد ان اخفض درجة حرارة المدفأة ، وهو يحس بالدفء والاسترخاء النامين . وبينما كان يشرب الشاي شعر بالميل لكتابة شيء فى يومياته ليحاول ان يدون الرؤيا التي كانت تتمطى فيه . ولكن الخوف من ان يحطم الرؤيا بمحاولة فلسفتها ومنطقتها منعه من ذلك . وعندما انهى فدحه وضعه على الكرسي وجلس يحرق فى الجدار المقابل ، ولم يكن يراه تماما ، ولكنه علم أنه بلغ الحالة الذهنية الخلاقة التي كانت تتحاشاه طوال السنة الماضية . وبدأت له حالته مضحكة . كان فى غرفته ، وكان الباب موصدا ، فاذا جاءت كارلونة لنبلغه ببدء تلفوني له فستفرض أنه خارج . واحس فجأة كأن العالم تقلص حتى احتويه جدران غرفته الاربعة . ولم تساوره بعد اية سكون . ان ما حققه هو يقين بوجوده ، استعادة لذائته . ومضى ينأمل : ان الانسان الذي يملك ذائته بملك كل شيء . وعلم ان هذه حقيقة صائبة . ولكن كان من الصعب عليه ان يبقى مستيقظا . وقد اكسبته الرؤيا احساسا بالقبول ، بالوثوق ، اغرياه بأن يضطجع ويفلق عينيه . ووجد نفسه فى عيون الوقت مضطجعا على مرفع يطل على البحر ، وقد ههنته الى النوم اشعة الشمس والهوام ، وظل كذلك وافقا على اسوار القصر فى مايسبناي يستعرض الجنود فى تدريبهم فى ساحة القصر . لقد كان هذا اليقين يستمل على كل النسمم والفلسفة .

ولكي يقهر نعاسه ، فتح الفرامافون ووضع فيه اسطوانة لاحدى مقطوعات سبيلوس ، وركزت النغمات الاولى من السمفونية بصيرته تلك ، وادراكه لماضي . وذكره هذا الاحساس بالحلم الذي راه عن نسن فى الماخور ، وقاده نسن الى التفكير بنجنسكي . لقد احس بان كل ما كان نجنسكي يمله بالنسبة اليه قد ترك فى عاطفة واحدة - تلك هي الايمان ، الايمان بنفسه ، والايمان بالحياة والايمان بالله . واحس كأنه يقول : اني اقبل الحياة . اقبل كل شيء .

وراح يفكر ، بدهشة فارغة : لقد اسعدتها . لقد اسعدت ذاتيتي . لم استطعت ان اعيش دائما على هذا النحو ، لما شككت ابدا .

اللاحقيقة . اللاحقيقة هي فقدان الذاتية . عشت خمس سنين فى تدريبهم فى ساحة القصر . لقد كان هذا اليقين ينمل على كل السمر والفلسفة . مدينة لا حقيقية . انها الان مدينتي انا .

وبدا يحس بأن من العسير عليه ان يحتمل الرثبا . وراح يبدل جهدا عقليا ليبتعد عنها ، وذلك بأن يسد عليه منافذ مدركاته . وهيمن عليه نوع من

الظلام البارد . وعندما انتهى الشوط الاول من السمفونية مد يده واطفا
الغرامفون ثم استلقى .
وقبل ان ينام اعد الساعة لتوقظه في الساعة الرابعة والنصف . وتذكر
كارولين واحس بالانهاك والنقاء ، وطاب له التفكير فيها .

* * *

عندما استيقظ الفى النار منطفئة ، وقد اخذ الظلام يزحف على المساء
الشتائي . لم تكن الساعة في الرابعة والنصف بعد . فمد يده الى الساعة
وضغط على الزر لكي يمنع جرسها من الرنين ، ثم نهض من الفراش وفتح
النور . واخرج سرواله الجديد من دولاب الملابس ولبسه ، كان السروال
الاخر لم يزل مبتلا عند الركبة . وبينما كان ينقل ثقبه الى السروال الجديد
ويبحث عن شلن لوضعه في مدفاة الغاز عطس عطسة فشعر بصفاء في رأسه .
ثم ملأ قدحا بالماء وراح يسربه مرة واحدة دون ان يبعد القدح عن فمه ، فبدد
اخر ما علق في رأسه من النعاس وكانت حالة اليقين التي احس بها لم تختف
بعد . ولبس سترته ثم تناول معطفه الثقيل من دولاب الملابس وهبط السلم .
كان الهواء يتنفس برائحة الشتاء - مزيج من الدخان والبرد والغروب . وراح
يمشي في شارع اوكسفورد الكبير مارا عبر واجهات الحوانيت المضاءة ، ووجد
من الضروري ان يكبت رغبته في الضحك بصوت عال .

ولما عاد الى غرفته كانت الساعة تشير الى السادسة الا ربعا . كانت
الحوانيت تعج بالزبائن الذين اجلوا التسوق الى مساء الجمعة ، وكانت عليها
لافتات كتب عليها : « اقتن حاجياتك لعيد الميلاد مبكرا » . ووضع زجاجتي
النبيد الابيض على عتبة السباك ، بالقرب من السباك المفتوح . ثم قضى ربع
الساعة النالي بكنس الغرفة وتنظيف الكتب وتنظيم الفراش باغطية نظيفة . وجمع
الصحون الوسخة ، التي تركت منذ عشاء الليلة الماضية ، والنقط كذلك الاكواب
والاقداح وصعد بها الى المطبخ . وربما يغلي ابريق الماء ، راح يقرأ الجريدة
المسائية ، وهو يجلس على حافة الطاولة التي طلى اعلاها بالمينا . كانت
الصفحة الاولى منفردة للرسالتين اللتين استلمتهما الشرطة وقد نشرت
بالنص . وقد نشرت كذلك صورة احدهما وكتب تحتها : هل تعرف هذا
الخط ؟ كان الخط لا يدل على ان الكاتب مقف ، وكانت في الرسالة بقعتان ،
ولكن لم تكن هناك طبعت اصابع مرئية . كان هذا نص الرسالة الاولى :

« عزيزي الرئيس ، الشرطة اذن تبحث عني طولا وعرضا ، اليسس
كذلك ؟ عليها ان تجهد نفسها للنعور على صديقهم القديم لانه يتحاشى رجال
الشرطة ولكنه سبمتكم بطبخات فيها المزيد من التوابل اذا لم تحاولوا ان

تجهزوا عليه . انه ، في المرة القادمة ، سيقطع اذان النساء ويبعثها لكم . انا لست شيعوياً ، وعليه فلا تدعو هؤلاء المجانين ينالون المديح لمخاطر تجشمتها انا - خادمكم المخلص : الفوطة الجلدية . ملاحظة : ارجو الاحتفاظ بهذه الرسالة حتى تستطيع ان اقوم باعمال اخرى » .
وكانت الرسالة الثانية اقصر من الاولى :

« عزيزي الرئيس ، انا لم اكن مازحا عندما وعدتكم باعمال اخرى . ولكن احدهم قاطعني اثناء العمليتين فلم احصل على الاذان . سارسلها فيما بعد . وقد حصلت على المادة الحمراء الحقيقية لاكتب لكم هذه الرسالة ولكنها تختبر . اشكركم على الاحتفاظ برسالتى الاولى . خادمكم المطيع : الفوطة الجلدية . »

واشارت الصحيفة الى ان الرسالتين كتبتا بالحبر الاحمر وان كليهما لا تحملان طبعات اصابع .
- هلو ، جيرارد !

وافزع الصوت الذي صدر من اسفل السلم . وعندما اقبلت عليه قال :
- يا الهي ، ايتها العزيزة ، كدت تسببين لي سكتة قلبية .
- اسف .

واحاط بيديه معطفها السميك وقبلها ، ثم رفع ياقته الكبيرة وشدها على اذنيها وهو يقبل انفها البارد وجفنيها . وقالت :
- ممممم ! تحتاج الى حلاقة .

- اعلم . كنت على وشك . .
- هل اعاونك في المطبخ ؟

- كلا ، اشكرك يا عزيزتي . يمكنك ان نذهبي وتجلسي امام النار وتضعي بعض الموسيقى .

وهمست وهي تمر بشفتيها على خده :
- انا لست عائدة الى البيت هذه الليلة . لقد قلت لوالدتي بان عندنا حفلة ساهرة حتى الصباح .
- طيب .

وسألت :
- لسم تبسم ؟
- افكر في جيرتزدود . نرى ماذا ستفكر لو اكنشفت الامر ؟

* * *

بعثت اضعاء النيون في كامدن تاون الشعور بالرضى في نفسه . ومشى وذراعه يلتف حولها ، واحس بالارتياب من المتعة التي كان يحس بها وهي الى

جنبه . لم يستطع ان يتناسى ابدا افتقارها الى التجربة ، وبأنها اقل منه سنا
بعشر سنين . وقالت :

— عزيزي ، احس اني تملة الى حد فظيع .

— لا تكترتي . نامي وسيدهب عنك .

— الا تعارض صاحبة البيت ، تعتقد ؟

— لن تعلم بالامر . لن يعلم احد اذا غادرت في وقت متأخر قليلا .

وشعر بنوع من الاشفاق عليها . افتقارها الى التجربة جعلها تقدم
نفسها له دون قيد او شرط ، كان شيئا لطيفا ولكنه مخيف قليلا .

وفتح الباب الامامي بهدوء ودفعتها امامه . وفيما هما يصعدان السلم
رن جرس التلفون . وقال مزجرا :

— او ، يا للمسيح ، ارجو الا يكون اوستن .

اذهبي الى غرفتي ، عزيزتي ، سارد عليه .

وقال ، هـلـو ؟

— هل يمكنني ان اكلم كارلوتة ، رجاء ؟

— سأناديها .

واخذ ينادي في الطابق السفلي : كارلوتة !

ثم عاد يصعد السلم ويتمتم بصوت خافت : شكرا لله !

كانت راقدة على الفراش ولم تزل مرتدية معطفها ، وقالت :

— اوه ، يا عزيزي ، اشعر اني تملة جدا ...

— طيب . اجلسي ، تسعين بسكر اشد اذا اضطجعت .

وجمع الصحون الوسخة من الطاولة وزجاجتي الشراب الفارغتين واخذها
الى المطبخ . وخلص الصحون مما علق بها في سلة الاوساخ ثم وضعها في
المغسلة . ومن شدة النعاس تقاعس عن الذهاب الى الحمام لاحضار الماء المغلي .

ولما عاد الى غرفته وجدها في الفراش . وشعر بالخيبة ، لقد كان يتمنى
ان يتأملها وهي تنعري . كانت ملابسها ملقاة على الكرسي . وكانت هي ترقد
على السرير وقد ادارت له ظهرها ودفنت وجهها في الوسادة . وابتسم لهذا
الوجه الاشقر الذي اختفى اكثره تحت الاغطية . كان في عدم محاولتها لاضفاء
اي غموض على انوثتها شيء طفولي يثير الحنان . ولم تكد تمر ثوان معدودات
حتى كان يرقد الى جنبها في الفراش ، وقد لامست ذراعاها العاريتان كتفيها
العاريين فاهتز لذلك .

وكان على حق في فرضه ان نعاسها لن يمنعها من ادراك غرابة موقفها
وهي تضطجع مع رجل للمرة الاولى . فاستدارت في الحال وطوقت رقبتها

بدراسها . فأحس بالنسوة تغلي في عروقه ، وتذكر فنسل محاولته عندما كانا في العوامة وبعدئذ في سريرها عند العمة جيرترود كوينسي ، ومن ثم شغوكه بأن قد يحدث ما يمنعه إلى الأبد من الاستمتاع بدفع جسدها إلى جواره في الفراش . لم تكن هذه السكوك صائبة ، وقد بدا له أن ادراكه لذلك تضمن حقائق عامة ، ولكنه كان أكثر هيجانا من أن يبدأ بتحليلها . وظلا راقدين هنالك في الظلام ، لا ينبسان بكلمة ، وانما يتحسس كل منهما جسد الآخر . وسُعر في تلك اللحظة بالرغبة في أن يحتويها بجسمه ، وإن يندمج بها كلبة . فأوقفه عندما هم بدفع جسده عبر جسدها ، وقالت :
 — هل ... هل الأمر مأمون ، يا عزيزي ؟ فلا أريد طفلا الآن .
 — سيكون كل شيء على ما يرام ... لا تقلقي ...

* * *

وسمع من بعيد صوت ساعة تدق الثالثة ، فما هو يحدث في الظلام . وظنها راحت في اغفاءة ، فقد كانت انفاسها هادئة . ولم يكن يحس بالهيج الان ، ولا بالقربية إلى جانبها . وظل مضطجعا على ظهره ، وتذكر مناسبات سابقة مماثلة ، والعنف الذي بوره المشاعر التي لا تجد لها متنفسا ، والسي ينسى كل شيء عنها في اليوم التالي ، ما عدا ما تكنفه وهي في اندفاعها المدفوق من جوانب نفسه التي لم يسبر غورها بعد . وتذكر الفتاة التي رآها في الشارع المحاذي للنهر والتي طار رداؤها حتى أعلى رأسها ، وحس السهوة السي انارها ، واخذ ينامل : لعل هذا هو الجنس ... انه حمى . انه خداع . فلو كانت تلك الفتاة هي كارولين لشعرت بنفس السهوة نعتريني . ومع هذا ، فهي ترقد الآن هنا ، وأناي أحس بالهدوء . لعلني اكسب نقتها كي اخذعها ؟ ولنفرض اني افلحت اذا ما حاولت مرة أخرى . فماذا سيكون عليه الفرق ؟ انها ستكون « خليلتي » ، هذا كل ما في الامر ، ستكون رمزا لقواني ، ولنجاحي . ولكن هل سنهبط علي احياءات جديدة وأنا اغازلها ؟ هل سأحس بانني تجددت على نحو غريب ، وكان الخلود قد مسح جيبيني ؟ وما رأيك في كل ما تحدث عنه د. هـ. لورنس ؟ انه كان مجنوناً ودجالاً . يمكن ان يكون جبدا بالطبع ، ولكن ليس إلى هذا الحد . لا يكون جيذا بحد ذاته أبداً ، وانما كجزء من اهدافك الكبرى . ان الاتصال الجنسي مجرد طاقة خام ، ضوء وحرارة . وما يجعل منه امرا مهما هو المثل التي ينيرها .

وجلست فجأة ، فقال : — ما الخبر ؟
 — أريد أن اذهب لشأني ... سألبس معطفي ...
 — خذي مصباح دراجتي . انه فوق المكتبة .

وتمدد في الفراش . كان سريرا لشخص واحد ولكنه واسع ، يكفى لاثنتين . وانتابه احساس بالترف وهو يستأثر به لفترة قصيرة . لم تكن الغرفة مظلمة . كان يمكنه رؤية انحناءات ملابسها على الكرسي . فمد يده وراح يتحسس بين ابهامه واصبعه الاخر النعومة الحريرية التي ينيها ثوبها الداخلي . فذكره بسفرة بالقطار قام بها بين ليفربول ولندن . كانت هنالك طالبتنا مدرسة نجلسان امامه ، كلتاهما في حوالي الرابعة عشرة ، وترتديان ملابس العطللة وهما نحملان حقائب كبيرة . كانت احدهما رشيقة القوام الى حد كبير ، وكانت ترتدي تنورة صوفية بنية ، وقد انزلت حوالي بوصتين الى اعلى ركبتيها ، فكتفت عن رداء داخلي من النايلون ذي حافة موشاة بانقان مفرط . وكان جورباها ، وكان من الواضح جيدا ان يتفقا والمناسبة ، من النسيج الخالص . وشعر انها كانت تحس بالزهو لهذه الحافة الموشاة في ثوبها الداخلي ، حيث انها لم تقم الا بمحاولتين باردتين لتسدل تنورتها طوال السفر التي دامت اربع ساعات . وحاول في اول الامر ان يفض الطرف عن المنظر ، واحس بالخجل من الرغبة التي تنحنت في اعماقه . وحاول ان ينظر من خلال النافذة ، وترك لخياله العنان ليتخيلها بين ذراعيه . واخيرا ، امتلكها كليا في خياله حتى شعر بهزة من الدهشة عندما التفت اليها ونظر الى قطعة النايلون الموشاة المغرية ، وادرك انها لم تزل انسانا غريبا عنه . والتقت نظراتهما مرة ، فأشاحت بوجهها وقد احمرت خجلا . وادهسه انها مع ذلك لم تكلف نفسها اخفاء الحافة المزركشة التي توشي بغرف النوم والاستسلام . وعندما هبط في بادينغتن ، امسك بحقائبه واندفع الى الرصيف وقد تملكه شعور مفاجيء بانها ستركب نفس الباص وتجلس امامه ثانية لنصف ساعة اخرى ، لتطبع صورتها في ذهنه الى الابد . ولكنه لم يرها ثانية .

ولو كانت هي نفسها الفتاة التي كانت تضطجع بجواره الان والتي تركت ملابسها على الكرسي الى جانب السرير ، فلا يستطيع اي اشباع للرغبة ان يعيد اليه هذا التوتر النفسي الذي حدث له وهو يسافر في مواجهتها من ليفربول الى لندن . لقد كان ذلك خدمة ، رغبة دون هدف .

وعادت كارولين الى الغرفة . واحس بجسدها باردا عندما تلامسا . واخذ يقبلها بقوة . وهو يبتهج للسهولة التي تدفقت فورا في عروقها فجعلتها تضغط بجسدها عليه . ولم يأت هذه المرة بحركات مفاجئة ليفزعها ، واكتفى بملاطفتها بيده وهي ترقد الى جنبه . . .

الفصل الثالث

واصرت على أن يبقى في الفراش ربما تحضر الساي . غير أن فكرة رؤيتها تروح وتجيء وهي ترتدي روبه ازعجته ، ولكن سرورها كان من الوضوح بحيث انه لم يشأ أن يوقفها . وجلس في فراشه ، محاولا أن يقرأ ، وقد انصرف نصف اهتمامه الى القراءة ، بينما راح ينتبه الى صوت كاليه يتحرك في الغرفة المجاورة أو كارلوتة تنظف السلم . كانت كارولين في الحمام . وبعد لحظات خرجت واخذت ترقى السلم وسمع في الوقت نفسه صوت خطوات أخرى تصعد الجزء الاول من الدرج . فسألها وهي تدخل الغرفة :

— من كان ؟

— من كان من ؟

— ذاك الشخص ؟

وسمع صوت وقع الاقدام امام غرفته ثم على الجزء الاخر من السلم فقالت :

— لا اعلم فلم انتبه .

— لعل كارلوتة ذهبت لتنظف غرفة الرجل المعجوز . او ربما قدم مستأجر جديد .

وتحركات الاقدام على الارضية فوقهما . وقال :

— تبدين حلوة في هذا الروب ، ولكن ينبغي ان يكون اقصر من هذا قدما واحدا .

وجلست على حافة السرير وقبلته . كانت تبدو ، حتى بدون المساحيق وبسعرها الاشعث ، وردية البشرة كأنها طفل .

— كيف تشعرين اليوم .

— اشعر بالضيق . ولولا ذلك لكنت بخير .
 — منعبة ؟
 — كلا . سأدخل الفراش ان اردت !
 وسحبها من كنفها الى الخلف وقبلها . وسمعا قرقرة شديدة في
 الغرفة العليا . فنظر سورم الى السقف وقال :
 — هل انت هناك ، يا حلوه ؟
 كان هنالك دوي يسبه صوت كرسي يجر على عجلات .
 وقال كارولين :
 — اعتقد ان الفتاة ترتب الغرفة . دعني انهض . ساحضر الناي .
 وراح يرقبها وهي تقف على طنفسة الموقد تضع الناي بالملقعة في
 السرس الكبير ، وهو يحاول ان يحلل الانفعالات التي كانت تثيرها فيه . لقد
 سره ان يضطجع معها ، وسره ان يتعرف على جسدها الان — غير ان هذا
 كان كل ما في الامر . انه لم يحس باتساع اعرق من ذلك ، لم يحس
 بهدئة للجوع . كان شيئاً لا يمكنه تعريفه ، قد اقلقه . اذ لم تترك له
 التجربة شيئاً سوى قليل من النعب الجسمي . وقال في نفسه : وماذا
 اريد ، على اية حال ؟ ماذا يريد جميع الرجال ؟ ان هذه الحاجة عامة بين
 الجميع ! كارولين ...
 كانت ترتدي ملابسها ، وهي تقف عارية الجسد على طنفسة الموقد
 امام النار الغازية ، كانت تندس في ملابسها دون اي حياء . انها ولدت
 لتقوم بدور الخيلة ، او الزوجة فالامران متساويان ، على ما اظن . انها
 تريد زوجا ، وتحسب انها عاشقة .
 — ولكني لا اريد ان اكون زوجا — زوجا صالحا ، كلبا امينا .
 انا انطوي على اكثر من انسان واحد . انا بحاجة الى التعبير عن
 نفسي . وذلك بان يرقد جسدها تحت جسدي . والا فكيف ؟ ارقب
 الفجر ينبلع فوق مايدروك تسو أو ساديا . ولم لا يكون اسلنغتون او القبتار
 لويلزي ؟
 ... من اسلنغتون الى ماريلبون .
 والى تل بريمرز وغابة القديس يوحنا .
 كانت تغطبها الاعمدة الذهبية .
 وهنالك كانت تنتصب اعمدة اورشليم .
 ولا يستطيع القتل . ان الحياة تبتهج للحياة . لذي اكثر من الحاجة .
 مرتاح اكسر مما ينبغي . انا بحاجة الى معركة اخوضها . وطبقت كبسولة

الملابس عند خصر تنورتها برنة معدنية . وصبت الشاي في القدحين خلال مصفاة . وقالت :

— اود لو يمكننا الرحيل الى محل ما . لفره طويلة . . . ما اجمل ان نعيش معا !

فقال مبتسما :

— لم لا ؟ يمكنك الانتقال عندي .

— وصاحبة البيت ؟ وامي ووالدي ؟ والعمة جيرترود ؟ واوسنن ؟

— طيب ، وما دخل اوستن ؟

— انه يحس بالفيرة .

— اتك في ذلك . . .

وفيما هو يهم بتناول قذح الشاي منها ، طرق احدهم الباب ، فقال بصوت خافت :

— اوه ، يا للسماء !

وقفز من الفراش واختطف الروب من على مسند الكرسي ، فقد خسي ان يفتح الباب قبل ان يتمكن من الوصول اليه . وكان يعقد شريط الروب وهو يفتح الباب فقالت كارلوتة :

— احدهم يطلبك على التلفون . .

— اوه ، شكرا . .

ومالت اليه وقالت :

— لقد . . .

واومات براسها في اتجاه السلم . واخذ سورم يحرق في وجهها دون ان يفهم .

— ماذا ؟

فقالت ، كأنها تشرکه في مؤامرة :

— لقد عاد !

— من ؟ ارجو ان لا يكون الرجل العجوز ؟

فاومات بالايجاب . كان موزعا بين الانكار الغاضب وبين خوفه من ان تطل في الغرفة فترى كارولين . فقال :

— او ، يا الهي . . . ينبغي ان اذهب لاجيب التلفون .

واومات براسها باستجابة ، وهي تبسم . كان ابتسامتها مفعمة بالودة والالفة على نحو لم يالقه من قبل ، فزاد ذلك من قلقه لاحتمال ظهور كارولين فجأة خلفه . وتمتم قائلا :

- سأذهب لاليس نعلي ...
- واغلق الباب . ورفع أصبعه الى شفثيه مشيرا الى كارولين ان لا تنبس بكلمة ووجد نعليه . ولحق بكارلوتة على منتصف السلم .
- هل تعلم المسز ميلر بعودته ؟
- اوه ، اجل . هي التي بعثته .
- لا شك انها مجنونة ! الا تخشى ان يشعل النار في بيتها ؟
- والتفتت الفتاة ونظرت اليه ، وكان في عينيها هزء غريب . اذ افسد وجهها عبوس غريب اكسبه مظهرها شيطانيا . وقالت بهدوء :
- لقد رفعت ايجاره !
- وقبل ان يجيب ، كانت كارلوتة قد ركضت نازلة السلم الى الطابق السفلي ، وتركته يحدق في سماعة التلفون التي ترقد على طاولة الصالة .
- هلو ؟
- هلو جيرارد . اوستن يتكلم .
- اوه ، هلو ، كيف حالك .
- بخير . اسمع ، هل يمكنك تناول الغداء معي اليوم ؟
- ... نعم ، اعتقد ذلك . هل من سبب خاص ؟
- نعم . اريدك التعرف على صديقين لي ؟
- من هما ؟
- كاتبان امريكيان .
- هل اعرف احدا منهما ؟
- لا اعتقد ذلك . انهما شابان ، واعتقد انك ستجد متعة في لقائهما .
- انهما ينتميان الى جماعة تدعى «متمردو شيكاغو» .
- هل يمكنك المجيء عند منتصف النهار ؟ سنحتسي بعض الشراب ثم نذهب الى سوهو .
- طيب . شكرا ، وبالمناسبة ، لم اشكره لتلك الليلة .
- تشكرني لجعلك تتقيأ من المرض ، تعني ؟
- كلا ، ولكن ... لقد كنت طيبا حقا .
- كلا ابدا ، ايها الصبي . سأراك فيما بعد ، حسنا ؟
- وعاد الى غرفته وقد اذهله كيف انه لا يمكن لاحد ان يتكهن بطباعه
- ن ، فقد كان اخر مرة اتصل بها تلفونيا يلوح كالطفل المدلل ، والان يبدو كالاخ الاكبر الذي يرعى اخاه الاصغر .
- من كان على التلفون ؟

- اوستن .
- هذا الشيطان !
- دعاني لتناول الغداء معه . ولكنني استطيع ان الغي الموعد ان اردت ان تكون معا .
- كلا ، لا تفتح ، يا عزيزي . ينبغي ان اعود الى البيت ، والا فسيحاول والداي الاتصال بالصديقة التي يفترض اني قضيت الليلة معها ! وسحبها اليه وقبلها . كان لشغرها مذاق الشاي الدافئ . وساوره شعور مترف ان يحس بدفئها يسد على جسده . وسرى احساس ينسبه التبار الكهربائي في صدره وفخذه . وقال بصوت غليظ :
- ما اسخف ان نلبس ملابسنا .
- ورقدا جنباً الى جنب وهما ينظران الى السقف . وقال :
- لقد عاد هذا الحيوان الى الطابق العلوي .
- هل انت واثق ؟
- نعم .
- ونهض مستنداً الى مرففه وذاق الساي الفاتر .
- وقالت :
- ساهيء لك قدحا اخر .
- لا تكلفني نفسك . اتعلمين ، اعتقد بانني سأسال اوستن اذا كان يعرف شقة اخرى . يملك والده نصف ماريلبون . لا اعتقد اني اسطيع ان اتحمل هذا السكر العجوز اسبوعا واحدا . انه سيحطمني .
- وطرق احداهم الباب ، فافزع سورم . فهمس في اذن كارولين: ششش!
- وانزلق خارجا من فراشه وارتمى الروب .
- كان يتوقع ان يرى كارلوتة ولكنه وجد الرجل العجوز . كانت عيناه اقل بللا . وكان يرندي بدلة صوفية نلوح من النوع الجيد وقميصا نظيفا . وابتسم بحياء :
- اسف لازعاجك يا سبدي ولكن هل لديك علبة ثقاب ؟
- كان صوته واضحا رصبنا . وبحث سورم في جيب روبه نم ناوّه علبة الثقاب .
- اشكره ولكنني لن اخذ العلبة كلها . . .
- لا يهم . انها نكاد تكون فارغة .
- وابتسم الرجل العجوز ، كأن لهما سببا سريا يدعوهما لتبادل

الاعجاب . ووضع العلبة في جيبه . وراح يجرجر قدميه بثاقل .
وقال سورم : - أرجو أن تكون أحسن الآن .
- اجل . شكرا .
وكان كلمات سورم وضعت حدا لتردده فالتفت ومضى مبتعدا .
وفيما كان سورم يهم بفتح الباب ، التفت العجوز ، وابتسم بنظرة اعتذار
وقال :
- لعلك تريد قراءة جريدة الصباح ؟
وسحب من جيبه جريدة مطوية وناولها لسورم - ثم اختفى على
عجل ، كأنه يخشى أن يكون قد اقتترف خطأ .
وعاد سورم الى غرفته وفتح الصحيفة . فقرأ العنوان التالي : القاء
القبض على الزوج في حوادث القتل في غرينتش .
- من كان هذا ؟
فقال وهو يرفع وجهه الى السقف :
- هو .
- يبدو في حال جيدة .
- آوه ، اجل . انه يبقى في حال جيدة الى ان يبدأ بالشرب . وهو
يترب بلايا وعشرين ساعة في اليوم .
ووقف بالقرب من الطاولة يقرأ الصفحة الاولى . وكانت كارولين
ترندي ملابسها مرة اخرى . وقال :
- اذن فهو لم ينتقل ابدا .
- من ؟
- مجرم وايتشابيل .
وفيما هو يلبس حذاءيه ، قالت فجأة :
- ينبغي ان تشتري لك شقة في وايتشابيل . يمكنني ان اراهنك على
ان قيمة الاملاك قد هبطت منذ تلك الحوادث .
- ملاحظة تدل على الذكاء ، يا عزيزتي .
- الا تعتقد ذلك ؟
- لم لا ؟ لعل اوستن واباه مشتركان في ذلك - اوستن يقتصر
جرائم القتل وابوه يشتري العقارات بأسعار منخفضة .
فقال وقد قطبت جبينها :

— ولكنني لا اظن ان في وسع اوستن ان يقتل النساء . الا تعتقد ذلك ؟

— لست ادري . سأسأله عندما اراه .

* * *

وتأخر في الوصول الى شارع الباني بنصف ساعة . وقال البواب :
— اه ، المستر نن في انتظارك ، يا سيدي . وانك لم تأت بالسيدتين معك اذن ؟

— كلا . ألم يصلا ؟

— ما كانا قد وصلا بعد ، عندما اتصل بي المستر نن تلفونيا منذ خمس دقائق .

وفتح نن الباب ، فقال سورم على الفور :

— اسف لتأخري .

— لا يهم . انهما ايضا لم يصلا بعد . كيف حالك ، يا جيرارد ؟ يلوح عليك التعب .

— من جراء العكوف المهلك على الكتابة ، حسب ما اظن .

— ويسكي ؟

— شكرا . وبالمناسبة ، يا اوسنن ، اردت ان اسألك عندما نكون وحيدين ... هل تعرف اذا كانت في هذه المنطقة شقق او غرف غير مؤثثة ؟ لك ؟

— نعم . اني افكر في تغيير مسكني .

— ولكنك كثير التنقل .

— اعلم . هل تذكر الرجل العجوز الذي حدثتك عنه ؟

— نعم . هل خرج من المستشفى ؟

— فأوما سورم بالايجاب ، وقال :

— وصل صباح اليوم . ولذا فاظنه سيحرمني من النوم حتى يقع له حادث اخر .

وجلس نن على الكرسي الكبير واتصل سيكارة .

— السبل والوسائل موجودة دائما ، اليس كذلك ؟

وقال ، بعد ان رأى الحيرة ترسم في وجه سورم :

— يمكننا ان ندبر حادثا له ، الا تتفق معي ؟

— هل انت جاد ؟

— تماما . مثلاً . . .

ورن جرس الباب ، فذهب نن نحوه . واثناء اللحظة التي ظل سورم فيها لوحده اخذ يحدق في قضبان المدفأة الملتهبة وراح يتساءل : ترى اى جانب من شخصيته يتهاى نن ليكشفه له . وتناهى اليه صوت امريكي اللهجة يقول :

— هاي ، ايها الرجل ! سعيد برؤيتك .

ودخلا الغرفة يتبعهما نن . وقال نن :

— اقدم لكما جيرارد سورم . جيرارد ، اقدم لك كال تيشميسير

ورودي جيمس .

وقال اقصر الرجلين ، الذي يسبه الايطالبيين ، بلهجة ودودة :

— هاي ، جيرارد . كيف حالك ؟

اما صديقه فقد مد يده من فوق الكرسي وربت على كتف سورم قائلاً، بلهجة عميقة لطيفة :

— مسرور برؤيتك ايها الرجل .

وارتمى على الكرسي الذي كان نن قد اخلاه وترك ذراعيه يسقطان باسرخاء على مسنديه . كان وجهه مستطيلاً غائر الخدين وقد نبت على ذقنه اشعر اتقر لم ير الحلاقة سند ثلاثة ايام . وكان ، كزميله ، يرتدى سره جلدية تحتها فمبص ذو الوان زاهية . وجلس الرجل الذي يشبه الايطاليين الى جوار سورم على الديوان ، قائلاً :

— ماذا ندعوك — جيرري ؟

— يمكنك ان تدعوني كذلك ان اردت .

— طيب . انا كال ، وهو جيمي .

وهتف نن ، وهو يقف الى جوار الدولاب :

— ماذا تسربان ؟

— الديك ويسكى بوربون ؟ .

— نعم .

واسندار جيمي في كرسيه ونظر في دولاب المشروبات وصفر

بصوت حاد :

— هي ، انظر الى هذا الرجل المجنون ! لديه عشرون زجاجة شراب

هناك ! بسنقبلنا حظ سعيد ، ايها الصبي ، وا هوووو .

وقفز من كرسيه وراح ينطنط صوب نن ، وامسك باحدى الزجاجات

- وراح يقبلها بلهفة ، وقال بصوت اجش :
- ـ ياها الصبي ، يسرني ان اراك !
- وسأل كال سورم :
- ـ هل انت كاتب ؟
- فهز سورم كتفيه وقال :
- ـ ليس الى الدرجة التي تستحق الحديث منها . ماذا تكتب انت ؟
- ـ انا اكتب الروايات . وجيمي ذاك يقرض الشعر . لقد اسس مدرسة خاصة به ...
- فقال جيمي :
- ـ او ... لا
- ـ ... التي اشار اليها صديقنا ومرشدنا الودود البروفيسور تريلنك .
- فصاح جيمي :
- ـ ابن الكلب ! ...
- ـ ... على انها مدرسة الزحار في الشعر !
- وانطلق ضاحكا ، كانت ضحكة عالية مفعمة بالهزات والزعيق ، ذكرت سورم بسيارة قديمة تتعثر على طريق وعر . فقال جيمي بقصد الانتقام :
- ـ اجل ، وهل تعلم ماذا قالت مجلة « تايم » بصدد رواياته ... ؟
- وناوله نن قدحا مليئا الى منتصفه بالويسكي . فامسك به ، واخذ يتشمه بانثشاء وسكبه في فمه على الفور . وقال بلهجة عاطفية :
- ـ اوسن ، اني احبك ان هذه الخمرة تساوى تمنها حقا .
- وجعل نن يصب له المزيد من الويسكي ، وقال متصنعا الحدة :
- ـ من يكثرث لما بقوله النغول ؟ فكما قال عمر الخيام : « القافلة تسير ، فلتنبج الكلاب » .
- وناول نن لكال قدحا ، وسأل بجد :
- ـ هل كنتما تنربان قبل ان تأتيا ، ايها الصبيان ؟
- فقال كال :
- ـ اوه ، انه ليس ثملا . انه دائما على هذا النحو . الست كذلك ، دادي ؟ لقد كان يرثر طول الليل .
- فسأل سورم :
- ـ عسم ؟
- ـ اوه ، يا الهي ، عن شيء ما .

- فسال جيمي :
- اين تضع اسطواناتك ؟
- هنالك .
- وقال كال :
- حدثه احدهم عن ميريجكوفسكي او لست اعلم ماذا ، كيف ان الروس اعتادوا ان يجلسوا حتى الصباح ، فاذا ما تشاء احدهم ، يقولون له . .
- وصاح جيمي :
- هي ، انظر ، دعني انا اقص الحكاية . اصغ ! انهم يبقون طول الليل يتناقشون فاذا ما اقترح عليهم احدهم غلق الموضوع ، اتعلم بماذا يجيبون ؟ « لا يمكننا النوم بعد . لم نقرر بعد اذا كان الله موجودا » .
- واطلق صغيرا حادا من الفرع ، والتفت الى درج الاسطوانات . وقال بعد لحظة باعجاب :
- هي . ايها الرجل ، لديك كل هؤلاء ! مايلز ديفيز وديزي و . . . واو ! . . . المجموعة الكاملة لموسيقى بيرد . يمكننا عزف بعضها ؟
- وقال تن بحذر :
- الاتعتقدون انه ينبغي ان نذهب لناكل شيئا أولا ، الساعة تجاوزت الواحدة .
- فقال جيمي :
- لنسمع اسطوانة فقط ، وجها واحد من بيرد . تم بعد ذلك نستطيع الذهاب للرعي .
- وقال كال سائلا سورم :
- هل تتذوق الانواع الجديدة من موسيقى الجاز ؟
- اننا . . .
- وقبل ان يجيب ، طمس الغرامافون صوته . واستلقى جيمي على الارض وضرب برجله في الهواء ، ثم صاح : « ايتها الاجراس ، داداي - اووو . . . ! »
- ومال كال وصاح في اذن سورم :
- هل انت من المغرمين بموسيقى الجاز ؟
- ليس كثيرا . يعجبني بيكس بيدربيك .
- فصاح كال :
- عظيم !
- ثم اشار الى جيمي واردف :

— ولكن جيمي لا يميل اليه ، يعتقد غناؤه جافا .
ونظر سورم الى ساعته بحذر ، متسائلا متى يمكنه الخلاص من هؤلاء . وقد ترك هذا الضجيج وهذه اللهجة الغريبة في نفسه الانطباع بانهما يتعمدان الفات النظر اليهما . ورفع بصره فوجد نين ينظر اليه باهتمام : كانت عيناه البنيتان ناعمتين كعيني حيوان وفيهما من الرقة والازدراء والمداعبة ما في عيني اله وثني . ومرت بسورم لحظة احس فيها بالخسوف الغريب والخضوع اللذين كان يحس بهما في حضور نين ، الاحساس بوجوده مع شخص من نوع اخر . واغلق نين عينيه واسترخى في كرسه .

وعندما انتهت الاسطوانة ، اعتدل جيمي ، وقال بحزن :

— لقد افل نجم شارلي . لقد قتل نفسه .

ونظر الى سورم ، فرأى سورم فيهما الصدق . وسال :

— ماذا حدث له ؟

فقال كال باقتضاب :

— ادمان على الخمر ، والنط .

فقال جيمي :

— هذا الرجل القصير السمين . كان عذبا ، ولكنه متقلب المزاج . كنا نعرفه في الضفة الغربية .

واطفأ نين الغرامافون . وقال :

— لنذهب ونأكل . احس بشراهة .

وتبعهم سورم خارج الغرفة . ومسى جيمي بكسل وترهل كالقرد . وتسأل سورم ماذا كان يعني كال بكلمة « النط » وخمن انه يعني بهما الرقص ، واورثته فكرة الرجل السمين الذي كان قصيرا برقص حتى يموت على انها تبعث على الكتابة الى حد غريب .

* * *

وتوقف الرجلان الاميركيان عن الكلام اثناء الاكل ، وراحا ينسفن الطعام بشراهة ، فظن سورم انهما لم يتناولوا لقمة واحدة منذ ايام . بيد انه لما قال نين عرضا :

هل انتما جائعان ؟

فقال كال :

— لقد تناولت فطورا ضخما . وهذا ما يجعلني نهما للطعام طول اليوم . وكانا يحتسيان الخمر كأنها بيرة ، جرعات طويلة . وقال جيمي فجأة : — مشكلتكم انتم معشر الكتاب البريطانيين ، هي انكم لا ترفسون السى

- الحد الكافي .
فسأل سورم :
- نرفس من ؟
- ايهم تساؤون . فملا - ماذا تكتب الان ؟
- قصة .
- ما هو موضوعها ؟
- عن قاتل جنسي .
ولاح عليهما استحسان للموضوع . وقال كال :
- هذا موضوع جيد . لم تريد ان تكتب فيه ؟
- للحصول على المال .
فقال جيمي :
- طبعا لم لا . سبب معقول .
وبدت عليه الحيرة . فقال نن مبتسما :
- انه يريد الايقاع بك .
فأشرق وجه جيمي بابتسامة عريضة دمة وقال :
- اوه ، اكيد ؟ على كل حال ، انه سبب معقول . ولكن ، جديا ، هل
انك حقا تكتب عن قاتل جنسي ؟
- نعم .
فمال اليه كال وقال :
- هل تعرف اي قاتل جنسي ؟
فقال سورم :
- بالتأكيد . اعرف الكثير ، اولهم انا واوستن . ولعلكما - انت وجيمي ،
منهم ايضا . لست ادري .
فقال جيمي بصورة غير متوقعة :
- انه على حق . لقد افحك يا كال ، فلا حاجة به ان يعرف واحدا
منهم . اي انسان يمكن ان يكون قاتلا جنسيا .
فسال كال :
- هل هذا ما تقصده ؟
فأجاب سورم ، وهو يكبح رغبة قوية في النهوض ومغادرة الغرفة :
- كلا . كلا في الحقيقة .
- فماذا تعني اذن ؟

فقرر سورم ان يحاول ان يجني ما يمكنه ان يجنيه من هذا الحديث ،
فقال بعد لحظة من التفكير :

— اريد ان اعزل هذا الشعور بالسلب الذي يصيب الانسان الحديث .
الشعور بأنك متروك في البرد ، بأنك لا تحيا بما يكفي من الحياة . هل
تفهمان ما اعنيه ؟

فقال كال :

— هل نفهم ؟

وقال جيمي بانفعال :

— بالتأكيد ، افهم ما تعنيه . مثل رجل كنت اعرفه في اميركا قضي
معظم ايامه في المدارس الإصلاحية والسجون ، ومع هذا فلم يكن هنالك سبيل
الى ايقافه . كانت تسليته المفضلة هي انجاب الاطفال من صديقاته . وقد
احس بأنه بهذه الطريقة يعيس على احسن ما يمكن ان تعايش به الحياة . لقد
اراد هذا الصبي ان يأكل ويشرب حريته . . . وليذهب كل شيء الى الجحيم .
كان عليه ان بظل يتحرك ، يفعل ما يفعل ، ينرب وبدخن ويزامل الفتيات .
كان هذا الصبي يريد ماضيا يستعيده في ذاكرته اذا ما دخل السجن نانية .
والتفت الى نن وقال :

— هل قرأت توماس وولف ؟ هنالك انسان مسلوب الممتلكات لك . . .
المعدرة ، ايها الرجل ، اريد الذهاب الى التواليب . في اي اتجاه هي ؟
فأرسلته نن الى محلها ، وراح هو وسورم يراقبانها يجتازان الصالة
وهما ينحدان بانفعال فيجذبان انتباه اكثر بقية الرواد في المطعم . فقال نن :
— ما رأيك فيهما ؟

— انهما مضجران . اود العودة الى البيت .

— حقا ؟ انك لست جماعا هذا اليوم . ويمكنني الجزم انهما يميلان اليك .
— انا اميل اليهما ايضا ، ولكنهما لا يعرفان كيف يتحدثان . ولا يحاولان
الاندماج بالحديث . انهما يقدفانك فقط بسيل من الاسئلة والتعليقات ،
ويعتقدان انهما بهذا يحققان تسيئا ممتعا . لم استطع مقاومة الرغبة فسي
الحديث عن هذا الشعور بالسلب ، وانهما اسوا امثلة رأيتها في حياتي .

— انك لتتسرع في الحكم عليهما . انعلم . لدى كال اراء ممتعة عن
النصوف ، وقد اعتنق الاسلام منذ بضع سنين . . . وبالمناسبة ، هل انت
جاد حول موضوع روايتك ؟

— كلا . كان الموضوع من وحي اللحظة . فليس من الممكن التحدث
بصورة جدية عن كتاباتك بهذا الشكل ، خلال خمس ثوان .

- فقال نن بلهجة لائمة :
- انك لست مولعا بالناس الى الحد الكافي يا جيرارد . لقد لاحظت ذلك فيك قبلا .
- فقال سورم بعدم اكتراث :
- ربما .
- وعاد الرجلان الامبركيان ، وكان جيمى يمسى مسة القرد بطريقة مبالغ فيها وهو يتحدث ويطلق الاشارات بيديه . وحالما جلس جيمى وجه السؤال :
- هل حاولت رياضة البوغا ؟
- فقال سورم :
- لبس بصورة جديدة .
- امر يدمو الى الرثاء . اعتاد كال ان يمارس اليوغا — الطريقة « الصوفية » كما كان يطلق عليها . كنت اعرف شخصا هنا فى لندن كان يمارسها ايضا . . . ويا الهي ، كان غريب الاطوار .
- وراح سورم بكنس باظافره رقعة العنوان الملتصقة بزجاجة الخمر ويفكر بطريقة للاعذار والخروج بسرعة . كان يحس بداية اجهاد عقلي كان يؤسر على جهازه الهضمي . وقبل ان يتمكن من اختلاق سبب للخروج ، سمع اسما يذكر امامه فصاح بسرعة :
- هل قلت غلاسب ؟
- نعم . اتعرفه ؟
- اوليفر غلاسب ، الرسام ؟
- فقال جيمى :
- لا ادري اذا كان هذا الشخص رساما ، كما لا اذكر اسمه الاول . ولكنه كان غريب الاطوار حقا .
- فقال سورم :
- ربما كان نفس الشخص الذي اقصده . انه اسم غريب .
- محتمل . كان ذلك منذ خمس سنين . كان منحرفا ايضا . . .
- صحيح ؟ كيف ؟
- كان مولعا بالفنيات الصغيرة . . . نحدث دائما عنهن . كلنا توقعن انه سينتهى الى السجن .
- فسال سورم نن :
- هل من الممكن ان يكون هو اوليفر ؟
- اشك فى ذلك . وبالنسبة ، يا جيرارد ، ينبغي ان تذهب الان اذا اردت

اجراء مكالمه تلفونية فى الساعة الثانية والنصف .
 فنظر اليه سورم بامتنان . وقال :
 - نعم ، اعتقد ينبغي ان ارحل . يؤسفني ان اذهب .
 فقال جيمي :
 - لنتقي ثانية فيما بعد . اريد ان نتحدث اكثر حول فكرة «السلب» هذه .
 - اخشى الا يمكنني المجيء اليوم ولكن اوستن يمكنه ان يدبر
 الامر بسهولة
 ولدهنته نهض كلاهما وصافحاه بكل اصول وادب عندما هم بالمغادرة .
 واسرع خارجا الى سارع « غريك » وهو يتنفس الصعداء . وبدأ المطر ينهمر .

* * *

وسار تحت المطر ، وقد قلب ياقة معطفه الى الاعلى ، وهو غير آبه
 بالناس الذين كانوا يمرون عبره مسرعى الخطى على الارصفة الضيقة . وعند
 المنعطف الذي يؤدى الى شارع شافتزبيرى ، حاولت مخاطبته امرأة زنجية
 غير انه رد عليها بابتسامة ليست ذات معنى ومضى فى سبيله . وساوره القلق
 وتمنى لو كان نسن ما زال هناك . واحس بدافع مفاجيء يدفعه الى ان يدلف
 الى أحد اكسالك التليفون . ورد عليه القسيس الهنغاري . وكشف له سورم
 عن اسمه ثم سأل ان لم يكن الاب كارارز مشغولا . وبعد لحظات عماد
 القسيس وقال ان الاب كارارز غير مقيد بموعد حتى الساعة الرابعة . ونظر
 سورم الى ساعته كانت الساعة قد تعدت الثالثة . وقال :
 - اشكرك جدا . انا قادم الان .

وبينما كان الباص يسير به فى هولبورن راح يتساءل ما الذي سيقوله
 للقسيس ، كان يحس بان هناك عقدة هو مكره على حلها ، ولكنه لم يكن على
 يقين من معرفته العقدة التي يريد حلها بالذات . واحس بانه يقف على حافة
 بحر من الانفعالات التي لا تحتمل تعريفا وتحديدا .
 وقاده القسيس الهنغاري الى الطابق العلوي ، وتركه عند نهاية الرواق .
 كان الاب كارارز يجلس امام المدفأة ، مرديا الروب فوق منامته . واحس
 سورم بالسرور لهذا الدفء الذي سرى الى يده من قبضة القسيس وهو
 يصافحه . كان فى دخيلة نفسه يخشى ان يكون سببا فى ادخال السام السى
 صدر هذا الرجل العجوز .

- يسرني ان تأتى ، يا جيرارد . اجلس .
 فجلس سورم ، وقبل ان يفتح فاه بالكلام ، مال القسيس الى الامام
 واردف قائلا :

- هل وجه شتاين بعض الاسئلة اليك يوم امس ؟
- نعم . ذهبنا وتناولنا فنجانا من القهوة ...
- ممن صدر الاقتراح بذلك ؟ ..
- منه .
- فبدا الوجوم على القسيس .
- وهل سألك عن اوستن ؟
- نعم . كيف عرفت ؟
- وتجاهل القسيس السؤال . كان ينظر باتجاه رأس سورم خلال النافذة .
- كان في وجهه شيء يوحي الى سورم بالصمت ، كان وجهه ينطق بتعابير لم يألّفها سورم في القسيس — كانت مزيجا من القوة والتركيز مع التسعور بالاسف لشيء منفصل عنه . وهيمن الصمت طويلا . ونظر سورم الى ساعته بحذر فالفها تشارف على الرابعة الا عشرين دقيقة . ونظر اليه القسيس ، ولاح كأنه قد توصل الى قرار . فقال بهدوء :
- اعتقد انك شخص يعتمد عليه ، يا جيرارد ، الست كذلك ؟
- امل في ذلك ، ايها الاب .
- كان القسيس يتكلم بلهجة واضحة كمن يتحدث في شؤون العمل :
- بحكم مهنتي ، اضطر في بعض الاحايين الى اتخاذ قرارات مخالفة للقانون — او بالاحرى متجاهلة اياه . علي ان اعمل على فرض ان للنفوس البشرية قيمتها . فالقانون يحاسب الانسان على عمله ، اما انا فأحاسبه على ما هيته . هل تفهم ؟
- فأوما سورم .
- وان ما سوف أخبرك به ، يضعنا كلينا في هذا الموقف ...
- وصمت . وراح سورم ينتظر ، بتوقع . وادرك ما سيقوله القسيس فهياً نفسه له :
- تلقى فرانز شتاين ، ليلة الخميس الماضي ، معلومات من شرطة هامبورغ تدعو الى اعتقاده بأن اوستن قد يكون هو نفسه مجرم وايتشابل . وتوقف القسيس وظل سورم جالسا ، مندهشا للهدوء الذي تلقى به النبا . وسأل اخيرا :
- هل سيقبضون عليه ؟
- ليس بعد .
- لماذا ؟
- ليس لديهم الدليل . من العسير ايجاد الدليل في هذه المرحلة .

- انه تحت المراقبة في الوقت الحاضر .
- وهل هو ... القاتل ؟
- من المحتمل .
- واحتشدت الاسئلة في اعماقه ، وراح يزاحم بعضها البعض كأصطدام سيل من السيارات عند تقاطع عدد من الطرق . واحس بها تبتخر في هذه المعمة . ومضى القسيس يرقبه دون كلام . وقال سورم :
- ولكن نحن ليس مجنوننا . انا واثق انه ليس مجنوننا .
- لست ادري .
- ولكن ... هل من المعقول ؟ هل ... قرأت تقرير هامبورغ ؟
- نعم . انه معروف لدى المومسات اللاتي يعملن للساديين . وقد اتسبه بارتكابه جريمة فل .
- قتل ؟
- قتل شاب يعمل للاغراض الجنسية . ليس هنالك دليل قاطع ، ولكنه واحد من عدد من المشبوهين .
- فقال سورم بغيظ مفاجيء :
- كفى ، ايها الاب ...! ليس هذا سببا كافيا لتهمة انسان ...
- بالقتل الاجماعي ، اعني ، هل هذا يكفي ؟ هل هذا هو كل ما في الامر ؟ الديك تسىء اخسر ؟
- كلا ، هذا هو كل ما في الامر .
- ففي هذه الحالة ، ليس الامر بهذه الخطورة . لعل اوستن واحد من مئات المنسويين . وهناك حقيقة واحدة في صالحه ، وهو انه يميل لجنسه . قلت انه مستبه به في قتل رجل يعمل للاغراض الجنسية ؟ بالتأكيد ذلك ...
- بالضبط ، ليست الادلة كافية ، ولكن هنالك ادلة . فلو كان اوستن فعلا القاتل ... وهذا شيء محتمل ، على كل حال ... لو كان هو القاتل ، فلن يفلت من قبضة البوليس الان . الشرطة حاذقون ، وهم يعلمون بان لا معنى لافزاعه الان . لو كان لديهم ثمة دليل لقبضوا عليه . ولكن ، والحالة هذه ، سيراقبونه حتى يقدم لهم الدليل . فاذا ذهب هذه الليلة الى وايتشابيل وراح يتجول في شوارعها — وحتى اذا لم يفعل شيئا اخر ربما يقبضون عليه .
- وقال سورم ، بعد فترة من الصمت :
- افترض انه القاتل ... ماذا يحدث له لو امسكوا به ؟
- فقال القسيس بصوت ناعم دقيق المقاطع :
- سيشنقونه .

- هل انت واثق ، ايها الاب ؟
- واثق تماما .
- لا امل في السجن ؟
- كلا ابداء . وحتى اذا ثبت انه مريض عقليا ، فانهم سيشنقونه . ليس له سجل ماض يجعله في عداد المصابين بالخلل العقلي ، لم يدخل محاجر المجانين ابدا ، ولم يسبق له ان ادين بقضايا تعتبر اسبابها مرضية . سينشقونه كما شنقوا هيث وهاي وكريستي — لان الصحف ما فتئت تنشر اخبارهم حتى استولى الرعب على الناس كلهم .
- وعلم سورم فجأة السبب الذي دفع القسيس الى ان يوليه ثقته . واحس بالغضب يغلي في داخله ، واحس بالاحتجاج على هذا الامر الذي يخالف العقل ، وذلك الغباء وتلك القسوة اللذين اصبحا قوة من قوى الطبيعة ، وليس قصورا بشريا ، فلم يعد هنالك سبيل الى الوقوف بوجهها . وسأل بهدوء :
- وماذا علي ان افعل ، ايها الاب ؟
- هذا امر عسير . اريد ان اطلب منك شيئا واحدا . لا تخبر اوستن بذلك مطلقا ، ارجوك . هنالك طرق اخرى . فان التفتيت به كبيرا . . .
- كنت اتناول الغداء معه قبل قليل !
- طيب . هنالك سبل لذلك . يمكنك النظاهر بانك لاحظت ان احدا يبعثك . يمكنك ايضا اختلاق شخص على انه سالك بعض الاسئلة عن اوستن . ولكنك ان اخبرته بالامر ، وقبض عليه بعد ذلك واجريت محاكمته بتهمة القتل فستعتبر انت شريكه هل تفهم ؟
- آه . . . تظن اذن انه يقول كل شيء ؟
- في الاخير نعم . انه سيسعر عاجلا او آجلا بالحاجة الى الاعتراف بكل شيء . على فرض انه القاتل الان .
- فقال سورم :
- ايها الاب . . . اعدك بالا افضي اليه بالقضية مباشرة .
- حسنا .
- ولكن . . . لا ادري كيف اعبر عنه . . . هل تظن ان اوستن يحتمل ان يكون القاتل ؟ . . .
- فهز القسيس كتفيه :
- كيف لي ان اعلم ؟ لم ار اوسن منذ وقت طويل .
- كان الجواب مخيبا بالنسبة لسورم ، والى نفسه يفقد المقدرة على

- التعبير بوضوح وهو يحاول شرح احساسه وقال :
- ولكنني استبعد الاحتمال ، اتعلم ! ان الامر بعيد الاحتمال !
- لماذا ؟
- لان ... في العادة لا يتحول الاصدقاء الى مجرمين ، على ما اعتقد .
- فابتسم القسيس وقال :
- حدث ذلك معي .
- حقا ؟
- في حالتين . على كل حال ، ينبغي الانسداد عن الموضوع . كما ان مسألة الاشتباه لا يمكن ان تكون مفاجئة بالنسبة لك . فقد حدثني انت عن شكوكك .
- نعم ، ولكن اظنني على معرفة اوثق به الان من ذي قبل . انه منوش الفكر ، يكاد يكون نفس ذلك الطفل المنوش المعتوه . ولكنه بالاضافة لهذا وقيق ، لطيف المزاج ، كريم الخلق . هذه الصفات لا يمكن ان تتناسب وطبيعة القاتل بأي حال من الاحوال .
- وقال القسيس :
- ومع هذا فلم تبد عليك الدهشة عندما حدثتك عن حادثة القتل في هامبورغ . اكنت واتقا بان هذه الحادثة ايضا لا علاقة لها باوستن ؟
- لا ... لست ادري . لا اعتقد ... ربما . ولكن ... طيب ، كيف لي ان اعرف ؟ لست محيطة بظروف القضية . من الممكن . مدينة غريبة ، وثمة محاولة ابتزاز ماله او لسرقته في الليل ... واعتقد ان اوستن انسان ذو قوة هائلة . قد يقع امر كهذا ولم يزل الامر لا يدل على شيء ...
- ولنفرض ان الجريمة لم تكن على هذه الصورة ؟ لنفرض انها جريمة سادية اعتيادية ؟ كيف شعورك في هذه الحالة ؟
- لست ادري ، وليس من الضروري ان يتبدل في شيء . سوف لا انفك عن المحاولة في معرفة السبب قبل ان اقرر شيئا . اعني اريد ان ادخل في اعمال اوستن واحاول ان اشعر كما شعر هو عندما ... قام بالفعل .
- لماذا ؟
- لانه ... من المتعذر الحكم عليه بطريقة اخرى . فضلا عن ذلك ، ليس من العسير فهم موقفه . ويحدث احيانا انك لا تقوم فعلا بالاشياء . انما يقوم بها جزء اخر من نفسك ، وانك لا تعدو ان تكون متفرجا . يمكنني بكل سهولة ان اتقمص موقف السادي .
- صحيح ؟

— اظن ... ذلك .

— هل سبق ان سببت الالم لاحد ... الالم الجسمي ؟

— اظن ذلك . كنت اقبل فراخ الدجاج ايام عيد الميلاد عندما كنت

صيا . ولكني لم اشعر بلذة خاصة في القيام بفعل كهذا . واغرقت مرة
جرذا وجدته في سلة الاوساخ ، ورحت اسكب عليه ماء يغلي بينما كان
يسبح يمنة ويسرة . ولكني فعلت ذلك لاني كنت اخشى ان يستغرق موته
ساعات . ولكني لن افعل ذلك الان .

— لماذا ؟

— عمل كهذا يسبب جيسانا في معدتي . وبلاضافة لذلك ، هنالك في
نفسي غريزة تكره القتل .

وقال القسيس بهدوء وبلهجة قاطعة :

— ليس في وسعك اذن ان تضع نفسك موضع السادي ، ام يمكنك ؟

— هذا لا يتبع ما قلته . السادي قاتل جنسي ، اليس كذلك ؟ هذا ما
يجعل المسألة تختلف . في امكان اكثر الناس الشعور بالتعاطف الى حد ما
مع الجريمة الجنسية .

— اني امكانهم فعلا ؟

— اعتقد ... هذا في امكاني انا ، على كل حال . اعتقد ان الناس جميعا
يتملكهم شعور دائم بانهم لا يتمكنون بامتيازات الجنس بصورة كاملة . ولكن
على ان افكر في الامر . فليس هو هينا .

— هل تعتبر نفسك غير متمتع بالامتيازات الجنسية كاملة ؟

— نعم . ولكن هذا هو الجانب السلبي من المسكلة فقط . اظنها رؤيا
بشكل من الاشكال ... رؤيا عن الحياة النامة المليئة التي تكمن وراء الجنس .
وعلى كل حال ، ليس الدافع الجنسي بهذه الاهمية . تحدوني الرغبة احيانا
في ان اتناسى الجنس كليا . . اعلم ان لكلامي وقعا غريبا ، ولكنه صحيح .
— لا يبدو غريبا ابدا ، وخاصة بالنسبة لي . لا ينبغي على الانسان ان
يكون قديسا ليترفع عن الجنس . لقد فعل هذا كثير من العلماء والرياضيين ،
وعدد كبير من الفلاسفة .

— اعلم هذا ، ايها الاب ، اعلم هذا . غير ان الامر ليس بهذه البساطة
— ليس مجرد التعويض عن الجنس بالحياة العقلية او ما شابه . كان لسي
صديق من اتباع فرويد ، وكانت العبارة المفضلة لديه هي : كل انسان مريض
الاعصاب . كنت اظنه معتوها ، بيد اني بدات ادرك ما كان يعنيه . وما هو

المرض العصبي ، على كل حال ؟ حفنة من رغبات لم تتحقق - اي نوع من
الرغبات . والبشر يعملون لعدم تحقق رغباتهم - لا غير .
- ما عدا العادة .

- نعم ، ولكن العادة تعيننا على الاستمرار في الحياة ، اما الرغبة فنعيننا
على التقدم الى الامام . وليس منا من لا يريد التقدم ، ولذا فليس منا من لا
ينمي رغباته . اتعلم شيئا ، ايها الاب ؟ ظلت مرتبكا مشوша خلال السنين
الخمس المنصرمة ، لانه لم تكن لي الرغبات الكافية . كنت اظنني استطيع
العيش ، مسترشداً بافلاطون وبيتهومن فقط ، ولكنني وجدته لا استطيع .
ليس لان الخطأ يرجع الى افلاطون او بيتهوفن . الخطأ يعود لي - لم اكن
متهيئا لهما . الا ترى ، ايها الاب ، لو لم احاول ان اترك المشاكل الجنسية
خلفي لما كنت عرفت بها . والمشكلة هي نفسها مع اوستن . فان كان ساديا ،
فذلك لانه منقسم الى جزئين . انا شخصيا لا اعرف اوستن ساديا وانما
اعرفه هاويا سخيا مولعا بالباليه والموسيقى والفلسفة . واعتقد ان الامر
نفسه معه ومعى . اتدري ، ايها الاب ، قال برنارد شو باننا نحكم على الفنان
في اسمى لحظاته ونحكم على المجرم في اوطأ هذه اللحظات . ولكن ما الذي
يحدث عندما يكون الانسان مزيجا من الاثنين ؟ لا يمكنك ان تحكم على النصف
المجرم بالموت وتمنح الحرية الى النصف الفنان ، ايمكنك ؟ وخاصة عندما
تعلم بانه لم يكن مجرما لو لم يكن فنانا .

- اتعتقد انه يجب ان يسمح للمجرم بقتل الآخرين ؟

- كلا ، ايها الاب . حاشا ! انا اعتقد فقط بانه ...

واحس بفتور مفاجيء ، وانتهى عبارته متعنرا بالكلمات :

- ... معالجته اهم من معاقبته .

- اوافك على ذلك . مشكلة اوستن هي هل انه قابل للعلاج ...

واطل الى الساعة الموضوعة على رف الموقد . كانت تشير الى الرابعة

الاربعة . وقال سورم :

- الافضل ان ارحل . ساحاول ان ابحت عن اوستن .

- احترس ، يا جيرارد . انك لا تريد ان تدخل السجن كشريرك لاوستن .

- كلا ايها الاب .

فقال الاب ميتسما :

- ولا تذكر اسمي .

- اهدك بذلك .

- قبل ان تذهب ... هلا سالت الاب راكوسي اذا كان هنالك احد

ينتظرني اسفل ؟

— حسنا ، ايها الاب .

والنتقى بالمرأة الاسكوتلاندية وهو يفتح الباب . وقالت :

— ذهب الرجل . أنتظر عشر دقائق ، ثم قال انه ذاهب في نزهة .
فقال القسيس :

— طيب ، انا متعب . هل يمكنني تناول فنجان من الشاي ، يا

مسر داوتي ؟

وخرج سورم الى المطر بلغعه ظلام الفسق المخيم ، ويحس بأنه يكبت
قلقه تجاه احساسه بلا حقيقته . كان يشعر وكأنه فرغ توا من أداء دور في
مسرحية .

وفي اول الامر ، لم يميز الرجل الذي كان يعبر الشارع اليه ، ولكنه
سرعان ما تبين انه غلاسب .

— هلو ، اوليفر ! اين انت ذاهب ؟

ولاحظ على الفور شيئا من الحدة في سلوك غلاسب . وقال غلاسب :
— كنت أنتظر ك .

كان صوته يوحى بالتهديد ، مما عجز سورم عن فهمه :

— كيف علمت بأنني كنت هنا ؟

— اخبرني تلك المرأة . كنت انتظر الاب كارائز لاراه .

— آه ! اذن انت كنت ذلك الشخص ؟ حسنا ، ماذا ستفعل الان ؟

وبدا التردد على وجه غلاسب . ونظر سورم اليه مليا ، وهو مذهول .
وقال غلاسب :

— لم اكن اعلم انك صديق حميم للاب كارائز .

— انا لست صديقه الحميم . ولكني ذهبت لزيارته مرات عديدة .

كانا يقفان على حافة الرصيف . ووضع سورم يده على ذراع غلاسب
قائلا :

— تعال لنشرب فنجانا من الشاي . لا يمكننا ان نبقي تحت هذا السيل .

ومضى غلاسب الى جواره حتى بلغا شارع فارينفتن دون ان ينبس

بكلمة . وسارا حنى وصلا المقهى التي جلس فيها سورم مع شتاين . كان
غلاسب مرتديا معطفا رنا باليا لم ير سورم مثله في حياته ، وكان منقوعا بماء
المطر . ولم يكن يلبس قبعة . كان شعره الاحمر يلتصق بجمجمته وجبهته
على شكل خصلات ، ولاح لونه بنيا غامقا في المطر .

كانت المقهى دافئة ، تكاد تحلو من الرواد . فجلسا بالقرب من النافذة

وكان الزجاج الذي كساه البخار جدارا يفصلهما عن الظلام الذي بدأ يزحف . كانت حدة المزاج التي اظهرها غلاسب تكفي في الظروف الاعتيادية لدفع سورم الى الامتعاض ، ولكن الانفعالات التي اثارها الحديث مع القسيس جعلته لا يكثرث لها . وراح يشرب الساي ويفكر في نسن ، ويتساءل اين تراه الان ، ثم اخذ يستعيد في ذاكرته الكلمات والاعمال التي من شأنها ان تدعم شكوكه حوله .

وكان على وشك ان ينهي فنجانه عندما تكلم غلاسب :

— ماذا يمكنك ان تتحدث به معه ؟

— مع ... ؟ اوه ، الاب كارائز ، اوه ... اشياء كثيرة . لا شيء مما

يهمك .

— لا ؟

— لا اظن ذلك .

ولمح دلائل الشك في وجه غلاسب . وقال :

— لماذا ؟ هل كنت تظن اننا كنا نتحدث عنك ؟

— الم تكونا تتحدثان عني ؟

— كلا . وما الداعي لذلك بالله ؟ في رأسك افكار غريبة !

كانت نبرته اكثر عنفا من كلماته ، كانت تنطوي على المعنى : ما الذي يجعلك تظن اننا منسغولان بشخصك ؟ فأحمر وجه غلاسب وشرب جرعة كبيرة من الساي . وأحس سورم بالندم حالا . وقال :

— كنت اتحدث معه ... بعض الامور المهمة ... لا يمكنني توضيحها .

فقال غلاسب :

— أوستن .

لم يضع الكلمة بصيغة السؤال ، وانما بصيغة اخبارية .

— نعم .

فقال غلاسب فجأة :

— يؤسفني ان ظني كان خاطئا . ولكن ... كان هناك بعض من كان

يبدى اهتماما بي . وكان الاب كارائز عضوا في جمعية اوليفر للاصلاح .

— لا تغتم . هل انت ذاهب لرؤيته الان ؟

— كلا . لن اعود اليه الان .

— الا يتساءل اين انت الان ؟

— لا يهم . لعله يفرح لتخلصه من الاجتماع .

— فماذا سنفعل الان ؟

— امسود الى البيت .
 — لم لا تأتي معي الى البيت ، لنأكل ونتحدث .
 وكان وهو ينطق بالكلمات يكاد يكون وانقا من أن غلاسب سيرفض .
 وادهنسه أن يبدي غلاسب التردد ، وفي تلك اللحظة طاف عليه حدس داخلي
 بالوحدة التي تكمن في أساس حياته . وقال غلاسب :
 — سبق وأن تناولت وجبة معك .
 فقال سورم :
 — ليس لدي طعام فخم . ولكن عندي ما يكفي لاننين ، على كل حال .
 يمكنك مشاركتي .
 — حسنا ، شكرا .
 وشعر بالضيق الشديد من فكرة الركوب في قطار النفق ثم تبديله في
 محطة توتنهايم كورت رود ، فوقف سيارة تاكسي بالقرب من هولبورن .
 فقال غلاسب :
 — أنك تلتقط عادات أوستن !
 فقال سورم :
 — لا يهمك . لا أريد التعثر في هذا المطر .
 وكظم أحساسه بأنه تسرع بعمله عندما تذكر أن أوستن هو الذي دفع
 نمن غدائه ، ووفر عليه تمن التاكسي .

* * *

وترك غلاسب يعد النسي ، ونزل هو الى الطابق الارضي ليتصل بنن
 تلفونيا . ولم يتلق اي جواب من شقته ، وسألته فتاة البدالة هل يريد أن يترك
 له رسالة ، فأعرب سورم عن عدم رغبته بذلك وعاد الى غرفته . وأورثته
 فكرة احتمال فرض المراقبة على التلفون احساسا بالخطر ، وأدرك أن النداء
 قد يكتشف مصدره بسهولة ويؤدي الى الاهتداء الى عنوانه . وأحس وهو
 يتذكر تردده ، عندما كان ينتظر الجواب ، وحيرته هل يخبر نن بأن لديه
 شيئا مستعجلا يريد أن يفضي به اليه ، بشيء أخذ يعصر حنجرتة بأحاساس
 بأنه يفلت من موقف دقيق .

ولم يجد غلاسب عند عودته الى الغرفة . وانزل الستائر وهو ينظر
 الى أضواء شارع كينتش تاون ، متسائلا ترى هل يظن البوليس أن من الصواب
 مراقبته هو أيضا ، وجلس على الكرسي الكبير ، وانطلق في تخيلاته فراح
 يتصور نفسه مقبوضا عليه مع نن بتهمة الاشتراك معه في الجريمة . وتخيل
 كيف أن المدعي العام سيصف نزهاته مع نن الى سبيتالفيلدز ، وقيامه

بالعمل على اصطياد النساء ودفعهن الى الازقة المظلمة . ثم تذكر فجأة انه اخبر سناين بأن صداقته لئن تعود الى فترة قصيرة جدا ، وسره هذا الشعور بالارتياح الذي باغته . وافزعه دخول غلاسب الى الغرفة ، حيث كان قد نسيه تماما . وقال غلاسب :

— اسمع ، ما رأيك في ان نترك امر انشاي ؟ نعال لتتناول شيئا من السراب معنا .

ونظر سورم الى ساعته :

— طيب ... معقول . فكرة جيدة .

واحس بأن غلاسب كان يسعر بسوء من الاضطراب لقبوله ضيافة سورم للمرة الثانية خلال ثلاثة ايام ، ولم يرتح لهذا الشعور . ما كان يرغب ان يجعل غلاسب ينسعر بأي التزام تجاهه . وعلبه فقبوله دعوة غلاسب للشراب لاحد له فرصة لتبديد هذا الاحراج . وليس معطف غلاسب الذي كان معلقا على ظهر الباب والماء يقطر منه على الارض .

— الافضل ان تسعر معطف المطر مني . لنضع هذا المعطف في المطبخ

ليجف .

— لا يهم ، سبق لي ان لبسته وهو اكر بللا منه الان .

— اجل ، ولكن ... الافضل ان يجف . فكر في الامر ، لدي معطف من

البلاستيك هنا في مكان ما .

واخذ يعث بيده في صندوق من الورق المقوى في اسفل دولا الملبس فعثر عليه مربوطا في رزمة محكمة السد . كان غلاسب يجلس منحنيا على النار وقد باعد بين ساقيه ، وكان البخار يتصاعد من سرواله . وكان قد منسط شعره الذي انسرح الى الوراء بعقصة لماعة بطلائها بدهان الشعر . وقال :

— هذه احدي حسنات كون الانسان كاتباً — اذ من السهل تدفئة

غرفة صغيرة كهذه . بينما الطريقة الوحيدة لايجاد الدفء في الخان الذي اعيش فيه هي ان الازم الفراش .

وبدا غلاسب كئيب المظهر الى حد غريب في معطف المطر من البلاستيك

هذا ، فقد ابرز انحناء كتفيه .

ودهن سورم ، وهو ينظر اليه ، كيف لاح له قبلا ذا مظهر مخيف . كان

يبدو الان لا حول له ولا قوة . كان في قبحة اللزج شيء غير مألوف ، وكان من المتمدر الشعور بأن في امكانك ان تحمي هذا الانسان .

* * *

كانا اول الواصلين الى الحانة . وكانت النار ، من وراء المشبك

الحديدى ، قد بدأت تضطرم شيئاً فشيئاً . وجلس غلاسب بجوار النار ، وهو يحسّى زجاجة من البيرة . وعندما اقترح عليه سورم أن يلعب لعبة النبال، وافق دون تردد ، وفاز بنقطتين في ضربته الاولى . وكان سورم يميل الى اعتبار هذه الضربة فوزاً عن طريق الصدفة ولكنه سرعان ما اضطر الى اعادة النظر في رايه هذا . كان غلاسب يلقي بالنبله بحركة غير رشيقة بطيئة وهو يلوي يده كالعبان ، ولكنه كان يصيب الهدف بدقة مدهشة . وعندما عادا الى مجلسهما كان غلاسب قد فاز ضد سورم ثلاث مرات . وقال سورم:

— اين تعلمت اللعب بهذا الشكل ؟

— فى سن المراهقة . ولم امارسها منذ سنين .

وافرغ قدحه ووضع على الرف بعنف . فقال سورم:

— فـدـح اـخـر ؟

فلاحت الدهشة على غلاسب ، وقال : — اوه ، شكراً .
لقد تغير مزاجه تغيراً تاماً خلال عشرين دقيقة ، وبدا عليه الانبساط والمرح . وراح سورم يرقبه يفرغ القدح الثانى ، وهو يفكر فى نفسه باستمتاع : متى سأتعلم ؟ الناس اتساءل حقيقة . ذهني يميل الى خلق النماذج اكثر مما ينبغي .

وفال غلاسب :

— اعتقد انه ينبغي ان اتصل تلفونيا بالاب .

— انه سيفهم على كل حال . كان شديد التعب .

واوأم غلاسب برأسه .

— انه انسان طيب . يجب ان التقي به اكثر .

فقال سورم :

— قلت سابقاً انه كان عضواً فى جمعية اوليفر للاصلاح ؟ ماذا كنت

تعني بذلك بالضبط ؟

فقال غلاسب مبتسماً :

— تعني ، ماذا ارادوا اصلاحه فى ؟

— نعم .

— ليس الامر جدياً . كانوا يظنون اني « شاغال » الجديد .

— ألم تكن كذلك ؟

— لا اقصد هذا . انا فقط . . . لا احب ان تكون للناس اراء سابقة

عني . . . اراء ينبغي ان اعيش بموجبها . اريد ان اترك لشاني .

— مـمـمـم . ماذا كنت تريد ان تفعل لو كانوا تركوك وشانك ؟

— لا يهم ما فعله .

فقال سورم بلهجة تأملية :

— افهم ما تعنيه . الامر صعب ، اليس كذلك ؟ تشعر كأنك لا تريد اكثر من ان تترك وشأنك . ثم يخونك ضعفك . فتجد نفسك تائها في طريق جديدة — تجد نفسك تحس بالضجر والوحدة . اتعلم ، اني احس بالخجل لاني احس بانني افضل حالا بسبب لقائي بأوستن . فليس هذا التفوق الذي احس به تفوقا حقيقيا عليه . انه وهم ، انه صدفه محضة .
وسأل غلاسب :

— هل من محض الصدفة انك لست ساديا ؟

— ١... اظن ذلك .

— كلا . وعندما تقرأ كتابك هذا عن مجرم « اران » ، هل تشعر انه من محض الصدفة انك لست قاتلا ؟

وفكر سورم في الامر ، ثم قال :

— كلا . لاني لا اقتل رجلا في سبيل بعض الدراهم كما فعل لوري .

— ولكنك قد تقتل لاسباب اخرى ؟

— كلا . بالطبع لا . ليس هذا ما عنيته . لست امتلك اية غرائز تدفعني الى العطف على اي قاتل . ولا اعتقد ان الكثير من الناس لديهم هذه الغرائز . غير ان لكل انسان دافعا جنسيا . فما هو السبب ، كما تعتقد ، في العدد الهائل الذي يباع من صحف ايام الاحاد من النوع الذي يتخصص في الجرائم الجنسية .

فقال غلاسب :

— ليس الجرائم الجنسية فقط . اي نوع من الجرائم . لانك اذا استخدمت هذه النقطة في جدك فعليك ان تقر بأن قراء صحف ايام الاحاد كلهم يكتبون رغباتهم ليصبحوا قطاع طرق ولصوصا وهم مصابون بجنون السرقة .

— طيب ، ماذا تستنتج انت ؟

ولم يجب غلاسب على الفور . كانت الحانة قد بدأت تزخر بالرواد . واقبل رجل ومال فوق كتفه ليتناول حزمة من ورق اللعب من الرف . وعندما ابتعد الرجل ، مال غلاسب الى الامام وقال بلهجة جادة :

— دعني اقل لك . من الغباء ان تقلل من شأن نفسك . انت لست ممن امال اوستن او جيرترود كوينسي او اي واحد من الناس الاخرين الذين تمنزج بهم . انهم يضيعون عليك وقتك .

- فعبس سورم وهز كتفيه .
- احسب ذلك . ولكن لهم قيمتهم مع ذلك .
- ليس بالنسبة لك . انهم بالنسبة لك طفيليون لا اكثر .
- لم يكونون طفيليين ؟ المسألة بالعكس . فهم يقدمون لي وجبات الطعام ، وأنا لا افعل شيئاً .
- ما عدا انك تقدم لهم دمك .
- ربما .
- فقال غلاسب مؤكداً :
- انك تقدم دمك فعلاً . لم لا تدرك ذلك ؟ انهم لا ينتمون الى فصيلتك .
- فقال سورم مبتسماً :
- او فصيلتك ؟
- واحس كأن غلاسب شعر بالاهانة . كانت نظراته صلبة متسائلة . ثم قال :
- على كل ، انت الذي تجيب على ذلك .
- وكتب سورم الفرع الذي شعر به بالمديح الذي تنطوي عليه تلك العبارة . وقال :
- نوع من اخلاق السيد والعبد على طريقة نيتسه ، هه ؟
- لم لا ، ان كانت تنسجم والحقائق ؟ ما معنى ان تتصور نفسك واحداً من الفوغاء ان كنت لا ننتهي اليهم ؟ انك ذئب يحاول ان يظهر بمظهر الحمل ، هذا هو كل ما في الامر .
- وافرغ قدحه . وعندما حاول سورم ان يأخذه منه قال غلاسب :
- كلا ، جاء دوري الان .
- وذهب صوب البار . وظل سورم يحدق فيه . ووقع نظره على معطف البلاستيك الذي كان ملقى على الكرسي فتذكر غلاسب وهو يرتديه في غرفه ، مائل الكتفين ، شاحب الوجه ، غريب المظهر ، انساناً لا حياة فيه ولا هدف . واحس بالحرارة تسري في عروقه التي كانت تفرز انفعال التوقع في نفسه ، وراح يفكر : برى كم هو عدد امثاله في لندن ؟ لعل هناك عدداً يكفي لخلق عصر كامل . ليس كمتردى شيكاغو ، وانما لخلق جيل له غاية . من الافضل ان امرف اوليفر . انه محق في قوله عن اوستن . لقد سأمت هذا الضعف الذي اعترف به دائماً .
- وعاد غلاسب حاملاً قدحين . وقال سورم :
- ما رأيك في البحث عن شيء نأكله ؟
- طيب . وما رأيك في زيارة لجيرترود ؟

- جيرترود ؟
- لم لا ؟
- وحملق سورم في وجهه مندهسا .
- هل انت جاد ؟
- لم لا ؟ انها مسيرة عشر دقائق من هنا . ولا داعي للمكوث طويلا عندها . اريد السلام عليها فقط . لم ارها منذ مدة طويلة .
- حسنا . اعرف حانة في هامبسنيد حيث يمكننا ان نجد شيئا نأكله .
- وافرج غلاسب نصف قدحه بجرعة واحدة . وقال سورم :
- هل تخاصمتما انت وجيرترود ؟
- كلا . لا اظن .
- وحديق غلاسب في قدحه ، وهو يمسكه بين راحتيه . كان يبدو كعريف ينفرس في كرة بلورية . ثم مضى قائلا :
- ابدت يوما رأيا صريحا في قضية سهود يهوه . وانا اسف الان . انها على ما يرام . انها لطيفة .
- لا استطيع ان افهم لم لم تنزوج حتى الان . اذ لا يعوزها الجمال .
- لدغت مرة واحدة . الا تعرف ؟
- سمعت شيئا عن القضية . ذكرت كارولين نسيئا .
- كارولين ؟ اوه ، تلك النسقراء .
- فسأل سورم :
- الا تميل الى النسقراوات ؟
- فأجاب غلاسب باقتضاب :
- ليس كثيرا .
- الا تميل الى الجنس من اي نوع كان .
- الامر يعتمد .
- وافرج قدحه ونهض .
- انا ذاهب خارجا . هل انت على استعداد للخروج ؟

* * *

- كان سورم قد قرر الاتصال بها تلفونيا من محطة تنسوك ، ولكن كان الباص قد وصل الى الموقف حال وصولهما هناك ، وكانا قد طفرا الى الباص ، وهما يلهنان من الركض ، قبل ان يذكر قراره هذا حول المخابرة ، وذكرته محطة نفق هامبستيد بنين . فقال :
- اتعلم ، اوليفر ، اني قلق بشأن اوستن .

- لماذا ؟
- انه يزع نفسه في متاعب .
- لقد بلغ نهايته .
- نعم ، ولكن ... الشرطة نسبه فيه حول امور اسوأ من ضرب
- اصدقائه من الذكور .
- كيف عرفت ؟
- اوه ... حدث ان اكتسفت ذلك .
- واستدارا نحو شارع « فلاسك ووك » . والتفت اليه غلاسب وهما
- يمران تحت احد مصابيح الشارع .
- من الاب كارانز ؟
- نعم .
- كيف عرف ذلك ؟
- عاهدته الا ادع الخبر ينسر .
- اذن ، فلا داعي ان تبوح به .
- فقال سورم :
- اعتقد انه ليس هناك ضير في اخبارك بالامر . ولا يهم الان . لسلام
- كارانز صديق الماني يدعى فرانز شتاين - طبيب لدى الشرطة . واخبر الاب
- كارانز عن رسالة استلمها من شرطة هامبورغ . كان اوسن من المشبهين
- في قتل صبي من الدين يعملون للاغراض الجنسية .
- فقال غلاسب :
- بالفعل .
- ماذا ؟ كيف عرفت ؟ هل انت واثق ؟
- تقريبا .
- متى عرفت ؟
- لم اكن اعلم الى ان اخبرتني انت الان . ولكني اعلم ان الخبر صحيح .
- كيف ؟
- كان يحاول ان ينظر مليا في وجه غلاسب ، لا يدري الى اي حد
- يحمل كلماته على محمل الجد . واحس بشعور سابق بالخيبة ، وبالتشكك
- في ان غلاسب قد يتضح انسانا محتالا . ولكن لهجة غلاسب كانت عادية
- مما حير سورم . وقال غلاسب :
- عندما عرفت ان لاول مرة ، كنت احلم دائما بانه قاتل ، كان هنالك
- حلم واحد واضح بصورة خاصة ... كنت امشي خلف رجلين على ساحل

النهر . وفجأة ضرب احدهم الآخر بسلاح ما ودفعه الى النهر . كسان الوقت ليلا فلم استطع ان اتبين وجهيهما ، ولكنى كنت اعلم ان احدهما كان اوستن ، والرجل الذي فنله ن كان احد المتشردين . واستيقظت فجأة ... وبعد ساعات قليلة جاء اوستن ليزورنى . وحالما رأيته ، عرفت ان الامر لا يعدو ان يكون هراء . لم يكن يبدو كالرجل الذي رأيته في الحلم ..
- هل احلامك دقيقة ؟

- كلا . انها في الغالب مخطئة . ان لى عقلا مريضا . انه يلتقط الانطباعات العفوية ويعمل على تضخيمها . والعملية نفسها تعمل عملها في الصور التي ارسمها . عندما كنت صغيرا حلمت مرة بان احد طلاب صفنا قتل في حادثة قطار . وبقيت سنين كثيرة وانا مقتنع بانه سيموت في حادثة قطار . ولكنه الان رجل مزوج ..

- ولكنك لم نزل تعنقد بان اوستن هو الذي قتل هذا الرجل ؟
- اعتقد ... انك ... عندما قلت ذلك ، تذكرت الحلم الذي رأيته . وفجأة ، شعرت باليقين . لذا ترى ، احلامي دقيقة فعلا في بعض الاحيان .
- وكيف تفسر ذلك ؟

- لم احاول التفسير . يحدث هذا احيانا .
كانا قد وصلا بوابات الطريق المؤدى الى دار المس كوينسي . ولمح سورم نورا في غرفة الجلوس . وقال :
- عظيم . انها في الببت ، على كل حال . سنتحدث في هذا الموضوع عندما نخرج .

فقال غلاسب بلا مبالاة : طيب .
- يجب الاتصال بنن ، ايضا . من الافضل ان نحذره .
ونظر اليه غلاسب فيما هو يفتح البوابة . فسأل بطريقة عرضية :
- هل يجب ان يعلم ؟

الفصل الرابع

ورأى خلال الباب الزجاجي ان باب المطبخ كان مفتوحا . وسمع صوبها وهي تنحدر الى احدهم .
- يلوح كأن عندها ضيفا .
فقال غلاسب :
- لعنها الله . كان يجب ان نصل تلفونيا .
- هل نعود ؟
- وخرجت المس كوينسي من المطبخ وهنفت :
- هل هناك أحد ؟
فقرع سورم الجرس . وقالت :
- جيرارد ! او . هلو ، اوليفر !
وتسمرت في مكانها وهي تنقل نظرها بدهشة من احدهما الى الآخر وهي تمسك بالباب . وشعر سورم بالحرجة .
- خطر لنا... ان تأتي للسؤال عنك . كنا في هذه الجهة من المدينة .
- لدى الأخ روبنز لتناول العشاء معي . تفضلا بالدخول :
- ! ... كلا . لم اكن ادرك اننا سنضايقك . لن ندخل .. فلا اريد مقاطعتكما ..
وبدا عليها كأنها استعادت سيطرتها على نفسها :
- لا يهم ابدا . تفضلا لبضع دقائق ، على كل حال . اني اهيء الشاي .
وفكر سورم مليا للعنور على سبب الخروج . ودون ان ينظر الى غلاسب ، علم انه قد انابه الشعور نفسه . ولكنه لم يعثر على سبب ،
فقال بنعير :

— حسنا . شكرا . ولكننا لن نمكث طويلا . نحن على موعد مع شخص بعد نصف ساعة .

وتبعه غلاسب الى الصالة . لم يكن قد تكلم بعد . وقالت المس كوينسي :
— يسرني ان اراك ثانية ، يا اوليفر . لقد مضى وقت طويل . اخلع معطفك . اوليفر ، اعتقد انك تعرف الاخ روبنز .

ونفض الاخ روبنز من كرسیه المريح ، وتقدم وعلى وجهه ابتسامة تفيض باللطف . وعندما قدمتهما المس كوينسي اليه ، صافح يديهما بقبضته الشديدة التي كان العرق ينضح منها . والفي سورم نفسه يفكر :
يا الله ، ديل كارنيجي يقف لرئيس الجمهورية ، كان صوته الخشن ذو اللهجة العامية قد غمره بسيل طافح من الدفء ورائحة البصل .
وقالت المس كوينسي :

— كنت حدثك عن جبرارد .

وقال الاخ روبنز :

— يسرني جدا ان اتعرف بك .

كان اول انطباع تركه في نفس سورم هو انه يقال موفق في عمله او مراهن على الخيول مريب . كان اقصر من سورم بقدم واحد ، له وجه ممثلي و بطن تشبه البرميل . وكانت ملابسه تبدو مجمدة قليلا وقد لوتنها بعض البقع الدهنية ، غير ان ياقة قميصه كانت منشأة ، تقيسة لا شائبة فيها ، وقد تدلت منها ربطة عنق من النوع الذي يلبسه طلاب المدارس ، وكانت تبدو حديثة الغسل والكي . وتولد في نفس سورم في الحال كره صارخ لهذا الرجل .

وقال الاخ روبنز :

— انت الشاب الذي يفكر في الانضمام اليانا ؟

ونظر سورم بدهشة الى المس كوينسي . فبادرت الى القول :

— لا اعتقد انه قد قرر ذلك بعد .

— آه ، كلا . بالضبط .

وجلس الاخ روبنز ثانية . وظل غلاسب واقفا ، يبدو عليه الوجوم وعدم الانسجام . فنظر الاخ روبنز اليه فجأة وقال :

— سمعت انك تريد الانضمام ايضا ، ايها المستر غلاسب .

— غلاسب .

— اه ... المذرة . انك رسام ، اليس كذلك ؟

— نعم .

وقالت المس كوينسى :
- شاي لكليكما ؟
فقال سورم :
- آ ... كلا ، شكرا . ليس لي .
وقال غلاسب :
- وليس لي .
ونبعها سورم الى المطبخ . وقال :
- اعتقد ينبغي ان نذهب ...
- طيب . ولكن ابقيا قليلا . اريدان ان تسعرا الاخ روبنز المسكين
وكان به جذاما ؟
- حسنا .
- الا تسربان الشاي ؟
- كنا نحتسي البيرة .
- اوه ... اخسى ان ليس باستطاعتى تقديم البيرة لكما ... ما
دام الاخ روبنز موجودا هنا .
- انه لا يقر ذلك .
فترددت المس كوينسى ، وقالت :
- لعله لا يهتم . لست ادرى . اريد بيرة ؟
كان سورم يميل الى الرفض ، فقد نظقت بالسؤال بطريقة لا يمكنه
بها غير الرفض . فافاظه ذلك ، وتلقاه وكأنه تحد له . فقال :
- افضل من الشاي بالنسبة لي .
- اذن اسأل اوليفر ان كان يريد نبيئا من البيرة .
وعندما دخل سورم الفى غلاسب يحدق عابسا فى البساط .
وقال سورم :
- نقول جيرترود هناك بعض البيرة ان اردت .
فهز غلاسب رأسه ، وقال سورم :
- كلا ؟ انا سائناول بيرة .
ونظر الى الاخ روبنز وسأله بأدب :
- آمل الا اعراض لديك .
وبدا على الاخ روبنز كأنه تلقى السؤال بصورة طبيعية ، كأنه سيده
عجوز فى قطار وسألها احدهم ان كانت لا تعترض على تدخين السيجار
امامها . فقال بلهجة ودودة :

- اوه ، كلا ابدا . كلا مطلقا .
- وانت يا اوليفر ؟
- فقال غلاسب ، على مضض :
- لا بأس .
- وعاد سورم بعد لحظات حاملا قدحين من البيرة الخفيفة ، بارده كالثلج ، من النلاجة . كان يحس بالعطش بعد صعودهما التل . وشرب اكر ما يمكنه ان يشرب جرعة واحدة قبل ان يحس بحنجرته تتجمد . وسأل الاخ روبنز :
- هل سربان كثيرا عادة ، كلاكما ؟
- واحس سورم بان غلاسب كان على وشك ان يرده بكلام خشن ، فقال على عجل :
- كلا . ليس كثيرا . ولا نلقي كثيرا . هل تسرب انت ؟
- كلا ، ولكن ليس لانى لا اقر التسرب ، وانما لانى لا احب طعمه .
- وكان في اسلوب هذا الرجل شيء اغاظ سورم . كان الاخ روبنز يبالغ في ادبه ولطفه كأنه يزور سجيناً في سجنه . كان يحاول ان يفهم سورم بان شرب البيرة هو من الرذائل القادرة بصورة خاصة وان له مدارك اوسع من ان يقوم بنسجها صراحة . وشرب سورم بقية القدر ليتحدثه ، ثم ذهب الى المطبخ ليحضر زجاجة اخرى . وقالت المس كوينسي ، وقد ارتسم الرعب في محياها :
- هل شربت قدحك بهذه السرعة ؟
- كنت عطشان . هل لي بآخر ؟
- وفنح النلاجة ، ولما التفت خلفه رأى نظراتها القلقة المعابرة . كان يبدو عليها أنها ترتاب في انه كان ببغي ان ينير خصاما بملا . وقال بلهجة حادة :
- سنرحل بعد لحظات .
- اوه ، كلا ! انا لا اعنى هذا ! مجرد لا اريد . . . ابقيا ما شئتما .
- شكرا .
- وعاد الى الغرفة حاملا الزجاجة .
- كان غلاسب يجيب على سؤال وجهه الاخ روبنز بههمة غير مفهومة وبدا الارتياح على الاخ روبنز عندما رأى سورم ثانية . وقال :
- دعني احزر - انك من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ؟
- كلا .

- كنيسة انكلترا ؟
- كلا . انا وجودي .
- نعم ؟ ولكن ... ت ... اعني من حيث الدين .
- اعلم . هذا ما اعنيه انا ايضا .
- اوه . لا اعتقد اني التقيت بهذه الطائفة قط . هل هي جديدة ؟
- كلا في الواقع .
- من هو مؤسسها ؟
- رجل دانماركي يدعى كيركفارد .
- وهل يؤمن المنتمون الى هذه الطائفة بقوة يسوع المسيح عسى
تخليص البشر ؟
- كيركفارد نفسه كان يؤمن بذلك بالتأكيد .
- اه ، وهل كان يؤمن بمذهب لوتر في التبرير عن طريق الايمان ؟
- اوه ، كلا ! كان دائما يهجم على الكنيسة القائمة . كان يعتقد
بان على الناس ان يحسبوا مثل المسيح بدلا من اعتمادهم على الكنيسة . .
- رائع ! لقد كان اذن يسير في السبيل الصحيحة ! مشكلة اكثر
الناس في الوقت الحاضر هي انهم لا يدركون اهمية اطاعة قوانين الله .
انهم يظنون ان مجرد قبولهم اياها يكفي . يلوح عليهم انهم يدركون بان
الكتاب المقدس قد اعطانا قوانين للسلوك صارمة تشمل جميع نواحي حياتنا .
وهز سورم راسه برزانه . كان صمته مسجعا للاخ روبنز . فمال
الى الامام ، واطلق ابتسامته التي تسبب ابتسامة ديل كارنيجي .
- ينبغي ان تحضر اجتماعاتنا . انا وابق انها سنروق لك .
- فاجاب سورم وهو لا يعني ما يقول :
- انا وابق من انها ستعجبني .
- وفجأة تكلم غلاسب ، كان معندلا بجلسته يحملق بوقاحة في وجه
الاخ روبنز :
- هل صحيح انكم تتوقعون نهاية العالم في ابة لحظة ؟
- والتفت الاخ روبنز الى غلاسب وابتسم ابتسامة جذابة ، كما لو كان
غلاسب يوجه له مديحا :
- نعم . ولكن ، بالطبع ، ليس في اية لحظة . ان سفر الرؤيا يشير
الى ان ذلك يقع خلال الثلاثين سنة القادمة .
- وان الدمار سيمم كل من في العالم ما عدا شهود يهوه ؟
- هذا ما يقوله لنا الكتاب المقدس .

واطلق غلاسب زمجرة مفعمة بالازدراء واسترخى في كرسيه .
وبالرغم من كره سورم للأخ روبنز لكنه اتخذ موقفا مدافعا عنه وقال بسرعة:
- هل يشير الكتاب المقدس الى هذا كله ؟

- بالتأكيد . ان الدليل واضح تماما . يقول الكتاب المقدس ان
الشيطان نزل الى الارض في عام ١٩١٤ ، وانه امتلك العالم منذ ذلك
التاريخ . وهل يساورك الشك وانت تنظر حواليك في ارجاء العالم ؟ خطر
الحرب في كل مكان ، وان الجريمة والشر قد بلغا مستوى عاليا جدا .
لاحظ جرائم القطاع الشرقي من لندن ، وانظر الى ما يفعله الروس في
هنغاريا . انظر الى التجارب التي تجري على القنبلة الهيدروجينية . لقد
اصاب العالم جنون ، لانه ملك الشيطان الان . وهذا سبب اضطهاد رعية
المسيح . ان الوضع الان هو تماما كما تنبأ به الكتاب المقدس . ويشرح
سفر الرؤيا للقديس يوحنا الامر بوضوح تام . انه يتنبأ بان الناس سيسعون
لاصلاح الامور ، ولكن بعد ان يفوت الاوان : « ففتح بئر الهاوية وصعد
دخان من البئر كدخان اتون عظيم فاظلمت الشمس والجو من دخان البئر » .

كان يميل الى الامام ليقرأ النص بلهجة خطابية . وعندما رفع صوته
ليترنم في المقاطع بدا كأنه ينفخ في بوق منبه الضباب . وذكر سورم بعم
له كان يقرأ نشيد « وقف الولد على السطح الملتهب » في حفلات عيد
الميلاد . وقبل ان يبدي تعليقه على العبارات ، اندفع الاخ روبنز قائلا :

- لا شيء يمكنه ان يوقف سلطان الشر في العالم لان العالم ملك
للشر القديم الان . قد ينجحون في اقرار قانون يمنع الاعدام ، وقد
ينجحون في اقناع روسيا على وضع حد للحرب الباردة ، ولكن لا شيء
يوقف العالم عن السير قدما نحو الحساب الاخير .

وتوقف عن الكلام برهة ، ومر بيده على جبينه ، ثم مسح اصابعه
المبتلة بمسند الكرسي . وقال سورم :

- تبدو عليك الكتابة .

ولمح من طرف عينه ان غلاسب كان يبتسم . وجعل وجهه صامدا
واجما حتى لا يشعر الاخ روبنز بانه موضع سخريه .

كثير ! كلا ، انا لست كثيرا . نحن لسنا متشائمين . اننا نمضي في
سبيلنا مستبشرين ، لاننا واثقون من الحياة الازلية . وعندما تنتهي معركة
هرمجدون سنعيش على جنة من الارض الى الابد .

- هذه الارض ؟

- بالتأكيد . هذه الارض . ولكن بعد ان تتحول الى فردوس .

- ولكن بعد ان نربحوا المعركة اولا ؟
- بالطبع .
- ولنفرض ان طرفكم لا يربح المعركة ؟
- هذا محال ، ان الله على كل شيء قدير . يجب ان نربح المعركة .
- فقال سورم :
- في هذه الحالة اذن ، ليس بمة فخر في ربح المعركة ، اليس كذلك ؟
- فنكون مجرد زحف .
- فقال الاخ روبنز بوجوم :
- انك لا تفهم .
- ولمح سورم الشك يرف في عينيه برهة وجيزة . وقال على عجل :
- لا تظنن اني اريد مشاكستك بالاسئلة . اني اريد ان اعرف .
- فعليك ان تقرأ الكتاب المقدس اذن . انا واثق من ان الاخت كوينسي ستعيرك بعض كتبنا وكراريسنا .
- وباغت غلاسب بالقول :
- ينبغي ان نرحل .
- والتفت اليه الاخ روبنز وحده بنظرة عابسة . وقال :
- يجب ان تكون مثل صديقك وان تعير اهتماما جديا للمسائل الجدية . لن يسخر من الله احد !
- ومرت لحظة ، ظن سورم فيها ان غلاسب عزم على تجاهل ذلك التعليق . ولكنه عبس وحذب كنفه وجعل جبينه ينكمش في ثنيات .
- وقال باقتضاب :
- يجب ان اكون بليدا لاصدق هذا السخف .
- ودخلت المس كوينسي في تلك اللحظة . وبدت كأن هواجسها على اشدها قد تحققت ، وكأنها كانت تتوقع في تلك اللحظة ان ينهض غلاسب ويسول على البساط . وقالت :
- اوليفر ! ساطلب منك ان تغادر اذا صُرت سمجا !
- وقال الاخ روبنز بصوت متزن :
- لا ، لا ، يا عزيزتي . لا داعي لفعل ذلك . اذا كان لا يريد ان يؤمن فلا يمكنك ارغامه على الايمان بطرده خارجا .
- اذن فعليه ان يعتذر . كان كلامه غير مؤدب .
- فقال غلاسب باستياء وسخرية :
- اوه ، كلا . لبس من الادب ان افول ما اعتقد به انا . اما هو فلا

بأس أن يصم اسماعنا بارائه . اللعنة على ان لم اصدقه ، ولكن غر مسموح لي بالجهر برأيي . ولانه لا يملك احساسا بالواقع ، فانا فظ لاني اناقضه . كان وقع هذه الكلمات في نفس المس كوينسي حسنا الى حد لم يوقعه احد . وقالت :

— انك انت الذي تفتقر الى الاحساس بالواقع ، يا اوليفر . كل حقيقة كبرى تبدو ضربا من الوهم . انك تظن ان الحقيقة يجب ان تكون شيئا مألوفا عاديا . ولكنك على خطأ . انك انت المقيد باحساسك الواقعي ...

— لا اتفق معك تماما ، يا جبرترود . لا اعتقد ان اوليفر يرفض معقداتك لانه يفضل الحقيقة اليومية المألوفة . في الواقع ، اعتقد ان لكل فنان الاحلام نفسها — ارض قد تحولت الى فردوس ، والناس تحولوا الى ارواح خالدة . ومن الناحية الثانية ، فان افترضنا ان الامر سيحدث في مثل هذا اليوم من الاسبوع القادم لهو من احلام اليقظة . اننا كلانا نعتقد بأنه ان كنس نريدون تحويل العالم الى فردوس فعليكم ان تفعلوا ذلك بانفسكم .

ونهض الاخ روبنز بينما كان سورم يتكلم ، ومد يديه كانه يدعو سورم وغلاسب الى ان يضم احدهما الآخر . — ولكنك ، ايها الرجل العزيز ، واحد منا. انك تريد نفس الاشياء . ان المسألة مسألة سبل تحقيق ذلك ، ويمكننا ان ندلك على الطريق . وقال سورم :

— اتفق معك على ان المسألة هي مسألة سبل التحقيق . وينبغي ان نناقش هذا الموضوع في وقت آخر .

كان الجميع وقوفا ، ينظر احدهم الى الآخر . وكانت المس كوينسي بادية القلق على غلاسب . وفيما كان سورم يهم بالقول : اعتقد ينبغي ان . . . وقاطعه الاخ روبنز قائلا بحماسة :

— ولماذا لا نناقش الموضوع الان ؟ يسرني دائما ان نبحث هذه الامور . هل هناك اهم من هذا الموضوع ؟ فقال سورم وهو ينظر الى ساعته :

— علينا ان نذهب للقاء شخص ما، ولكن في اي وقت اخر سيسرني ان . . . وليسذ ثغرة في الحديث نظر الى غلاسب قائلا : امستعد ، يا اوليفر؟ وتمتم غلاسب ببعض الكلمات ، وادار ظهره لهم . وقال سورم : — ١ . . . يسرني ان اتعرف بك . وداعا . وداعا يا جيرنرود .

وهرع للحاق بغلاسب ، ولحق به قرب الباب الامامي . وتبعته المس
كوبنسى ، ولمست كتفه وقالت على عجل :
— تعال غدا ، يا جيرارد .
— طيب . اريد ان اتحدث اليك .
وهتف صوت غلاسب من الظلام في الخارج فجأة :
— طابت ليلتك ، يا جيرترود .
بدأت الدهشة عليها ، وصاحت بهدوء :
— طابت ليلتك ، يا أوليفر .
ثم اردفت قائلة بسرعة لسورم :
— اطلب منه ان يأتي ثانية — عندما اكون لوحدي .
— حسنا . طابت ليلتك .
كانت تحرص على ان تجعل صوتها منخفضا ووجهها قريبا من وجهه .
وعندما رأى سورم ان الاخ روبنز وغلاسب كانا غائبين عنهما ، انحنى عليها
على عجل وقبلها . فتراجعت خطوة الى الوراء ونظرت بسرعة خلفها صوب
الصالة ، ثم قالت ببرود : طابت ليلتك
واغلقت الباب خلفه . وخرج الى الظلام وهو يفكر : لكل النساء
موهبة على حبك الدسائس .
كان غلاسب يقف الى جوار البوابة الخارجية . وقال لسورم :
— كيف تسمر ؟
— لا بأس .
— اخبرني جيرترود ان اطلب اليك العودة لرؤيتها يوما — عندما لا
يكون ذلك الرجل هناك .
فزمجر غلاسب . وقال لسورم :
— الاتميل اليها هي ايضا ؟
— اوه ، لا بأس بها .
— اعجب .
— فقال غلاسب والاسمئزاز باد عليه : حتى نهاية الطريق .
كانا في تلك الاناء بمران بكشك للنلفون عند نهاية شارع ويل ووك .
وقال سورم :
— الا يضيرك ان احاول الاتصال بأوستن مرة اخرى ؟
— كلا .
واجاب الصوت من طرف النلفون بان لن يعد الى البيت بعد وسأل

- ان كانت هناك رسالة يبلغها له .
 فقال سورم :
 - كلا ، ليس الامر مهما . اردت فقط ان اطلب منه مشاركتنا
 في حفلة .
 - هذا المساء ؟
 - نعم .
 - ان اردت ان تترك عنوانك كي ابغله له عندما يعود .
 وتردد سورم قليلا ثم اعطى عنوانه ، وهو يفكر بان وجود غلاسب
 قد يسرر له الكلام عن حفلة ، اذا ما طلب اليه تبرير النداء التلفوني .
 وقال غلاسب :
 - ألم يعد بعد ؟
 - كلا .
 - وماذا ستفعل ؟
 - لا ادري . يجب ان احذره بطريقة من الطرق ؟
 - ليس الامر ذا خطورة تذكر .
 - لماذا ؟
 - ليس من اليسير اتهمه بجريمة اقترفت منذ زمن بعيد في
 هامبورغ .
 وادرك سورم لدهشته ان غلاسب لم يجد الصلة بعد بين نن وبين
 جرائم واينشابل . كان سورم قد ظن ، لسبب يجهله ان غلاسب على علم
 بذلك . واعرض عن فكرة سرد القضية لغلاسب الان بعد ان تذكر نورة
 غلاسب اثناء العشاء قبل بضع ليال ، وارتاب فجأة في ان يكون في امكان
 غلاسب ان يشي بنن لدى الشرطة وقال :
 - آمل ان تكون على حق .
 - انك اكثر اهتماما بنن من اهتمامه بك .
 - لماذا ؟ هل تعتقد انه يكرهني ؟
 - كلا . ولكنه من النوع الذي يفتقر الى العاطفة . انه لا يهتم
 بالآخرين مطلقا .
 ولما صارا على قمة تل هافرستون . قال سورم :
 - ما رأيك في قدح اخر من الشراب ؟
 - فكرة صائبة .
 - اعرف حانة هنا .

- كانت الحانة مكتظة بالرواد . فدخلوا الصالة الخاصة ، فالفياها
 اقل زحاما .
 - نفس الشراب ؟
 - اجل .
 - اذهب واحجز تلك المقاعد التي في الزاوية . انا ذاهب لاحضار
 المنروب .
 كانت وقائع زيارتهما لجيرترود كوينسي قد هدمت شعوره بالانسياط
 والدفاء المناسب في نفسه . ولكن الشعور شرع بالعودة عندما شرب نصف
 زجاجة من البيرة المركزة .
 وقال غلاسب :
 - عم كنا نتحدث ؟
 - اوستن .
 اه . نعم . لننسه ، فلا يهمننا امره .
 - حسنا .
 كان غلاسب يبتسم ، كانه تذكر نكتة ما . فنظر سورم اليه بتساؤل
 وهو يرفع احد حاجبيه . وقال غلاسب :
 - وجيرترود ؟
 - ماذا عن جيرترود ؟
 - انك تنشيء علاقة معها ؟
 - آه ، لقد لاحظت ذلك ، ها ؟
 - انك لم تحاول اخفاء الامر ، والضياء من خلفك .
 - طيب ، ان الجواب هو كلا . يعجبني استئثارها فقط .
 - كان ذلك بقصد اثارها اليس كذلك ؟
 - الى حد . لمجرد المزاح .
 - أرجو الا اكون متطفلا في امورك ؟
 - كلا ! ليس هنالك ما اريد اخفاه . انني امزح فقط .
 - هل فعلت ذلك معها قبلا .
 - نعم . لاستئثارها فقط .
 ومضى غلاسب يحتسي البيرة . كان من عادته ان يلقي بالاسئلة
 فجأة ، كما لو انه يبغي مفاجأة الشخص . وتوقع سورم سؤالا اخر من
 هذا القبيل . وتأخر السؤال قليلا .
 - اتريد مضاجعتها ؟

وفكر سورم في السؤال مليا . في الواقع ، كانت فكرة مضاجعة جيرنرود قد فقدت لمعانها منذ ان اضطجع مع كارولين . وقال بروية :
 - لا اعتقد تماما اني اريد ذلك ... لست ادرى .
 - طيب ، اما ان تريد أو لا تريد .
 - كلا . المسألة ليست بهذه السهولة . فاني احس بطريقة ما بانني اريد ان اضاجع النساء جميعا دونما تمييز ، اتعلم ... عندما اسمع عن شخص منح « امانة » مدينة لندن ، اتخيل احيانا كم من الجميل ان يمنحك احد امانة جميع النساء في العالم .
 لا يهم انة امرأة . كل ما في الامر انك تبرز رقعة جلدية كنب عليها بالحفر ، ولها مفتاح مذهب ، وتقول : «اسمي سورم ، تعالي الى غرفتي» .
 فكرة رائعة .

فقال غلاسب ضاحكا :
 - عواطف الشخص الذي له ولع جنوني بالجنس .
 - كلا . كلا في الحقيقة !
 - كلا . لست الا مازحا .
 - ولكن ، في الواقع ، هنالك شيء من الحقيقة فيه .
 - ولا شك .

- هل تعرف تلك الابيات من بليك التي يتحدث فيها عن الاسد الذي يرقد مع الحمل ؟ شيء عن العصر الذهبي . ذلك اساس المسألة ، اندرى؟
 اننا نعيش في عالم منهار ونحلم عن عصر ذهبي حيث لا محل فيه للفشل .
 الناس جميعا تحولوا الى الهة لان في امكانهم ان يفعلوا ما شاؤوا . وهذا هو السبب الذي اجد لاجله من العسير علي ان ادين وستن ، مهما فعل . ليس هنالك شيء يدعى بالانحراف الجنسي ... ولكن ، على كل حال ، قد لا يوجد شيء يدعى بالجنس اطلاقا . الجنس برمته جزء من هذا التدهور اتعلم ان فكرة تولستوي عن الجنس هي انه ينبغي على الناس الا يمارسوا الجنس الا لانجاب الاطفال ؟ انها فكرة منطقية . اما ان يكون الجنس بأجمعه طبيعيا ، او لا يكون . ليس سمة خط يفصل الجنس الطبيعي والشاذ عن الجنسي .

كان يدرك اثناء الحديث ان كلماته لم تكن تبدو منطقية . وكان غلاسب يصغي وقد مط شفته السفلى ، ووجهه ينطق بالارتياح . فآخذ سورم يبدل جهدا واعيا ليلوح كلامه منطقيا :
 - لنضع المسألة على هذا النحو . لو اني انجذبت الى الفتاة ، فساني

اعلم علم اليقين بان الامر ليس الرغبة في مضاجعتها فقط. واذا ما دفعني الفضول الى معرفة ما تبدو عليه في الفراش ، فتصبح المسألة هنا رغبة في تحطيم الحواجز القائمة بين البشر اكثر مما هي رغبة في اقتحام الفتاة . واذا انتهى الامر بالفراش ، فمن المحتمل ان تخبر شهوتي لها . وذلك موقفي مع جيرترود . هنالك شيء يتعلق بموقفها العذري الجامد الذي يستفزني . ولكني لا اعتقد انها الرغبة في اتخاذ جيرترود خليلتي لي . ولاحظ وجه غلاسب هذه المرة يشرق بشيء من التجاوب مع قوله ، ولكن رغبته في التعبير عما كان يختلج في نفسه من الحسد الذهني بالكلمات كانت اقوى من ان تدفعه الى التوقف وانتظار غلاسب ليلدلي بانطباعه . واحس بالانسياط التام عندما انهي قدحه ووضعته على الطاولة ، وهو يميل الى الامام ، ويدرك ان الافكار تحتشد في رأسه وتبغي مخرجا . - هل حدث ان كنت في غرفة مع امرأتين كانتا خليلتيك ؟ وعندما تنفل نظرك من الواحدة الى الاخرى لا تشعر بالاهتمام لاية واحدة منهما . واذا ما اعادت احدهما ساقها المعقودتين الى وضعيهما الطبيعي وهي تجلس امامك على الكرسي لا تكلف نفسك عناء التطلع لترى الى اي ارتفاع ستخسر تنورتها . وتؤلف هاتان المراتان بالنسبة لك مجموعة صغيرة ، منفصلة عن بقية الجنس النسائي . قد تستهيهما ، ولكن الاهتمام والفضول قد تلاشيا . وعلى اية حال ، فاني اشعر تجاه جيرترود بالفضول لا الشهوة . وعليه فلا يمكنني حقا ان اقول هل اني اريد مضاجعتها ام لا . قدح اخر ؟

وكان غلاسب قد انهي زجاجة البيرة . وكان ينقل نظره حواليه في الصالة وفي وجهه علائم الامتعاض . وقال :

- المكان مزدحم . ما رأيك في الذهاب الى حانة اخرى ؟
كانت الصالة قد اخذت تزدحم منذ ان قدما . ولم يكن هنالك في تلك اللحظة كرسي واحد خال ، وكانت تقف الى جوارهما جماعة من الناس ، يتضاخكون بصخب .
وقال سورم :

- اكثر حانات لندن في ليالي السبت على هذه الشاكلة . يمكننا ان نعود الى غرفتي .
- كم الساعة ؟ الثامنة ، طيب ، ان اردت .

* * *

وملا المغسلة بالماء الساخن ثم غمر يديه فيه ومال بجسمه الى الامام

مستندا اليها ، وهو يحس بالتعب المفاجيء . وسمع خلال باب الحمام المفتوح قليلا رنين السلفون ، فاحس بالتوتر بصورة تلقائية ، وراح ينتظر ليناديه احد . وعندما توقف الرنين ولم يناده احد اخذ يجفف يديه ، وهو يفكر باعياء : الناس . كيف اتخلص من الناس ؟ لقد احس باشمزاز مفاجيء ، كان رد فعل للانفعالات التي امتورته عند المساء ، والان الاحساس بمعرفة غلاسب معرفة افضل خلال بصيرة جذبتة اليه . كان ذلك احساس من ربح لعبة ، الاحساس بقوة داخلية متنامية ، طاقة لا يستطيع ان يجد لها منفذا آتيا .

كان غلاسب ممددا على الكرسي الكبير ، وقدماه على المقعد . وكانت السمفونية الخامسة لبروكوفيف ، التي كان الغرامافون يعزفها ، قد سارفت على خاتمة التسوط الاول . وكانت على المنضدة اربع زجاجات مليئة بالبيرة .

— هل اقلب الاسطوانة ؟

— كلا . بل الافضل ان نتحدث .

ومد غلاسب قدحه ، واخذ يهره عندما كان سورم يصب البيرة فيه . وقال سورم :

— تبدو جدلا ؟

— صحيح ؟

— يبدو في وجهك الرضى .

فقال غلاسب :

— ربما .

وارتخى سورم على الكرسي الاخر ، ورفع قدميه المتعلتين ووضعهما على المقعد الصغير ، فازاح غلاسب قدميه اللتين كان يلبس فيهما زوجا من الجوارب ليدع مجالا لقدمي سورم . ولاحظ سورم باهتمام ان غلاسب كان يرتدي زوجا جديدا من جوارب النايلون . وقال غلاسب :

— اصغ ، يا جيران . الم يجلب بخاطرك انه يحتمل ان يكون اوستن مجرم وايتشابيل ؟

وقال اخيرا :

— هممم ...

وظل سورم منبنا بصره في نعليه ، وحرص الا تبدر منه اية دهشة .

— تعتقد ان الامر غير محتمل ؟

— اعتقد انه ممكن . فنحن نعلم ان اوستن سادي ، كما ان هنالك

شكوكا حول قتله احداً في هامبورغ .

— نعم ، ولكن ...

— ماذا ؟

— ونحن على معرفة باوستن ايضا . هل يمكنك بعد ان تنظر اليه ان تجد الصلة بينه وبين حوادث القتل ؟ لا يمكنني ذلك .

وبقى غلاسب ممسكا بقدرح البيرة في موازاة انفه وهو يعبس فيه .

— لا يمكنني انا ايضا . ولكن هذا لا يبرهن شيئا . انك تعلم او

اوستن سادي . فهل يمكنك ان تتخيله يضرب احدا باسوط ؟

— كلا ..

— ومع هذا فمن المحتمل انه يفعل ذلك .

— طيب ، ثم ان هذه الجرائم تدل على اهتمام القاتل بالجنس الاخر ،

في حين ان اوستن ينزع الى جنسه . فلم يختار النساء ؟

— انهن اسهل منالا في وايتسابل .

— حسنا . ونانيا ، لم يختار وايتسابل حيث احتمال اللقاء القبض

عليه اكثر منه في اي مكان اخر ، كلما يقتروا جريمة ؟ لم لا يتنقل في

اطراف لندن ؟ وثالثا ، لم بالله عليك يجب ان يكون هذا المجرم هو اوستن

من بين سبعة ملايين شخص يعيشون في لندن ؟

ونظر اليه غلاسب مليا . وقال :

— انت لا تريد ان يكون القاتل اوستن ، اليس كذلك ؟

فهز سورم كتفيه . وقال :

— لا اعلم . انا اميل الى اوستن ولكني لن اخشى مجابهة الحقائق ان

كسأت تنسبر اليه فعلا .

وقال غلاسب :

— على اية حال ، لا داعي للقلق . لن اشي به لدى الشرطة ، حتى

لو علمت بانه هو الذي اقترف هذه الجرائم .

— كلا ..

— وعلى كل ، كن على يقنة بان الشرطة تراقبه . ان كان متبوها بقضية

القتل في هامبورغ ، فهو الان منسوبه بصورة طبيعية في قضية وايتسابل .

— لست ادري . لا افهم كيف تحدث هذه الامور .

— هل تفهم معنى السادية ، على اية حال ؟

فسأل سورم باهتمام :

— ماذا بدفعك الى هذا القول ؟

- أنت لست من هذا الصنف .
- لا ؟ فمن اي صنف انا اذن ؟
- فقال غلاسب ، وهو يهز كتفيه :
- انك على شبه بي . لبس لك اهنمام خاص بالجنس .
- ويلاه ! اتظن ذلك حقا ؟
- فابتسم غلاسب . وقال :
- انك تعتقد بانك مولع بالجنس ، والحقيقة انك لست كذلك .
- حاول ان تفهم ما اعنيه . اوسس انسان يؤمن بالحس ، انه ليس رجل فكر . لا شيء يير اهمامه في الحقيقة الا ما يمكنه رؤيته ولمسه .
- اوه ، لا ادرى . لا يمكننى القول انه عديم الافكار .
- انه عديم الافكار . ربما يبذل مجهودا لبلوح رجل فكر عندما يتحدث اليك . واذا ما تعود عليك والفك كف عن بذل هذا المجهود .
- نعم ، ولكن ... هناك شيء من البراءة في اوسنن . انك لا تفهم .
- بل افهم ذلك جيدا . هنالك دائما شيء من البراءة في الحسيية
- لا يسنرط في الرجل الحسي ان يسنهي وبسيل لعابه فحسب ، ولكنها لا ترتفع عن الارض ، مع هذا . كان اسد الناس انغماسا في اللذة الحسية رجلا عرفته وكان مولعا بجمع المدى والخناجر . وقد كتب مقالات عديدة في الموضوع - وقد اشتهر في اوروبا على انه اكبر حجة في هذا الموضوع .
- لم تكن رأسه تنسع لفكرة واحدة ، ولكنه كان مفعما الى حد مذهل بالاف الحفائيق عن الخناجر .
- فقال سورم بلهجة مترددة :
- فهمت ما تعنيه .
- كان يشعر بالجوع . فاخرج من الدولاب قطعة من الرغبة وبعض البصل الاسباني وكيسا من البلاستيك يحتوي على الجبن . وقال :
- تفضل ان كنت جائعا .
- وقطع كسرة غير منتظمة من الرغبة وطلاها بقليل من الزبدة وقال غلاسب :
- فكرة لا بأس بها .
- وقال ، وهو يقطع الرغبة :
- لا تكون اراء مغلوطة عن اوسنن . انه ليس زميلا روحيا . انه لا بأس به ، ولكنك ان اشنبتك معه فسيقضي عليك .
- اعلم ذلك . ولكنني اعتقد انك تسيء الحكم عليه . انه يسيء الحكم

علك ايضا .

— صحيح ؟ ماذا يقول عني .

فتردد سورم ، ليقدر نتائج صراحته التامة . فدفعته الى الكلام
الرغبة في اسنارة رد فعل لدى غلاسب . وقال بلا مبالاة :
— انه يعتقد بان لك بعض ... الهوايات الجنسية الخاصة .
فقال غلاسب باحتقار :

— بالطبع . علبه ان يعترف بذلك .
فقال سورم ضاحكا :

— اوه ، اني وافقك . انهم دائما يريدون اتهام الآخرين بما لديهم . .
— بماذا يظن . . . اني مولع ؟ الرجال ام الاولاد ام الحيوانات ؟
— ليس واحدا من هؤلاء ، وانما بالفتيات الصغيرات .
كان الابن الذي احده اعنف مما كان يتوقع . فوضع غلاسب السكين
على الصحن ، وظل يحرق بذهول ، وقال :

— ماذا ؟

وتجاهل سورم انفعاله ، وقال :

— اوه ، تعرف ماذا يعني . . .

— هل قال ذلك ؟ اخبرني بما قاله بالضبط .

وفيما هو يتكلم ، سمع سورم احدا خارج الباب . ومرت به لحظة
توقع فيها ان يرى وجه ن ، تم سمع المفتاح يتحرك في باب الغرفة
المجاورة وعلم ان الرجل الفرنسي كان يفتح غرفته . كان قلب سورم يخفق
بعنف ، فقال على عجل :

— اوه ، ان اردت ان انصف اوسن فانه كائن ينفل الي خبرا سمعه .

— هل انت واثق ؟

— تماما . كان هنالك اثنان من الاميركيين يعتقدان بانهما التقيا بك
في لندن منذ بضع سنين . ولكن على كل ، ربما كانا يتحدثان عن شخص
اخر . او ربما قال ذلك لمجرد الكلام .

فقال غلاسب ببطء :

— لا حول ولا قوة !

وافرغ قذح البيرة نم ملاء مرة اخرى ، ثم جلس على الكرسي منحني
الظهر وراح يحرق في النار . وكان في هذا التوتر الظاهر في جسده
المنني ما جعل سورم يشعر بانه كانت تعمل في نفس غلاسب هزة داخلية
كان لا يريد ان يظهرها . وكان قلب سورم ما زال يخفق بعنف من جراء

- الحركة التي كان سمعها خارج الباب . وقال :
- اسمع لم لا نترك الموضوع ؟ اسف لاني اخبرتك به .
- الم يقل شيئا اخر .
- كلا .
- فقال غلاسب ببطء :
- يحيرني هؤلاء الناذون الملعونون .
- لماذا ؟
- لا يهمهم شيء اكثر مما يهمهم الاشخاص . لو اني رسمت اعظم لوحة منذ رامبرانت لما اكثر بها بقدر اكرائه لو كانت لي علاقة بالموديل الذي رسمت عنه .
- ولم يبذل سورم جهدا هذه المرة لمناقضة رايه . ونظر الى ساعته ، وهو يود ان يقترح على غلاسب الخروج . لقد اقلقه فكرة مجيء ن فجة . فقال بخفة :
- لا افهم لم تأتت لذلك . قلت ذلك لتسلبك فقط . انا لا اخذ اوسنن على محمل الجد .
- فنظر اليه غلاسب معبسا :
- ولكن لم قال ذلك ؟ ومن اين جاءته هذه الفكرة ؟ هل اخبره بصورة الفتاة الصغيرة التي رايتها في غرفتي ؟
- كلا .
- واحس سورم بالضيق الشديد . كان قد شاهد صورة الفتاة بينما كان غلاسب خارج الغرفة ، ولم ترق له فكرة الكذب على غلاسب . وقال :
- اخبرتك ، على كل حال . كانت هذه فكرة الامريكيين الانيين .
- يمكنني ان اؤكد لك . لاني التقيت بهما .
- فهز غلاسب كتفيه بامتعاض وقال :
- لا يهمني مطلقا على كل حال . ولكنى اراهنك بانه رآني اتمشى مع الفتاة الصغيرة التي في الصورة ، او اخبره احدهم عن الامر .
- فقال سورم كاذبا :
- لا اذكر الصورة على اية حال . واشك في ان يعرف اوسنن عنها شيئا .
- وغابت حدة غلاسب وظل صامتا ، وهو يمضغ الخبز والبصل الاسباني الذي ملا فمه . كانت عضلات فكه تنتصب بارزة كلما كان يمضغ اللقمة ويتلمعها . وسمع من الاسفل صوت باب بقلق بنسدة . وحسب سورم مرة اخرى ان اوسنن يحتمل ان يكون قد وصل . وقال :

— اتعلم ، اني واثق من انك مخطيء بصدد اوستن ...
وقال غلاسب :

— هل تصدق اني اميل الى الفتيات وهن في الثانية عشرة من العمر؟
— انا ... على كل ، لا اصدق ذلك . ولكني اقولها لك باخلاص
لو كنت فعلا كذلك لما افزعني الامر . تبدو الفتاة احيانا على جانب من
النضوج وهي بعد في سن الثانية عشرة .
— تلك الفتاة لم تبد كذلك . انها تلوح وكأنها في التاسعة .

فقال غلاسب بكآبة :

— نعم ، ولكن ... انظر يا اوليفر ، انا لا اريد ان ادس بانفي في
حباتك الخاصة ، فلنترك الموضوع ، ها ؟

— هل يضايقك ؟

— كلا ولكن ...

— اذن ، فهو لا يضايقني انا ايضا . لا يحرجني الكلام فيه .

وتساءل سورم ترى هل نمل غلاسب قلبا . كانت الطريقة التي
يؤكد فيها على الموضوع واهنة ثقيلة . وقال سورم :

— حسنا . ان اردت ذلك ، فلنتحدث عنه . من هي هذه الفتاة ؟

وافرغ غلاسب بقية ما في زجاجة البيرة في قدحه على مهل ، ثم
وضع الغطاء على الزجاجة بعناية ثم وضع الزجاجاة على الارض . وقال :

— اسمها كريستين .

ولكي يخفي سورم الحراجة التي كان يحس بها فتح زجاجة البيرة
الاحرى وراح يملأ قدحه . وشعر بان الحديث قد بدأ يصطبغ بلون سخي .
فغلاسب ، على كل حال ، لم يكن ملزما بان يحدثه عن الفتاة . ولاحت له
تلك اللحظة غير مناسبة للكلام عنها ، كما لاحت له طريقة الكلام غير مناسبة
ايضا . ولاحظ ان النار الغازية بدأت تخفت ، فاخذ يبحث في جيبه عن
قطعة نقود ، وسره ان يتشغل نفسه بشيء وهو ينتظر من غلاسب ان يمضي
في حديثه . وعندما شرع غلاسب بالكلام اخيرا ، لم يكن في صوته اثر
للسكر . وقال بجهد :

— اتعلم ، يا جيرارد ، ان الدم ليفل في عروقي عندما يتدخل
انسان ميل اوستن في شؤوني مع اني لم اقترف ذنبا تجاهه ، اليس
كذلك ؟ اني اعيش لوحدي ، مهتما بشؤوني الخاصة . انا لا اطلب من
الناس مراقبتي . اني اتجنب الناس لاني لا اجد متعة في الاشتراك باللعبة
هل تفهم ما اعنيه ؟

— تعني اللعبة الاجتماعية ؟

— اعني اللعبة الشخصية . اترى ...

ورأى سورم ، وهو ينظر اليه ، الكلمات تكاد تنزع نفسها من رأس غلاسب ، والفي نفسه يميل الى الامام وهو يركز اهتمامه لمعاونة غلاسب . ومضى غلاسب قائلاً :

— اذا اندمجت مع الناس فعليك ان سمسك بالقواعد . مثل ذلك ميل الدخول الى مدرسة نموذجية او الانضمام الى احد النوادي الراقية ، فار اردت النمتع بفوائدهما ينبغي عليك ان تتمسك بالقواعد . طيب ، انا افضل الا انضم الى النادي ، اريد ان اسفنى عن تلك المنافع . والامر كذلك بنسبه عرض لوحاتك . فانك اذا وضعت لوحاتك في معرض نضع نفسك تحت رحمة نغول ذوي عقول عفنة لا يفرقون بين الاصباغ والفائض ! ولا فائدة من السكوى بان احدا لا يفهمك . انك ان عرضت صورتك فمعناه انك تسأل الناس ان ينظروا اليها ، فاذا ما ابدوا ملاحظات بليدة فليس لك ان تبدي شكواك ، لانك انت الذي طلبت ذلك . ولهذا ، فاني لا اقوم بعرض صورتي ، واذا ما ابدى احدهم ملاحظات سخيفة حول عملي فلي الحق في ان الطمه على فمه واقول له :

— اغلق فمك ايها الحقير ، لم يطلب اليك احد التعليق .

كانت الكلمات تدمق ، وكان غلاسب يكلم كالالة ، وقد تورد وجهه ، وهم لا يسعر بفتاته الخبز التي النصقت في طرف فمه . وكانت في عينيه بهجة ، لدهشته بان احاسيسه كانت فعلا تتحول الى كلمات يتفوه بها . ومضى قائلاً :

— والامر نفسه مع الاشخاص . اذا كنت تحتاج الى الناس ، فعليك ان تحملهم الى الحد الذي تريده . ان الامر على ما يرام مع بيكاسو لان الناس كلهم يحملونه ، على اي حال . هل تفهم ما اعنيه ؟ ولكنك ان اردت ان تنتج عملا عظيما ، فان ذلك يكلفك جهدا هو اكثر مما يستحق الناس لحملهم على قبولك ... فقال سورم :

— اعرف تماما ما نعنيه . لقد حدث ذلك لي مرارا كثيرة . قبل ان اترك العمل ، كنت اتسفل موظفا في احدى الدوائر مع موظف اسكوتلاندى كان شديد التبجح . وكان يعلم بانني اريد ان اصبح كاتباً ، فكان يتلذذ في انارتي — قائلاً بانني اهتم بالمسائل العقلية ولست على اتصال بالواقع . فقال غلاسب :

— كان عليك ان تلقني عليه درسا عمليا .
 — شعرت بالرغبة في ذلك . ولكن ما نفع ذلك ؟ لقد افلح في اكتساب ودي . اعتقد انه كان يعاني من الشعور بالنقص الذي كاد ان يحطمه .
 ولكن كان علي ان احتمله لانه كان يجلس الى جوارتي . وكانت انفعالاتك نفسها تعتمل في صدري — كان ينتابني شعور بالاهانة من انتقاده لي .
 كنت اود ان اقول له : انك لاحمق ، انا لا اريد معرفتك . ولكن لسوء الحظ لم يكن في وسعي غير ان اعرفه وان اتحدث معه وان اعلم معه . .
 فقال غلاسب بمرارة :

— حسنا ، هذا ما اشعر به تجاه اوستن . ما عدا اني قلت له فعلا : « انك لاحمق وانا لا اريد معرفتك » . ولم ازل لا اسطيع الخلاص من تفاهاته .
 فقال سورم :

— اما كنت شعرت غير هذا الشعور لو اصبحت شهيرا ؟
 — بالطبع ، لاني في ذلك الوقت لست مضطرا للنقاش مع الحمقى .
 كنت اترك المعجبين بي يفعلون ذلك لاجلي . خذ هذا الرجل الذي رايناه الليلة — الاخ «لا ادري من» عند جيرترود . اسنطعت ان ادرك انه احمق وانه لم يكن هناك اي معنى في تبادل كلمة واحدة معه . ولذا فلم افعل .
 هذا ما يجب ان يكون عليه الامر .

فقال سورم كانه يشعر بالاثم :
 — اتعلم ، انك قسوت على اوستن ، بصدد هذه الفتاة . اني لوائق بانه لا يعرف عنها شيئا .

— ولكنك قلت انه يعرف . . .
 فقال سورم بلهجة صارمة :
 — قال ذلك شخصان امريكيان ، ولم يكونا واثقين من ان الشخص المقصود هو انت .

فقال غلاسب بامتعاض :
 — اوستن انسان احمق ، على كل حال .
 فقال سورم مبتسما :

— دهشت للضراوة التي جابهني بها عندما قدمت نفسي لك كصديق لاوستن .
 — لان ذلك كان اسوأ ما يمكن ان يقوله لي شخص . ولكنني عندما تحدثت اليك وجدته اميل اليك .

- شكرا .
- هل اخبرك لماذا ؟
- فهر سورم رأسه موافقا ، وقال غلاسب :
- لان لك وظيفة تؤديها . انك لا تبدد وقتك كما يفعل اوسن .
- فقال سورم ، وهو يهز كفيه :
- انا اضيع الكثير من الوقت .
- ولكن ليس بطريقة اوسن . اتعلم ، لا بد ان الشخص الذي يبدد وقته مصاب بسىء ما . انه يبدأ بالعفن حتى تستطيع ان سم رائحته الا تحس بذلك تجاه اوسن ؟
- كلا . انا لا اشعر بانه يختلف عنى كثيرا .
- فقال غلاسب :
- ستكتشف ذلك .
- وغاص في كرسيه ، وحنى ركبتيه فوق المقعد ، وقال بنأمل :
- سأفدمك الى كريسنين فى يوم من الايام . انك ستمبل اليها .
- انها طفلة ذكية .
- هل هي مولعة بالرسم ؟
- قليلا . انى احاول ان اعلمها . لها موهبة عظيمة . . . اكر مني .
- جديا ؟
- جديا . انا لا املك الموهبة . علي ان اعمل بجهد شديد لاطهر ظلالا معينة ولكنها تفعل ذلك بسهولة .
- كم يبلغ عمرها ؟ تسعة ، قلت ؟
- كلا ، اثني عشرة . ولكنها تبدو في التاسعة .
- كيف التقيت بها ؟
- بطريقة غريبة نوعا ما . كنت فى يوم من الايام اقف امام احدى المكتبات في شارع مايل ايند لانفرج في خزانة الكتب ذات سعر ستة بنسات ، وكانت هذه الفتاة تقف بجواري . وظلت تنظر الى دفتر « اوتوغراف » قديم ذي غلاف جلدي ، وقد محل لون اوراقه ، ولكنه لسبب من الاسباب غير مستعمل . وكنت ارى انها كانت تريده . وعندما نظرت في داخله وجدت انه اغلى سعرا من بقية الكتب — ليس اغلى كثيرا — شلن واحد ، او شلن وست بنسات . وبقيت تعيد الكتاب الى محله سم ننظر الى الكتب الاخرى ثم تخرجه نانية . ورحب اتساءل في نفسي هل ستسرقه . ولكنها لم تفعل . وتركته اخيرا ومضت في سبيلها . وكنت

قد اخترت كتابين ، وكتب قد بعث قبل قليل بعض الصور ، فساخذت
الارتوغراف مع الكتابين الآخرين الى الحانوت واسترنيها . وعندما
خرجت ، كانت قد ابتعدت حوالي نصف الميل ، فركضت خلفها ، وادركتها
واعطيتها الدفر .

فابنسم سورم وقال :

— وماذا فعلت ؟

— اخذته وراحت نحدق في . وسعرت بسخاقتي قليلا لشرائي اياه ،
فاستدارت وانصرفت . وهكذا كان الامر . ولم يتكلم اي منا .

— ما اغرب فعلتك !

— اوه ، لسب ادرى . كان مجرد دافع .

— وكيف تعرفت عليها ؟

— حدث ذلك فيما بعد . رايسها مرين في الشارع وخمنت انها
تسكن في تلك الاصقاع . ولم اكن مكتربا لها بصورة خاصة ... على كل
حال ، كنت في احد الايام امر بقرب السينما في الشارع التجاري — كان
ذلك في مساء يوم سبت وكان هنالك صف من الصبيان خارج السينما .
وخرجت هي من الصف وهرعت نحوي وهي بصيح : هلو : وعادت تركض
الى الصف قبل ان استطيع الكلام . تم النقيت بها بعد يومين بينما كنت
خارجا من حانوت الخباز في شارع فالانس ، فمست معي . وشعرت
بالحرجة قليلا — فاني اكره ان اسال الاطفال عن اعمارهم وماذا يفعلونه
في المدرسة وغير ذلك من اللغو — اتذكر كم كانت تضجرتني هذه الاسئلة
عندما كنت صبيا . ولكن كان من العسير علي ان اجد شيئا اخر اقله لها .
على كل حال ، سالتني هي عن مهنتي فاخبرتها بانني رسام . فقالت : «اوه»
ولم يبد عليها الاهتمام ظانة اني صباغ جدران . ولكنني عندما قلت لها بانني
ارسم الصور بدا عليها الاهتمام ، ورايتها تقيم احلام يقظة رومانتيكية عن
الرسام الحقيقي . على كل حال ، وكان عليها في ذلك اليوم ان تعود الى
البيت ، ولكنني قلت لها بانني اود ان اريها لوحاتي في احد الايام . وفي
اليوم التالي رايتها خارج مسكني في حوالي الساعة الرابعة مساء . فطلبت
اليها الدخول . وتصرفت تصرفا مضحكا . اخذت تنظر في كلا الجانبين
لتتأكد من ان احدا لم يكن يراقبها ، ثم اندفعت الى الداخل كالارنب
المدمور . ورايتها لوحاتي وقدمت لها قدحا من النسي وقلت لها ان تأتي
لزيارتي في اي وقت تشاء . كانت على ما يظهر خجولة ... وفي امسية
السبت التالي اقبلت واصرت على ان تراقبني كيف ارسم . وظن والدها

انها ذهبت الى السينما ايضا ... وتعرفت عليها بهذا الشكل .
فقال سورم :

ـ تبدو فتاة ساحرة . هل كانت لها احلام رومانتيكية عن الرسامين؟
ـ اوه ، نعم . اكتشفت عاطفة كبيرة نمت فيها . فقد التقت بهما
يوما مع احدي صديقاتها فاحمر وجهها احمرارا شديدا . وذكرتنا بذلك
في السبت التالي فاعترفت لي اخيرا بانها ادعت امام صديقها بانى طلبت
منها الزواج عندما تبلغ السادسة عشرة !
فقال سورم ضاحكا :

ـ طيب ، لم لا ؟

فهز غلاسب كتفيه وقال :

ـ على كل ، من الممكن - اعتقد انها سنبليج السادسة عشرة بعد ثلاث
سنوات فان سنها الان يشارف على الثالثة عشرة .
فقال سورم مندهشا :

ـ هل انت مولع بها الى هذا الحد ؟

ـ انا ... انك لا تفهم . اتعلم ، انها من عائلة كبيرة - لها سبعة
اخوة واخوات . وقد اضطروا مرة ان يسفل اربعة منهم غرفة واحدة .
ابوها حارس في سجن بريكنون - انسان شكس الاخلاق ينفق كل ما
لديه على الشراب . واختها الكبرى مروجة . منزوجة من رجل بولندي ،
وهما يسكنان في البيت المجاور . وعندما يعود البولندي الى البيت يملا
ويحاول ان يضرب زوجته ، تذهب اليهم وتنام مع كرسيتين واختها الاخرى
على سرير واحد ... وتنام كرسيتين على طرف السرير . ورايت امها
مرة - امرأة مسكينة متهدمة ، لها نديان كبيران متدليان وليس لها اسنان .
كان عمرها لا يزيد على الخمسين ، ولكنها كانت تلوح في السبعين .

هذا هو المحيط الذي عاشت فيه الفتاة . وهي تريد ان تدخل مدرسة
للرسم - ولها من الذكاء ما يساعدها في الحصول على منحة دراسية -
ولكن والديها لا يرضيان مطلقا ان تدرس الرسم . حتى ان امها اخبرتها
ان طالبات الرسم اسوا من العاهرات . وعلى كل حال فهم يريدونها ان تجد
عملا بعد ان تنهى دراستها لكي تحصل لهم على بعض الدراهم رينما تتزوج
كان اهلها يعيشون في الاحياء الفقيرة منذ اجيال . وهم لا يريدون
حياة افضل .

ـ هذا سخف الا يمكنك افناعهم ؟

ـ لا امل في ذلك البتة . ولا تجرؤ كرسيتين حتى على اخبارهم

بانها لم تزل تلتقي بي . وقد تخاصمت مع ابوها مرة .

يا للسماء ! كيف ؟

وهز غلاسب كتفيه ، ثم ارتعش جسمه وقطب وجهه كأنه لا يريد ان يستعيد ذكرى كريهة :

— انه سكير متعجرف غبي . لقد رأنا اخوها في المقهى فاخبر والديها . فاشبعوها ضربا وحملوها على أن تعدهم بالا تراني ثانية . ولحسن الحظ رأبنا اخاها عندما شاهدنا ، فاوصيت كريستين الا تخبر والديها بكل شيء ، وان تقول لهم بانها التقت بي مرة او مرتين فقط في معرض الرسم في وايتسابل . ولو لم اوصها بذلك لكان من المحتمل ان تخبرهم بانها جلست لارسمها وكانوا سلخوا لها جلدها . وعلى كل ، كنت مارا فسي اليوم التالي امام حانة في هابري سترت فرأيت اباه يخرج وبدأ بالسجار معي .

— كيف عرفك ؟

— اوه ، كان رأني قبلا ، وكنت انا رأيته ايضا — انهم يسكنون قريبا مني ، عد منعطف الشارع .

— ولم كان يصرخ ؟

— اخذ يتفوه بالاكاذيب الحمقاء . . . القدرة . لو كان ربها صحيحا لاستطاع ان يلقي بي في السجن . لم اكن ادري ماذا افعل . . . ولم اكن اريد ان اجر كريستين الى متاعب اخرى . فحاولت تهدئته ، ولكنه ازداد سوءا . لم يكن تملا تماما . وامسك بياقتي وشرع يصرخ في وجهي — فيطفر من فمه رذاذ البصاق والبيرة علي . وطلبت منه ان يدعني وشأني ولكنه اخذ يصرخ بصوت اعلى . فضربته بركبتي على بطنه ولطمته في وجهه . فصاح سورم :

— يا للمسيح !

وجد من العسير ان يتصور غلاسب يضرب احدا .

— ولحسن الحظ اقبل في تلك اللحظة احد رجال الشرطة وهددنا بجرنا الى المركز ، فامرقنا حالا . ان شرطة وايتسابل لا صبر لهم ، وانهم من النوع الخشن .

وتوقعت انه سيقول للشرطة بانني اغتصبت ابنته . ولكنه لم يفعل . بل مضى حالا . وكنت قد انفعلت و . . .

— الم ينتقم لحالته من كريستين .

— كلا ، هذا هو الغريب في الامر . اقبلت الي في اليوم الثاني واخبرتني

القصة . كانت في المطبخ عندما دخل وصار يصرخ بأنه سيأخذها الى الطبيب ليقيم الدليل ضدي . ولكن امها اسنشطت غيظا لذلك وهددت بتركه اذا فعل شيئا من هذا وسألته امها عني فيما بعد - كانت تريد ان نعرف ان حدث شيء بيننا وبالمطبخ انكرت كريستين ذلك وصدقته امها . واصغى سورم باهتمام جدي ، وهو منخفض الرأس ، ولم يسدر كيف يصوغ السؤال الذي بزغ في ذهنه وهو يحرص الا يظهر عسلى وجهه ، وقال :

- وحتى لو اخدها الى الطبيب لما ظهر اي شيء ؟
 - لا شيء ... ما عدا ، ربما ، الاقويل عنها ، وهذا امر بحد ذاته سيء . ولو عرفوا بانها جلست لارسم صورتها لسبب ذلك متاعب كثيرة .
 - هل تجلس لك كثيرا ؟
 - اوه ، نعم . رسمتها اول مرة جاءت ، ولكن ليست عارية بالمطبخ .
 - فما السبب في المتاعب اذن .
 - لانني اخذت ارسما عارية فيما بعد .
 - آه ... هذا امر صعب . هل كانت تريد ذلك ؟
 - اوه ، نعم . كانت حية اول الامر . ولكنها وقعت يوما في ساقية في حديقة فكتوريا فابتلت ملابسها . وكانت امها قد حدرتها الا تلعب بالقرب من الماء ، ولهذا جاءت عندي حتى تجف ملابسها . ودخلت الفراش بينما كنت اشعل النار - كان الوقت امسية من امسيات الصيف - وبقيت عندي حتى جفت ملابسها . واقنعتها بأن تجلس وهي عارية امام الموقد ، ورسمت لها صورة تخطيطية جميلة والنار من خلفها - من احسن ما رسمت . وبعد ذلك غالبا ما كانت تقف لارسمها عارية .

وقال سورم :

- لا استطيع ان اتجاهل الشعور بانك تلعب بالنار . لا يبدو والدها من النوع الذي ينسى خصاما .
 فقال غلاسب بيأس :

- اعلم ذلك . ولكن ماذا يسعني ان افعل ؟ اكف عن رؤيتها ؟
 - على كل حال ، الامر يعود لك . هل من فرق ان كففت عن رؤيتها بضعة شهور الى ان تعود الامور الى حالها الطبيعي ؟
 - بالطبع .

- ولكنك فعلت الكثير بالنسبة لها . لقد عودتها على طريقة جديدة في الحياة ، ولا يمكنها ان تتغير الان .

فعبس غلاسب وهز كتفيه :

— لست واثقا من ذلك . انتنان من شقيقاتها تعمالان في مصنع للجوارب . وهذا ما يريد والدها ان تفعله . وثانيا ، ان محيطها محيف ومن الصعب الكفاح ضده .

— يلوح البيت زريا بهؤلاء السبعة .

— اجل ، الارضية مفروشة بالخيش بدلا من البسط ، والصناديق تسعمل بدلا من الكراسي . وتعتبر هذه العائلة احسن حالا من غيرها لانها تدفع ثلاثين شلنا في الاسبوع للشقة .

— ولكن ، كما تقول ، ستبلغ السادسة عشرة بعد سنوات قليلة ، فيمكنك اخراجها من هذا المحيط حينئذ ...

— اخراجها الى اين ؟ الى شقني التي ادفع بها ثلاثة باونات وعشرة شلنات .

— سببوا لها حياة مترفة بالنسبة لحياتها السابقة .

— ليست النقطة هنا ... ليس لاني اريد الزواج بها ، ولكن لجرد ان سيكون هنالك عندئذ عذر قانوني لانتزاعها من قبضة والديها . هذا ما يهم في الامر .

وتمطى سورم بجسده على الكرسي ، وقد خنقته حرارة الغرفة . وقال ببطء :

— هنالك طرق اخرى للقيام بذلك . حاول ان تجد من يريد ان يكون وصيا عليها وارسلها الى مدرسة للرسم . احد مثل جيرترود مثلا ، اذا كان في الامكان اقناع والديها ...

فقال غلاسب :

— جيرترود ! من الرضاء الى النار !

— هل تعتقد ذلك ؟

ومال غلاسب الى الامام وراح يحرق في سورم . كانت جبهته ترتعس ثانية ، فتكسب وجهه النحيل مظهر المجنون . وقال :

— انك لا تفهم . انا لا اريد ان يفعل ذلك انسان اخر . لا اريد من الناس الاخرين ان يتدخلوا .

كان للتوتر الظاهر في صوته ولجبهته المرتعشة اثر كره الى حد غريب على سورم . وحاول ان يجعل نبرته تدل على اللامبالاة وقال :

— نعم افهم قصدك . ولكنك قلت الان انك لست تريد الزواج منها بصورة خاصة .

فقال غلاسب :

— ولم اتزوجها ؟ ..

كان هنالك شيء من الامتعاض والتوتر في اندفاعه . واراد :

— ماذا يمنحني الزواج سوى الحق القانوني للاضطجاع معها ؟

— اوه ، اشياء كثيرة ...

فقاطعه غلاسب :

— ولكني لا اريد مطلقا الاضطجاع معها . انا لا اريد حتى ان المسها .

انا لست شاذا جنسيا . الا ترى ذلك ؟ انا احتاجها فقط . احتاجها اكسر
مما احتاج الى اي شيء ...

ومال الى الخلف ، فانحنى كتفاه . وكاد سورم يرى الاجهاد يحيط
بسه كالضباب الاشهب . وقال ليهدئه :

— هذا امر حسن . ليس هنالك ما يدعو الى القلق ، اليس كذلك ؟

لا يحتمل ان تنقذها انت ، وهي سعيدة بمعرفتك . فماذا يقلقك ؟

فقال غلاسب بصوت متعب :

— لا شيء . لا شيء ابدا .

فنهض سورم وقال :

— اسمع ، انا ذاهب الى اسفل لبعض شأني ، ولم لا نخرج لتناول

بعض السراب قبل ان تغلق الحانات ؟

كان صوت غلاسب واهنا يكاد لا يسمع :

— لا اريد جرعة اخرى . لقد حان الوقت لاعداد ، على كل حال .

— كما تحب ...

احس سورم وهو يهبط السلم بالاشمئزاز من غلاسب ومشاكله ،

واحس بيقين مفاجيء بان عقلية غلاسب لم تكن افضل من عقلية نين في

شبهها بعقليته ، واحس بان ذهن غلاسب تسوقه انفعالات سريعة جدا .

وبدا له جو الغرفة الخائقة صورة فيزيائية للجو الدهني الذي كان يعتمل

في غلاسب . وراح يستنشق الهواء البارد في الحمام بعمق وامتنان ،

الهواء الذي كان مفعما برائحة صبغ الجدار والغاز الذي يفلت من الانبوب

واخذ يفكر بامتعاض : انه كبقيتنا جميعا يحتاج الى الوقوع في حب شيء ،

ولكن لا يمكن ان يكون هذا الشيء الذي يحبه قطعة او دمية او حتى امرأة ،

وانما فتاة لم تبلغ سن النضج ، لكي تصل انفعالاته الى ضغط شديد .

وسينفجر هذا الرجل يوما ما .

وسره ان يقرر غلاسب الذهاب ، لقد سرى هذا الاجهاد المفاجيء الذي
اناب غلاسب الى سورم .

* * *

ورأى عبر الارض الخربة الضياء في غرفته مفتوحا . وادهشه ذلك .
لقد تذكر بانه اطفأ السور . وفكر فجأة ، وهو يدخل من الباب الامامي :
اللعنة ، انه اوستن . وسره انه رافق غلاسب حتى السلم في محطة قطار
نفق كامدن تاون . وارتقى السلم الى غرفته فوجد الباب المفتوح وسلسلة
القنن المستندة الى الباب . كانت مليئة بقناني البيرة الفارغة . ودفع
الباب وقد هيا نفسه ليقول : هلو ، اوستن .

كان الرجل العجوز يقف على البساط وقد ادار ظهره الى النار .
وهو يعقد يديه خلف ظهره . كان يرتدي بذلة سوداء مهنمة وياقة وربطة
عنق . وابتسم ابتسامة اعتذار لسورم .

وظل سورم واقفا عند الباب ، لا يرغب في ان يتقدم خطوة اخرى
داخل الغرفة ، ويحس بالغيظ المكبوت يصعد الى حنجرته . وابتسم
الرجل العجوز . وقال سورم :

— ماذا تريد ؟

— انا ... اسف جدا لازعاجك . وجدت غرفتك مفتوحة ... ارجو ،
الا اكون متطفلا .

لقد خفف ادبه المفرط من حدة مراجع سورم ، ولكن فقط الى الحد
الذي منعه من مجابته بخسونة . وشعر بالاهانة للدخل في حياته
الشخصية . وقال ببرود :

— كان الافضل الا تدخل في غرفتي اناء غيابي .

وقرر ، بينما كان يكلم ، ان يقفل باب الغرفة وشباكها كلما خرج
في المستقبل .

وظل الرجل العجوز مبتسما ، وهو يعبث بيده في ازرار صدره
المحكمة باناقة . واتسار الى زجاجة البيرة الفارغة على الارض وقال :

— لا ادري هل تحتاج اليها ؟

فحدق سورم في وجهه متسائلا :

— ماذا ؟

— قنينتك هذه ؟ وربما لديك عدد منها في خزانةك ؟ ان اردت
التخلص منها فيسرني ان اخذها .

وفهم سورم على الفور . وفتح الخزانة وشاهد قناني البيرة الفارغة

في اسفلها . ولم يشك في ان الرجل المعجوز قد فتح الخزانة قبله
ورآها . وقال :

— نعم . خذها ... ليست كثيرة .

— اه ، انك انسان رقيق ! رقيق جدا .

وتوقف الرجل المعجوز واخذ يلتقط قناني البيرة الاربعة . وراقبه
سورم مليا ، وهو يتساءل اتراه ثملا ايضا . كان في صوته من الوضوح
والدقة ما كان يفقر اليهما اخر مرة رآه فيها سورم . وكان يلبس زوجا
من الاحذية الجلدية لماعة الدهان . وقال سورم :

— اعتقد انك تعلم ان الساعة قد جاوزت النصف بعد العاشرة . وهذا
يعني ان الحانات مغلقة .

كان الرجل المعجوز يقف بجوار الباب وهو يضع القناني بعناية في
سلة القنس . ورفع نظره ، معبسا وقال :

— النصف بعد العاشرة ؟ كلا .

وراح يعبث في جيب صدره ولاح كانه تذكر شيئا . وقال :

— ولكن ساعتى تشير الى النصف بعد التاسعة .

— اظنها مخطئة .

— اوه ، يا الهي ...

وظل واقفا ينظر الى سورم ، كان حل مشكلته كان بين يدي سورم .
ومرت لحظة ، احس سورم فيها بالخجل من القناعة التي شعر بها وهو
بشبر الى الوقت . وقال :

— عليك ان تنتظر حتى الغد .

وقال الرجل المعجوز والخيبة في نبرته :

— او ، كلا . لا يمكنني ان افعل ذلك !

واقبل الى الطاولة واخرج حفنة من النقود من جيبه . ثم وضعها
على طرف الطاولة واخذ يحصيها . ورأى سورم انها لم تتجاوز بعض
السلطات والبنسات . وقال سورم :

— اسمع ، الا تعتقد ان من الافضل ان تحصي هذه النقود في غرفتك؟

والقى الرجل عليه نظرة عتاب ومضى يحصي النقود . ثم رفع نظره
وسأل ببساطة :

— هل يمكنك ان تقرضني اثنين وعشرين شلنا وستة بنسات ؟

— كلا . لا اعتقد ذلك .

— سأرجعها لك .

— انا واثق انك سترجعها. ولكن على كل حال فالحانات مغلقة جميعا. .
— اعلم ، ولكني اعلم ايسن استطيع شراء شراب الجن . هل انت
مؤكد من انك لا تستطيع ان تقرضني اثنين وعشرين شلنا وسنة بنسات؟
— نعم ، لا يمكنني ذلك .

فقال الرجل العجوز بنبرة مرتفئة :

— يا الهى ... لا ادري هل يقرضني الرجل الفرنسي الذي يسكن
الغرفة المجاورة ؟

وطرق باب غرفة كاليه . ولم يكن بوسع سورم ان يفتح الباب وقد
اتكات عليه السلة . والتفت الى المدفأة وراح ينظر الى نفسه بيأس فسى
المرآة . ولم يتلق الرجل جوابا من غرفة كاليه . كان سورم وانقا من ان
الرجل كان في الداخل ، ولعله سمع صوت الرجل العجوز فقرر ان يلزم
الصمت . وكرر الطرق مرة ثانية . ووجد سورم المتشهد منيرا لاعصابه .
فهبط السلم الى غرفة الحمام واوصد بابها . وسمع بعد لحظات الرجل
العجوز ينزل السلم ، ففتح سورم صنبور الماء ليتدفق في المرحاض ثم عاد
الى غرفته . وقبل ان يدخلها ازاح السلة من الباب واسندها على الجدار
في الخارج . ثم اغلق بابه وقذف بنفسه على الكرسي وهو يفكر : سترك
هذا المكان الملعون واجد محلا اخر . يجب القاء هذا الخنزير العجوز
في مصحة .

وفيما هو يصفي سمع طرقا على الباب . ففزع وهو في مجلسه
وصاح : من هناك ؟

فقال صوت الرجل العجوز : هل لي ان احدثك ؟

فاطلق سورم زفرة ثم اجتاز الغرفة وفتح الباب . وقال العجوز :
— في الحقيقة يجب ان استمحك العذر للنطفل على هذا النحو .
اعلم ان الامر لا يمكن غفرانه ولكن ... يجب حقا ان احصل على هذه
التسلينات من احد .

فقال سورم وقد بدأ عليه الاجهاد :

— يؤسفني الا استطيع مساعدتك .

فنظر الرجل العجوز حواليه كأنه يخشى ان يكون احد منصتا .
وارسم المكر في وجهه . ثم تقدم نحو سورم ودفعه الى الغرفة بم همس
في اذنيه :

— اريد ان اقول لك شيئا يتير اهتمامك .

ومرت لحظة ، وكان سورم على وشك ان يقول : انا واثق بانك لا تستطيع

ثم يدفع الرجل العجوز خارجا . ولكن كرهه الفطري للفظاظة ويقينه من ان الرجل العجوز سوف لا يتوانى عن طرق الباب ثانية حالا دون ذلك . ورفع الرجل اصبعه لسورم واخذ يحدجه بنظرة عارفة لا تخلو من التعنيف . وقال :

— لست مخطئا ان افرضت انك رجل ذو اهتمام شديد بالدين ؟
— لماذا ؟

— آه ، اراك ترتاب ، وانك لعلى حق . ليس للكثير من الناس الحق في التكلم عن الدين . اما انا فلي ذلك الحق . والان ، دعني اقل لك شيئا يدهشك . استطيع ان افتح لك عينك الثالثة .

مال الى الامام وتمتم الجملة الاخيرة في وجه سورم ، واسنطاع سورم ان يلحظ ان ليس هناك اثر للكحول في انفاسه . فتقهقر خطوة وقال :
— ولكني لا املك عينا ثالثة .

— اها ! انك تظن انك لا تملكها . ولكنك لا تعلم . ظننت انك لست واحدا من الذين جرى تدريبهم . ولكن لديك الاخلاص . لديك الاخلاص والا لما تكلمت معك . هل تعرف ما هي العين الثالثة ؟

كان يتكلم بسرعة . لعله احس برغبة سورم في ان يلقي به خارجا . وهز سورم رأسه .

— عينك الثالثة هي عينك الخفية . لديك عينان ترى بهما الظواهر ، ولكن عينك الخفية في وسعها ان تريك اعماق الاشياء . ارى لديك مؤلفات بليك وبوهمة على رفوف مكتبك . كان لهدين الرجلين عين ثالثة . انسا اسنطيع ان ارى بعيني الثالثة — على الاقل كنت استطيع ذلك حتى بدأت بالشرب . أن الامر يحتاج الى عملية بسيطة . . . اذا كان الوسيط مستعدا لذلك ، بالطبع . وانك اجدك مستعدا . الان ، الا تريد ان تكون لديك عين تالثة ؟

وقال سورم بتردد : وقد تار اهتمامه بالرغم منه :
— اعتقد ذلك .

فقال الرجل العجوز :

— حسنا . اذن يمكننا الاتفاق . كم تعتقد اجرة العملية ؟ باونان ؟

ولم استطع سورم ان يكبح ابتسامته وقال :

— انك تريدني ان ادفع لك المال ، ها ؟

فقال الرجل ببساطة :

— انا بحاجة الى المال .

فقال سورم :
 - ولكنني لا املك المال .
 - حقا ؟ انها فرصة نادرة . اذ لا يسعني ان اطلب هذا المبلغ في اي وقت اخر . فمثلا ، يوم الاثنين ، عندما تفتح البنوك . سيكون طسلبني اغلى كسرا .
 كان يحدق في وجه سورم بقلق طفولي ، كانه كان يمثل دورا في مسرحية . وكان سورم يعلم ان المعجوز لم يكن يمثل ، وبأن التفسير الوحيد لهذا الموقف هو ان الرجل معتوه . ولم يتر فيه هذا الادراك فزعا او امتعاضا . وقال معتدرا :
 - يؤسفني الا استطيع منحك الباونين ، حيث ليس لدي مبلغ كهذا يمكنني الاستغناء عنه .
 فقال الرجل بلهجة حزينة :
 - اوه ، يا الهي . في هذه الحالة ، اذن ...
 ولوى وجهه عن سورم وراح يحدق في قبضة الباب . وقال بلهجة غبر مفهومة :
 - لست ادري من يستطيع ... ؟
 ووجه سؤالا الى سورم فجأة :
 - لا ادري هل لديك شيء من شراب الجن تخفيه لديك ؟
 - كلا . مع الاسف . ما عدا بعض البيرة .
 - ممم . اني لم امس البيرة منذ سنين . وامتقد ... في حالة انعدام شيء افضل . طيب . هل تمانع في شرب قدح من بيرتك ؟
 فقال سورم :
 - كلا ابدا . خذ القنينة .
 واختطف القنينة من فوق المنضدة ودفعها في يد الرجل . وتناولها الرجل بتردد ، وقال :
 - هل تستطيع ان تقرضني ثمانية شلنات وتسعة بنسات كي اشترى نصف زجاجة جن ؟ رغم ان البائعين لا يرحبون بذلك .
 - انا اسف . موقفي مثل موقفك تماما . ليس لدي مال استفني عنه حتى اذهب الى البنك .
 - اواه ، حسنا . في هذه الحالة اعتقد يجدر بي ان اشرب البيرة .
 هل لديك قدح ؟
 وتناول سورم قدحا من فوق الطاولة وقلبه على رأس القنينة ، وقال :

- لو تعيد الي القدح بعدئذ .
- اوه ، انا لا انوي اخذه معي .
- ورفع القدح ثم فنح القنينة ووضع الغطاء بعناية على الطاولة. وغمر سورم شعور بالاسنسلاام المضحك . وتخيل بيل بين معه في الغرفة الان، يرقب باسئمتاع حركات الرجل ليستعد لتقليد براءة الرجل العجوز القلقة وامتعاض سورم الخائب . وجلس على الكرسي وراح يحملق في العجوز وهو يصب البيرة . والنقب نظرانهما فابنسسم الرجل العجوز بلطف . واعاد القنينة الى المنضدة ووضع عليها الغطاء ، ثم تقدم وجلس على الكرسي الاخر . وقال :
- سامحني لعدم تقديم شيء لك . ولكن ، قبل كل شيء ، لم تكن القنينة مليئة تماما ، واحتسى الا يكفي هذا . ارجو ان تفهم ان هذه ليست انانية ، وانما محاولة اعتيادية لحفظ النفس . حسنا ، «شن شن» كما تقولون انتم معشر الشباب هذه الايام .
- وبدت العبارة العسكرية غريبة في شفيه . واحتسى البيرة بنفور واضح . وعندما فرغ نصف القدح اخفضه ، قائلا :
- انا لا اشرب البيرة لو خيرت .
- فقال سورم :
- كلا .
- وحرص على الا يضع كلماته في صبغة السؤال كي لا يعطيه مجالا للانطلاق في الايضاحات . وقال الرجل العجوز متفكها :
- اراك لطيفا . ماذا اقول لاسرك ؟
- فقال سورم بلهجة خسنة :
- لا شيء شكرا .
- طيب . الم تكن مهتما بقضية جاك السفاك ؟
- ولم يستطع سورم ان يخفي دهشته وقال :
- اظن ذلك ، لماذا ؟
- علمت بذلك . اعرف امورا كثيرة عنك . .
- وتساءل سورم ترى هل ذكرت كارولوتة الموضوع له . وقرر الا يدع الرجل يتغلغل ابعد في الموضوع ، فقال :
- لست مهتما بصورة خاصة .
- كلا ؟ مع ذلك ، اعتقد ان في امكاني ان اقول لك شيئا يثير اهتمامك . كم ابلغ من العمر في اعتقادك ؟

وظل يحرق باصرار في سورم حتى وجد من العسير ان ينجاهل
سؤاله . وقال اخيرا :

— في السبعين ، ربما .

ولمعت عينا الرجل بالسرور . ومد يده نحو فنية البرة .

— اخطأت مرة اخرى . انا في التاسعة والمانين .

فقال سورم وهو يكاد لا يصدق : نعم ؟

— يمكنني ان اطلعك على شهادة ميلادي . وضعنها في محل ما ...

واخذ ينحسس معطفه فوق صدره ، ثم قال :

— ظننت اني احملها معي . يجب ان تكون في الدرج . ولكن لا يعنيها

امرها الان . اني افرض انك لا تصدقني ، في حين ، في الواقع ، انا واثق

انك تصدقني . اليس كذلك ؟

فقال سورم :

— نعم .

— اشكرك يا سيدى . يفضل الرجل ان يصدقته الاخرون . طيب ،

لنعد الى موضوعنا . انا في التاسعة والتمانين . ولدت في الثالث والعشرين

من شهر اب ١٨٦٧ . واضيف قائلا بان والدي كان في الخدمة الدبلوماسية

في كراكاو حيث تعرف على زيرومسيكي . كانت امي بولندية . طيب ...

كان الشخص الذي تذكر الصحف ان اسمه جاك السفاك في الواقع صديقا

مقربا لابي . كان اسمه سيرجي بيداتسنكو وقد اقبل من نفس القرية

التي نشأ فيها غريغوري ايفيموفيتش راسبوتين . وكان في الواقع قريبا

شرعيا لغريغوري ايفيموفيتش . وترعرع الانسان في بوكرفسكوي في

توبولسك ، بالرغم من ان سيرجي بيداتسنكو كان يكبره بسنين عديدة . .

وبنما هو يجلس مستندا على الكرسي ، ويحرك يده اليسرى وهو

يتكلم ، تخيل سورم الرجل العجوز ممثلا في احدى مسرحيات تورجنيف .

كانت الكلمات تنساب كأنها عبارات حفظها عن ظهر قلب . وعندما توقف

ليشرب بقية ما في القدح ، وجد سورم نفسه يتلف ليمضى الرجل في

كلامه . ومضى الرجل العجوز يتكلم وهو يملأ قدحه نانية :

— طيب ، كان غريغوري ايفيموفيتش وسيرجي فيودوروفيتش

ينتميان الى احدى « الراسكولنيكي » ، وهي طائفة دينية هرطقية تعرف

بـ « خليستي » . وكانت طائفة الخليستي تؤمن بالخلاص عن طريق

الخطيئة . انهم ؟ انها نقطة جيدة في الالوهيات ، كما سترى . كلما اوغل

الانسان بالخطيئة ، كانت امكانية النوبة اوفر . تقول انها سفسطائية كلامية ؟

كلا مطلقا . تأمل ، كثير من الناس الذين يميلون الى الروح القديسية يعانون من الضجر ، من احساس بالعبث . تأمل ، من الافضل ان تشعر بانك انسان تسير في طريق الخطيئة من ان تشعر كما وانك معدوم الذاتية يجب الاعتراف بان هذا ضعف بسري ، كون الانسان يلجأ الى طريقة مسرحية لابرار ذاتيته والا فيعاني من الركود . انا وانت ، يا سيدي ، نعلم بان الانسان اله . ومع هذا ، فهو لا يستطيع ان يفعل شيئا ليجعل من نفسه الها ما لم تنسحق عليه الظروف فنمنحه فرصة السلوك مسلك الاله . والفي سورم نفسه يصفي بحيرة متزايدة، وطاف احساس باللاحيقة . ومر به خاطر غريب بان هذا الرجل العجوز كان في الواقع ملاكا متنكرا ، مبعوثا اليه ليعيد له الاحساس بعدم نضجه . ولاحظ الرجل العجوز على ما يظهر التأثير الذي كان يتركه ، فبرقت أبسامة باهتة في عينيه عندما كان يتكلم . ورفع اصبعه موبخا .

— ذلك هو التناقض في طبيعنا ، نتيجة للخطيئة الاولى ، يمكن للشجرة ان تحقق شخصيتها بان تقف ساكنة بلا حراك . ويحقق الانسان شخصيته بمجرد ان يترك طاقاته تتأجج ، وعلى ضوء افعاله يرى شخصيته وهي تختفي بشخصية اخرى

وتوقف ليشرب جرعة طويلة ثم قال :

— جاك السفاك .

— آه نعم . صديقي بيداتشينكو . حسنا ، وبالاختصار ، فقد جاء سيرجى فيودوروفيتس الى لندن لبحث عن الخلاص عن طريق الخطيئة . وكان قرا كتابا لدوستويفسكي يقول عن لندن انها افظع مدينة في أوروبا . وكنت في ذلك الوقت صبيبا في الثامنة عشرة . وسافرنا انا وهو من اوديسا معا . وكان جلب معه خياطة نمساوية تدعى ليمبرغ ، امرأة كانت تتميز بالميل السادية . واستأجرا شقة في شارع ليان وشرع بمهنة شق البطون . وكانت خليلته الى قربها دائما وهي تحمل عباءة . فعندما يقترب الجريمة كانت تناوله العباءة فيغطي بها بدلته الملوخة بالدماء — واشترى عددا كبيرا من الملابس من سوق شارع بيتيكوت — ثم كانا يعودان مشيا الى البيت وكل منهما ممسك بذراع الآخر كاي رجل محترم وزوجته يعودان في وقت متأخر من سهرة لدى احد الاصدقاء . وقد حدث ثلاث مرات ان أوقفهم رجال الشرطة في الوقت الذي كانت فيه نظرة واحدة على ملابسهم تكفي لسوقه الى المشنقة . وفي كل مرة ، كانا يدعيان انهما زوجان ، فيخلى سبيلهما على الفور . وبعد اخر حادثة قتل ارتكبها سافر

الى اميركا حيث اصبح صاحب بيت للدعارة في نيو اورليانز .
وافرغ الرجل العجوز قدحه الثاني ، وملاه بعناية مرة اخرى حتى
الحافة فافرغ الزجاجاة .

— وبطبيعة الحال فقد لاقى حفاوة تدبده لدى عودته الى روسيا .
وعين في منصب ارثمندرت لتلك الطائفة واعنبره الجميع في مصاف
القديسين . نم بدأ نشاطه نحو التوبة . اما خليله ليمبرع فلم ترق لها
فكرة السوبة فتركت روسيا مع شاب اخر كان يأمل ان يحذو حذو سيرجي
فيودوروفيتس . واما صديقي بيدانسينكو فقد رافق غريغوري
ايفيموفيتس الى سانت بطرسبرج حيث شاركه نجاحه الغريب لعدد من
السنين . وماتا بفرق سنة واحدة من كل بينهما — مات راسبوتين في عام
١٩١٦ ، بعد ان قتله قاطع الطريق يوسوبوف ، وبيداتسينكو في عام ١٩١٧ ،
حيث اصيب في ظهره برصاصة من قبل احد رجال كيرينسكي .

ورشف العجوز رشفة من قدحه المالن ، ثم نهض وهو يمسك به
بعناية . وقال بادب :

— سأتارك الان ، واستعير ، ان استطعت ، قدحك .
وحقق سورم فيه ، وهو لا يجد ما يقوله . وانحنى الرجل العجوز
قلبلا وهو يقول بوجوم :
— طابت ليلتك .

وتناول القنينة الفارغة ومنى نحو الباب . وسمع سورم صوت
القنينة يقرقع وهو يضعها في سلة القنس . وبعد لحظة ، عاد الرجل
العجوز وهو لم يزل يمسك بالقدح المالن . وقال :
— هل انت ما تزال واثقا من انك لا تستطيع ان تقرضني ثمانية
شلنات وتسعة بنسات ؟

وفتس سورم في جيبه الخلفى فعثر على ورقة بعشرة شلنات
مفضنة . ودسها في يد الرجل دون ان ينبس بكلمة وانحنى الرجل العجوز
وقال بطريقة رسمية :

— سيدي ، لقد انقذت حيبي . الف شكر .
ثم قبل الورقة النقدية ، وانسحب خارجا من الباب . وقال سورم :
« طابت ليلتك » ، عندما كان الباب يفلق ، ولم يجب الرجل . ثم سمعه
يرقى الجزء الاخر من السلم ، والقناني تصلل .
كان التعب قد اخفى . ووقف الى جوار النافذة يفكر فيما يفعله .
وبعد دقائق قليلة سمع الرجل العجوز ينزل السلم ثانية ويذهب خارج

البيت . وبعد فترة من التردد ، نزل الى الطابق الارضي واتصل تلفونيا بشقة ن . ولم يلق جوابا . ثم ذهب ووقف في عتبة الباب الامامية برهة من الزمن ثم عاد الى غرفته . كان الوقت متأخرا بالنسبة للعودة الى بيت المس كوينسي ، كما ان كارولين كانت في الطرف الثاني من لندن . ولم يملك الا ان يذهب الى الفراش .

وبقي مستيقظا مدة ساعتين ، وهو يفكر في الرجل العجوز وفي اوسن . وعندما ذهب في غفوته ، كان الرجل العجوز يجول في احلامه . وفي حوالي الساعة الثانية صباحا نزل السلم الى غرفة الحمام وغسل يديه ووجهه بالماء الحار . وبعد ذلك ، ذهب لينام . ولم يكن هناك صوت يصدر من غرفة الرجل العجوز .

واستيقظ مرة اخرى عند الفجر القارس ، وكان يحلم بجيرترود كوينسي ترقد الى جنبه وهي مشدودة اليه . واناء ما كانت عيناه مغلقتين احس بجسدها ملتصقا باطرافه المسترخية وذراعاها حول عنقه . واخفت فجأة عندما استيقظ بصورة تامة ، ولكن ذكرى الحادث كانت واضحة كما لو انه مر بالتجربة الجسمية . وراح يحرق في السماء التي اخذ الشحوب ينتشر فيها . واخفت الرغبة الجنسية تحت نور التأمل الساطع . اذ كان يحس بها فقط عندما كان يتأرجح بين النوم واليقظة . واتسع في اعماقه الاحساس بالعافية . كان احساسا بالقوة المتنامية في اعماقه . ومرت به لحظة احس بها بالفرح لهذا العالم ولكل ما يوجد فيه . ثم حمله النوم مرة اخرى وهو يفكر في كارولين .

الفصل الخامس

كان يحلم بنن محكوما عليه بالاعدام ، وكان يقول لشتاين بان هذا الحكم حماقة مريعة وبان نن انسان عبقرى وخسارة لا تعوض في الادب . ولكنه في الوقت الذي كان ينطق فيه بهذه الكلمات لم يكن يصدقها . كان يعلم بانه من المحال عليه ان يفضى بالاسباب الحقيقية للدفاع عن نن امام شتاين او اي شخص اخر .

وايقظه صوت ما . وراح يحرق في الجدار وهو يصفي الى صوت رجائي في الغرفة السفلى يترنم باغنية شائعة . وبدا له كأن هنالك عمالا يصبغون الجدران في تلك الغرفة . وانقلب على قفاه ومضى يحملق فى السماء من خلال النافذة . كانت السماء رمادية كالرخام . والفي نفسه يتساءل اتراه سيهب للدفاع عن اوستن اذا ما ادى الامر الى محاكمة نن بتهمة القتل . سيكونون انذاك على خطأ ، سيكون شتاين والقضاة كلهم على خطأ . غير انه لا سبيل الى تغيير ذلك . ان ايسر الحلول هو ان يجد طبيبا للأمراض النفسية يسهد بان نن معتوه ، ولكن نن ليس بمعتوه .

وخرج من الفراش ليضع الابريق على الموقد ، وفتح صنبور الغاز بدرجة متوسطة ثم عاد الى الفراش . وفي هذه الاثناء وقع بصره على بوميات نجنسى ، فسعر بنسى يتركز في داخله . كانت هنالك صورة رجل يسير لبلا فى شارع نحفه الاشجار وهو يصفي الى انغام موسيقية تنبعث من صالة لفندق مجاور . وكان الرجل مصابا بهوس السوبرمان ، وتحذوه رغبة في أن يرتفع بكل طهارة وتلقائية عن التفاهة البشرية، ويرتفع بصورة مطردة لا قلق فيها . ومرت به لحظة احس سورم بها كانه فهم اوستن ، كما لو تلقى رؤيا نقية فنفلد الى هذا الاشمزاز الذي تحول الى

العنف . وصوب نظره نحو السماء الرمادية ، وهو يختزن هذه الرؤيا بقوة ، وراح يفكر : لا شيء يهم غير هذه القوة . ليس هناك سعر أعلى مما تستحقه .

وتناهى اليه بنفس الوقت وقع خطوات على الدرج ، وتوقع انها قادمة نحو غرفته . وهتف صوت كارلوتة : مستر سورم !

— هلو ؟

ففتح الباب .

— هل استيقظت ؟ هنالك سيد يود مقابلتك .

— من هو ؟

فهزت كتفيها وقالت :

— لست ادري . انه الماني .

وفكر مليا برهة من الزمن ثم سألها :

— رجل عجوز ؟

— نعم .

— اه ، اطلبي اليه المجيء ، ارجوك ؟

وارتدى سرواله ، وكان يحزم روبه عندما دخل شتاين الغرفة .
والقى شتاين نظره على الفراش غير المنتظم وابتسم معتذرا وقال :

— هل بكرت في المجيء ؟

— فhez سورم يده الباردة وقال :

— لا ابدا ، كنت مستيقظا . ماذا تريد ان تحدثني به ؟ اوستن ؟

كان يريد ان يدخل في الموضوع عمدا ، فلم يكن يريد ان يبدي تجاهلا للامر . وقال شتاين :

— اوستن ؟ كلا ، ليس بصورة خاصة . انا مهتم اكثر بهذا الرجل

الذي يسكن فوق .

ومرت لحظة من الدهشة صدق فيها سورم كلام الرجل .

— لماذا ؟ لا اظنك تعتقد انه هو مجرم وايتشابل ؟

— كلا . ولكنه قد يعلم شيئا . لما كان في المستشفى كان يصرخ

باشياء غريبة في نومه .

فقال سورم بلهجة قاطعة :

— انا واثق من انه لا يعرف شيئا .

— كلا ؟

— تحدثت معه الليلة الماضية . انه مجنون كالقط في شباط ، ولكنه

لا يعلم شيئاً . على كل حال ، كيف علمت به ؟
 فأتى شتاين بحركة معبرة وقال :
 - اتفق أن رأيت عنوانه في سجل النداءات التلفونية للمحقق ماكردو .
 وعرفت أنه عنوانك أيضا . وعليه جئت لعللي أجد عندك ما تقوله لي . . .
 وبدأت الاكذوبة لسورم وهو يرقبه واضحة مكشوفة ، ولكنه تذكر أن
 شتاين لم يعلم بان الاب كارثرز قد حدثه عن نسن . اما بالنسبة لشتاين ،
 فلم يكن هنالك سبب يدفع سورم الى عدم تصديقه ، وقال سورم :
 - سأخبرك ما استطعت . غير أنه ينبغي عليك أن تراه بنفسك . ستجد
 عند ذلك أنه مخبول .
 - لقد كان في المستشفى يهذي عن جريمة قتل .
 - نعم . ولكن ليست هذه الجرائم . أن جرائم وايتشابيل التي اثار
 اهتمامه هي الجرائم التي وقعت منذ ستين سنة .
 - جرائم جالك السفالك ؟
 فقال سورم :
 - ما الذي يجعلك تهتم بانسان في هذا السن ؟ اذ لا شك من الجلي انه
 لا يستطيع اقتراف سلسلة من هذه الجرائم ؟
 فقال شتاين وقد لاح عليه التعب :
 - هنالك قاتل في احدى نواحي لندن . وليس لنا من حيلة سوى ان
 نفحص جميع الاحتمالات .
 - اوافقك . ولكنك تضيع وقتك مع رجل عجوز . انه طاعن في السن .
 فضلا عن انه معتوه .
 - القاتل ايضا معتوه .
 - انظن ذلك ؟
 فقال شتاين :
 - نعم ، انظن ذلك .
 واخذ الابريق يصدر وشوشة . وقال سورم :
 - اجلس وتناول قدحا من الشاي . يبدو عليك الاجهاد .
 - اشكر . اجل ، انا متعب .
 - الا تأخذ قسطا من الراحة في أيام الاحاد ؟
 فقال شتاين وهو يهز برأسه :
 - لا مجال للراحة في قضية كهذه .
 والقي بنفسه على الكرسي ووضع قبعته على المنضدة . والقي سورم

نفسه يحس بالاسف لهذا الرجل . ووضع الساي بالمعلقة في قدح الترمس
وسكب عليه الماء المغلي . ثم اغلق الموقد الغازي واشعل المدفأة . كانت الغرفة
دافئة بسبب الموقد . وخلع الروب ولبس قميصا . وقال :
- لا تهتم . من المحتمل ان تقبض عليه متلبسا بالجريمة يوما ما .
فقال شتاين :

- ربما .

وراح يتأمل في البخار الذي كان يتصاعد من القدح ، و اضاف قائلا :
- قام بمحاولة اخرى في الليلة الماضية .
- ماذا ؟

وحملق سورم فيه ، وهو يتساءل في نفس الوقت هل كان شتاين يحاول
ان يوقعه في الفخ بطريقة من الطرق . وسأل :
- ما الذي حدث ؟

- لا امرف التفاصيل . هجم احدهم على امرأة صباح هذا اليوم .
وسمع الجيران صراخها فهرعوا اليها . فقفز الرجل من النافذة واختفى .
- في وايتسابل ؟
- نعم .

- ولكن ماذا حدث للمرأة ؟

- كانت ما تزال فاقدة الوعي في الساعة النائمة هذا الصباح . كانت قد
اصيبت بكسر في جمجمتها .
- هل ستعيش ؟

- من المحتمل . لحسن الحظ ، لم تمس الكسور الدماغ .
- اذن فينبغي ان تحصلوا على اوصاف القاتل .
- نأمل هذا . ولكن الغرفة كانت مظلمة .

وفكر سورم وهو يصب الساي : مسكين يا اوستن . ليس في وسعي
ان افعل شيئا لاجلك . ثم اوقف تفكيره هذا ، وقال في نفسه : لم اوستن ؟
قد لا يكون اوستن القاتل ؟

واخذ شتاين قدح الساي وقال :

- وهكذا ترى كيف سئنا الامر كله .

- اجل . لا تهتم . قد يحالفكم الحظ فتحصلون على الاوصاف .
- ربما .

وراح شتاين يحتسي الساي بصمت .

- نقول ان القاتل معتوه ، ايها الطبيب ؟

- اظن ذلك .
- واوقف سورم نفسه بعد ان كاد يقول : هل جنونه من الخطورة لبيعته به الى مستشفى المجاذيب في برودومور ؟ ولكنه - بدلا من ذلك ، سأل :
- هل نطن ان جميع القاتلين الجنسيين معتوهون ؟
- لا . لا بالتأكيد . كانك تقول هل جميع الذين يسرقون رغيف خبز لشدة الجوع هم معتوهون .
- آه .
- ونظر اليه شتاين وسأل :
- ماذا يدور في ذهنك ؟
- اتساءل ... الا يحتمل ان يكون القاتل اسلم عقلا من الانسان العادي .
- كيف ؟
- وحدق سورم خلال النافذة قليلا ثم قال :
- سلا ، في الايام التي كانت تقدم فيها الضحايا في المعابد ، كان للقسس بصره لحقيقة الاشياء اعمق مما هي عند اكثر الناس . وكان القتل يعتبر رمزا .
- فقال شتاين بعدم تصديق :
- رمزا ؟
- نعم . شيء ينطوي على رفض ضوء النهار العادي ، انحراف متقصد عن منطق النهار الراضح .
- فقال شتاين معبسا :
- ولكن الرجل الذي يرتكب القتل ، انما هو تحت توتر شديد . انه ليس فيلسوفا .
- وطرق احدهم الباب . وهتف صوت الفتاة :
- تلفون للدكتور شتاين .
- فقال شتاين بلهجة متعبة :
- مرة اخرى !
- وبدرت منه حركة مجهدة معبرة عن اشمئزازه وخرج من الغرفة .
- واثم سورم احسب النساء النسائي وهو يجلس على الكرسي . واحس احساسا غامضا . بان امرا مهما يكاد يقع ، ولكنه وجد من العسير عليه ان يحمله على محمل الجد . كان في نفسه شعور بالواقع يشمرد على التعقيدات التي تهيوي عليها الدبلوماسية والخداع . وبالرغم من معرفته ان حياة نسن كانت مهددة لم يزل من المستحيل عليه ان يجد الامر يرتبط به تماما . وحاول ان يركز

في نفسه الاحساس بلا حقيقة الاشياء وهو ينساءل متى يعود شتاين فيقطع عليه السلسلة . وبعد لحظة ، عاد هذا الاحساس اليه فمرة وجيزة ، فأخذ يحاول صياغته في كلمات . ان خطورة الموقف تكمن في ارتكاب القتل — قتل عدد من النساء . فاذا ما ماتت النساء نتيجة لذلك ، فالسبب هو افتقارهن الى مبرر جيد للبقاء احياء . وان الحياة التي فقدنها كانت مجرد انصاف حياة . ولذلك ، مدمر وابتسابل هو نصف قاتل . وربما كان القاتل نفسه يعيش نصف الحياة فقط . ففي تلك الحالة ، القضية هي قضية ربع عملة قتل . ألتفاهة تقوم بقتل البلادة والعبث . قال نيتشه : السبب الكامل هو انحراف في عملية انتاج عنرة عباقرة . .

وعاد شتاين الى الغرفة . كانت ملامح التعب قد تلاشت . وقال :
— لقد قبضنا عليه .

واعتدل سورم في جلسته :
— ماذا !

كانت عينا شتاين ذات بريق يدل على الانفعال المكثوم :
— القاتل . القي القبض عليه منذ ساعة .
وحقق سورم فيه دون تصديق :
— من هو ؟

— عامل من عمال بركسون . كان الرجل الذي هاجم المرأة الليلة الماضية فقد اذيعت اوصافه ووجدته سيارة للشرطة بينما كان يحاول ان يتسلق جدار حوض للسفن . وقد تعرفت عليه المرأة منذ ساعة .
— هل انك واثق من انه القاتل ؟ هل اعترف بذلك ؟
— كلا . في الواقع ، انه اعترف بهجومه في الليلة الماضية ، ولكنه قال انها محاولته الاولى .

— هل الشرطة على يقين من انه الرجل الصحيح ؟
— تماما . كان قد طلى وجهه بالفلين المحروق . وعثر على اسفنجية ملطخة بالفلين المحروق في جيبه .
وقال سورم مبتسما :

— حسنا ، تهانينا . أرجو ان تكونوا عنرتهم على الرجل الصحيح .
فقال شتاين وهو يهز كتفيه :

— قد لا يكون الرجل الصحيح . القاتلون يميلون الى التقليد . ففي قضية كورتن القى القبض على احد الاغبياء وهو متلبس بجريمة اغتصاب واعترف بانه مرتكب كل الجرائم . ولكن لسوء الحظ ، لم يكن هو القاتل .

ولدي امثلة عديدة حيث يقوم قنلة كثيرون بتقليد احد المجرمين ... على كل حال ، نأمل ان يكون هو الشخص المطلوب .
وقال سورم بتشكك :

— بريكستون بعيدة جدا عن وايتسابل .
فابتسم شتاين :

— ولد هذا الرجل ونشأ في وايتسابل . ولعله يعرف وايتسابل خيرا من بريكستون وبلاضافة لذلك ، لعل لديه دوافع للانتقام من النساء فسى وايتسابل .

ورفع شتاين قدح النساي وافرغه . وقال مبتسما :
— ولنر الان اذا كانت نظرياتك عن ذهنية القاتل صحيحة .
ووضع الفدح على الطاولة والتقط قبعته .
— اشكرك على النساي ، امل ان اراك قبل عودتي الى المانيا .
— امل ذلك ... ا ... الا تريد ان ترى الرجل المعجوز في الطابق

العلوي ؟

فقال شتاين :

— سنبقى نريد ان نراه ، بطبيعة الحال ، حتى نتأكد من ان الرجل المقبوض عليه هو القاتل . ولكني اريد شيئا من الراحة الان .
ولم يبد الاعياء في ابتسامته الان . وقال بادب :
— اتمنى لك نهارا سعيدا ، واشكرك .

وصافح سورم يده .

— ارجو معذرتي اذا لم اراففك الى اسفل ؟

فقال شتاين بعزم :

— لا مطلقا . وداعا .

واصفى سورم الى خطوات الرجل تهبط السلم ، وهو يعد ببطء الى الحمسين لتأكد من ان شتاين قد ترك البيت . ثم اطل في المرأة ومسح ذقنه غبر الحليق باصابعه ولبس السترة والمعطف .

لقد تركته زيارة شتاين والتكوك تساوره . ولاح ان خبر القاء القبض قد وقع في الوقت المناسب تماما ، كان الامر قد اعد سابقا . واطفا النار الغازية وتأكد من انه احكم اغلاق النافذة ثم قفل الباب خلفه .

* * *

وقبل ان يلقي السؤال علم بأن جوابه سيكون بالنفي . وظل واقفا ، ممسكا بالسماعة في يده ، وهو يتأمل بنفور البلل الذي تركه عليها الشخص

الذى استعمل السماعه قبله . وبعد قليل عاد صوت الفتاة :
 - يقول البواب انه حسب ما يعلم لم يعد المستر نن الى البيت فسي
 الليلة الماضية . هل اخبره بانك اتصلت ؟

ومنى فى شارع كامدن وهو لا يدري ماذا يفعل . ومرت بقربه سيارة
 ماكسى ، واخذ يفكر لو بوقفها لذهب بها الى سقة نن فى كنسبغتن . ولكن
 خوفه الا يجد نن هناك ايضا لبط فكرته . وظل واقفا ، مترددا ، فى زاوية
 شارع كراونديل وهو يأمل فى صناديق البريد خارج مبنى دائرة البريد .
 واستقر رايه على قرار عندما لمح سيارة الباص تذهب الى شارع «مارينغتن» .
 وقفز داخل السيارة قبل ان تحرك عند اتمارة المرور . وعندما استرخى فى
 مفعد الطابق العلوى احس بانبة بالصفاء الداخلى الذى احس به صباح اليوم
 وهو فى الفراش . واخلى فى اعماقه شعور بالحيوية وقد فرض هذا التسعور
 نفسه وهو ينظر الى بناية محطة بانكراس ، وقد امتزج لديه تذكر القطارات
 فيها بسعور الانصار .

كان القسيس الهنغارى يقف عند باب المنزل . وقال على الفور :

- اتريد ان ترى الاب كاراتز ؟

- ان امكن ، رجاء .

- نعم ؟ لا ادري اذا كان موعدا استراحته .

- الامر مهم جدا .

وفتح القسيس الباب بمفتاح .

- انتظر هنا ، رجاء .

- اشكرك .

لقد ضايقه السكبات . واقتعد الكرسي ذا المساند بجوار النار الغازية
 ثم نهض بانبة وهو يطمى كنفه بفراغ صبر . واطل براسه من خلال الباب
 فرأى روبن مونسيل يصعد السلم . فسحب راسه على الفور ، لا بدري هل
 لمح مونسيل . وسمع الخطوات تسدير عند منعطف السلم وتصدر الجزء
 الثانى . فابسم وتنفس الصعداء . وعاد القسيس الهنغارى فى الحال :
 - هلا صعدت الى غرفته ؟

- شكرا .

وتظاهر كانه يجب عن قفازيه على الكرسي ليتأكد من ذهاب مونسيل .
 وقال القسيس : - هل فقدت شيئاً ؟

- اوه ... لا . تلك هي فى جيبي .

وراح يرقى السلم درجتين فى كل خطوة ، ويسير بمجلة وحذر فى

وقت واحد .

وقال الاب كارانرز :

— صباح الخير ، يا جيرارد . لقد عدت سريعا .
 — صباح الخير ، ايها الاب . ارجو الا اسبب لك مضايقة .
 كان القسيس في الفراش ، يبدو عليه المرض والنعب . كانت النار فوق
 المنسبك الحديدي حمما من الفحم المتوهج . ودهس سورم للاختلاف بين
 حرارة الغرفة وبرودة يد القسيس التلجية وهو يصافحها .
 — انك لا تضايقني ، ولكنني لست على ما برام اليوم . علينا ان نختصر
 الحديث .

— طيب ، ايها الاب . واقولها باختصار ، اذن ، كان شتاين قبل قليل
 في زيارة لي عن قضية اوستن .
 — هل كان صريحا معك ؟
 — ا . . . كلا . في الواقع لم يذكر اسم اوستن ابدا . ولذلك اردت
 رؤيتك . قال انه نم القاء القبض على مجرم وانسابل .
 — منسى ؟

— منذ حوالي الساعة . رن جرس التلفون بينما كان عندي . وقد
 ادعى انه جاء ليحدث معي عن الرجل الذي يسكن الغرفة العليا . الشخص
 الذي حاول احراق البيت .

فقال القسيس ببطء : — نعم . وماذا تظن انت ؟

— لا ادري هل يقوم الدكتور بتنفيذ لعبة .
 — هل وجه لك اسئلة عن اوستن ؟
 — كلا . لم يذكر اسمه .
 — ولكنك تعتقد بانه لم يكن مخلصا في ادعائه عن سبب زيارته لك ؟
 — كلا . لا اظن ان الشرطة تنسك بالرجل العجوز . انه طاعن في السن .
 اذا كان الامر كذلك فقد يسكون . . . فقد يسكون بك ايضا ، اذا فهمت
 قصدي . . .

— في الحقيقة ، ربما يسكون ! اذن ، فتظن انهم لا زالوا مهتمين باوستن ؟
 فقال سورم معبرا عن عجزه :

— انا عاجز عن معرفة ذلك ، ايها الاب .
 — انا اميل الى الاعتقاد بانهم ما زالوا يتتبعونه . هل رأيته ؟
 — طيب ، تلك مسألة اخرى . يبدو ان اوستن قد اختفى . لم يعد الى
 البيت منذ اربع وعشرين ساعة . ونذكر ، لعله في كنسيفتن الان .

- الا يمكنك الاتصال به تلفونيا .
- ليس لديه تلفون هناك .
- آه . وهذا الرجل الذي قبض عليه ؟
- رجل هاجم امرأة الليلة الماضية في وايتسابل . عامل من عمال بربكسنون . ويظهر انه صبيح وجهه بالسواد .
- آه ، حقا ؟
- هل سمعت به ايها الاب ؟
- فقال القسيس :
- نعم . واخنى انك على حق .
- لماذا ؟
- ذكره لي فرانز نتاين منذ بضعة ايام . قال بان هناك رجلا يلقي الروع في قلوب النساء في وايتسابل وذلك بان يفزع من وراء الابواب بوجهه الاسود . ولا يعتقد الشرطة انه القاتل حقا . وبالتأكيد لا يعتقد ذلك فرانز ايضا .
- لماذا ؟
- لان الرجل الذي يفزع من وراء الابواب ليخيف النساء يبدو مسألة اخرى تخلف عن القتل . انه بالطبع سادي بطريقة ما . . . ولكنه ليس من النوع الذي تبحت عنه الشرطة .
- ولكن هذا الرجل هاجم امراه ، ايها الاب . وسبب لها رضوخا خطيرة في رأسها ، كما ادعى شتاين . حدث ذلك في غرفة في وايتسابل وقد هرب بان قفز من النافذة .
- حقا ، آه . . .
- واخذ سورم ينحرك بقلق وهو يجلس على حافة السرير . وفك ازرار معطفه . كانت الحرارة تسيل عرقه . وقال القسيس اخيرا :
- ان كنت وانقا من انه هاجم المرأة . . . فربما انا مخطيء .
- قال شتاين ان الرجل اعترف بانه قام بالهجوم ، ولكنه انكر قيامه بالجرائم الاخرى .
- اه . يبدو انه صادق في قوله . اذا كان يريد خداعك لما قال لك ان الرجل انكر الجرائم الاخرى .
- تعني انه اما ان يقول لي ان الرجل اعترف بالجرائم او لا يذكر الموضوع مطلقا ؟
- اعتقد ذلك .
- وسرت رعدة في ظهر سورم . وقال :

— لم نعتقد ذلك ، ايها الاب ؟ هل نعتقد ان اوستن هو القاتل ؟

— حسب معرفتي بنين لا اعتقد ذلك ؟

— لماذا ؟

وقال القسيس :

— لاني ... اعرف اوسن منذ نعومة اظفاره . اي انني كنت اعرف عنه منذ طفولته . وكانت امه تحدثني بالكثير عنه . ما قولك انت في احتمال كونه القاتل ؟

كان السؤال مفاجئاً بالنسبة لسورم . وقال بعد تردد :

— ليس من اليسير الاجابة على هذا السؤال . لا يحتمل ان يكون هو القاتل بالمعنى الذي تقصده ، فليس هو بالوغد الخسيس ، وليس قاسي القلب ... ولكن ... لا يمكنني التوضيح .

— حاول ان توضح ، يا جيرارد .

وخلع سورم معطفه والقى به على السرير . ثم فك ازرار سترته ومسح العرق عن جبينه . وقال ببطء :

— اترى ، ايها الاب ، الامر كله هو اني التقيت به في معرض دياغيليف ، ها ...

— وما علاقة هذا بالمسكلة ؟

— له علاقة كبيرة . انك لم تجد العلاقة ، اليس كذلك ؟ كلا . طيب . — لقد اتر المعرض في نفسي ، لانه ... كان كالقصة الخرافية . تلك الملابس القديمة والتصاميم والموسيقى العذبة ، والعطر — بالمناسبة ، العطر نفسه الذي يستعمله اوستن — كأنها من عالم آخر . حسنا ، هذا هو عالم اوستن ، ايها الاب ، العالم الذي يريد هوان يعيش فيه . انه ليس انسانا متوقفاً الذكاء . ولن يجد ثمة فائدة يستخلصها من كتابات القديسين او قسوس الكنيسة ، ولكنه مع ذلك يريد ان يجد عالماً مثالياً ... اذكر ، لقد حدثتك بنفس الشيء عن شقيقته في الطابق السفلي ؟

— نعم .

— اعتقد ان العيش يجهد . انه لا يستطيع ان يقبل الواقع . استطيع ان افهمه لان الاحاسيس نفسها تعاودني . ان واقع العالم يحطمه ، ويقض عليه مضجعه . ولهذا فيريد ان ينظر الى العالم من زاوية منفصلة جميلة . وهذا هو سبب ميله الى الجانب المرحي . اي انه يريد بدلا من الاحياء الفقيرة الحقيقية مسرحا يبدو كالاخياء الفقيرة . ويريد بدلا من اليأس والهزيمة ممثلا تراجيديا يهذر عنهما . انه يريد ان يبسط كل شيء ...

— فهمت وجهة نظرك . ولكنها لا تلوح تعريفا ينطبق على قاتل بالنسبة لسي .

— انه يجعل من نفسه ممثلا تراجيديا يقوم بحركة تنطوي على التحدي . الا ترى ذلك ، ايها الاب ؟ انه يحاول ان يحول اسمئزازه الذاتي الى عمل مسرحي . فاذا اقترف جريمة قتل ، فانه لن يكون قاتلا حقيقيا ، وانما يكون ممثلا تراجيديا يقوم بدور ماكبث .
وقال القسيس :

— اظنك تبالي في تقدير حاجته الى القيام بدور تميلي . واني املك في ان حاجة كهذه تتسع الى درجة تدفعه الى ارتكاب جرائم القتل .
واحسن سورم بالارتباك وبالاشتباك في المناقشة ، ولم يعد يستطيع ان يمسك بالخيط الذي يقوده الى اعماق بصيرته . وقال اخيرا :
— لست ادري ، ايها الاب . . . انه بأجمعه الشعور بأنك تريد ان تفرض نفسك على العالم . القتل هو آخر المحرمات ، وهو في بعض الحالات النفسية لا يختلف عن عملية الانتحار . اظن ان هذه هي الطريقة التي يشعر فيها اوستن . فما لم يتمكن من تحويل العالم الى مسرح يصبح العالم غريبا عنه الى حد لا يطاق . انه يريد ان يصبح شيئا ايجابيا ليبرر وجوده .
ومرت على وجه القسيس غمامة وقال :

— فهمت . . . ما تعنيه . على كل حال . . . لا اعلم . لا يبدو الامر محتملا بالنسبة لي .

— كلا ، واني لاتفق معك ، ليس هذا برهانا نهائيا على ان اوستن سيقترف جرائم القتل . . .

— عليك ان ترى اوستن . . . وربما ينبغي ان تحذره .

— ظننتك لا تريد مني ان احذره ؟

— ليس بصورة صريحة ، ربما . ومن الناحية البانية فيبدو لي محتملا جدا بانه ليس مدنيا . وفي تلك الحالة . . .

وتوقف عن الكلام وهو يحدق في الفطاء وقد اسند ذقنه الى صدره . ولم يكن سورم واثقا هل أن حالته تدل على التفكير العميق أم مجرد التعب . فنهض واجتاز الفرفة الى النافذة التي كانت مفتوحة بمقدار بوصة من اعلاها . وشعر بالانتعاش لتيار الهواء الخفيف البارد . وفيما هـو ينتظر ، مضى القسيس قائلًا :

— ما كنت تحدثني به عن اوستن قد ينطبق عليك . فبوسعي ان اتصور انسانا بحاجة الى هدف اخلاقي ، انسانا يسعر بان الحياة عديمة المعنى . . .

فقاطعه سورم بقوله :

— قال لي أوستن مرة شيئا من هذا القبيل . قال انسه كان يشعر بالفاهة واللامعنى ... كلا بل باللاهدف ، هذا ما قاله .

— صحيح ؟ وماذا قال ايضا ؟

— اوه ... تحدث عن شعوره بأنه ينبغي الا يكون حيا . وقال انه اذا كانت هناك عدالة على وجه الارض لكان مات ، شيئا على هذا النحو . ولكن لا تنس انه كان في حالة من الكتابة في تلك الليلة .

— اللاهدف . ينبغي ان اعترف لك بانك تدهشني . ولكن الكلمة تدعم قولك . غير اني كنت على وشك ان اقول لك ... بوسعي أن اتصور انسانا يحس بالحاجة الى ان يذهب مذهب الخير والسر ، ان يهرب من الاحساس بالعبت . ويمكنني أن اتصوره يرتكب جريمة ما لمجرد ان يبرهن لنفسه بأنه قادر على اتيان الشر ، وعليه فهو ليس من ... دون هدف . لم تمر بى قط طوال حياتي حالة كهذه — ما عدا،ربما ، في الاحداث الجانحين . فقال سورم وهو بهز كتفيه :

— بالطريقة التي نتحدث بها ، اني اتفق انها لا تبدو محتملة . ولكني لا اتحدث عن الدوافع الواعية . انا اقول لو فرضنا جدلا بان أوستن هو القتال ، فاني اهمم دوافعه . اعني ، خذ اوليفر غلاسب مثلا ... انه من نفس الفصيلة . لقد التقيت به مرارا عديدة خلال هذا الاسبوع ، ايها الاب ، واظنني اعرف الكثير عنه الان . على كل حال ، اني اعلم بأنه ما كان ليعاني اي نوع من التوتر لو كان يؤمن بعقريته . لكان لديه هدف حينئذ . ولكن والحالة هذه ، فقد اشبك نفسه في علاقة مع طفلة في العاشرة من عمرها من الاحياء الفقيرة . وتمنحه هذه العلاقة احساسا بالمعنى من يوم لآخر ، وهذا هو ما يحناجه لينسمر على الحياة . ولكنه لا يؤمن بواقعه الى الحد الكافي الذي يبقيه حيا دون شيء من هذا القبيل . اتفهم ما احاول ان اقله ، ايها الاب ؟ اوليفر بحاجة الى الاشخاص اكثر من الافكار — انه انسان عاطفي . وعليه ، فاذا ما احس بالتوتر مضى يفتش عن الاشخاص . اما انا فاحتاج الى الافكار اكثر من الاشخاص . واذا ما تمردت ، كانت ثورتي ثورة فكرية . ولكن أوستن شخص حسى وعاطفي في نفس الوقت . انه يريد مخرجا ماديا جسديا لثورته — سيطرة السيارات السريعة ، قيادة الطائرات . الا يبسود التفسير صائبا ؟

كان مندفعاً في كلماته المنفعلة ، وعندما توقف انتابه احساس بالاثم . كان الاب كارائز يصغي وهو مندلي الرأس مغلّق العينين ، ولعله كان نائما .

وقال دون ان يفتح عينيه :

— نعم تبدو على صواب .
وقال سورم :

— اختى اني اتكلم اكثر مما ينبغي .
— انا آسف . اريد ان اسدي لك عوناً اكثر . ولكنى فى غاية السع .
— نعم ، سأرحل الان .
— اذهب وابحث عن اوستن .
— ان استطعت ايجاده !
— جرب شقة كينسيغتن . خذ تاكسي .
— طيب . ولكنى سأذهب بقطار النفق .
وقال القسيس :
— افتح ذلك الدرج خلفك . . . كلا ، ذلك الذى على اليسار . هناك
علبة من البلاستيك . . . نعم ، شكرًا .
وفتح العلبة السوداء التى ناوله اياها سورم واخرج منها باونا .
— خذ هذا واذهب بواسطة تاكسي .
— كلا ، حقا ، ايها الاب .
— خذه . انا لا احتاج الى النقود هنا — اذ اقضى ايامي فى الفراش .
وبالإضافة لذلك، فانك تقوم بمهمة لي . لاني كنت سأذهب لو اسنطعت . خذه .
وتناول سورم الباون على كره منه ودسه وهو مطوى فى جيبه
العلوي . وقال :

— شكرًا ، ايها الاب . هل اتصل بك تلفونيا لاعلمك بالنتيجة ؟
— كلا . اذا وقع امر مهم ، فعد الي . فاني سأنام الان .
— حسنا ، ايها الاب ، شكرًا . اتمنى لك شفاء عاجلا .
— شكرًا يا جيرارد .

وخرج من الباب الامامي . وفيما هو يلنفت عند الزاوية السقى بروبين
مونسيل الذى كان يعدو نحوه عبر الشوارع . وقال مونسيل :
— طيب ، يا جيرارد ، انك انسان غريب ، اذ اني اسمع بانك تروح
وتغدو دائما لدى الاب كارائز .

وقال سورم وهو يشعر بالاحراج :

— كيف حالك ؟

— انا بخير جدا . ولكن كيف تجري الامور معك ؟ هل انتما تهيئان حملة
لتغيير عقائد نن ؟

- فقال سورم بابنسامة مفتعلة :
- شيء من هذا القبيل .
- تفضل لتناول كوب شاي .
- كلا ، شكرا ، يا روبن . كلفني الاب كارانرز بالقيام بمهمة له .
- حقاً ؟ وهل ستعود ؟
- اظن ذلك . في وقت متأخر من النهار .
- طيب ، اراك على عجل شديد . ربما سأراك فيما بعد .
- فقال سورم وهو غير صادق :
- انا ذاهب لتناول الغداء الان . احس بالجوع قليلا . ولكني سأراااا
- فيما بعد ...
- طيب .
- وبينما كان سورم يهيم بالانصراف ، قال مونسيل :
- بلغ تحياتي لاونستين .
- فالتفت سورم مندهشا ، ولكن مونسيل كان قد بلغ مدخل البناية .
- واختار شارع روزبري افينيو ، وهو يمشي نحو لدغيت سركنس وقد قرر أن يستقل سيارة تاكسي من هولبورن . كانت رقبته لم تزل رطبة من العرق الذي اسالته حرارة الغرفة ، وكان يحس بجفاف بحنجرته . ولسبب لايعلمه ، لم يكن يتوقع وجود نين في شقته في كينسنغتن . انه لن يجد نين في اي من الامكنة التي اعتاد ان يقصدها ان كان يبغي تفادي رجال الشرطة ... وتذكر فجأة الالبسة النسائية . كان الايضاح الذي قدمه نين في ذلك الوقت غير مقنع . بيد ان شكوكه الجديدة لم تمنحه فرضية مقنعة ايضا بصدد هذه الالبسة .
- وعندما بلغ شارع غليت دخل اول حانة مر بها . وطلب قدحا من البيرة الخفيفة ، وشرب نصفه قبل ان يحس بحرارتها في بحنجرته . فابتسم لصاحب الحانة قائلاً :
- آه ، ذلك افضل .
- وسمع صوت احدهم يصيح :
- وداعا يا جورج !
- وداعا يا مستر بين .
- فقال سورم :
- كان هذا بيل بين ؟
- نعم ، يا سيدي .

- فأسرع الى خارج الحانة والفى بين على وشك عبور الطريق . وهتف:
- هلو ، بيل !
- ولكن صخب المرور طمس صوته ، وبينما كان بين يهم بترك الرصيف قفز سورم نحوه ومس ذراعه . وقال بين :
- هلو ، يا جيرارد ! ماذا تفعل هنا ؟
- اتناول جرعة من النراب . تعال وشاركني .
- هناك ؟ اين انت ؟ لم ارك ؟
- وقال صاحب البار :
- عدت سريعا !
- فقال بين ضاحكا :
- جئت بصديقي هنا كحجة لقدمي معه . ماذا تنسب ، يا جيرارد ؟
- لدي قدح ، شكرا . شاركني بالشراب . اي نوع ؟
- كالمعتاد ، رجاء ، يا جورج . لنذهب الى الطاولة المجاورة . برودة الخشب هنا تخترق العظام .
- كانت النار تستعل في صالة الحانة . وحمل بين قدحه الى الطاولة ووقف الى جوارها . وقال :
- هل سمعت بالانباء ؟
- عن القاء القبض ؟ نعم .
- وقال بين بدهشة :
- اين سمعت بها ؟
- من أحد الاطباء التابعين للشرطة .
- ستار ؟
- كلا ، شتاين — الطبيب الالماني الذي اعرفه يعمل لهذه القضية . جاء صباح هذا اليوم ليتتبع قضية الرجل العجوز . واتصلوا به تلفونيا انشاء ما كان عندي .
- صحيح ؟ تعني انهم قالوا له بأن المطاردة انتهت ؟
- اوه ، كلا . قبض على ذلك الرجل فقط . وقد اعترف شتاين بانه من المحتمل الا يكون هو الرجل المطلوب .
- لماذا ؟
- على كل . . . الامر واضح بالتأكيد ؟ انه لم يعترف بانه ارتكب كل حوادث القتل .
- آه ، انك اذن لم تسمع باخر الانباء . لقد اعترف اعترافا تاما .

- ماذا ! اعترف بماذا ؟
- اعترف بجميع حوادث القتل — ما عدا احدى المراتين اللتين وجدتتا قتيلتين في تلك الليلة .
- انت متأكد ؟
- نعم . وصل النبا قبل ان اترك المكتب بقليل .
- ما هو النبا ؟ هل تعرف التفاصيل ؟
- قسما منها . هل سمعت بالهجوم الليلة الماضية ؟
- نعم .
- طيب . رأى الشرطة انار الفحم على حنجرة المراه ويديها . كانت فاقدة الوعي طبعاً . فقاموا بتنفيذ خطة تامة للاحتقه . ولا يعرف كيف وصل الى الاحواض — بالقرب من مرفأ لايمهاوس . فراه احدثهم في الوقت الذي كان يهم بتسليق الجدار هذا الصباح . ويقولون انهم وجدوا ركبته مكسورة . وحاول ان ينظف الفحم من وجهه ، غير ان اناره بقيت عالقة . فساقوه الى مركز شرطة السارع النجاري ولكنه انكر الجرائم — بالرغم من انه اعترف بمهاجمة المراه في الليلة الماضية . ثم اخذوه الى سكوتلانديارد ، فاعترف بكل شيء . هذا ملخص الامر !
- كان من العسير على سورم ان يخفي شعوره بالارتياح المنعش الذي دفعه الى الرغبة في الضحك . وقال :
- اذن فقد اصطادوه !
- فقال بين :
- اجل اصطادوه .
- هل يعرفون شيئاً عن دوافعه ؟
- كلا . ولكنه معتوه قليلاً . لا يستطيع التكلم جيداً — له شفتان ارنب — وقد كان تحت المراقبة لجريمة سرقة كان قد ارتكبها .
- معتوه ؟ لا يبدو الامر مشجعاً .
- لماذا ؟
- اخبرني شتاين بانه في قضية دوسلدورف القوا القبض على معتوه اعترف بالجرائم ، ولكنه لم يكن القاتل فعلاً .
- اعتقد ان الشرطة نفسها واثقة من ذلك . لو لم يكونوا على يقين لما اذاعوا اعترافاته . على كل حال ، من اجل الشرطة ، نأمل ان يكونوا قد قبضوا على المجرم .
- كل واحد يأمل ذلك . لكن لماذا قام بطلاء وجهه بالفحم في الليلة

الماضية ؟ لم تكن هنالك اية علامة للفحم في الجرائم السابقة . وقد اخبرني شتاين بانهم يبحثون عن هذا الابله منذ اسابيع حيث كان يشب من خلف مداخل الابواب ويخيف النساء . لا يبدو انه القاتل .

وقال بين بتأمل :

— لعلك على حق . هذه نقطة صائبة . ساذكرها للنسخ الذي يعد المقال الصحفي عنها . وعلى كل حال ، لماذا يعترف بالجرائم اذا لم يكن هو القاتل ؟

— ربما كانت الشرطة فظة معه . تقول ان ركبته كانت مكسورة . فلم يستطع المقاومة اليس كذلك ؟

— ولكن الشرطة لا تريد منه اعترافا اذا لم يكن القاتل .

فقال سورم وهو يهز كتفيه :

— لست ادري . انها مسألة تخمين فقط . آمل ان يكون هو النسخ المطلوب . ما اسمه ، بالمناسبة ؟

— اوه . . . بينتلي ، الفريد بينتلي ، يعيش في بريكستون .

فقال سورم :

— ولكنه كان يعيش في وايتسابل قبل .

— صحيح ؟ هل انت واتق ؟

— هذا ما قاله شتاين لي .

— لم اكن اعرف هذا . فهو اذن يعرف المنطقة جيدا . اسمع ، يا

جيرارد . الافضل ان اذهب الان الى المكتب . ما اسم هذا الطبيب الالماني ، اذا ما اردنا الاتصال به ؟

— شتاين . فرانز شتاين . انه يعمل مع ماكمردو .

— طيب . اشكرك جدا . قد اتصل بك فيما بعد . لنلتقي ونسرب كأسا .

— حسنا . سأراك فيما بعد ، يا بيل .

وبعد ان ذهب بين اتم بقية شرابه وهو يحرق في النار . كان انفعاله قد تحول الى شك . واعاد القدح الى طاولة البار ، وذهب الى شارع فليت واوقف سيارة تاكسي .

وعندما استدار التاكسي نحو بالاس غيت ، سال سورم سائقه :

— هلا انتظر في نهاية شارع كانينغ بليس ؟ لن يطول غيابي .

وفيما هو يسير نحو البيت ، فكر انه في استطاعته ان يعود ليصرف

التاكسي اذا كان ن موجودا . ولم تكن لديه رغبة في ملاقة فانيت ، وخشي ان يسئوقف التاكسي اهتمامه .

وانفتحت البوابة الخارجية بصري . كانت الستائر خلف قضبان النوافذ مسدلة . فضغط على الجرس وراح يصغي بانتباه . وتناهى اليه صوت الجرس يرن في الداخل . ولم يسمع صوتا اخر . وضغط الجرس ثانية . وبعد انتظار نصف دقيقة اخرى اخرج من جيبه ظرفا قديما وكتب عليه رساله قصيرة ودسها في صندوق الرسائل . وفتح باب البيت الامامي ، في اعلى ، واطل منه رجل لم يقع عليه بصره في حياته وقال الرجل :
— اوه .

تم اختفى الرأس ، وانعلق الباب الامامي ثانية . وقرر سورم المغادرة على الفور وهو يخشى ان يراه فانيت . وشعر بتحسن عندما انغلق باب التاكسي خلفه . واعطى السائق عنوانه في كامدن تاون .

* * *

واذ هو يمر بالتلفون في الصالة نوقف وادار القرص برقم شقة نن ، وهو يعلم ان الامر لا يجديه شيئا . وبعد هنيهة قالت الفتاة :
— لا جواب من النسقة ياسا سيدى .
وبحث في جيوبه عن قطعة اخرى من النقود . وفتح دفتر العناوين واسنده على صندوق النقود وادار رقم كارولين . فاجابه صوت رجالي ذو لهجة لندنية :

— انتظر لحظة . ساناديهيا . من المتكلم ؟
وبعد لحظة قال صوت كارولين :
— جيرارد ! هلو ، يا عزيزي .
— هلو ، انتها الحلوة . كيف الاحوال ؟
— بخير . ماذا تفعل الان ؟
— لا شيء . هل سمعت بالقاء القبض على مجرم وايتشابيل ؟
— نعم ، سمعتها من الراديو الان . اليست منيرة ؟
— مهولة . كيف تشعرين ؟
— اوه ، بخير الان . لقد شفيت .
— هل هناك احد معك ؟
— كلا ، لقد ذهب والدي الى الطابق العلوي .
— متى يمكنك المجيء عندي ثانية ؟
— ليس اليوم ، يا عزيزي ، اخاف .
— هل لديك ما تفعلينه الليلة ؟
— كلا، ولكن والدي لا يريد اني اذهب الى المدينة يوم الاحد . يقولان

اني اقضي كل اوقائي هناك . بمكنني ان آتي غدا ...

— غدا . فليكن غداء مساء ، اذن ؟

— طيب ، يا عزيزي . اني اتوق لرؤيتك .

وصعد الى غرفته وهو يحس بخيبة غريبة . كان التوتر الذي انتابه في الصباح قد اثار فيه الشعور بالتوقع . وبدأ له قضاء بقية يومه لوحده ضربا من الانكاس .

وفي غرفه فتح عابه من حساء الطماطم ، وراح يناول محنوباتها مع قطعة من الحبز والزبدة . ثم اخذ مجلدا لاشعار بليك من الرف وحاول ان يقرأ فيه اثناء تناوله الحساء الحار . ولكنه اعاد الكتاب الى الرف بعد دقائق قليلة واخذ كتاب « عودة شرلوك هولمز » كانت هذه المحاولة موفقة اكثر . وقرأ اربع فصوص قبل ان يصيبه التعب . كانت الساعة الان في الثالثة مساء . وتذكر دعوه المس كوينسي له ، ولكنه لم ينسج برغبة حقيقية في الذهاب الى هناك . كان يفضل ان يقضى المساء مضطجعا في الفراش مع كارولين . فتمطى وتساءب وراح يدعك عينيه باصابعه ، ثم نهض واخذ بنظر من خلال النافذة . كان اليوم رماديا باردا . ثم طبع ملحوظة على ورقة صغيرة بالالة الكاتبة ثم ارتدى معطفه وهبط السلم ، بعد ان اقفل باب غرفته . ووضع الملحوظة على التلفون وخرج .

* * *

ولاح عليها السرور برؤيته .

— تعال ودفيء نفسك . كنت اتوقع مجيئك .

— حقا ؟ لماذا ؟

— اتصلت بك تلفونا توا ، وقالت لي الفتاة انك تركت رقما تلفونيا ،

وعندما سألتها عنه فاذا به رقمي !

كانت نار الفحم نستعل في غرفة الجلوس . كانت الستائر مسدلة وقد اضفى المصباح الكهربائي على الغرفة جوا من الدفء . واحس فجأة بالسرور لمجيئه .

— ايسن اوليفر اليوم ؟

— اوه ... في البيت ، على ما اعتقد . ماذا كان رأى الاخ روبنز فيه ؟

— اوه ... ظن انه شيوعى . ولكنه شعر بميل نحوك .

فقال سورم :

— هممممم .

وسأله وهي تبسم :

- انك لم تمل اليه كثيرا ، اليس كذلك ؟
 — كلا . وانت ؟
 — انه انسان طيب جدا . انه يقوم بقسط هائل من الفعاليات الاجتماعية بالاضافة الى عمله لنا .
 — وراى سورم يقطب عند ذكرها كلمة « لنا » فامتنع وجهها . وسألت :
 — ما الذي يجعلك لا تميل الى الاخ روبنز ؟
 فقال سورم :
 — انا لم اكرهه بصورة خاصة . ولكنى لا يسعنى ان اتصور كيف نخلططين بهذا الضرب من الناس . انا لا اعترض على الاشخاص المندسنيين الاذكياء . ولكن ليس هناك من لا يدرك ان هذا الانسان هو بهلول .
 فاجابت وهي تهز كتفيها :
 — صحيح انه لا يتميز بالدكاء . ولكنه رفيق القلب ، وهذا هو اهم شىء .
 — اظن ذلك . اذن ، ما الذي يمنعك من الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية او المعمدانية اذا كان هذا هو كل ما يهتم فى الامر ؟ سجدتين هنالك ايضا
 رضى القلوب ، على ما اظن .
 — يمكننى ان اجيبك بعبارة واحدة ، وهي انى لا اطلق الكنائس .
 — لا ؟
 — لا . لست اعلم لماذا . عندما كنت طفلة صغيرة ، كنت اصاب بالغيان داخل الكنيسة .
 — وهذا هو فقط سبب كونك من شهود يهوه ؟
 — كلا بالطبع . ولكنه سبب عدم انضمامى الى طائفة كنسية قبل ان اصبح من شهود يهوه .
 — ولكن بالتاكيد لشهود يهوه كنيسهم ايضا — قاعة الملك ، او لا اعلم ماذا يسمونها ؟
 — نعم .
 — الا تذهبين هناك .
 — ليس غالبا . مرتين فى العام ، ربما . ولكنى احضر اجتماعات الصلاة فى بيوت اعضاء آخرين — وبالطبع اعقد مثل هذه الاجتماعات هنا .
 ونظر سورم الى وجهها الذي كان يضيئه اللهب ، واحس بها كأنها شخصية مختلفة . لاحت اصفر سنا مما هي عليه ، وكذلك اكبر ضعفا .
 كان ينمو فى أعماقه نوع من الفهم لها .
 — ولكنك لم تشعرى بالنفور عينه من الكتاب المقدس ؟

— اوه ، كلا . على الاقل ، كنت اشعر بذلك وانا طفلة صغيرة . او ،
 ينبغي ان اقول ، كنت لا اكرث له . كنت لا افهم مطلقا لماذا يقولون « انت »
 بدلا من « انتم » (١) وغير ذلك من الاشياء . ومرة من المرات لطمتني مرييتي
 عندما ظنت اني كنت اهزا بالكتاب المقدس . كنت اريد ان اعرف لم يتحدث
 الكتاب المقدس دائما عن الناس انهم « نهضوا » . مثلا ، « ونهض وذهب الى
 ارض آز » . كنت اقول ان العبارة تترك انطباعا بأن العبرانيين القدماء كانوا
 جالسين كل الوقت ، فاذا ما نهضوا على اقدامهم اعتبر الامر حدثا جليلا .
 فقال سورم ضاحكا :

— يبدو انك كنت ميالة للنكتة !

— كلا . كنت جادة .

واخذ جرس التلفون بالرنين . فذهبت للإجابة عليه وهتفت بعد قليل:
 — انه لك .

— طيب . انه اوستن .

— كلا ، بل اوليفر .

— اوليفر !

وذهب الى التلفون وقال :

— هلو ، اوليفر .

ولاح صوت غلاسب مكتوما .

— اسمع يا جيرارد . هل يمكنك مساعدتي ؟ انى فى موقف حرج .

— كيف ؟

— انا فى مركز شرطة الشارع التجارى . مقبوض علي .

— بالله لماذا ؟

— اوه . . . الامر يتعلق بكريستين . لقد قدم والدها شكوى ضدى .

— ما هي التهمة .

— اغشاء قاصرة .

— ولكن . . . لكن الامر جنون ! اعني . . . ليس لديهم دليل . انهم

بمجرد فحصها سيعلمون ان الامر هراء .

فقال غلاسب :

— اعلم ، ولكنى الان فى السجن . وقد هربت كريستين ، ولذا فقد

ابقى محجوزا حتى يجدوها .

(١) كلمة « انت » المقصودة هنا ، كلمة قديمة تذكر فى النصوص الادبية القديمة ولا

يستعملها الفرد العادي . (المترجم)

- يا الهي ! مشكلة مزعجة حقا ! الا يمكن عمل شيء ؟
- نعم . يمكنك اخراجي من هنا اذا استطعت ان تقرضني خمسة وعشرين باونا لدفع الكفالة . واذا لم تستطع ، انا وانق ان الاب كارائز يمكنه ذلك .
- حسنا انتظر . سأتي اليك حالا بالنقود . سارك خلال ساعة . خمسة وعشرين باونا .
- اشكرك جدا ، يا جيرارد . لا اريد ان ابقي اكسر مما ينبغي في هذا المحل الكريه .
- وخرجت المس كوينسي من الغرفة وهي تقول :
- خمسة وعشرين باونا ؟ ماذا يريد ان يفعل بالنقود ؟
- وكانت تحمل صينية عليها اثناء النساي .
- كفالة . انه في مركز شرطة وايتسابل .
- لماذا بحق السماء ؟
- متهم باغواء فتاة قاصره . الديك خمسة وعشرون باونا نقدا هنا ؟
- كلا . . . اغواء قاصرة ؟
- لغو باطل ، بالطبع . في الواقع ، هناك فاة صغيرة كان يبسدي اهنمامه بها . يعتقد ان لها ملكة فنية . وابوها رجل مدمن على الشراب وهو يحاول ان يثير المتاعب . ستعتبر الدعوى باطلة حالما يفحصها الطبيب . . . لا ادري هل يقبل الشرطة صكا بالمال ؟
- ١ . . . اعرف شخصا لعله سيصرف الصك . ولكن ما اسخف الامرا ينبغي على غلاسب ان يكون على حذر حقا . ينبغي عليك الذهاب حالا ؟ تعال واشرب قدحا من النساي اولاً .
- وتبعها الى غرفة الجلوس . وقالت :
- هل لديك خمسة وعشرون باونا ؟
- كلا ، في الواقع . ولكن اوليفر يعتقد ان الاب كارائز لديه المال .
- هذا القسيس الكاتوليكي ؟ اشك ان يكون لديه هذا المبلغ نقدا . اعتقد ينبغي ان اقرضه المال انا .
- ذلك لطف عظيم منك . وسيعيده بالطبع .
- اعرف شخصا يسكن قريبا من هنا يمكنه ان يصرف الصك . ولكن ما اسخف الامر مع اوليفر !
- وقص عليها ، وهو يحتسي الشاي ، ما قاله له اوليفر في الليلة الماضية . واستمعت اليه بوجوم ، وعندما اخبرها عن الطفلة عندما وقفت ليرسمها

قالت معلقة :

— كان ذلك غباء منه !

وقال :

— يمكنني أن افهم دواع أوليفر . انه انسان وحيد . انه بحاجة الى الأشخاص . ونهضت .

— سأذهب للاتصال تلفونيا بصديق لي يعمل محاميا . انه يحتفظ عادة ببعض النقود في بيته لمنل هذه الاحوال الاضطرارية .

وشرب قدحا آخر من الشاي عندما كانت تتحدث بالهاتفون . وظلت تتكلم فترة طويلة . وراح يعدل النار وهو يجلس القرفصاء على السجادة ، وبفكر : لم يشتبك اصدقائي كلهم بقضايا العنف ؟ ولم امقت العنف الى هذه الدرجة ؟ هل سبب ذلك هو الجبن او الكسل ؟

وقالت :

— تحدثت الى صديقي من الموضوع . اعتقد أن أوليفر في وضع سيء نوعا . وحتى لو كانت الفناة لم تزل بكرا فيمكنهم اتهامه بمحاولة اغتصابها . وفي هذه الحالة ، الامر كله سيتوقف على ما ستقوله الفتاة . فاذا ما لمحت بأية كيفية كانت على انه حاول ذلك معها عندما كانت تقف ليرسمها ، فانهم سيسوقونه بالتأكيد الى السجن .

وهز سورم كتفيه ، محاولا أن يخفي شكوكه . وقال :

— هذا حسن . فمما قاله ليس هنالك أي احتمال لهذه الفكرة .

— امل أن تكون على حق . واذا ذهبت الى محطة « همبستيد هيث » فانك ستجد عنوان هذا المحامي مقابلها . اسمه بيتيفورد . سأكتب عنوانه لك ، وسيعطيك المبلغ . هل سنعود الى هنا فيما بعد ؟

— حسنا .

— اليك العنوان . اذهب باتجاه شارع ايست هيث الى ساونيد غرين ، ولا يمكنك أن تخطيء .

* * *

ولاح فلاسب اشعث الشعر مجهدا . وجاء الى المكتب يرافقه شرطيان . وقال :

— شكرا لله ، لقد جئت يا جيرارد .

ودهش سورم لابتسامته التي تعبر عن الطيبة والامتنان . وقال :

— آسف لتأخري .

وقال موجهًا السؤال الى المفوض :

— هل يمكننا الذهاب ؟

— نعم . ولكن ينبغي على صديقك ان يبقى حيث يمكننا الاتصال به والا فقد تفقد نفودك .

فقال سورم بصورة تلقائية :

— شكرا .

وفيما هما يغادران مركز الشرطة ، اقترب منهما رجل . ولاحظ سورم ان غلاسب ينكمش بعصبية . والقى الرجل ببد سورم ورقة وقال :

— خذ واحدة .

— شكرا .

— وواحدة لصديقك .

والقى سورم نظرة على الورقة المطبوعة وهما يعبران السارع . كانت معنونة : نريد العدالة لسكان وايتسابل ! وكان النداء قصيرا :

« ان الرجل الذي يحتمل ان يكون قاتل النساء الست هو الان في قبضة الشرطة . وان الاغنياء الكسالى والبرجوازيين القذرين يأملون ان يعتبر القاتل معتوها ، وهم سيحاولون بكل الوسائل ان يحبطوا خطوات العدالة . غير ان سكان وايتسابل هم الذين عانوا ، وان سكان وايتسابل هم الذين ينبغي ان تكون لهم الكلمة الاخيرة . يجب ان يصعد بيننلي على المشنقة ! واذا وقفنا صفا واحدا فلن نستطيع كل الاطباء النفسانيين في العالم انقاذه . ونحن متهيئون للهجوم . »

وقال سورم :

— هذيان منوش غريب ! لم يريد الاغنياء الكسالى ان يعتبروه معتوها؟ اما غلاسب فراح يلف ورقته بم القى بها في مجرى الماء ، وهـو يهز كتفيه بامتعاض . وقال :

— العالم مليء بالاشخاص الذين يجب ان يكونوا وراء القصبان — في حديقة حيوانات ! انهم ليسوا افضل من الحيوانات .

والقى سورم بورقته في سلة اوساخ كانت منبثة في سياج كنيسة رين .

— ماذا تنوي ان تفعله الان يا اوليفر ؟ نقول جيرترود انه يمكنك ان تمكث عندها .

فقال غلاسب بتهمك :

— هذا لطف منها .

— هي التي اقرضتني النقود .

- صحيح ؟ هل كان من اللازم ان تخبرها بالامر ؟
- لقد اخبرتها ...
- وهز غلاسب كتفيه باستياء .
- ما دامت لا تفرض علي اصدقاءها الذين ينادون بالعودة الى المسيح .
- ولكن اين تعتزم الذهاب الان ؟
- اين تظنني اذهب ؟ الى البيت .
- وهل ... يضيرك ... اذا تركتك الان ؟
- وقال غلاسب بدهشة :
- لماذا ؟
- تم انطلق ضاحكا فجأة ، ووضع يده على كنف سورم لحظة .
- يؤسفني ان ظهرت حاد الطبع . انهم الشرطة الملاحين وهذا الوالد
- الخنزير ... كم اتلذذ بقل هذا النغل . عندما تنتهي القضية سأذهب
- لاستشارة محام لاتحقق هل اسطيع ان اقاضيه لاساءة سمعتي ...
- كم بقيت هنالك ؟
- في مركز الشرطة ؟ منذ حوالي الساعة التاسعة صباحا . تم اتصلوا
- بسرطي ذي رتبة عالية ليسألوه عن قضية الكفالة . هل تذكر ، اخبرتك عن
- الخصام الذي جرى بيني وبين ابيها ؟ كان الشرطي نفسه هناك اليوم . ولدا
- فقد بدا في قصتي عن حقه علي بعض الصحة .
- ولكن اين كريستين ؟
- لست ادري . لم ار اباه بعد . كل ما فهمته هو انه لا يمكن العثور
- عليها . لعلها مختبئة في مكان ما .
- متى بدأت هذه الضجة كلها ؟
- الليلة الماضية ، على ما اظن .
- ولكن لماذا ؟ قلت لي انه هدد بعرضها على الطبيب قبل ذلك ،
- ومن ثم سكنت العاصفة .
- لا يمكنك التكهّن حول اناس كهؤلاء . انه رجل سكير . ربما
- تخاصم مع زوجته ، او ربما اخبره احدهم بأنه رأى كريستين تخرج من
- بيتي . كل شيء ممكن .
- اتعلم انه يستطيع ان يتهمك بمحاولة الاغواء ، حتى اذا قرر الطبيب
- انها لم تنزل بكرا .
- فقال غلاسب :
- واذا كان ذلك ؟ ما عليهم الا ان يسألوا كريستين .

- ولكنك ... لم تخبرهم عن وقوفها لترسمها ؟
- كلا .
- اتظنهم يعلمون ؟
- لا اعتقد ذلك . كيف لهم ان يعلموا ؟ انها لن تخبرهم .
- ولكن افترض انها ارتبكت وخافت ؟ الاطفال يفعلون ذلك ، انعلم ؟
- وماذا يهم ؟ ما دامت تقول الحقيقة ، فلن ابالي بشيء .
- كلا ... اظن ذلك . انك تحتاج الى محام في الواقع .
- لا ارى سببا لذلك . ينتهي الامر كله عندما يفحصها الطبيب .
- متى هربت ؟
- صباح اليوم . يا لها من طفلة حمقاء ... اخبرها ابوها الليلة الماضية
- بانه سيأخذها ليعرضها على الطبيب صباح اليوم . اعتقد ان امها ليست
- هناك . وهكذا تسلمت هاربة صباح اليوم . وبطبيعة الحال ، ظن ان
- لديها شيئا تريد اخفائه ، فذهب الى الشرطة .
- وكيف يقبضون عليك دون اي دليل ؟
- لانه رفع شكوى . اعتقد انه اخبرهم بانها اعرفت له بشيء .
- ماذا ! بانك قمت بـ ...
- تماما . ربما كان سكرانا عندما سألها .
- ربما سبب لها اذى وجعلها تصرخ باية كلمات لمجرد ان تتخلص منه .
- ودهش سورم للهدوء الذي يميز به صوت غلاسب ، ولم يكن فيه
- الغيظ الذي توقعه .
- في هذه الحالة ... قد يمكنك مقاضاته فيما بعد لتوجيه تهمة كاذبة
- اليك . ينبغي ان ترى محاميا .
- فهز غلاسب كتفيه وقال :
- وادفع له اغطية القناني بدلا من النقود ؟
- لا يكلفك غالبا . وانا واثق من ان الاب كارائز او جيرتود
- سيقرضانك النقود ...
- فقال غلاسب :
- سأفكر في الامر .
- فأحس سورم بان غلاسب كان يحاول ان يسكته فقال :
- الامر متروك لك ، على اي حال .
- كانا قد وصلا بالقرب من بيت غلاسب في شارع داروارد . وفيما هو
- يحاول ادخال المفتاح ، انفتح الباب . وتوقع سورم أن يجد المرأة العجوز

- مخبئة خلف الباب . وقالت :
- اواه ... اهذا انت . ظننتك في السجن .
- فمال سورم الى الامام وصاح في اذنها :
- كلا . كل شيء على ما برام الان .
- اواه ، كل شيء على ما يرام ، ها ؟ لماذا بركوك تخرج ؟
- فصاح غلاسب :
- لا يمكننى ان اشرح الامر الان .
- تم اندفع الى الغرفة الامامية واغلق الباب وراءه . وصاحت العجوز :
- لا اريد اشياء مثل هذه تحدث في بيتي . اننا امرأة عجوز اعينس
- بتعبي ، ولا اريد اشياء مثل هذه نحدث في بيتي .
- فصاح غلاسب :
- هل كان الشرطة هنا ؟
- الشرطة ؟ نعم ، كانوا هنا . يجب ان تغادر . لا يمكننى احتمال ذلك .
- فالتفت غلاسب الى سورم وقال بهدوء :
- اذهب الى غرفتي ريتما اشرح الامر لهذه البقرة السمطاء ...
- وبينما كان سورم يرقى الدرجات العارية ، ويشم رائحة زيت البارافين
- المعهودة ، سمع العجوز تصرخ :
- لم تحدث لي اية منامب مع الشرطة قبلا ...
- وصاح غلاسب :
- ليس الخطأ خطئي . يمكننى ان اشرح ...
- ودخل غرفة غلاسب واغلق الباب خلفه . كانت رطبة باردة . ووجد
- علبة نقاب على عتبة النافذة واشعل المدفأة النفطية والموقد الغازي . ووجد
- ابريق الماء فملأه بالماء ووضع على الموقد . وبعد دقائق قليلة دخل غلاسب .
- وقال :
- كان اولاد الق ... الشرطة هنا وتحروا المكان .
- ماذا ؟ ولكنهم بالتأكيد لا يمكنهم عمل ذلك دون امر ؟ هل كان
- لديهم امر ؟
- كلا . انهم فقط طلبوا السماح من المرأة . والبيت بيتها .
- ولكن الغرفة غرفتك . انا واثق انه غير مسموح لهم ان يفعلوا ذلك .
- يجب ان ترى محاميا .
- والقى غلاسب نفسه على المقعد ، وراح يدفء يديه فوق المدفأة
- النفطية وقال بكآبة :

— تريدني هذه العجوز النكراء ان انتقل من هنا . يا له من حقير والد
كريستين هذا ! ... اود لو اقله . لم تفعل هذه الحيوانات الحقيمة مثل
هذا الارتباك في حياتي ؟
— لا تهتم . الامر كله مهزلة ... ولم يفتشون غرفتك ؟ ماذا يتوقعون
ان يجدوا ؟

— كريستين بالطبع .

— اوه ، نعم .

وقال غلاسب بمرارة :

— او ربما يحنون عن جنتها . لا اظنهم تركوا تهمة دون ان يلقوا بها علي .
وراح يتمنى في ارجاء الغرفة ، وهو يطل على لوحاته . وقال فجأة :
— اواه ، يا للمسيح !
— ما الخبر ؟

— صورة كريستين لقد نسيت امرها .

وتذكر سورم في الوقت المناسب انه من المفروض فيه انه لم يسر
الصورة . فعبث الغرفة نحو غلاسب واخذ ينظر في صورة الطفلة التي
نقصها التنفيذية . وكان غلاسب قد سحب عدة لوحات الى الامام ليعرض
الصورة ، وكانت هذه اللوحات تستند الى ذقنه .
— اتظنهم راوها ؟ — لست ادري .

— اشك في انهم راوها . ولماذا ينظرون اليها ؟ انهم اذا كانوا يبحثون عنها
فليس هناك ما يدعوهم الى تفحص صورك .

وفتح غلاسب الدولاب واخرج مغلفا كبيرا من الورق الاسمر . ووضعه
على السرير ثم فتحه . وتقصد سورم الا يبدى اي فضول ، بالرغم من انه
لمح صورة تخطيطية لفتاة عارية . وسأل :

— هل هنالك ما يدل على انهم راوها ؟

ونفوس غلاسب مليا في الصفحات .

— حسب ما ارى ، كلا . ولكني لا اتوقع من الشرطة ان تنرك انار
اصابعها .

واطبق غلاسب الملف بصيحة اشمزاز . ثم رمى نفسه على حافة
السرير واطلق زفرة . وكانت يده الضخمتان تتدليان بين ركبتيه . وقال
دون ان يحرك اسنانه :

— خنازير اولاد الق ...

وبدا ابريق الماء يصدر ازيزا ، فافرج سورم وعاء الشاي في المغسلة

وغسله بالماء الدافئ . ووجد الشاي على الرف في علبة مسدودة الغطاء . وبينما هو يحضر الشاي ، نهض غلاسب واخذ يروح ويجيء في الغرفة ، يبحث عن دلائل التلاعب بأشياءه . وقال أخيراً :

— انهم اذكباء . لم يتركوا اية اثار .

— خذ شيئاً من الشاي .

واضطجع غلاسب على السرير ، وهو يزيح المغلف جانباً ، ثم اغلق عينيه . وبدأ بوجهه البادي العظام الشاخص نحو السقف ويديه الراقدين دون حياة على الغطاء ، كأنه جنة هامة . وقال سورم بهدوء :

— مسكين يا اوليفر . اني اعرف هذا الشعور . لم لا تكون الاشياء

بسيطة مستقيمة .

وارتفع صدر غلاسب بضحكة باهتة لا تعدو ان تكون زفرة قوية . وقال :

— كلا ، انك مخطيء ، انا لا اريد الاشياء بسيطة . لست اريدها هكذا .

انا لا اعرف ماذا اريد . لو كانت حياتي بسيطة لكنت كالسمكة التي اخرجت من الماء . لقد تعرفت مرة على ممثلة لها هذه الطبيعة . كانت تصنع التعقيدات في حياتها . كانت تجعل من علاقاتها الفرامية قضايا متشوشة . فاذا ما سارت الامور باعوجاج ، شعرت على ما يرام . واذا سارت الامور على ما يرام ، شعرت كأنها تفتقر الى شيء .

— اعتقد انك تقسو في حكمك على نفسك ، يا اوليفر .

فاعتدل غلاسب في جلسته وقال بصوت واهن :

— شكراً لله لانه يمنحني مثل هؤلاء الاصدقاء . انهم لا يتركونني

اقسو على نفسي .

ولاحظ سورم حزمة الخشب الملقاة على المشبك الحديدي .

— ينبغي ان تقتني بعض الفحم ، يا اوليفر . انك بحاجة الى نار .

— لدي فحم . انه امام الباب . كنت اهم باشعال النار عندما دخل

رجسال الشرطة .

— دعني اشعلها لك .

فقال غلاسب :

— شكراً ، يا جيرارد .

ورشف جرعة من الشاي ثم استلقى على الفراش ثانية ، مغمض العينين .

ووجد سورم سلة الفحم خارج الباب وسطلاً يحتوي على الرماد ، واشعل

النار ، بالبارافين اولا ، وسرعان ما كان اللهب يدوي مرتفعاً في المدخنة .

وجلس القرفصاء امام النار . كانت برودة الغرفة قد نفذت خلال معطفه .

- وكان غلاسب يضطجع بقميصه وقد فك ازرار ياقته .
- الا تشعر بالبرد يا اوليفر ؟
- اعتقد ... اني اشعر بالبرد .
- ولاح غلاسب كان اللهب سحره . فاجتاز الغرفة وجلس على المقعد ، وهو يميل الى الامام ، وكوب الشاي بين يديه .
- من الجميل منك ان تتعب نفسك معي بهذا السكل ، يا جيرارد .
- كلا ، ابدا .
- لو لم تات اليوم لكنت انفرزت هناك .
- لا يهم . كنت انت تفعل الشيء نفسه لاجلي .
- وبدأت السنة اللهب المنبعة من البارافين المحترق بالخمود ، ولكن قطع الخشب كانت تستعمل جي^١ . وفي الخارج ، كان المساء يتلفع بالظلام رويدا رويدا . وراح سورم يتأمل الغرفة ، وهو يجلس على الكرسي الخشبي ، وكم كانت موحنة غير مريحة . وقال غلاسب :
- لم يكن لي اصدقاء كثيرون قط .
- فقال سورم ، وهو يهز كتفيه :
- ولا انسا .
- ما قيمة الاصدقاء الذين لا يفهمون المشاكل التي تعاني منها ؟ ينبغي ان تكون لك القابلية على التحدث معهم . مثلا انت ... كان في استطاعتي ان اتحدث اليك بعد خمس دقائق من لقائنا اولا . وهذا امر غير معتاد .
- شكرا .
- واحس سورم بالحرجة قليلا لهذا الاطراء وقال :
- لدي نظرية حول الناس . انا وانت شخصان مختلفان تماما الاختلاف . انا افكر اكبر مما ينبغي ، وانت تحس اكثر مما ينبغي . انا اؤكد كثيرا على العقل ، وانت تؤكد كثيرا على القلب . وهناك اناس يؤكدون كثيرا على الجسد ... اوستن ، مثلا عندما يحس بالكبت ، فيحتاج الى متنفس جسدي .
- وماذا تفعل انت ؟
- اوه ، انا . انا احاول ان اجد طريق الخلاص من المشاكل بواسطة التفكير . واحاول ان افصل نفسي من المشاكل . انا لا اميل الى العواطف القوية كثيرا — انا ارتاب فيها . ولهذا انا لست مرتاحا مع علاقتي باوستن الان .
- لماذا ؟ انك لا تضمهر له مشاعر قوية ، اليس كذلك ؟
- كلا . ولكنه انقذني من الركود . لقد انغمست في مشاكله حتسى

اصبحت موضوعيا تجاه مساكلي نفسها . هذا امر لا بأس به . . . ولكنه ليس الطريقة الصحيحة لحل المساكيل .

— كلا ؟ لم لا ؟

واحس سورم ، اثناء حديثه ، بانه كان لافكاره صدى لدى غلاسب ، ولكنه كتم هذه الهواجس ، وهو واثق من ان غلاسب سيفهم ، على اية حال .
وقال :

— اعتقد انه نوع من الضعف ان تتمادى في استبائك بحياة الآخرين . كنت اعرف فتاة من اولئك اللواتي اذ رآهن المرء راح يقص همومه عليهن . وكان الانطباع الذي تتركه لدى الناس هي انها انسانة باردة العواطف هادئة الطبع ، وكان الناس يعتقدون انها قوية متعاطفة . ولكني عندما عرفتها جيدا اكتشفت انها فارغة من الافكار والعقائد وليس لها ثقة بنفسها — في الواقع ، كانت في حالة من التسوش التام في داخلها . وكانت تحقق لنفسها شيئا من السعادة بالاهتمام بمساكيل الآخرين . كانت تميل الى الاشخاص التمساء — اعتقد لانهم كانوا يشعرونها باستعلائها عليهم . . . وعندما كنت التقى بأشخاص مثل جيرترود ، الذين يسنهيهم النشاط الاجتماعي وتغيير مذاهب الناس ، اتساءل اتراهم يفعلون الشيء عينه .
وقال غلاسب :

— وهل في ذلك من ضير ؟

— اجل . فيه ضير اذا جعل من الناس طفيليين . قليل من الناس من هو حقيقي في داخله . انهم يحتاجون الى الآخرين كحاجة الكسيع الى العكاز . انظر الي . كنت قبل اسبوعين اسعر بالضياح التام . لم اكن ارغب في ترك غرفتي لان الشارع كان يشعرنني كأني لست موجودا . لقد جعلتني لندن اشعر كأني حشرة ، وعندما عدت الى غرفتي وحاولت ان اكتب ظللت اشعر كأني حشرة . ثم ماذا يحدث ؟ اذهب الى معرض دياغيليف هذا والتقي بأوستن . واذا بي اكف عن الشعور بأني حشرة . غير ان هذا هو سبب مغلوط .

— وماذا يهم مهما كان السبب ؟

— يهم جدا . كان ينبغي على ان اخلف عالم اوستن ورائي منذ زمن طويل . انني ذهبت الى معرض دياغيليف لمجرد ميل عاطفي نحو نجسكي . اني في الاحوال الاعتيادية لا اطيع رقص الباليه ، حتى ان اخر مرة ذهبت فيها لمشاهدة حفلة باليه كادت ان تسبب لي الاسهال . . . مجموعة من الرجال الشاذين جنسيا ينتطون ، والنساء اللواتي يحركن اطرافهن . فاضطرت الى ترك القاعة في منتصف البرنامج . ومع ذلك ، فهذا هو عالم

اوستن . انه انسان رومانتيكى ، وهو ليس حقيقيا فى داخله ايضا . انسه
يحناح الى اللاحقية لايقاوه عن الشعور بانه حشرة .

وقال غلاسب بنعومة :

— نحن كلنا نحتاج الى شىء نتكىء عليه .

— ينبغي الا نفعل هذا . لو اسنطاع كل انسان ان يقتل اوهامه لاصبح الها .
فقال غلاسب :

— او يقتل نفسه .

— كلا . . . بل تكون لديه القوة الكافية على الحياة . يموت الناس لانهم
لا يعرفون ما هي الحياة .

فقال غلاسب :

— من يعرف ما هي الحياة ؟

— انا احيانا . فى بعض الاحيان فقط . بم اقضي وقتي كله فى محاولة
استعادة الرؤيا .

— وما هي طبيعة الرؤيا التى طامت بك ؟

— كان . . . شعورا بالقبول . حدثت مرة عندما كنت فى همبستيد
هيت انظر الى لندن من ارتفاع . كنت افكر فى كل الحياة وفى كل المشاكل . . .
ثم احسست فجأة بانى على حقيقتي . رأيت اوهام الاخرين ، فتلاشت
اوهامي ، فاحسست بانى حقيقى فى أعماقي . وكففت عن التساؤل هل ان
العالم فى النهاية خير ام شرير . شعرت بان العالم لم يعد يهمني . ان السدي
يهمني ، كان انا نفسي ، سواء اعتبرتھا خيرة ام شريرة . وشعرت فجأة بانى
تحولت الى عملاق . واحسست بالسعادة الى حد سخيف .

وقال غلاسب :

— لم يمر بي شعور كهذا قط .

— كلا ؟

وحاول ان يسيطر على الانفعال الذى انارنه فيه كلماته ، وهو ينتظر
غلاسب ليتكلم ويرقب وجهه الذى بدا نحيفا فى وهج النار . وتكلم غلاسب
بصوت خفيض ، دون تأكيد على الكلمات . وقال :

— هذا ليس ما اشعر به انا . . . اعتقد بانى احتاج الى اشخاص اخرين ،
كما تقول . فمثلا ، عملي السخيف هذا لا يناسبني لانه يجعلني افكر فى
نفسي ، اما كريستين فانها تفيدني لانها تجعلني افكر فى الاخرين . ليس التفكير
فبها فقط . انها تدفعني الى الادراك بان هناك مئات — بل الوف — من الناس
الذين يحيون حياة البؤس التام ، وليس لديهم المجال للاحساس بالاشياء

التي نتحدث عنها . انهم لا يشعرون كالعمالقة او الالهة ، كما انهم لا يشعرون كالجنرات ايضا . انهم مجرد رجال ونساء اعتياديين ، والجزء الاكبر من حياتهم ينطوي على المعاناة والسأم .

وتوقف عن الكلام وشرب بقية الشاي من كوبه ، ثم وضعه على البلاطات الخضراء التي كانت تعكس اللهب ودفع برأس حذائه المتهريء تشظية من الفحم كان الدخان ينبعث منها الى المشبك الحديدي . وقال :

— هذه هي الرؤيا التي اراها . . . ان كانت رؤيا .

ونظر اليه سورم بصمت ، وهو يدرك البون الشاسع الذي يفصل بين طريقتيهما في الشعور ، ويحس بعبث الكلمات . وانهارت قطع الفحم فوق الخشب المحروق ، فاخذ السرر يطفر منها . وقال غلا سب فجأة :

— ما رأيك في الخروج لناكل شيئا ؟ هل انت جائع ؟

— هل تعرف مطعما قريبا ؟

— اعراف محلا يمكننا تناول بعض السجق والبيض والبطاطا فيه بشلنين . فقال سورم وهو ينهض :

— طيب . لنذهب .

الفصل السادس

- اسف لانني تأخرت .
- تفضل . اين كنت ؟ هل تناولت طعاما ؟
- نعم شكرا . اكلت هذا المساء مع اوليفر . بقيت معه لتحدث .
- كان منفعلا قليلا .
- كانت النار لم تزل مشتعلة في غرفة الجلوس . وكان عقربا الساعة الكهربائية يشيران الى الربع بعد العاشرة . فلمست يده وقالت :
- اوه ، يا الهي ، انك لتشعر بالبرد حقا . تعال لتدفأ . هل لك في شراب ؟
- كلا ، شكرا . كنت اشرب مع اوليفر .
- وجلس في مواجهة النار ومد ساقيه نحوها . وشرعت المس كوينسي بتسوية النار بقطع الفحم الصغيرة ، بعد ان ارتدت قفازا كان على حاجر الموقد .
- هل هو على ما يرام الان ؟
- نعم . انه اهدأ من ذي قبل ، على اي حال .
- هل فحصوا الطفلة ؟
- كلا . تلك هي المشكلة . فقد اختفت . وعندما عدنا الى غرفة اوليفر كانت الشرطة قد تحرت غرفته . ويقول اوليفر ان الشرطة قد تتهمه بقتل الفتاة لاسكاتها !
- يا للسخف .
- أجل . لم يكن جادا في الحقيقة . ربما شكوا بانه خباها . على كل ،
- من الحماسة ان تهرب على هذا النحو . لقد جعلت الامر اسوأ بالنسبة لاوليفر
- كان هناك شيئا تخشاه . عندما خرجنا من المقهى شاهد اوليفر احدي صديقاتها في المدرسة واقنعها بان تذهب وتنادي كريستين - ليتحقق اذا

- عادت . لم تكن قد عادت ، بالطبع ، فاخذ الاضطراب يستولي عليه فعلا .
 - لا يدهنني ذلك ، وهناك قابل مطلق السراح في واينسابل .
 - ألم تسمعي بالخبر ؟ القي عليه القبض .
 - كلا . متى ؟
 - الا تصغين الى الراديو ؟ القي القبض عليه صباح اليوم . قبض على رجل واحد على الافل ، ويظهر انه اعترف فيما بعد .
 - طيب ! شكرا لله .
 - لست واقفا من ان القبض على هذا المجرم كان لصالح قضية اوليفر .
 لو كانت شرطة واينسابل لم تزل يقلقها امر جرائم القتل لاعتارت اكثرنا اقل لرجل سكير كهذا .
 - بالضبط . ولكن اين تحنفي الطفلة في اعتقاد اوليفر ؟
 - آوه ، في اي مكان . لقد هربت صباح اليوم فقط . من المحتمل انها قضت النهار في سوق بينيكوت لين او قرب احواض السفن . وربما عادت الان الى البيت - الا اذا كانت ستقضي الليلة مع احدى صديقاتها . او ربما نذهب الى اوليفر .
 - أمل ذلك . لا يروق لي ان اتخللها تطوف في السوارع في ليلة كهذه .
 وتعالى صوت المطر على النافذة ، كأنه جاء تأكيداً لتلك الكلمات وذهب سورم نحو النافذة وراح يطل خلالها ، ولم ينبس شيئا في الظلام .
 - هل نركت دراجتك خارجا ؟
 - كلا . جئت بالقطار .
 - افضل . هل ترصد شيئا تأكله ؟ سأتناول انا شيئا .
 - شكرا .
 وانتكأ على السلاجة وراح يرقبها نقطع شرائح لحم الخنزير . كان الخمر الذي سربه مع غلاسب قد اسعره بالنعاس . وسألها :
 - هل سمعت من اوسن مؤخرا ؟
 - كلا ، منذ عدة ايام .
 - لا اعلم ابن ذهب . كنت احاول الاتصال به منذ يومين .
 - ربما هو الان في بنه الريفي في ليدرهيدي . فهو يقصده مرارا فسي عطش الاسبوع .
 - اه ، بالطبع !
 فنظرت اليه بسك .
 - هل ... تحدثت معه منذ ان كلمتني عنه ...

وتركت العبارة دون ان تنمها . وقال سورم :

— تناولت الغداء معه يوم السبت .

— نعم .

لاح عدم الاكرات في لهجتها . وتناول سورم الصحن مع قطع
السندوينس وعاد الى الغرفة الاخرى . كان المطر يرشق النوافذ بعنف .
وفتح الفوط الورقية وتناول قطعة سندوينس ، ثم نظر اليها وهو يتسم .
وقالت :

— كنت افكر في اوستن منذ تلك الليلة . من المؤسف انه ليس لـ
اقرباء يستطيعون ان ... ينحدوا معه حول الموضوع . ليس هنالك من
يعرفه معرفة وثقة ليكون صريحا معه .

— ماذا يمكنهم فعله ، على كل حال ؟

واخفضت قطعة السندوينس بدلا من ان تقضم منها ، وراحت تنظر
اليه ملبا . وقالت :

— لعلم بقنونه بمراجعة طبيب .

— هذا صحيح . ولكن من الناحية النابية ، ربما سينعر بانهم لا يفهمونه
فيطلب منهم الكف عن مضايقته .

— لا بهم . اذا كان الشخص على وشك ان يموت نتيجة مرض ما فلا
تسأله هل يريد علاجاً .

— اوستن لبس على وشك الموت . كما لا اظن ان النزوع الى الجنس
المشابه يعتبر مرضاً .

واحس بالخيبة تنامي في اعماقها ، ورغرت عينها من الامتعاض .

— ولكن ينبغي ان تكون لديه الفرصة ليعيش حياة طبيعية . انه سيرت
بروه كبره من المال والاملاك . ويجب ان يكون له طفل برث عنه هذه الثروه .
يجب ان يكون له الفرصة للزواج والاستقرار .

فقال بصبر :

— افهم وجهة نظرك . ولكني اشك في ان اوستن يريد الاستقرار . كما
لا يمكنني ان اتصوره زوجاً ! لم لم تريد تغيير حياته ؟ انه ليس شقياً — على
الاقل ، ليس لهذا السبب . ماذا تقولين لو طلب اوستن منك فجأة ان تراجع
الطبيب ليشفبك من الدين ؟

— اوه ، لا تكن سخيفاً ، يا جيرارد !

— واذا كان الزواج والاستقرار بهذه الاهمية لم لم تتزوجي اذا ؟
وامنع وجهها، ومرت به لحظة توقع فيها تقربها. ولكنها ابتلعت بقية

قطعة السندويتش وقالت بصوت متزن :

— لا تنسبه في الحالتين اطلاقا .

واحس ، وهو ينظر في وجهها ، رقة غريبة : كانت على حق ، لا تشابه في الحالتين اطلاقا . وخطر له ان يكون صريحا معها حول اوستن ، ولكنه عدل عن الفكرة على الفور . وقال عوضا عن ذلك :

— حسنا... ان رغبت ، فسأحدث اوستن عن الامر—باسلوب لبق.

ولكنني اشك في ان يكون لذلك اي اثر عليه .

وطاف في عينها شيء من اليأس . وقالت :

— لعلك على صواب . وربما ينبغي الا ادس انفي في الموضوع . اننا

مفرمة باوستن . انه الشخص الوحيد في العائلة الذي اكرثت له الى هذا الحد .

فقال برفق :

— اتدريين ، لا يمكنك تحمل مسؤولية الآخرين . افضل ما يمكنك

فعله هو تقديم المساعدة عند الحاجة .

— ولنفرض ان اوسن بحاجة الى مساعدة ؟

— الا تدركين ، يا جيرترود ، انه لا يمكنك المساعدة الا عندما تفهمين

الامر بصورة تامة ؟ ان مراجك ليعتلف كثيرا عن مزاج اوستن بحيث لا يمكنك اسداء العون .

— لم تقول ذلك ؟ هل تعتقد اني لم اتعمر قط بالطريقة التي يشعر

بها اوستن ؟

فقال :

— لست ادري . هل شعرت كذلك ؟

— كنت اريد ان اطلق العنان لكل رغباتي . واعتقد هذا هو ما يريد

اكثر الناس . كان اوستن محظوظا — لديه دائما المال ليذهب اينما يشاء ويفعل

ما يشاء ، ولم يحاول احد ان يتدخل في اموره . وبكلمة اخرى كان محظوظا

لانه كان ينعم بحرية واسعة . ولكنه في حقيقته انسان طيب . ولا يمكنه

ان يحطم الطيبة فيه مهما فعل .

— لعلك على حق . ولكن الاترين ؟ مسألة انك اردت اطلاق رغباتك

لا تعني انك تفهمين رغبات اوسن .

— هل تفهمها انت ؟

— انا ... لست ادري . اعتقد انني ربما افهمها ؟

— اوضحها لي اذن .

واخذ يتغرس في النار ، وهو لا يحس بالرغبة في الكلام . كانت الآسية التي قضاهما مع غلاسب قد اتعبته . ولما أدرك الإصرار في عينيها قال أخيراً :
 - انه شعور الانسان بأنه يقف على طرف سائب ... دون أن يكون له احساس بغاية أو دافع - الشعور بالانقطاع . يحس الانسان كأن وجوده لا معنى له . وتتمر به أحياناً لمحات من الرؤيا - يرى فيها أن حياة الانسان خالصة من المعنى فعلاً ، غير أنه مدعو الى أضفاء نوع من المعنى عليها . ويحس فجأة بأنه ينبغي عليه أن يكف عن الحياة كممثل رديء يؤدي دوراً في مسرحية من المرتبة الثانية . انه يشعر بأن عليه أن يبدأ على نحو ما بالعيش بصورة لائقة . وعلى كل حال ، فالحياة البشرية كلها محرمات وقوانين وقواعد . وعليه ، فأول ما يفعله - من يريد أن يبدأ الحياة من جديد - هو أن يخرج عن هذه القواعد والقوانين . هذا هو الشعور الذي ينتاب الانسان تجاه الحياة . أما نوع القواعد والقوانين التي يريد أن يخرقها فيعتمد عليه . الرجل المصاب بقلق عصبي لشعوره بأنه مسلوب الامتيازات من الناحية الاجتماعية قد يسطو على بنك أو يلقي قنبلة على مجلس اللوردات . غير أن أكثر الناس يسعون بأنهم مسلوبو الامتيازات من الناحية الجنسية ، وعليه من المحتمل أكثر أن يكسر القواعد المتعلقة بالجنس ...

وكبح رغبته في اتمام حديثه . وانتظرته ليمضي في كلامه ، ثم قالت :
 بعد لحظة ، بلهجة حزينة :

- انه لا يدرك أن هناك طرقاً أخرى ... لتحقيق حياة مليئة . اتمنى لو أستطيع أن أعلمه إياها .

اثار الاستسلام الذي كان في صوتها رافة غامضة لديه ، والفي نفسه يتمنى لو تكون جالسة الى جواره على الأريكة حيث يمكنه لمسها . ولكنه أحس حالاً بأنه لا يتق بشعوره هذا ، عندما تذكر كيف حاول أن يلمسها آخر مرة . فنهض وقال :

- ينبغي أن اذهب الآن ... معدرة لحظة .

وفي الحمام ، فتح النافذة وراح يلقي من خلالها نظرة على المرتفعات . كان المطر يهطل باستمرار . وراحت بعض القطرات تنحدر على وجهه . كان طنست الفسيل مليئاً حتى منتصفه بملابس منقوعة بالماء والصابون . وانحنى فوق حوض الحمام وغسل يديه من صنبور الماء الحار . وجلس على حافة الحوض ليجفف يديه ، وهو يستمتع بدفء المنشفة ونعومتها ، ويدهتس للسعادة التي أخذت تسري في أعماقه ، والشعور بالتوقع . كانت ما تزال جالسة أمام النار . وكان شيء في هيأتها ، في ساقبها

- المعقودتين ، في حذاءيها المتدليين من قدميها الصغيرتين ، يوحى بانهما
اصفر سنا . وقال :
- في اي ساعة يفادر القطار همبستيد ؟
— لست متأكدة . ان القطارات تغادر مبكرا ايام الاحاد . ربما
غادرت الان .
- ينبغي ان اسرع .
— لا يمكنك ان تذهب الان . سيفمرك المطر . اليس الافضل ان تمكث هنا ؟
فسالها بدهشة :
- طول الليل ، تعنين ؟
— يمكنك ... ان اردت .
— وسمعتك بين الجيران ؟
فلوت رأسها عن وجهه المبتسم :
- لا يعنيهم الامر ، اليس كذلك ؟
— طيب ... شكرا جدا . اين انا ؟
— هنا . او في غرفة كارولين ، ولكن أخشى انه ينبغي ان تكتسفي
باغطية كارولين ان نمت هناك . .
- لا بأس . لا يهمني ابدا .
— وضعتها اخر مرة جاءت عندي . لا بد انها نظيفة . اليس الافضل
ان تنام في الطابق العلوي ؟
- لا يهم . في اي مكان يسبب اقل ما يمكن من الازعاج . . .
— ساذهب لاشعل النار .
- وشعر بأنها سرت لخروجها من الغرفة . وتساءل ترى هل اخرجتها
فجأة فكرة تقديم فراش كارولين له ، بعد ان ادركت انها رمز لتهيئة الالفه
بين سورم وكارولين . وبعد لحظة من التردد تبعها الى الطابق العلوي .
- كانت تغير غطاء الوسادة عندما دخل الغرفة . وكانت الاغطية قد
قلبت الى الخلف لتعرض للهواء . وكانت قضبان المدفأة الغازية تزداد
احمرارا كلما ازدادت حرارة والتقط دسداشة نوم من النايلون كانت . قد
انزلت من السرير ، وسأل :
- هل هذا يخص كارولين ؟
فاختطفها منه ووضعها في أحد الادراج وقالت :
- كلا . انها لي وكانت قد استعارته .
وخرجت من الغرفة وهي تقول :

— سأحضر لك قنينة ماء حار .

ونظر الى صورة كارولين ، وخالجه شعور يكاد يكون شعورا بالالم .
وادرك بشيء من الدهشة ، انه كان يشعر بالحب لكارولين . كان اكتشافا غير
متوقع ، لا بد ان هذا الشعور نما فيه منذ ان رآها اخر مرة . وفي ذلك الحين ،
لم يكن يشعر بغير الحنان المسلي والامتنان الذي هو الجواب على تقديم
المراة جسدها .

ودخلت المس كوينسي بينما كان ما يزال يتطلع في الصورة وسألت :
— هل تميل الى كارولين ؟

— بالطبع . انها فتاة حلوة .

والقت قنينة الماء الحار داخل الفراش واعادت الاغطية وقالت فجأة :
— نسيت اني تركت حوض الغسيل مليئا الى منتصفه بالملايس . كنت
بدأت بغسلها عندما جئت . والافضل ان اكمل الغسيل الان . هل تريد ان
تنام الان ؟

— لا ، ليس ضروريا . لماذا ؟

— اعتقد انني سأذهب الان . احس بشيء من التعب .

وتبعها خارج الغرفة ، وهو بحس بتوترها . وتسائل هل ندمت لدعوته
للبقاء . وسألت :

— هل لك ببعض النيكولات الحارة قبل ان تذهب للنوم ؟ ساهي
قدحالي .

— شكرا ، نعم .

ودخلت غرفة الحمام ، وسمع تكتكة القفل . وراح يحرق في الباب وهو
يهز رأسه . لقد اذهله تقلب مراجعها . ونزل الى الطابق الارضي ببطء ، وفكرة
مغادرة المنزل تداعب رأسه ، ثم تخلى عن الفكرة ، لقد كانت قد هيأت الغرفة .

وفي غرفة الجلوس شرب قليلا من المارتيني الحلو واستلقى على
الاربكة ، وراح يفك شريطي حذاءيه . واكل بقية سندويش لحم الخنزير ،
واخذ يحرق في الظلال المتحركة على السقف . وتذكر التعابير التي ارتسمت
في وجه المس كوينسي وهي تتحدث عن اوستن ، واحس نائية بانه متسلح
بالدفع واخذ يفكر بمرح : لهذه العائلة موهبة في بث الحنان . ولكنهم
جميعهم ضعفاء : اوستن ، كارولين ، جيرترود . انهم بحاجة الى الآخرين .
غريب ، هذا الحب الذي لا علاقة له بالجنس . احس به تجاه اوستن ،
وتجاه كارولين . وتجاه جيرترود ايضا . ولكن بصورة اقل بالنسبة لجيرترود .
لماذا يكون من المفروض الا يقع الانسان في غرام اكثر من شخص واحد ؟

وفيما هو غارق في هذه الافكار راح في اغفاء خفيفة على صوت الماء الذي كان يسمع جريانه من الطابق العلوى .
واستيقظ فجأة واعتدل قليلا . ودخلت جيرترود كوينسي بعد قليل وهي تحمل قدحا على صحن . كانت مرتدية دشداشة نوم زرقاء محزومة عند الخصر ، وخفين من النوع الذى يستعمل فى غرف النوم . وكان شعرها ينسدل الى ظهرها . كان شعرها اطول مما كان ينصور . وبدأ وجهها الخالي من المساحيق شاحبا .
- كم الساعة ؟
- بعد منتصف الليل .
- كنت نائما .
- اعلم . جئت توا . انا ذاهبة للنوم .
- انتظري لا تذهبي الان .
كانت قد وضعت القدح على الطاولة قرب الاريكة . فمد يده وامسك بيدها قبل ان تبتعد وسحبها برقصة .
كانت يدها نحيفة وباردة . وعندما جلست رفع يدها نحو شفنييه ولثمها . ولم تبد اية مقاومة .
- انك باردة .
- اعلم . احس بالبرد دائما بعد الاستحمام .
وحاول ان يسحبها نحوه الى جنبه ، وهو ممسك خصرها . ولكنها قاومته قليلا ثم نهضت . وقالت :
- تركت قدح السيكلات خارجا .
وراح يتسمع بينما ذهبت الى المطبخ ، ثم عادت وهي تحمل قدحها . وعندما جلست بقربه بانيتها ، احس برعدة من اللذة . كان واثقا انها ستجلس على الكرسي الاخر . وقال :
- ضعني قدميك على الاريكة .
- كلا .
- ارجوك .
- كلا ، يا جيرارد .
فسحبها من خصرها وجعل توازنها يقلق . فلما استند جسدها اليه ، كرر قائلا : ارجوك .
فرفعت قدميها ووضعتهما على الاريكة الى جنبه وهي تدفع بهما طرف رداثها . وفى الحال سحبها اليه ومال ليقبلها ، ولكنها لوت رأسها فمست

شفتاه جيدها . كان جسدها باردا . ولم يحاول ان يقبلها عنوة وهو مسرور لاحساسه بالتصاقها به والدفع يسري في برودتها وجيدها ملتصق بوجهه . وقبل اذننها وجانب وجهها وراح يعبث بشعرها بيده الاخرى . كانت ترتعس وهي قربه ، ثم خفت حركتها كأنها ميتة . كانت عيناه مغلقتين . ومد يده وتناول غطاء مقعد السيارة الذي كان معلقا على ظهر الاريكة وفرشه فوقهما ، ثم رقد الى جوارها ، واغلق عينيه ، واحس بالرضى يسري في عروقه برعشات خفيفة . وفي ظلام عينيه المغمضين ، نسي انها نرقد بجنبه، واحس بان كل الافكار والدوافع قد انجلت عنه ولم تترك غير هذه الراحة الجسدية . ولم تأت بأية حركة ، كانت انفاسها الدليل الوحيد على انها كانت حية . سم اعتدلت في جلستها وقالت :

— الافضل ان نشرب هذا .

ودفع نفسه الى الجلوس واخذ القدر منها . وشربه وهو يستند الى مرفقه وكتفه على الوسادة . كان فائرا ، فشربه على عجل . ولم ينبس احدهما بكلمة . وعندما اخذت القدر منه ، اضطجع ثانية ، وبعد قليل رقدت هي الى جنبه ايضا . ولم تحاول هذه المرة ان تبعد شفتيها عندهما هم بتقبيلها . واثارته شفتها الرقيقتان ، وضغط عليهما حتى انفرجتا قليلا وهو يتنفس عميقا . كانت سلبية تماما . وراح يتحرك بحذر عندما احس بالتهيج يعلو فيه . فتعمد الاسترخاء وركد الى جوارها ثانية وسحبها اليه . كانت راحة يده اليسرى منبسطة على ظهرها تنقل اليه شعورا حسيا لذيذا بنعومة الحرير الذي يلف جسدها . كانت اللذة التي احس بها توترت في اعماقه يتحدى الزمن — كان يكفي ان يحس بقربها منه . ومرت لحظة ، احس بوعيه يتمطى فيصبح كاملا ، يدرك الماضي والحاضر والمستقبل كنسيء واحد ، يفوق النك الدائري . . وعندما نظر اليها عرف انها لم تكن تفكر ، كانت ترفض التفكير متعددة . وظل راقدا يرقب النار تخبو شيئا فشيئا وعقرب الساعة الكهربائية ينتقل من النصف بعد الثانية عشرة الى الواحدة . وبالرغم من انها لم تتحرك ، علم انها لم تكن نائمة . واحس برغبة في النوم :

وقالت بصوت خافت :

— لنذهب الى الفراش .

وبقيت برهة راقدة بلا حراك ، ثم تلمعت واخرجت ساقها من تحت الغطاء . وتركها تخرج من الغرفة اولا ، ثم نهض واخذ يتمطى . كان القدران الفارغان على البساط ، فالتقطهما ووضعهما على الطاولة . ثم ترك غرفة

الجلوس واطفاً النور . وعندما مر بغرفة كارولين دخلها واطفاً المدفأة الكهربائية .

كان باب غرفتها مسدوداً ، ولكنه انفتح عندما دفعه . كانت الغرفة غارقة في الظلام . وصدر صوتها من الفراش وهي تقول :

— أرجوك ان تذهب ، يا جيرارد .

فقال برفق :

— لا تكوني سخيفة !

وخلع ملابسه في الظلام ودخل الفراش الى جنبها . كانت ترتدي قميص نوم رقيق ، كذلك الذي رآه في غرفة كارولين . وعندما مسه بجسده العاري احس سورم بهدوئه ينهار . وبدأ يقبلها . وعندما انسحبت بعيداً عنه قال :

— اما كنت تحسسين بالخيبة لو نمت في غرفة كارولين ؟

وكان صوتها همسا ، كانها تخاف ان يسمعها احد :

— لم اكن اريد هذا ان يحدث . لم افكر بهذا عندما دعوتك . . .

— اعلم ذلك . ولكن الان ، عندما سعدت ، هل كنت تريدني مني ان

اذهب الى غرفة كارولين ؟

— لـ . . . لست ادري .

وادرك ان هذا صوت امرأة ترفض التفكير . وبدأ ينزع عنها قميص النوم .

— لا ، أرجوك . يجب الا تفعل ذلك .

— دعيني اخلعه . اريدك عارية .

— لا يمكن . لم يحدث ذلك لي قبلاً .

— طيب ، لن افعل شيئاً . ولكن دعيني اخلعه .

فحركت جسدها لتدعه يخلعه عنها . والقى به على الارض . وعندما

احس بجسدها ملتصقا بجسده علم ان لا شيء يمكن ايقافه عن المضي .

وبالرغم من مخاوفها والوعد الذي قطعه ، سيحدث الامر ، وان جسديهما

ليعرفان ذلك . واحس بها تستسلم ، وتلين في الوقت الذي كان يتحرك

فيه نحوها .

وبدأ الفجر يتسلل من خلال الستائر . ونظر اليها خلال النور الباهت

فراى عينيها مفتوحتين .

— كيف تشعرين ، يا عزيزتي ؟

— لازلتي حية .

- لماذا ، هل ظننت ان العملية ستقتلك ؟
- لفترة قصيرة ، نعم .
- وقبلها واحس بارتعاشة من الحنان ادهنته . ونظر الى وجهها ، كان شعرها مبعثرا على الوسادة . وقال :
- امر مضحك ...
- ماذا ؟
- اعتقد ... اني وقعت في حبك قليلا .
- فقالت :
- جيد .
- واطبقت ذراعيها حوله وهي تشده اليها . وقبل وجنتها وشعرها فوق اذنها . وقال :
- ما اسخف الامر ، يا عزيزتي . ماذا نفعل ؟
- ماذا تريد ان تفعل ؟
- ان ابقى على هذا الشكل ستة شهور . على هذا الشكل تماما .
- لا تستطيع . تصاب عندئذ بتشنج العضل .
- اعلم . ويدخل الملل اليك . وافقد انا شعوري . ماذا تريد ان تفعل ؟
- فقبلت اذنه ، وهي تداعب الشعر النابت على فكه بيدها اليسرى .
- ماذا تريد ان تفعله انت .
- الا تشعرين ... بالندم ... لما حدث ؟
- كلا .
- ماذا تعتقدين ان الاخ روبنز سيقول :
- لا يهنسي .
- وترك دفاها يسحبه ثانية ، فيدفع جسده عبر جسدها ويحس كأنه يغنى فيها . وشعر كأنه يقبلها للمرة الاولى . لقد جعل منها الليل انسانا اخر .
- وقال هاسا في اذنها :
- انه امر مضحك ... لم يحدث لي بهذا الشكل قبلا .
- لم يحدث ؟ ما هو الاختلاف ؟
- اشعر ... كاني وقعت في حبك .
- جيد .
- تقولين دائما « جيد » هل الامر « جيد » الى هذه الدرجة ؟
- فهزت رأسها ، ووجهها على شعره ، وجسدها يتحرك برفق . وقال :
- اتعلمين ، يقول توماس مان ان الكلمات التي تتلى في مراسيم الزواج

لغو : سيكون هذان جسدا واحدا . ذلك لان الجنس يعتمد على الغريبة ،
على الاكتشاف . ولكني لا اصدقه . فمن الممكن لشخصين ان يكونا
جسدا واحدا ...

— كفاك تفلسفا ، يا جيرارد .

فقال ضاحكا :

— انك على صواب .

وظل راقدا بجوارها ، وذراعه حول كفيها ، وهو ينظر الى السقف .

— اخبريني بشيء ، يا عزيزتي ؟

— ما هو ؟

— لم لم يحدث ذلك قبلا ؟ اعني لك ؟

— لست ادري . انه لم يحدث فقط .

— كنت لا تريد ان يحدث ؟

— ليس ذلك . كان ... اوه ، دعنا لا نتحدث في الموضوع .

— حسنا .

— ساخبرك يوما ما . ليس لانني اريد ان اخفي شيئا .

— كلا . ليس لديك ما تخفيه ، على كل حال . لست من هذا النوع .

— ولا انت .

— هممم . لست ادري . هنالك حادثة او حادثان تخرجاني ...

— انا لا اكرث لها .

— لست وانقا . قد تزعجك احدهما .

— لماذا ؟

— اوه ، لا شيء ...

— هل تتعلق بي ؟ ان كانت لا تتعلق بي ، فلن اكرث .

— طيب ، تتعلق بك ، بطريقة ما .

وظلت راقدة بلا حراك . وسالت :

— ليس اوستن ، طبعاً ؟

— اوستن ؟ لم يجب ... ؟ لا اظنك تتصورين ... كلا ! هل هذا

ما تعنيه ؟

— انا اسفة . اعرف انه من السخف ...

وقبل وجهها ضاحكا .

— مسكينة يا عزيزتي ! تظنني بهلوانا جنسيا ؟

— كلا . لم اظنك ذلك . كيف اذن يتعلق الامر بي اذا لم يكن اوستن ؟

- نم انسحبت قليلا لتنظر الى وجهه وقالت فجأة .
 - اخشى ان تكون كارولين ، ها ؟
 ووجد من العسير الاجابة حالا . فكررت سؤالها :
 - كارولين ؟
 - نعم .
 - اوه جيرارد ! ...
 - اوه جيرارد ! ... ولكنك التقيت بها منذ اسبوع واحد فقط .
 - اعلم .
 - ولكن ... ماذا حدث ؟ بالتأكيد ... لا يمكن ان تتطور الى هذا
 الحد في اسبوع واحد ؟
 - الم تتطور علاقتنا خلال اسبوع واحد ؟
 - تعني ... هل حدث ما حدث ؟
 - اجل .
 - ولكن متى ؟ وكيف ؟ كيف حدث ؟
 وسحب نفسه بعيدا عنها ، واستند الى مرفقه ، حيث امكنه رؤية
 وجهها . وقال والجهد باد عليه :
 - عزيزتي ، لا يجدي شيئا ان تسالي كيف تحدث هذه الاشياء . انها
 فتاة حلوة . وفي اول امسية خرجت معها ، قالت انها تريد ان اكون عشيقها ...
 ولم أعارض . اعتقد انه شيء شرير جدا ، ولكني لم اكن ارغب ان اكون
 انسانا فاضلا ...
 وظلت راقدة وهي تنظر اليه . ولاحت عيناها واسعتين الى حـد
 غريب ، وشفتاها ممتلئتين جدا . وسألت :
 - هل تحبها ؟
 واعطاها الجواب الذي كانت تبغيه :
 - كلا .
 - هل تحبك هي ؟
 - لا اظن ذلك . من المحتمل انها تهيم حبا بي ، ولكن لا يمضي اسبوع
 الا وتكون قد هامت حبا بممثل او مؤلف ..
 فقالت على مهل :
 - لست ادري ماذا اقول بالضبط ... فانك اذن عشيق كارولين
 وعشيقتي ؟
 - كنت عشيق كارولين ، اذا اردت الدقة .

— قررت الا تكون عشيقها بعد ؟

فقال بلهجة صارمة :

— اسمعي ، يا عزيزتي . لنجعل الامر واضحا بيننا . لقد اخبرتك بالامر لانه ليس من الصواب ان احتفظ به سرا . على كل حال ، رأيت من الافضل ان اعلمك به . فاذا اردت الان ان تطرديني وتطلبي مني الا اعود ثانية ... طيب فقد توقعت ذلك . اكان الافضل الا افضي اليك بسيء ؟ — كلا . اعتقد انني كنت ساعلم في الاخير . ولكن ماذا تريدني ان افعل الان ؟

فرقد ثانية وسحب الغطاء حتى كتفه .

— لسـت ادري يا عزيزتي . فكري في الامر .

وراح يحرق من خلال النافذة ، ثم على منضدة الزينة التي كانت تبدو واضحة في ضوء الفجر . وقالت بعد قليل :

— انا لا افهم كارولين . هل تفعل مثل هذه الاشياء دائما ؟

— كلا . على الاقل ، لم يسبق لها ان ... تذهب الى هذا الحد .

— ولكنها طلبت منك ان تكون عشيقها ؟

— لا تلقي اللوم عليها كليا . فيلزم شخصان للمضاجعة . على كل حال ،

لا فائدة من تقديم الاعذار . كل ما اعرفه هو ان الامر حدث الان .

ولما لم تجب انقلب على جنبه واخذ ينظر اليها . وفي الحال، كبح رغبته في ان يحيطها بذراعيه . وقال :

— طيب ... انا اذن مطرود .

— اتريد ان تكون كذلك ؟

— كلا .

فابنسبت له ، كانت الابتسامة حزينة مقنضبة .

— اذن فلا اظنك مطرودا .

فمال فوقها وطبع قبلة على حاجبها ، فاحس بمذاق اهدابها المالحة . وقال :

— مسكينة باعزيزتي . انا اسف ، انا حقا اسف . ولكن ... ماذا تفعل ؟

— عمـاذا ؟

— حول كارولين . من المفروض ان اراها الليلة . وعلى كل حال ، ماذا

ينبغي ان افعل بشأنها ؟ ينبغي ان اكف عن لقائها . ولكن يمكنك ان تتحسسي مصاعب ذلك .

— هل تريد فعلا ان تكف عن لقائها ؟

— نعم .

فضحكت فجأة :

— ما أسخفك حقاً . بالله لم تكون علاقتك مع ابنة اخي بالذات ؟
— أنا اسف يا عزيزتي . انا حقاً اسف ...
— افرض أنك غيرت مسكنك ؟ تنتقل مثلاً الى همبستيد ؟ اعرف
غرفة قريبة ...

— لا يمكنني ان افعل ذلك . سيدو ذلك جينا مني . ان الحل الوحيد
الذي يخطر في ذهني هو ان اكتب لها رسالة اخبرها فيها بأنني سافرت الى
خارج أنكلترا .

— لم لا ؟ يمكنك الذهاب الى باريس أو روما لبضعة اسابيع . ستعثر
على شخص آخر انشاء فيابك .

— أوه ، لا يمكنني في الواقع ان ارحل الى الخارج . ليس لي المال .
غير انه يمكنني الذهاب الى اهلي لبضعة شهور — في يوركشاير .

فقالت بتردد :

— أن رغبت ... ففي امكاننا ان نذهب كلانا الى باريس لنقضي عيد
الميلاد وعيد رأس السنة . وحتى بعد ذلك لا حاجة ان نعود . اعرف بيتنا
في منطقة البحيرات ...

فمال عليها وقبلها .

— لا تكوني سخيقة . انا لا اخذ نقودك .

— لم لا ؟ لو كنا متزوجين لاخذت مالي . .

وتوقفت فجأة . ومرت به برهة ، لم يكذب يحس بان قربها اليه كان يبعث
فيه الهيجان الذي كان ينبعث من يده وهي تنحسنعومة جسدها ، وقال :

— هل تريدان الزواج مني ؟

— لا يهمني . اريد ان افعل ما نرغبه ...

— ما اعذبك ... ولكن هذا ليس بجواب .

— ولكن في امكاننا ان نغادر لندن ، يا جيرارد . لم لا يمكننا ان نفعل ذلك ؟

— سأخبرك بالسبب الرئيسي ، يا عزيزتي . لا يمكنني ان اتخلى عن اوستن .

— وما دخل اوستن في الامر ؟

— لا ... لا يمكنني ان اوضح .

— ولكن ... انني لا افهم . هل وقع اوستن في مازق ؟

ونظر الى وجهها المذهول ، واحس بالشك الذي تضرره له في اعماقها

وقال :

— اسمعي ، يا عزيزتي ، لننهض ونهيه شيئاً من القهوة . وسأحاول ان

اشرح المسألة لك . ولكن دعيني افكر فيها قليلا .
ودون ان تتكلم ، انزلت خارجة من فراشها . وراح يتفرس بأعجاب
في جسدها النحيف المتماسك وهي تتحرك في الغرفة . واختطفت دشداشة
النوم من كلابة خلف الباب وانحنت لتشعل المدفأة الكهربائية . وبقي لوحده
واخذ يصغي الى المطر الذي اخذ ينقر النوافذ برفق .
وتدحرج قليلا فاحس بدفء البقعة التي تركتها ، فبعثت فيه شعورا
بالدفء والشفقة . ودفع الاغطية وانزل قدميه على البساط . كان الهواء
باردا ، فلبس قميصه على عجل ، واخذ يفكر وهو يقف قرب النار : هـل
احبها ؟ هل ممكن ان احبها بعد ليلة واحدة ؟
ووضع الحزام في سرواله ، ثم توقف واخذ يدفيء يديه وركبنيه . انها
لمسكلة ان تكون موزع النفس . لا يمكنك ان تتكهن . اشعر كاني واقع في
حبها الان . وماذا عن غد ؟
كارولين . انها فتاة عذبة ، ولكن احساسى معها يختلف . كانت حتما
ستعلم بأمر جبرترود في الاخير . وعلى كل حال ، ليس من الحكمة الارتباط
بجبرترود ارتباطا دائما . بعد عشر سنين ، ستبلغ ما يقارب الخمسين من
العمر ، ولا اكون انا قد بلغت الاربعين بعد .
واخذ يتفرس في صورة فوتوغرافية لها على طاولة الزينة . كانت في
بدلة ممرضة ، وكانت تبدو اصغر سنا بعشر سنين . كان لعينها التعبير
نفسه الذي لاحظته في وجهها قبلها وهما في الفراش . كانتا عينين حكيمتين
فيهما شيء من الدمر . وخطر في ذهنه : ولكني احبها في هذه اللحظة . حتى
اذا استمر حبي الى غد فقط .
وكان المطبخ دافئا . وكان ابريق القهوة يغلي بفقااعات على الموقد .
وانحنى عليها وقبل جبينها . كانت بشرتها صافية صحية ، فسرته ذلك . وقال :
- انك تشبهين « لوريلاي » بشعرك المنسدل على ظهرك .
- ولكني لا اشعر بشعور « لوريلاي » .
- فضحكت ومرت باصابعها خلال شعرها .
- كيف تشعرين ؟
- شعورا غريبا . لست معتادة على الجلوس بدشداشة النوم امام رجل .
- لا يهم . تبدين رائعة . بل وتبدين اروع وانت عارية .
- كلا ، لا ابدو كذلك .
- فازاح رداها ولثم طرف تديها .
- بل تبدين رائعة . لك جسد مدهش . كجسد ... فتاة شابة .

وتوقف في اللحظة التي كان على وشك أن يقول فيها : كجسد فتاة في السادسة عشرة . ولكنها لاحظت تردده ، فابتسمت له ، ولاح في عينيها خبث مفاجيء .

وقال ضاحكا :

— اعتقد أنك تقرأين الأفكار .

— لست كذلك ... معك .

وقال :

— ألا تكنين حقا ... حول كارولين ؟

— بالطبع أكثر . واتمنى لو انه لم يحدث . ولكن لا فائدة من هذا

السمي . وعلى كل حال ... ما مضى مضى ... اليس كذلك ؟

واحاط خصرها بذراعه ، وسحبها اليه بينما كانت تمر به . وقال :

— أجل . أنا أيضا لا أكثر .

وضعت كوب القهوة امامه ، وسكبت حليبيا ساخنا فيه ، وهي تمنع

القنطرة من التسرب بواسطة مصفاة .

— ولكن ما هي مشكلة أوستن ؟

— أه نعم ... أوستن .

وانتظرها حتى جلست في مواجهته واخذت تصب القهوة .

— طيب ، اظن انه من المحتمل ان تكون لاوسن متاعب مع الشرطة .

— لماذا ؟ ماذا فعل ؟

ووضع السكر بالملعقة في قهوته وهو يفرس في غطاء المائدة . كان من

العسير عليه شرح الامر بطريقة رقيقة :

— على كل ... اتذكرين انك حدثني مرة عن ولعه بتعطيم السدى

عندما كان طفلا ؟

— نعم .

— لم كان يفعل ذلك ، في اعتقادك ؟

— لست ادري . كثير من الاولاد لا يحبون السدى ، يعتقدون

انها سخيقة . انه نوع من التعبير عن الازدراء .

— ربما . ولكن ، تمر بأوستن فترات متعاقبة يحدوه فيها دافع قوي

لتعطيم الاشياء ، او ايدائها . يدعى هذا السادية .

— سادية !

وانسكبت قهوتها في الصحن . فوضعت الكوب واخذت تحديق فيه .

فقال على عجل :

— اوه ، لا تضطربي . قد لا يكون الامر بالسوء الذي تظنينه . ولكن النقطة هي ... انه معروف لدى الشرطة بانه سادي .

— ولكن كيف ؟ لماذا ؟

— ولكن كيف ؟ لماذا ؟

فقال وهو يهز كتفيه :

— لانه يختلط باناس لا يهمهم ان ينلقوا الضرب من اجل المال . وهؤلاء الاشخاص معروفون لدى الشرطة . على كل حال ، لا اطيل الكلام عليك ، انه من المشبوهين بصورة اوتوماتيكية في قضية مثل قضية حوادث القتل في وايتشابل . هنالك بالطبع الاف المشبوهين الاخرين .

— ولكن الرجل قبض عليه ... كما قلت .

— اعلم . اذا كان هو الرجل المطلوب ، فالقضية انتهت الان . ولكنه قد لا يكون القاتل .

— انا ... لا افهم . اوستن لا يمكنه ايداء احد . لا يمكن مطلقا ان يكون قاتلا . ممكن ؟

— اعلم . واتفق معك . ولكنه زج نفسه في موقف كريبه . لو كان عاقلا ، لغادر القطر سنة واحدة . لست اعلم نوع المشكلة التي وقع فيها . اظن انه ربما يكون هناك احد يهدده .

— ما الذي يدفعك الى هذا الظن ؟

وحديثها بالتفصيل عن النداء التلفوني من سويسرا وعن الشقة في الطابق السفلي والنادي الليلي . وبينما هو يتفرس في وجهها وجد نفسه يعجب به . وقد اصبح وجهها بعد الصدمة الاولى هادئا وراحت تصفي بصمت وهي تحتسي قهوتها . وعندما ذكر لها الدكتور شتاين وحادثة هامبورغ ، قاطعته بقولها :

— ولكن ذلك سحيف ، انه دخل ديرا في المانيا ! بالتأكيد انهم لا يظنون ...

— عزيزتي ، انهم لا يستبهون باوستن بالذات . فكما ذكر شتاين ، على الشرطة ان تفحص الافا من المشبوهين في قضية كهذه . كان شتاين احسد المسؤولين عن التحقيق في قضية كورتن في دوسلدورف ، وقد استجوبت الشرطة عددا هائلا من المشبوهين خلال ثلاث سنين — غاب عني الرقم ، ولكنه حوالي نصف المليون . وان حوادث الجرائم السادية لهي في الوقت الحاضر اكثر مما يمكنك تصوره . ماذا تظنين قد حدث لكل الحرس في محل مثل بيلاسن وآوشفيتس ؟ لم يحاكموا جميعا على انهم مجرمو حرب — لم يحاكم

خمسـة بالمائة منهم . وقد حدثني بعض الذين كانوا في معسكرات الاعتقال الالمانية - اشخاص كانوا في حركة المقاومة الفرنسية - واعتقد ان ذلك حدث في كل مكان . لم يكونوا جميعهم ساديين . ولكن بعض الحركات كالنازية تتمخض عنها السادية . اما في انكلترا فانها تظهر على شكل جرائم جنسية او حوادث العنف بين الاونة والاخرى .

كان يحاول من قصد ان يسرد حوادث مجردة لكي يعيد الاطمئنان اليها ، بعد ان احس بان الخوف الذي كانت تشعر به كان خوفا من المجهول ومما لا سبيل الى تفسيره . وقالت :

- ولكن بالتأكيد ... لس الامر كذلك مع اوستن ؟ انه لبس من هذا النوع من الناس .
فقال سورم :

- آه ، عليك على حق . ولكنه من الصعب التوضيح . هنالك نوعان من السادية .

واجتاز المطبخ الى النافذة وراح يسمح البخار المستقر على الزجاج . واورثه مشهد الاشجار المبللة بماء المطر احساسا بالسعادة .

- اعتقد ان السادية لدى بعض الناس لا تعدو ان تكون تعبيراً عن الحيوانية . انهم لا يشعرون بالمسؤولية تجاه الآخرين . انهم مجرمون سيكوباتيون يعانون امراضا عقلية . ولكن السادية ، كما اعتقد ، يمكن ايضا ان تكون مجرد التعبير عن صراع .
- كيف ؟

ولم ينظر حواليه ، لم تكن لديه الرغبة في رؤية وجهها لثلا يحس بالحاجة لاقتناعها . وقال :

- فمثلا ، اجد نفسي وقد اخذت انضج جنسيا . اتعلمين ، هناك ممل قديم في الجنس : الآلة الساكنة لا ضمير لها . واعتقد ان هنا موطن الاختلاف بين الرجال والنساء . الجنس بالنسبة لكلبهما شهوة جسدية خام بالاضافة لكونها وسيلة للتعبير عن الحب . وهو لدى الرجل احساس بغائبة الحياة ، والرغبة لاتخاذ من كل امرأة جذابة اما لاطفاله . في حين ، نجد بالنسبة للمرأة ، ان الاتصال الجنسي هو ذروة الحب ، وتعبير عن الحنان ، وليس غاية بذاته . على كل حال ، انني اجد ان موقفى من الجنس يشبه موقف المرأة . فاذا ما تسنمت سريري اجمل غادة في لندن وقالت : « تعال خذني » لفشلت في تحقيق ذلك . لا يمكنني تعاطي الجنس كالالة .
فقال بلهجة متهمكة :

— يسرني ان اعلم بذلك .

— ولكن هذا لمجرد ان الاحساس بالغاية يزداد قوة لدي ، ولهذا فانه يزداد رغبة في الانتقاء . اتلاحظين ؟ يتزاوج الحيوان ويولد صفاره بطريقة غريزية . ويفعل على هذه الشاكلة عدد كبير جدا من الناس . غير ان لبعض الرجال الحاجة لان يحسوا بوعي اكثر حول قضية الجنس كلها ، فيقاومون الغريزة التي تشدهم الى امرأة معينة . لانهم يوجهون رغبتهم الجنسية ليس تجاه امرأة معينة وانما تجاه جميع النساء . ولذا فنساء معينات لا يثرن رجلا كهذا بقدر ما تثيره فكرة النساء عامة . وهنا تكمن المرحلة الخطرة التي قد تحوله الى مجرم جنسي . فاحساسه بالغاية اقوى مما هو عليه لدى كثير من الرجال ، غير ان غرائزه تظل غرائز حيوانية . واذا استطاع ان ينمو ويخلف هذه المرحلة ، فانه يعود الى حاجته لامرأة واحدة ، ويمر الاحساس بالغاية الى ما وراء الجنس . ويمكن التسامي به عن طريق الحاجة لان يصبح فنانا او فيلسوفا او مصلحا اجتماعيا . ولكن حتى يصل هذه المرحلة يبقى حبيسا بين نارين . احساسه بالغاية يجعل منه متعصبا ، وشهواته لا تستطيع ان ترتفع عن الجنس . هل تفهميني ؟

— اظن ذلك . ولكن ... لا يمكنني ان اتصور كيف تقود الى ايلذاء الآخرين ، اذا كانت هي شعورا ارفع بالغاية ...

— بسبب الصراع . يأخذ الانسان بازدراء نفسه ، فيعبر الاشمئزاز عن نفسه بواسطة القسوة . لدى اناس معينين ، بطبيعة الحال . ولدى الآخرين — اوليفر ، مثلا — يثور الاشمئزاز على نفسه . وقد يحاول الانسان في هذه الحالة ان يؤذي نفسه . او مجرد ان يدمن على الشراب او المخدرات . — ومع هذا ... الرجل الذي يقتل لا يمكنه ان يحس بالغاية التي تحدث عنها .

— لمماذا ؟ لا يغيب عن بالك ، انها المحاولة لحل الصراع . دعيني اورد مثلا . من المشاعر الكبرى التي يثيرها الاتصال الجنسي في نفسي هو الشعور بانني عاجز . تمر بي ثوان معدودات تتركز فيها ذكرياتي ويتسع مدى رؤياي . ثم تتلاشى . وادرك ان عدوي الرئيسي هو جسدي . اني اميش دائما في الحاضر ، والزمن يخفف ذاكرتي . اتعلم اليوم شيئا ، وفي غدي يتلاشى كآثار الاقدام على الساحل الرملي . ويطبق علي الحاضر . طيب ، لو كنت انسانا يختلف عما انا عليه لكنت قرنت فسلي هذا بالجنس . كان من المحتمل ان تفيظني مقاومة العالم المادي . والتقي بفتاة في الثانية عشرة من عمرها على قارعة الطريق واعلم بانني لا استطيع قط ان اشبع الرغبة التي تثيرها .

العالم المادي يخيبني وجسدي يخونني . وفي ليلة ليلاء ، التقى بالفتاة في شارع مقفر فاحاول اغتصابها . وتكافح للهروب فاقتلها خنقا . هل تفهمين ما اعنيه ؟ تصبح الجريمة وسيلة للتعبير عن الاشمزاز وعملا متحديا ، ولكنها قد تنبعث من ادراك اعمق مما يملكه اكثر الناس ... لو كنت فلاحا في احدى المزارع اتمتع بالعامة ولي زوجة وعشرة اطفال لما خبرت الشعور بالعجز هذا .

وهزت رأسها .

- افهم ما تعنيه ... ولكنني لسبب ما لا احس به . بالرغم من اعتقادي بانك مصيب بشأن اوستن . انه فعلا يبحث عن شيء ، وهو ليس من النضج بحيث يعرف ما هو . وأعلم انه موزع النفس . ولكنني لا أستطيع ان اتصوره يؤذي أحدا .

- ولكن لم تريد رؤيته الان ؟ ولم تريد البقاء في لندن ؟ ماذا فسي وسعك ان تفعل ؟

- لست ادري . اريد ان اراه وان اتحدث معه . انه لا يعلم بان الشرطة مسنبهة فيه بصدد جريمة هامبورغ .

- هل انت واثق ؟

- اظن ذلك .

- الا تعتقد بانه كان يخشى الشرطة عندما اتصل بك من سويسرا ؟

- لا أعلم . قال ان الامر يتعلق « برجل غير مرغوب فيه » . فتصورت انه قد يكون هناك تهديد في الامر .

- الم تسأله ؟

- كلا . ماذا يسعني ان افعل ، سوى ان اطلب اليه الذهب السى الشرطة ؟ ولا يبدو هذا صوابا والحالة هذه . ولكنني اعتقد انه يجب اقناعه بمغادرة انكلترا الان ، ما دام ذلك يفيد .

ونظرت في وجهه وعضت على شفتها . وسألت فجأة :

- اتظن انه من المحتمل ان يكون هو الذي اقترف تلك الجرائم في وايتشابيل ؟

- كلا . بالطبع لا .

قال ذلك على الفور ، دون ان يدع لنفسه المجال للتفكير . ولكنه كان يدرك ان المسألة ليست بهذه السهولة . كان اوستن الذي يعرفه هو يختلف اختلافا تاما عن اوستن الذي تعرفه جيرترود . كان اوستن الذي التقى به سورم في معرض دياغيليف رجلا قادرا على ايقاع الاذى . وقد تبدل مؤخرا ،

ولكن التبدل كان استجابة لسورم ، نسا من أعجابه به . وتذكر التعبير الذي
 لاح في وجه نين عندما كان ينظر الى صورة الفتاة خارج مبنى السبنراما .
 كان ذلك أوستن الذي لم تلتق به جيرترود قط .
 — ومع هذا ، أود ان اتحدث معه . . . بصراحة . يجب تحذيره . هل
 تظنين ان من المحتمل ان يكون الان في ليدزهيده ؟
 — ربما . يمكننا ان نذهب للتحقق .
 — كلا . يجب الا ناتي . يجب ان اكون وحدي .
 — طيب . ولكن يمكنني ان اوصلك الى هناك بسيارتي .
 — متى ؟
 — اليوم ، ولكن الافضل ان نتصل بشقه في شارع الباني اولا .
 — طيب ، حسن . وهل يمكننا ان نذهب لرؤية اوليفر في طريقنا ؟
 اريد ان اطمن على صحته .
 — حسنا .
 ونهضت . وقالت :
 — انا ذاهبة لارتداء ملابس .
 وجاء نحو الباب وسحبها اليه .
 — عزيزتي المسكينة . لقد حدثت لك امور كثيرة خلال الاثنى عشرة
 ساعة الاخيرة ؟ كيف تشعرين ؟
 فاستمت ابتسامة قصيرة ، وقالت :
 — حائرة .
 وجر رأسها من شعرها الى الورا برفق وقبلها . وانفرجت شفتاها
 وارتخى جسدها المشدود الى جسده . وتحركت يده تحت رداثها . وقال :
 — لا تخافي . سيكون كل شيء على ما يرام .
 وارتعشت فجأة وهي تضغط بجسدها عليه . واكتسحه شعور
 بالغموض والنشوة .

الفصل السابع

وفيما كانت ترجع بسيارتها من نوع « كونسيل » الى الخلف لتخرج بها من الكراج ، رأى رجلين يمشيان في المعنى المؤدي الى البيت . كانت المس كوينسي تنظر في مرآة السياقة ولكنها لم تلحظهما . وقال :

— لديك ضيوف .

— صحيح ؟ من هم ؟

وظلت ترجع بالسيارة الى الوراء حتى اخرجتها من الكراج .

— رجلان . الا تعرفينهما ؟

فاوقفت السيارة ووضعت عتلة التعسيق في وضع متعادل .

— كلا . . .

واطفت المحرك .

— ربما يكونان من موظفي شركة تأمين ؟

— لا اظن ذلك . . .

— ربما من رجال الشرطة .

كان الرجلان قد رآيا السيارة فوقفا عند الباب الامامي ، وهما

ينظران نحوهما .

وقال سورم :

— اسمعي . اذا كانا من الشرطة فبالله عليك ليكن لديك شيء من

العقل . لا تخبريهما شيئا عن اوستن بتاتا .

— ولكن . . . كيف اشرح وجودك هنا ؟

— ليس هذا من شأنهما .

فنزلت من السيارة ومشيت على حلبة العشب وهي تقول :

- هلا اغلقت باب الكراج ، رجاء ؟
- وسره ان يراها تسير برباطة جأش نحوهما . فاغلق الباب ووضع فيه القفل ، ثم وقف الى جوار السيارة وهو يرقبها تدخل المفتاح في الباب الامامي وتقدمهما داخل البيت . وتردد في اللحاق بها . اذا كانا من رجال الشرطة فمن الافضل الا يتدخل . واخذ يحرق في السماء ، كانت زرقاء شاحبة بعد السيل الغزير . كانت شمس كانون الاول دافئة .
- ونادته جيرترود . كانت تقف في المدخل ، وهي تلوح له . وعندما راح بجناز الحلبة المشبعة بالماء جاءت للقائه ، وقالت على عجل :
- يريدان رؤيتك ايضا .
- هل انهما من الشرطة ؟
- نعم . يبدو انهما يعرفانك .
- لم يكن هنالك اثر للارتباك في صوتها . وقال مبتسما :
- لا يهم . ليس لدينا ما يقلقنا .
- ودخلا البيت . كان الرجلان في غرفة الجلوس يقفان في وسط البساط . وكان اكبر الاثنين يقطع اصابعه . وقد ذكره وجه الرجل الاحمر وشعره المتقهقر الى الخلف بالاخ روبنز . وقال الرجل الضخم :
- المستر جيرارد سورم ؟
- نعم .
- نحن من ضباط الشرطة . اسمي ماكمر دو — المفتش ماكمر دو . وهذا المحقق هو العريف جيمس . اعتقد انك صديق للمسترن .
- كان يتكلم ببطء ، وبطريقة رسمية تتفق ومهمته كمحقق وكان يتكلم برطانة اسكوتلاندية خفيفة .
- فقال سورم :
- نعم صحيح .
- وانحنى ليشعل المدفأة الكهربائية . وفيما هو يفعل ذلك ، ادرك ان المحقق قد لاحظ انه يالف البيت ، ولكنه فكر بامتعاض : ليس هذا من شأنه على كل حال .
- وقالت المس كوينسي :
- الا تجلسان ؟
- كلا ، يا مدام ، لا نفعل ذلك . لا نريد ان نؤخركما . وقد رأينا انكما خارجان . نحن نحاول ان نعثر على المسترن . اتعرفين اين هو ؟
- اوستن ؟ كلا . . . هل حاولتم البحث عنه في شقته ؟

- نعم ، مدام ، لم يعد اليها منذ يومين .
- ولكن لماذا نبحتان عنه ؟ ماذا فعل ؟
- فابتسم ماكمردو :
- لا داعي للارتباك ، مدام . اكثر الناس الذين تحقق معهم الشرطة لم يفعلوا شيئا . مستر سورم ، هل لديك فكرة اين يمكننا الاتصال بالمستر نين ؟
- لا اعتقد ذلك . وبيت والديه ؟
- كلا . انه ليس هناك . متى رأيته اخر مرة .
- ا . . . اعتقد . . . يوم السبت . تناولت الغداء معه يوم السبت .
- ولم تتصل به منذ ذلك الوقت ؟
- كلا . حاولت مخابرته تلفونا في شقته عدة مرات .
- آه . لسبب معين ؟
- كلا . انه صديق مقرب لي .
- هل لديك فكرة اين يمكن ان يكون ؟
- كلا ابدا . قد تعرف ذلك المس كوينسي اكثر مني .
- وهزت المس كوينسي رأسها وقالت :
- لا اظنني اعرف . ولكنه غالبا ما يغيب اياما كثيرة دون ان يهمسه ان يخبر احدا .
- ووجه ماكمردو السؤال الى سورم :
- هل اخبرك انه قد يسافر لبضعة ايام ؟
- كلا .
- آه . طيب ، اشكرك جدا . نأسف لازعاجكما .
- وقالت المس كوينسي :
- ولكن الا يمكنكما اخبارنا ماذا في الامر ؟ لا بد ان والديه فرعان لرؤية الشرطة تبحث عنه .
- لماذا ، مدام ؟ هل لديها اسباب للقلق عليه ؟
- على كل . . . كلا . ولكن عندما تبدأ الشرطة بالتحقيق . . . ليس من المدهش ابدا ان يقلقوا عليه . هل يمكنك ان تبين لي اذا كان الامر خطيرا ؟
- وقبل ان يجيب ماكمردو قال سورم :
- انكما تبحتان في جرائم وايتشابيل ، اليس كذلك ؟
- نعم . كيف عرفت ؟
- قرأت اسمك في الصحف .
- فجلست المس كوينسي وقالت :

- جرائم ؟ هل لاوستن علاقة ... ؟
 وماتت بقية الكلمات في فمها . وراح سورم يرقبها بدهسة وسرور .
 كانت تبدي الدرجة الصحيحة من القلق . فقال ماكمرود مهدئا :
 — نريد ان نلقي عليه بعض الاسئلة فقط . قد يكون في امكانه مساعدتنا .
 وقال سورم :
 — ظننت ان القاتل القبيح عليه القبض ؟
 وببادل المفتش والمحقق النظرات . فاجاب المحقق :
 — نحن ايضا ظننا ذلك ، حتى الليلة الماضية .
 — هل وقعت جريمة قتل اخرى ؟
 فقال ماكمرود :
 — اجسل .
 ومسى نحو الباب يتبعه العريف . وقالت المس كوينسي :
 — ولكن ماذا يمكن لاوستن ان يعرف عن الجريمة ؟
 فقال ماكمرود :
 — ربما لا يعرف شيئا ، مدام . ولذلك نريد ان نراه . اذا وصلك منه
 نبا فسنكون ممتنين لو اعلمتنا . وانت كذلك يا مستر سورم . طاب صباحكما .
 وجلست المس كوينسي تحديق فيه حتى انغلق الباب . وظلا يرقبان
 الرجلين وهما يتبعان . وقالت :
 — اذن ... يبدو انهما يبحنان عن اوستن ؟
 — لا ... لست ادري . اذا كانت قد وقعت جريمة الليلة الماضية ...
 فليس في ذلك ما يدهش ، ها ؟ انهم يريدون استجواب كل شخص ، حتى من
 له علاقة بعيدة بها . وبلاضافة الى ذلك ، لا يبدو عليهما انهما يشتبهان
 باوستن بقوة ، والا لوجها اسئلة كثيرة . ولم يسألاني حتى عن الشقة
 في كينسفطن ...
 — هل تظن انهم يعرفون عنها شيئا ؟
 — لا بد ، بالتأكيد . ليسوا مهملين الى هذا الحد .
 وتوقف ، واخذ يحديق من خلال النافذة ، وسمعا صوت سيارة تتحرك .
 وقال ببطء :
 — انا ... لست افهم هذا كله . ولست ادري ماذا اعتقد .
 وقالت بهدوء :
 — اذا كان مذنبا ، ليس هنالك ما يمكننا ان نفعله .
 وخرجت من الغرفة قبل ان يعي كلماتها . واطفا النار ، وخرج . وسمع

صوت باب غرفها يفتح . وعندما دخل الفاها تضع المساحيق على انفها من طاولة الزينة . وقال :

— اسمعي ، يا جيرترود . دعيني اخبرك بشيء . لنفرض انه مذنب ، هل بدعينهم يأخذونه الى المنسقة ؟

ونظرت اليه في المرأة ، وكانت الدهشة ترسم في وجهها .

— ماذا في وسعي أن افعل ؟

— الا تحاولين حتى أن تساعدني ؟

والتفتت لتتحقق في وجهه .

— تعني اذا كان أوستن هو الذي قتل كل هؤلاء النسوة ؟

وفيما هي تنفوه بهذه الكلمات لاحظ التصديق يشع من عينيها . لم يعد الامر احتمالا بعيدا ، بعيدا الى حد لا داعي للتفكير فيه . وكانت الصدمة هذه المرة في وجهه هو . ولاول مرة اخذ يعتبر الامر مجرد مسألة جريمة وعقاب . وقال :

— لا يمكنني ان اصدق انه هو القاتل . على كل حال ، انه منحرف جنسيا . ولكني واثق من انه يعرف شيئا عن الجرائم . كل الدلائل تشير الى هذا الاحتمال .

— ولكن كيف ؟ كيف يعرف ؟

— انه يزامل المنحرفين جنسيا . وهم متفقون فيما بينهم كأنهم في جمعية ماسونية . على كل حال ، من المحتمل الا يكون المسؤول رجلا واحدا .

يحتمل ان يكونوا كثيرين . . . جمعية كاملة .

— تعني . . . جمعية هدفها القتل ؟

— ربما . حدثت اشياء اغرب من ذلك . كانت في الهند جمعية دينية هدفها القتل .

ولاحظ انها تدور حول هذا الموضوع . وجلس على حافة السرير ففصص فيه .

وقالت :

— هل تعتقد ان أوستن قد دفع به في هذه القضية بطريقة من الطرق .

وفهم مرامها . كانت كلمة « دفع به » تعبرا مهلبا لـ « ضلل » او « افسد » . وقال :

— من المحتمل . تبدو اكثر هذه المغامرات السادية ذات طبيعة جماعية . وعلى كل ، ربما يعرف شيئا عنها .

وقالت :

— ينبغي علينا أن نبحث عنه . اتظن ان ذهابنا الى ليذرهيده مأمون ؟
 — يمكننا المحاولة . ربما لو ذهبنا لزيارة غلاسب في طريقنا فلن يكلفوا
 انفسهم مشقة ملاحظتنا . كما يحتمل الا يكونوا مكترتين .
 وفيما هو يتكلم ، تذكر أن ماكمردو هو المسؤول عن القضية . ومرت
 به لحظة ، اغراه فيها احساس بان يترك الامور وشأنها . ولس نفس هذه
 الشكوك ترسم على وجه كوينسي . وقال :
 — الاجدر ان نتحقق عن حادثة القتل الجديدة قبل ان نفعل اي شيء
 اخر . قد لا تكون لها علاقة بجرائم القتل السابقة . وربما القي القبض على
 القاتل ...
 وقالت :

— اذا كان القاتل اوسنن نفسه ، فلن يكون هنالك ما في وسعنا ان نفعله .
 ونظر اليها ، ووجد عينيها تنطقان بالخيبة المتوقعة . وقال على عجل :
 — ربما .

— انك ولا شك لا تعتقد انه اوسنن ، اليس كذلك ؟
 وقاوم رغبته في تجنب السؤال . وقد احس بالدافع لمقاومة هذه
 الرغبة لشعوره بالحاجة الى حمايتها ، او قد تكون فترة حمايتها قصيرة . وقال بروية :
 — عزيزتي . لا فائدة من نجاهل الامر . من الجائز ان يكون اوسنن هو
 القاتل . انه امر ممكن . انا لا اريد تصديقه ، ولا اريد ان يكون كذلك . ان مخيلتي
 تتعجز عن مواجهة تلك الحقيقة . ولكن لو فرضنا ان اوسنن هو القاتل ،
 علينا ان نواجه الموقف .

وراح يرقب تتابع الانفعالات في عينيها : عد التصديق ، حدة تشبه
 التوجع ، ثم انتقال اهتمامها من المعاني التي كانت تصورها كلماته الى تعابير
 وجهه ، واخيرا تكييف نفسها الى الموقف ، والامل . وقال :

— لا اعلم انا ايضا كيف اشعر . لا ادري هل اتخلى عنه . كيف السبيل
 الى معرفة ماذا يجب ان يجيزه القانون وماذا يجب ان يحظره ؟ انك تفترضين
 ان الجنس من الرذائل لان الكتاب المقدس يحرم الزنى . غير ان التجربة تجعل
 من الصعب الايمان بذلك . حتى اني ، الليلة الماضية ، كدت ان اشعر بانك
 كنت تحاولين تعديل القيم التي كنت تؤمنين بها — كنت تحاولين الوصول
 الى قرار فيما انك تقتربين خطيئة ام لا ...
 فقالت :

— ليس تمة شبيه بسن الحب والقتل .
 وادهشته للمرة الثانية السيطرة التي استطاعت خلال ساعات قليلة

ان تحققها على مشاعرها ، تلك القابلية على تكييف نفسها لحقائق جديدة .
 — هذا صحيح . على كل حال ، أنا لست احاول الدفاع عن الرغبة في
 القتل . انا اقوم بمجرد محاولة لتفهم هذه الرغبة دون ان الجأ الى تبسيط
 دوافعها اكثر مما ينبغي . فمثلا ، الا يمكنك ان تتصورى جريمة قتل ترتكب
 بدافع الحاجة للتعبير عن الحرية ؟
 فقالت بصبر :

— لا اختلاف في الامر . ليس لاحد الحق في القتل للتعبير عن حريته .
 — انا لا اتكلم عن الحق . بل اتكلم عن المسؤولية . اصغى ، يا عزيزتي،
 لنفرض جدلا ان اوستن هو القاتل . فما هو مدى مسؤوليته في القتل ؟ اذا
 انت قطعت امرا قدرا على البساط ، فانك تضربينها بضع ضربات ثم تلقين بها
 خارجا . لانك تعتبرينها مسؤولة . ولكنك اذا علمت ان القطعة كانت تعاني من
 تأثير طعم تناولته ، فلن تعتبرها هي المسؤولة ... لانك تفترضين انها
 لم تستطع منع نفسها . طيب ، اليس المسألة كذلك بالنسبة لجريمة
 القتل ؟ كيف علمت ان القاتل لم يبلغ درجة من الضجر واحتقار الذات
 والتعاسة مما يجعل تجنب اقرار جريمة القتل امرا يكاد يكون مستحيلا ؟
 يصبح القتل شهوة طاغية بغية استعادة حريته ...
 فهزت رأسها :

— لست افهم . ما هي علاقة القتل بالحرية ؟
 — الالفهمين ؟ من الممكن ان يصبح الانسان سجيناً في زنزانه حقهده على نفسه .
 لناخذ قضية كريستي مثلاً . فهو رجل صغير ضعيف المظهر لا يستطيع
 الاذى ويعاني من حساسية في اعصابه . وينمو نسيه هوس عصبي للجنس
 — أتعلمين ، كانوا يدعونه في مدينة ليدز « كريستي العاجز » ؟ على كل حال،
 ينبغي ان يكون الجنس تحرراً من الشخصية ، بيد ان المصاب بهوس الجنس
 لا يمكنه مطلقاً تحقيق تلك الحرية الا في خياله . وفي الاخير ، يبلغ مرحلة لا
 يعود خياله فيها يكفي . مرحلة يخونه فيها خياله . فيلجأ الى القتل ، حيث
 يجد فجأة كل ما كان يريد — امرأة حقيقية ترقد عند قدميه . وفي تلك
 اللحظة يحس بالحرية القصوى ، يحس باتصاله بالازل — انه يصبح في الواقع
 جزءاً من الازل . وتلي بعد ذلك العودة المحزنة الى الارض — امرأة فاقدة
 الوعي ترقد عند قدميه . لقد كان يقتلها بالغاز . وينتابه الشعور ، يا الهي ،
 ماذا افعل عندما تستيقظ ؟ ثم يعود الى عالم القلق القاتل والتفاهة — فيخنقها
 ويخفي جثتها تحت لوحات الارضية ، وهو قلق بشأن الرائحة التي ستفوح
 منها . افهمت ما اعنيه ؟ لولا احتقار الذات والشعور بالاجهاد والتفاهة

لما كانت هنالك جريمة قتل . انه يقتل لنفس السبب الذي يدفع القديس الى التأمل والذي يدفع الشاعر الى الكتابة عن الطبيعة . ان القتل طريقة للهروب من الذات . وللسبب نفسه يصبح دي كوينسي مدمنا على المخدرات وادجار الان بو سكيلا . ولكن بدون وجود الحساسية المرفهة لا تكون هنالك حاجة للهروب . انهم يريدون حياة اكثر شدة وعمقا ، غير ان الباب الوحيد الذي ظل مفتوحا امامهم هو القتل . . .

ونظر اليها باشفاق . كانت تصغي دون ان تعي شيئا . وعندما توقف عن الكلام ، ظلت تحديق باتجاهه في ورق الجدار . لقد غمرته الرؤيا ، ولكنها لن تفهم . انها لا تعرف غير القوالب وغير فصول سفر الملوك . انها لن تفهم الخير الحقيقي والشر الحقيقي . لو فهمتهما لحطمتها المعرفة . كان هذا هو جواب اهتمامه بها - لقد اورثته هذه الرؤيا الخيبة والحنان . ان عالم المرأة ، هو عالم الاشخاص . وبدون « كالي » ، تلك الام المعتوهة ، لا سيء هنالك غير قابلية لامتناهية على التدمير وقابلية لا متناهية على الخلق . وقال :

يجدر بنا ان نرحل . لا نفع هنالك في جلوسنا هنا . ونهض ، ونهضت بصورة تلقائية وتبعته الى الباب . وفي اعلى السلم نفت اليها وقبلها ، غير ان فمها لم يستجب له . وهبط السلم ، وهو يفكر : ترى هل هنالك امرأة لا تمتد جذورها الى حدود ، والى الشك الذاتي ؟ ربما لا . غير ان البحث لم يننه بعد .

* * *

وعندما مرا بسيارتهما قرب هاوندسديتش ، قال :
 - لو اعلم اين وقعت الجريمة ؟ كان ينبغي ان نسأل ماكمردو .
 - لماذا ؟
 - اوه . . . مجرد فضول . اتجهي نحو اليسار عند اضواء المرور .
 نم لنذهب في الشارع التجاري لعلنا نكتشف المكان .
 - كيف نكتشفه ؟
 - اوه ، ربما سنرى جمهورا من الناس . بي مرض الفضول .
 - ما اتعس هذا المرض .
 - هل هناك ما يدل على اننا ملاحقون ؟
 - لا اظن ذلك . لا استطيع القول . . . الشارع مزدحم جدا .
 - اتجهي عند الكنيسة الى الشارع الاخر . كلا ، انتظري . اعتقد اننا اهتدينا الى المكان .

وحالما وصلت السيارة في موازاة الكنيسة استطاع ان يرى جنودا من الناس في منعطف شارع برشفيلد ، مقابل السوق . وقال :
- قفي هنا لحظة .

وسار في محاذاة الحشد ووقف على طرفي قدميه لينظر عبر الرؤوس . كان اهتمام الجمهور يبدو مركزا في مدخل احدى البنايات على بعد اثنتي عشرة ياردة على طول الشارع . وكان رصيف السوق من الاسمنت مزدحما بالرجال والنساء الذين كانوا يحدقون في جماعة من رجال الشرطة خارج المدخل . ولم تكن هناك عربة اسعاف .

وشق طريقه عائدا الى السيارة . وقال :
- لا يمكن رؤية شيء . علينا ان نقتني صحيفة الظهيرة .
وخرج من بين الحشد رجل قصير في بدلة عمل بيضاء مبقعة ومسر بهما . فقال سورم :

- من فضلك ... ماذا يجري هناك ؟ ماذا ينتظر الجميع ؟
فقال الرجل :

- الا تعلم ؟ جريمة قتل اخرى .
فقال سورم وهو يتكلف الدهشة :

- ولكنني ظننت انهم قبضوا على القاتل !
- كل الناس ظنوا ذلك . ولكن يلوح انهم مخطئون ، اليس كذلك ؟
- ماذا حدث ؟ اتعرف ؟
فقال الرجل :

- لم يحدث شيء يذكر . وجدوها في غرفة ، مقطعة الاوصال .
تم هز كتفيه ومضى في طريقه . ودخل سورم السيارة وسأل :
- اسمعت ؟

- نعم . يلوح الامر فظيما .
- ربما يبالغ الرجل في القضية . الا تعلمين كيف تنتشر الشائعات .
كم الساعة الان ؟

- النصف بعد التاسعة .
- لنعد بطريق شارع فليت ، فنحصل على الطبعات الاولى من الصحف خلال نصف ساعة .
وضغطت على عتلة الوقود :

- اليس الان ؟
- لنذهب في زيارة الى اوليفر .

وبينما كانت السيارة تسير في شارع هانبري ، قال :
 - لا شك أن هذه الحادثة وقعت لصالح أوليفر . إذ ليس للشرطة الوقت
 للاهتمام بقضية مثل قضيته . على كل حال ، لا يبدو أنهم حملوا قضيته
 محمل الجد والا لما سمحوا له بالخروج بكفالة . . . قفي هنا . يجب أن تسيري
 في شارع وايتشابل . انه ذو ممر واحد .
 وفي نهاية شارع دارورد قال :

- الا تنتظرين هنا حوالي عشر دقائق ؟ سأحاول ان اسرع . ولكنني
 اشك في ان غلاسب يرغب الان في مجاملة احد . . .
 - كلا . انهم ذلك تماما . لا تقلق .
 وانفتح الباب الامامي . وطرق الباب بقفا اصابعه ، وهو ينادى :
 - هل في البيت احد ؟

ولم يجبه احد . فارتقى السلم بحذر وبصره ما زال امشى من تايير
 نور الشمس ، وقد اكتنفته رائحة زيت البارافين المألوفة . وتحسس طريقه
 نحو الباب وطرقه . فهتف صوت غلاسب :
 - هـلـو ؟

ففتح الباب ودلف الى الغرفة . كان غلاسب مضطجعا على السريـر
 بكامل ملابسه . وقال سورم :
 - هـلـو . كيف تسير الامور ؟
 فقال غلاسب :

- على ما يرام . كيف وصلت الى هنا ؟
 - اوصلتني جيرترود كوينسي بسيارتها . انها تنتظر في نهاية الشارع .
 جئت لمجرد السؤال عنك .
 وجلس على المقعد الى جوار المدفأة النفطية وقال :
 - هل سمعت شيئا ؟
 - لقد اسقطوا الدعوى .

- عظيم ! تهانينا ! متى سمعت بذلك ؟
 - منذ ساعتين .
 وقال سورم :
 - اذن ، ماذا هناك ؟ لا تبدو مسرورا لذلك . لماذا اسقطوا الدعوى ؟
 هل ظهرت كريستين ؟

- نعم .
 - طيب . وهل فحصوها ؟
 - كلا .

— لسم لا ؟

فقال غلاسب بصوت واهن :

— اسمع ، يا جيرارد ، ارجو المذره ولا سأل اسئلة كبيره .
ونظر اليه سورم ، كان يحدث في السقف . واسنطال الصمت . وقال
سورم :

— طيب . انا ذاهب الان . هل انك واثق من ان كل شيء على ما يرام ؟
ونظر اليه غلاسب وهو يرفع رأسه . ثم اسند رأسه على الوسادة ورفع
جسده فجأة واسند كتفيه على قضبان السرير النحاسية . وقال :
— اعترفت بانها ليست عدراء ، على كل حال . ولكن الذي فعل ذلك
بها هو ابن عمها الذي يسكن معهم . وقد اعترف هو ايضا بذلك . ولماذا
اسقطوا الدعوى .

فقال سورم : يا الهي !

وهز سورم كتفيه ثم اسقط رأسه ناسية على الفراش . وقال سورم اخرا :
— لا شك انها ... صدمة . كيف تنسرح نحوها ؟
كان صوت غلاسب هادئا خالبا من العاطفة :
— انها ليست ابنتي ، فلم اكترث ؟
ونفض سورم ، وقال وهو لا يعني ما يقول :
— انه موقف معقول . ليس في الامر ما يدهس . لا اخالك تسعسر
بالامعاء ؟
— كلا .

— وسنبقى تلتقي بها ؟

— كيف بمكنني ذلك ؟ انهم لا يسمحون لها بذلك .
— ولكنها ... ستبقى ترغب في لقاءك ؟ — ربما .
ووقف سورم عند الباب ، يتردد في الخروج . لقد اغاظه ما لمسه
من الفسور في موقف غلاسب . وقال :
— بالتأكيد ليس هذا من الامور التي تقلق ؟ لعل هذا حدث قبل ان
تلتقي بها .

وانك لمنحها شيئا لم تمتلكه من قبل . فلا يغير هذا في الامر ولا ريب ؟
ولوى غلاسب رأسه لينظر اليه وقال :

— انظر يا جيرارد . لا اعلم كيف اشعر نحو القضية . اشعر كأنني
وقعت من ارتفاع عشر طبقات . كما انني لست واثقا كيف شعرت تجاهها ،
لعل هذا ما كنت ابغيه طول الوقت . لست ادري ، انا لا استطيع ان افهم

شيئا وحسب . لم تريد ان تقوم بهذه الفعلة . ؟ اود ان اتحدث معها ...
حتى انها قالت لي مرة بانها تريد الزواج بي . اعلم ان الامر سخافة، ولكنني
شعرت بانني فهمتها ... لا استطيع ان افهم شيئا وحسب .
- ربما تفهمها انت اكثر من والديها - او ابن عمها هذا . على كل
حال ، لا يمكنك ان تلفظ الفتاة لمجرد هذا السبب . انه هو ما تريد منك
ان نخلصها منه بالذات - هذا المحيط الواطيء ..
فقال غلاسب : ربما .
- الاجدر ان اتركك الان . ستسمر بتحسن فيما بعد . هل ازورك
فيما بعد ؟
- ان اردت . ليس اليوم ..
- طيب . لا تدع الامر يقلقك . وداعا ، يا اوليفر .
واغلق الباب على عجل ، وهو مسرور لمغادرة الغرفة .. لقد ضايقته
شفقة غلاسب على نفسه ، كانت مشكلته تافهة بمقارنتها مع مشكلة اوستن .
كانت تدخن سيكارة . وقالت :
- لم يطل غيابك كثيرا .
- كلا .
- كيف حاله ؟
- بخير . لقد اسقطت الشرطة الدعوى . نستطيع الان ان نسرجع
الكفالة ان اردت ...
- صحيح اسقطوها؟ عظيم . كنت واثقة من ذلك . هل هو مسرور ؟
- كلا . لقد ازعجني . اكتشفوا ان الفتاة ليست عذراء ، ولكن
ابن عمها كان المسؤول عن ذلك .
- ما افظع الامر !
- وهو لهذا يمين في تعذيب نفسه .
- لماذا ؟ هل هو غاضب ؟
- لست ادري ماذا به . انه لمجنون . اتريد ان الذهاب الى الشرطة
لاستلام المال ؟
- ليس الان . لا ضير ان يبقى . واتوقع انهم مشغولون الان ، على
كل حال .
واتجهها ثانية نحو زحمة المرور في شارع وايتشابل ، وسارا نحو
الدينية . وغاص في مقعده وراح ينظر خلال الشباك وهو مقطب
الوجه . وقال :

— كنت اظن اوليفر فنانا موهوبا . ولكني بدأت الان اشك . . . انه شديد الاستسلام للانفعالات . ماذا يهم اذا كانت الفتاة عذراء ام لا ؟ انها لا زالت الفتاة نفسها .

— هل هو ساخط بسدة ؟

— لا استطيع ان اجزم . اعتقد انه كان يحاول ان يخلق من الفتاة رمزا للبراءة وما شاكل . لقد اضناه عالم الكبار ، فتحول الى الصغار . ولما اكتشف ان الصغار يخضعون لنفس عوامل الفساد اضحى كئيبا ذا رغبة انتحارية . . . ان اوستن اكر نضجا منه على الاقل .

— ولم يتغير موقفه لهذا السبب ؟ لا ادرك العلاقة . يجب ان يسره انهم اسقطوا الدعوى . فقال بامتعاض :

— الله اعلم . انه نموذج للرومانتيكي . لقد توصلت الى نتيجة ، وهي ان القرن العشرين يعاني من بقايا اثار الرومانسية . اناس مل اوليفر ، لا يمكنهم ان ينظروا بصورة مستقيمة . يجب ان يكون الشيء مريضا ليكسب اهتمامهم . . . اوه ، لا تكثرني لقولي . لعل اقسو في حكمي عليه . عرجي على شارع فينتشرش .

وفي شارع فليت ، توقفا لسراء جريدة « ايفننغ ستاندرد » وكان العنوان البارز : البحث عن القسيس المفقود مستمر . والقي نظرة على عمود آخر الانباء فلم يجد ذكر لحادثة القتل . فقدف بالجريدة على المقعد الخلفي .

— لا فائدة . لنذهب ونتناول شرابا على عجل . انا بحاجة اليه .

كانت صالة البار خالية . كانت الصالة عينها التي تحدث فيها سورم الى بيل بين في اليوم السابق . وشرب قدحا من البيرة المرة بينما كانت جيرترود كوينسي تتفحص خارطة للطرق لتبحث عن اقصر الطرق للوصول الى ليدرهيد . ولاحظ باهتمام السهولة التي شربت بها قدحا مضاعفا من الويسكي الصرف . واكسبته البيرة وشعاع الشمس احساسا بالانسباط . واغلقت المس كوينسي اطلس الخرائط . وقال :

— اتظنين الاجدر ان نذهب مباشرة الى ليدرهيد ؟ ام الافضل ان نجرب شقته في كينسنغتن أولا ؟

— اتعتقد ان الافضل ان نجرب كينسنغتن ؟

— ربما لا . لا اعتقد انه سيبقى في لندن اذا . . . اذا كان يعلم عن الامر .

فلمست قدحها الفارغ بطرف اصبعها وقالت :

— احسن حالا ، شكرا .

— ولكن ... عن القضية كلها ؟

والقت نظرة حوالها ورات ان صاحب الحانة كان خارج مدى صوتها .

— كانه شيء لا حقيقي . لا استطيع ان اصدق ان الامر جدي . اشعر

بطريقة ما...كانك واوستن والشرطة ، كلكم تدبرون احبولة لايقاعي بها .

فقال بلهجة متعاطفة :

— اعلم . اشعر انا بالشيء نفسه . اعتقد ان جميع جرائم القتل

الحقيقية ربما تكون كذلك — ما لم يكن المرء مرتبطا بها ارتباطا مباشرا . لا

يحدث الا في القصص ان يعثر المحقق على الادلة والاجساد مبعثرة هنا

وهناك . اما في الواقع فجرائم القتل تحدث خارج المسرح ، وكلها مشوشة

لا سبيل الى تصديقها .

وانهى بيرته . وقال :

— الافضل ان نذهب . من يدري ، ربما نجد الشرطة قد سبقتنا

الى المكان . هل يعرف والدا اوستن عنوان ليدرهيدي ؟

— اجل ، بالطبع .

— لا ادري هل اعطوه الى ماكمر دو ؟

— هل اتصل تلفونيا للتأكد ؟

— فكرة صائبة .

ولاحظها وهي تخرج من الحانة ، وادهسته بانبة الهدوء الذي استقبلت

به الموقف . وطلب قدحا اخر من البيرة ، ووقف عند طاولة البار

ليحتسيه ، وهو يفكر : لن استطيع ابدا ان افهم النساء . هل كلهن على

هذه السائكة ؟ كانت بالامس من شهود يهوه ، وهي اليوم خليلتي وشريكتي

في معرفة حقيقة ما . ليس في الامر انسجام . كان القدماء على حق .

ارملة ايفسوس ، هيلين طرواده . لعل الامر لا يعدو ان يكون افتقارا

الى الحيوية .

وغابت فترة طويلة . وعادت وهي تسير بخفة وعدم اكتراث المرأة

التي كانت توا تصلح من زينتها ، ووقعت امامه تنتظر .

وقسال : شراب اخر ؟

— كلا شكرا .

وانهى بيرته ثم خرجا .

— طيب ؟

- كلا . لم تتصل الشرطة بوالديه .
- انت متأكدة ؟ هل سألتهم ؟
- كلا . ليس بصورة مباشرة . سألتهم فقط أين يستطيع ان اجد اوستن . فقالوا لعله في اوكسفورد مع بعض الاصدقاء . قلت ان احدا قد بعث له رسالة بواسطتي ، وان احدا اتصل بي تلفونيا ليسال عنه .
- عظيم ! وماذا قالوا ؟
- كانت امه . . قالت انها لم تفهم الامر ، فهي لا تظن انه في ورطة . قلت لها ظننت ان الذي طلبه قد يكون بائع كتب او دائئا . . فقال باعجاب :
- لك قابلية فطرية على تدبير الدسائس !
- وابتسمت باقتضاب :
- يبدو انه لم يحقق احد معها ، اذن .
- من الغريب . لم اخبرنا ماكردو بانه حقق معهم ؟
- لا اظنه قال ذلك . قال فقط ان اوستن ليس في بيت والديه .
- لعلمهم يراقبونه .
- واستدارت السيارة يسارا نحو الشارع المحاذي للنهر . وقال :
- يلوح الامر غريبا .
- لم يدر بخلدي شيء اقوله لاحد منهم . بدا الامر فجأة مضحكا . .
- احسن شيء يمكننا فعله هو ان نجد اوستن . كم يستغرق من الوقت الذهاب الى ليدرهيد ؟
- حوالي الساعة ، اذا لم يكن المرور مزدحما . .
- وعندما اقتربا من جسر ويستمنستر ضبط ساعته مع ساعة « بيع بين » ولاح النهر كانه صفحة من الورق الصقيل تحت اشعة الشمس .
- كان من العسير الايمان بالقتل في مثل هذا الدفء المفاجيء .

* * *

- وقالت :
- اوستن هنا بالتأكيد .
- واعتدل في جلسته وراح يحدق فيها . كانت صامتة منذ ان تركا ميسرتن .
- أين ؟
- هنا في ليدرهيد . كانت هذه سيارته خارج الفندق .
- هل انت واثقة ؟ لم ار سيارة حمراء .

- لم تكن السيارة الحمراء . كانت سيارة « ام.جي » الرمادية .
- والتفت ونظر من خلال النيباك الخلفي . كان من المتعذر تمييز سيارة واقفة من خلال زحمة المرور .
- اليس الافضل ان نعود وتؤكد ؟
- لا حاجة لذلك . انا واثقة . عرفت رفمها . انها احدى سيارات والده التي يستعيرها احيانا .
- ولنفرض انه في الفندق .
- لا اظن ذلك . من المحتمل ان يكون في البيت الريفي . ولكنني سأذهب الى الفندق بينما تذهب انت الى البيت .
- ولكن ليس من المسموح له الوقوف بسيارته طويلا في شارع رئيسي .
- ليست سيارته في الشارع الرئيسي - انها في شارع فرعي .
- كم يبعد البيت ؟
- حوالي الميلين من ذاك الطرف .
- هل ذهبت اليه قبلا ؟
- مرة واحدة . خرج بي في جولة في الطائرة .
- وقال :
- اعتقد انه وصل باريس الان .
- لا اظن ذلك . لو كان ينبغي مغادرة القطر لما ترك سيارته خارج الفندق .
- ونظر اليها باعجاب وقال :
- لك ميزات المحقق البارع !
- وابسمت دون ان تجيب . واستدارت السيارة يسارا الى زقاق جانبي في مدخله رقعة مرور كتب عليها « الطريق مسدود من الطرف الاخر » ، وبعد مسيرة خمسمائة ياردة اخرى استدارت الى اليسار ثانية حيث وقفت .
- عليك ان تقطع بقية المسافة سرا على الاقدام . فلا تستطيع العودة بالسيارة اذا ما تقدمت اكثر .
- ابن هو البيت ؟
- وراء تلك الاشجار . عند وصولك الى الاشجار سيمكنك رؤية البيت . انه ينتصب وحده .
- وماذا ستفعلين انت ؟
- سأنظر حوالي عشرين دقيقة .
- طيب . اذا لم اعد خلال هذه المدة فمعنى ذلك هو اني وجدت

اوستن . واين اجدك ؟

— ساعود الى الفندق . عليك ان تعود اليه مشيا . يدعى الفندق « كراون » وسجد عنوانه في دليل التلفون ان اردت الاتصال .
— حسنا وداعا يا عزيزتي .

ومال اليها وقبلها . واحس باحساس غريب ، فمئذ ان جاءت الشرطة لم يعد يشعر بانه حبيبها . كانت شغتها باردتين متصلبتين .
وتسمن الحاجز القرميدي وسمع صوت السيارة وهي تعود الى الخلف في الزقاق . كانت ابكة الاسجار على بعد مائة ياردة ، على حافة الحقل . ولم يستطع ان يميز وراءها شيئا غير السماء . وعلى الرغم من نور الشمس كانت ارض الحقل المحروقة نلوح قاسية متجمدة . وتبع الطريق المحاذية للسياج ، ومنى وهو يسرع الخطى واضعا يديه في جيبه . وشعر بعسدر حرارة جو السيارة ، ببرودة الهواء .

كانت بين الاشجار بركة ماء ، وكان ماؤها الطيني يبدو راكدا بلا حياة ، وقد برز في وسطها جدع شجرة مكسورة كانه الذراع . ولما وقف على حافة البركة لمح البيت على طرف الحقل الاخر . واجتاحه شعور بالانقباض والتوجس . وظل واقفا دقائق عديدة وهو يأمل ان يبصر دلائل الحياة . لم يكن هنالك دخان يتصاعد من المدخنة . ورأى نافذتين تواجهان البركة ، ولكن ستائرهما كانت مسدلة .

كان الهواء باردا بين الاشجار . والقي نظرة على ساعته فتذكر ان المس كوينسي تنظره في السيارة . فانطلق عبر الحقل ليعجل في الوصول الى البيت . وكانت تداعبه الرغبة في ان يجد البيت خاليا ليعود مسرعا الى السبارة التي تقف في انتظاره ومن ثم الى لندن .

كانت بوابة الحديقة الصغيرة الامامية مفتوحة . كانت جدران البيت الريفى مطلية بالكلس الابيض غير ان امطار الشتاء كانت قد شقت الاخاديد فيها وخلفت رواسب الصدا التي انجرفت من سطح البيت المعدني . وكان خارج الباب الخلفي حوض ماء امتلأ حتى فاض .

وطرق الباب بمقرعة الباب الصدئة هاتفا : اوستن !

ولما لم يسمع حركة في الداخل صاح :

— هل هناك احد ؟

وخطر له فجأة احتمال وضع البيت تحت مراقبة الشرطة . والتفت وراح يجيل بصره محذقا في مجموعة الاشجار التي خلفها وراءه قبل قليل وفي أسوار الحقول الجرداء ، وفي كومة التبن المغطاة بالقماش المشمع في ركن

الحقل الآخر . وفيما هو ينظر، سمع حركة في الداخل. والتفت فرأى عيني
أوستن تنظران اليه من خلال شق الرسائل تحت مقرعة الباب . وظل يحدث
مسدوها لا يقوى على الكلام. وانسدل غطاء الشق وسمع صليل سلسلة وحركة
مزلاج . وانفتح الباب . كان أوسنن يقف مرتديا القميص والسروال . كان
وجهه تعباً غير حليق . وقال سورم :
- هـلـو أوستن .

وابتسم نـن ابتسامة مرجرجة ، وشم سورم من فمه رائحة الويسكي .
وقال نـن :
- ادخل ايها الصديق العزيز ... واقبل تشايلد رولاند الى البرج
المظلم ...

الفصل الثامن

كانا كأنهما يلتقيان للمرة الاولى . فخلال اليومين الماضيين ، لم يعد
نسن شبتاً حقيقياً بالنسبة لسورم . وكاد الارتياح الذي احس به لهذا اللقاء
يعبر عن نفسه برغبة في الضحك ، وقال :

— ما اجمل ان اراك ، يا اوستن !

— اشكرك ، يا جيرارد . مرحباً بك ايضاً .

كان للمطبخ رائحة الرطوبة ، وكانت خلف الباب اسطوانة للغاز لم يفك
ختمها بعد . وكان حوض الماء وموقد الغاز والة الفسيل جديدة على ما
يبدو . وعلى الرف ثلاث زجاجات ويسكي فارغة .

— اين الطريق ؟

— الى اليسار .

كانت الغرفة نموذجاً مصغراً لسقة ن في شارع الباني . وكان لون
البساط هو اللون الازرق نفسه ، والجدران مطلية باللون الابيض المائل الى
الاصفرار والازرق البحري . وكانت الغرفة خائقة الحرارة ، اذ كانت هنالك
مدفأة زيتية تتوهج في وسطها اسلاك على هيئة نصف كرة . وكان يضيء
الغرفة مصباحان زيتيان لهما زجاجتان طويلتان ، وكانت مشوشة المظهر ،
مبعثر على بساطها رماد السكاير بكمية كبيرة وكذلك قنصور الفول
السوداني . وكانت على المنضدة بقايا طعام وزجاجتا ويسكي مليئتان . وازاح
نن الصحيفة وبعض الكتب التي كانت ملقاة على الكرسي وقال :

— اجلس .

— شكراً . ارجو ان تسمح لي بأن اخلع معطفي .

— كيف جئت ؟

- جيرترود اوصلتني .
- اين هي ؟
- عادت الى الفندق .
- والقى نن بنفسه على الكرسي وتناول قدحا من المنضدة وقال :
- هيا تناول شيئا من الويسكي . افتح زجاجة جديدة . لم قررت المجيء .
- ومزق سورم الفلاف الرصاصي من قمة احدى زجاجات الويسكي
- وصب لنفسه كمية كبيرة وقال :
- كانت الشرطة تبحث عنك .
- واضاف شيئا من الصودا والتفت الى نن فالفاه يتسم . كانت اسنانه
- صفراء كأنها انياب افعى . وقال :
- نعم .
- وخلع سورم سنتره وقذف بها على ظهر احد الكراسي . وقال :
- هل افتح النافذة ؟
- بالتأكيد . اين وجدك رجال الشرطة ؟
- في بيت جيرترود .
- متى ؟
- صباح اليوم .
- آه .
- كان نن ما يزال يتسم . وكان سورم يتوقع السؤال الذي كان يجول
- في ذهن نن ، فتأهب للإجابة بصدق . غير ان اوستن بدلا من ذلك سأل :
- كم سيطول انتظار جيرترود لك ؟
- طول اليوم ، اذا اقتضى الامر . والا فيمكنني ان اتصل بها في فندق
- كراون .
- طيب . قد نفعل ذلك فيما بعد . يمكنني ان اوصلك بسيارتني
- الى المدينة .
- ولم يدع سورم الدهشة تلوح على وجهه وقال :
- طيب . هل انت عائد اليوم ؟
- اظن ذلك . . . ما دمت قد جئت انت . ولكن امنحني بضع ساعات
- كيما اصحو .
- وتمدد في الكرسي وتناوب تم أفرغ كأسه .
- اذن فقد قطعت كل هذه المسافة لكي تحذرني ؟ ما اعدبك !
- شكرا . ليس في ذلك اية مشقة .

وتوجه نـن نحو الطاولة وصب لنفسه المزيد من الويسكي . كان يتناوله غـر ممزوج بالماء . وانـاء عودته الى الكرسي توقف بالقرب من سورم ووضع يده على رأسه وقال :

– لا يمكنني ان اعبر عن مدى سروري بلقائك ، ايها الصديق العزيز .
واسنطاع سورم ان يميز صدق مشاعره من خلال الويسكي . وقال :
– سـكرا .

واستند نـن على ظهر الكرسي . وكان ما يزال يترنح قليلا . وقال :
– انك لصديقي حقا ، اليس كذلك يا جيرارد ؟
ورفع سورم بصره اليه واحس مرة أخرى بتدفق الحنان . وقال :
– اجـل . انا صديقك .

وابتسم نـن ومضى يترنح في طريقه عائدا الى كرسيه . وقال سورم :
– ولكنك ان اردت ان تصحو ، فليس بهذه الطريقة .
فقال نـن ببطء :

– كلا . احسبك على صواب . اجـل .
وعاد الى النافذة وسكب ما في قدحه خارجا . وقال :
– لسوء الحظ ، اظل احس بالرغبة في شرب شيء بمجرد ان اشرب
جرعة واحدة . وليس لدي حليب .

وذهب الى المطبخ . وسمعه سورم يقول :
– لا تظن ان السـمبانيا تصلح من حالي . حتى ولا نبـيد نـرشتاينر .
وعليه فلم يبق لدي غير حساء الاطفال او عصير الليمون .
وعاد وهو يحمل ثلاث زجاجات من عصير الليمون وفتاحة قناني .
وسكب محتويات إحدى الزجاجات في قدحه واخذ يذوقه . وقال :
– اوف ! ما افظمه !

ووضعه على مسند الكرسي كأنه سائل النـتروغليسرين المتفجر ثم
اعتدل في جلسته وقال :

– طيب ، استمر . ماذا اراد رجال الشرطة ؟
– مجرد ان يعرفوا مكانك .
– آه . وهل قالوا شيئا اخر ؟

– كلا . ولكنني عندما سألت ماكرمـدو ان كان هو المسؤول عن التحقيق
في قضية وايتسابل اجاب بالايجاب . واخبرني بأن حادثة قتل اخرى
وقعت الليلة الماضية .

وقال نـن بعدم اكتراث :

- وهل افضى اليك بأية تفاصيل ؟
- كلا .
- متى سم العصور على الجنة ؟
- في وقت متأخر ، على ما اظن . حيث لم تذكر الجرائد الصباحية شيئاً عنها .
- ومد نسن يده وسحب مقعداً صغيراً . تم اغمض عينيه ومد جسده وسقط رأسه الى الامام . وقال :
- موقف محرج ، اليس كذلك يا جيرارد ؟
- لست ادري .
- وابتسم نسن وهو مغمض العينين . كان يلوح كالثائم في استسلامه التام الى الشعور بالاجهاد . وقال :
- ظلت افكر في هذه المشكلة خمس ساعات . غير ان الويسكي اخذ يطفئى علي .
- وفتح عينيه فجأة وحذج سورم بنظرة :
- ماذا ينبغي علي ان افعل ؟
- فقال سورم :
- لست ادري . فلست افهم مشكلتك تماماً .
- وابتعد بكرسيه عن النار . كان النسيم المقبل من خلال النافذة قد خفض حرارة الغرفة . غير ان الحرارة كانت ما تزال شديدة . ونهض سورم وذهب نحو النافذة ثانية . ولس سورم شيئاً من القلق والتوتر لدى نسن مما لم يستطع الويسكي ان يمحوه .
- هل انت واثق من ان احداً لم يتبعك الى هنا ؟
- ليس من المحتمل . كنت اراقب باستمرار . حتى ان جيرترود ادارت مرآة السياقة باتجاهي كي استطيع ان انظر خلال الشباك الخلفي .
- ما مدى معرفة جيرترود بالامر ؟
- بقدر ما اعرفه انا تقريبا .
- وتجاهل نسن التحدي الذي كانت تنطوي عليه كلمات سورم . واسدل الستار وعاد الى كرسيه .
- لا اريد ان يقاطعني احد . يا الهي ، احس بانى متمرغ بالوحل .
- يمكنني ان اکتفي بحمام بارد . لا تهتم . اريد ان اتحدث اليك .
- ومسح وجهه ببديه ودفع شعره الى الخلف . ثم احتسى نصف قدح الليمون وجلس وهو مقطب الوجه . وقال :

- اني لفي موقف حرج ، كما ترى ، ايها الصديق .
- مسا مدى حراجته ؟
- لست واتقا . هل كان ماكمردو يحمل امرا بالقاء القبض علي ؟
- واحس سورم بالتوتر في صدره لهذه الكلمات . وقال :
- كلا . لا اظن ذلك .
- كان نن باسطا جسده على الكرسي ، وظل يحدق في سورم حنسى
- طال الصمت . كانت عيناه تلوحان محمرتين واهنتين ، غير انهما كانتا
- تنطقان بالسخرية . وقال اخيرا :
- طيب ، يا جيرارد ؟
- ولم يجب سورم ، ولكنه هز كتفيه . وقال نن :
- انك ما زلت اكثر ادبا من ان تدس انفك في شؤني . ولكنك صرت
- تحس بشيء من المسؤولية تجاه القضية ، اليس كذلك ؟ وقطعت الطريق
- لتحذرني . لماذا جئت ؟
- اعتقد لاحذرك . كنت احاول الاتصال بك تلفونيا طوال الاسبوع .
- كنت هنا . ولكنني جد ممتن لك ، يا جيرارد ، جد ممتن ... ماذا
- تفعل لو القى القبض علي ؟
- وقال سورم بتأن :
- تعني ... بسبب حوادث القتل ؟
- فقال نن بهدوء : اجل .
- هل يمكنهم القاء القبض عليك ؟
- لست ادري . ربما لا . وحتى ولو قبضوا علي ، فانهم سيضطرون
- الى اخلاء سبيلي .
- وافرغ سورم قدحه . كان قد شرب مقدار اربعة اصابع من الويسكي
- ولكنه لم يتأثر مطلقا ، بل احس بمقدار ما كان يدين به الى الويسكي للهدوء
- الذي كان يشعر به . ومد يده نحو الزجاجاة وسكب المزيد . وانتزع سورم
- غطاء قنينة اخرى من عصير الليمون . وقال سورم :
- ما الذي يحملك على الافتراض بانه لن يلقى عليك القبض ؟
- ليس لديهم دليل .
- ونفض ثائية وذهب نحو النافذة وقال :
- لا اريد ان ياتي ماكمردو زاحفا تحت هذه النافذة وهو يحمل
- مسجلة صوت . الافضل هو ان ندع النافذة مغلقة . ساطفيء المدفأة .
- وقال سورم :

— هل انت على يقين من عدم وجود الادلة لديهم ؟

— تقريبا . ليس هنالك دليل قاطع في المحاكم .

فقال سورم :

— سيحاولون جهدهم . انهم في امس الحاجة للقبض على احد .

— اعلم . وربما سيبحنون عن سبب لحجزهم لديهم ربما اضطر الى

الاعتراف . من اليسير ان يفعلوا ذلك . وهم يأملون ان انهار . ولكني لن انهار

— لا ؟

— كلا . هل لاحظت ان اكثر القتلة يسرفون في الكلام ؟

وجعلت هذه الكلمة سورم يسند بيده على القدح . كان القاتل بينهما

ذانه ورقة لعب مقلوبة على وجهها . وقال نن :

— وايتوي ، القاتل في قضية تيدنغتون توباك . نيفيل هيث . بيتسر

عمانوئيل . كلهم ظلوا يثرترون طوال طريقهم الى المستنقة .

فقال سورم ببطء :

— هل تعتبر نفسك في عداد هؤلاء ؟

ونظر اليه نن نظرة جادة ، نظرة استحسان لا تكاد تتميز ، كانه استاذ

يرد على المع تلاميذه . وقال :

— كلا ، لا اعتبر نفسي منهم . ولكن ذلك لا يمنعني من الاهتمام بهم .

انك لا تحصر قراءاتك بفوته ودوستويفسكي فقط بالرغم من انك تعد نفسك

اقرب اليهم من معاصريك . والمتسكلة هي ان اكثر المجرمين اوغاد حمقى . لقد

كان عمانوئيل وهيث وغيره زمرة حقيرة . ولكن كورتن كان اكثر اثارة

للإهتمام ، ولو كان في قطر اكثر حضارة — كالسويد مثلا — لما شنقوه . كان

شديد الاهتمام بدوافعه ورغباته ، وقد قرأ لومبروزو وهافيلوك اليس . لو

ساعده نفر من الاطباء اللامعين لكان اضاف افقا جديدا الى علم النفس .

كانت آثار الويسكي قد تلاشت كلها ، سوى بعض الشبهات التي

كانت تثنايه بين الحين والآخر . وكان في عينيه بريق كبريق الحمى وهو

يتكلم . وقال :

— اتعلم ، يا جيرارد ، لقد حاولت مرارا ان احاسب نفسي . انسا

لست حيوانا . انا انسان ، ويمكنني الحكم على نفسي . ولو كنت كاتباً او

شاعرا ، لاتفق البشر على انني استطيع ان اضيف شيئا الى معرفتهم . وهذا

يعني انني امتلك ذاتي . ويمكنني ان احلل دوافعي بالرغم من اني لا املك

السيطرة عليها . واذا استطعت ان اتحدث عنها للاخرين فمن الممكن حتى

ان اتعلم السيطرة عليها . وعليه فلماذا يصدر الحكم بادانتني واساق السي

المشقة كالكلب المكلوب ؟ لس لاحد الحق فى ان يفعل هذا . انها جريمة قتل بحقي .

فقال سورم :

— هذا ما كنت تفكر فيه طوال هذا الصباح ؟

— كلا . كلا ابدا . ولكنى كبراً ما فكرت فى ذلك ...

وذهب الى النافذة نانية واطل من خلالها . ثم فتحها وازاح الستار قليلا . كانت الغرفة مليئة برائحة الابخرة الحادة التي تصاعدت من المدفأة وهي تنطفئ . وقال سورم :

— وماذا ستفعل الان ؟

— اه ، تلك هي المسئلة ؟ هناك شيء واحد اكيد ، وهو انه ينبغي على ان اكف .

— ولكن ... هل نظن انك سنفلت ؟

— لم لا ؟ اذا لم يكن لديهم دليل ضدى ...

— ولكن طالما يبحث ماكردو عنك ، معناه انه لديه شكوك اكيدة .

ليس هذا شيئاً يذكر . لم يرني احد الليلة الماضية ...

فقال سورم :

— كنت انت ايضا الليلة الماضية ؟

ولاول مرة لاح الشعور بالاثم فى وجه ن وقال :

— اجل .

— هل كنت ... على معرفة بالمرأة ؟

وجلس ن وقال :

— اه ، اذا كنت تريد التحدث عن ذلك ... فمعناه يجب ان نبداً

من جديد .

فقال سورم :

— لا اريد ان نتحدث عن هذه الحادثة بصورة خاصة .

— اترى ... تلك هي مشكلتي . لا يمكنني البقاء فى انكلترا . لو كنت

على يقين من اني اريد ان اشفي نفسي ...

— الا تريد ان تشفي نفسك ؟

— الى حد . ولكن الامر لا يشبه المرض . لا شك انك تفهم ذلك ،

يا جيرارد ؟

— اظن ذلك ...

— الا ترى ... ان اردت ان تفعل شيئاً ذا قيمة ، عليك ان تدع لنفسك

المجال للاندفاع . اتري ، لقد ولدت على هذا الشكل . لقد جرى ذلك في عروقي . انه يشبه القلق الذي تحس به انت . لم استطع ابدا ان استقر في حياة اعتيادية . عندما كنت في السابعة عشرة كنت ابتهل الى الله ان يجعل مني فنانا عظيما . كنت اتفرس في صور فان غوخ او مونش وافكر : كان لهؤلاء الناس دوافع غريبة . واعتقد انه كانت تراود مونش رؤى الدماء . كنت اعتقد بانى لو كنت املك القوة الكافية لاصبحت فنانا عظيما . . .

وبدا عليه الانهيار فجأة ، والقى برأسه مرة أخرى بين يديه . واحس سورم بتسقة هائلة تعتصره في اعماقه وشعر برغبة ليمد اليه يديه عبر الغرفة . وقال نن :

— ولكن لم تكن هنالك فائدة نرجى . كنت سعيد الحظ اكثر مما ينبغي . وكان لعائلتي الكثير من المال . لكى تقوم بشيء كهذا ، عليك ان تشعر بالوحدة .

وقال سورم بهدوء :

— مسكين يا اوستن .

ورفع نن بصره وهو يتسم . كانت عيناه حراوين حيث كان يدعهما . — كلا . انا لست اوستن المسكين . انا اوستن القدر الغني . ولكن اصغ ، يا جيرارد . لدي نظرية . في عقلي الباطن كنت دائما احاول خلق حالة متازمة في حياتي . لكي انخلص من المال والامتيازات . وقد نجحت بذلك فعلا ، لقد خلقت الازمة ولم يعد هنالك طريق للعودة . تأمل ، لو كنت غادرت القطر يوم امس ، لكانوا ادانوا هذا الشخص المسكين من بريكستون لجرائم القتل هذه ولما كان علم احد .

وقال سورم :

— انا لست واقفا . كانت الشرطة نراقبك . وقد اخبرني الاب كارارز بان احذر . كان شتاين قد اخبره .

فقال نن :

— الاب كارارز ؟ هل بقي احد في لندن لا يعلم ؟

— لا ادري اذا كان يعلم . ولم اكن انسا اعلم الا عندما رايتك . ولم استطع ان اصدق .

وقال نن :

— وقد صدقت الان ؟

— كلا . كلا في الواقع . اوه ، اني اصدق كلماتك . . . ولكن الامر لا يبدو حقيقيا بالنسبة لي .

ومد ثن يديه على فخذييه وراح يحدق فيهما وقال :

— لكن ما قلته صحيح ...

فقال سورم :

— ولكن لماذا ؟ لماذا كان عليك ان تفعل ذلك .

ونظر نن اليه . كانت عيناه تبدوان محنقنين بصورة غريبة وقال :

— كيف لي ان اعرف ؟ يعود هذا الدافع الى الماضي البعيد حنى انني

لا استطيع ان اتبع اثره . الم تشعر قط باحساس كهذا ؟

— أ ... اظن ذلك . عندما كنت في السادسة كان لي ميل فيبيح وهو

ان اضرب الاطفال الذين كانوا اصغر مني سنا ... اذا ضايقتني سيء منهم

ولا ادري هل كان ذلك الدافع من الدوافع السادية ام مجرد الميل الى المزاح .

فقال نن مبتسما :

— يبدو ذلك دافعا ساديا بكل معنى الكلمة .

— ولكنني كنت دائما استطيع ان افهم دوافعي في وقتها . لم يكن الامر ،

على كل حال ، كان شيطانا تملكني ، كما يقولون . كنت دائما انا المسيطر

على نفسي .

— بالطبع . هذه هي الحال دائما .

— ولكنك ... حدثني مرة عن القيام بفعل جعلك تسعر وكأنك

انقلبت الى حيوان .

— صحيح ؟ ربما حدثتك بذلك . ولكن ذلك لا يبدو ان يكون طريقة

مسرحة للتعبير عن الحالة . لو نظرت الى نفسك نظرة موضوعية ، فستشعر

بالطبع بأنك كالحیوان . غير ان الواقع ليس غريبا الى هذا الحد . اتعلم ،

ان الواقع لبس غريبا الى هذا الحد . اتعلم ، ان لدى أحد علماء النفس نظرية

تفيد بان الاساطير القديمة عن الوطايط والذئاب المسوخة انبتقت كلها عن

اعراض السادية — انفصام الشخصية . انا لم احس مطلقا بأنني ذئب فسي

صورة انسان .

— كيف شعرت اذن ؟

كان يحدق في يديه مرة أخرى . وقال على مهل :

— اسنطيع ان اعطيك فكرة . عندما قتلت تلك العاهرة السوداء

احسست بنشوة هائلة . احسست كأنني نبي يطهر العالم ، كأنني المسيح

يقذف بالسيارة خارج المعبد . وعندما رأيتها راقدة على الارض ، كان علي

ان اكبح في نفسي الرغبة في الصراخ لجلب انتباه كل من في الشارع ليأتي

وينظر اليها . كنت اريد ان اقول : انظروا ، لقد ماتت . انها عبرة للعالم ...

ورفع نظره فجاءه فلمح مزيجاً من الدعر والافئنان يرسم في وجهه سورم . لقد بدا نن ، بتشكل من الاشكال ، انسانا اخر ولاح وجهه وعيناه اكثر عنمة . وذكره منظر سورم باحد الفجر تعرفت عليه وهو طفل . وقال نن بلهجة كئيبة :

— اعلم . انك لا تفهم . لا يمكنك ان تفهم .

وقال سورم :

— كلا . . . افهم قلبلا . هل كانت هذه هي الاولى ؟

وحقق فيه نن . وكانت عيناه اصلب من ذي قبل ، تلوحان خاليتين

من العمق .

— كلا . ولكني . . . لا اريد ان اخوض في الموضوع .

— طيب . . . عم تريد ان نتحدث ؟

— مشكلة ماذا يمكنني ان افعل .

— ماذا تريد ان تفعل ؟

— لست ادري . اتعلم . . . تركت هذا الدافع ينمو ويشند . وانسي

لاحس اليوم بانني قد تطهرت منه تماما — كانه مضى الى غير رجعة . ربما مضى فعلا لغير عودة .

كان الامل ينرق في وجهه ، وقد اسنطاع سورم ان يميزه بوضوح .

اذ كان الافتعال محالا . وقال سورم بهدوء :

— بسبب الليلة الماضية .

فهر نن راسه وقال :

— بسبب الليلة الماضية . اتعلم يا جيرارد ؟ احسست في الليلة

الماضية ، ولاول مرة ، بالفنيان المفاجيء من نفسي . بدا الامر سخيلا لا معنى

له . وكنت طوال الطريق الى هنا اقول لنفسي : اذا لم يقبض علي هذه

المرة ، فهي الاخيرة . لن يحدث شيء من هذا القبيل ثانية .

— وهل تعني ذلك ؟

— اظن ذلك . لست ادري ، يا جيرارد ، انا لم ازل ارغب في عمل

شيء اخر . انا لم ازل وانقا من ان في امكاني ان افعل شيئاً جيداً ، شيئاً

مهما . الا تعتقد ذلك ؟ انه الدافع نفسه — الحاجة لان ادع شيئاً يخرج

من ذاتي .

فقال سورم :

— اسمع . ارجو ان تعذرني اذا بدا سؤالي سخيلاً ، ولكنني اريد ان

اوجهه مع هذا . لنقرض ان الامور جرت بالطريقة التي تريدها انت ولنفرض

انك عدت الى لندن ولم تقبض عليك الشرطة فتبدأ حياة جديدة . ان تعود
بذاكرتك ... الى الماضي ؟ ام تعتبر ان الامر مضى وطواه النسيان ؟
- لست ادري . اظن ذلك .
- الا تحس ... ١ ... بتبكيت الضمير ؟
- وما الفائدة من ذلك ؟ قضي الامر . واذا كان الدافع قد اختفى
نهائيا فمعناه انه لم يكن عديم الجدوى كليا ...
- وماذا عن النساء ؟
فهز نين كتفيه وقال :
- اف ... نفر من العاهرات . نساء بعن حياتهن على اية حال .
اتدري ماذا قالت تلك المرأة لي في الليلة الماضية ؟ « من المحتمل ان تكون انت
ذلك الذي يدعو نفسه القوطة الجلدية » . لقد علمت بانني ربما اكونه .
- لا احسبها كانت تعتقد بذلك .
- ولكنها كانت تعلم ان الامر ممكن . ولم تكثرث . لو انك وجدت
حشرة كريهة في قطعة السجق فانك تكف عن شراء ذلك النوع من السجق ،
اليس كذلك ؟ اما اذا مضيت في تناول هذا النوع من السجق فمعناه انك
لم تكثرث في الواقع .
- او ان الجوع بلغ بك حدا لا يمكنك فيه الكف عن تناوله .
- كلا . ليس هؤلاء النسوة الى هذه الدرجة من الفقر حتى انهن لا
يستطعن التخلي عن حياتهن . وفي استطاعتهم ان يعيشن حياة افضل لو
عملن بائعات في المخازن او عاملات في مصانع النسيج . ولكنهن لا يكثرثن .
- ولكنك لم تقتلن لمجرد انهن لا يكثرثن ؟
فقال نين بشيء من الغيظ :
- لست ادري . لست ادري لم اريد ان افعل ذلك .
وحرك يديه مشيرا الى معدته :
- انه شيء احس به هنا . واشعر احيانا بالرغبة في ان اتناول دواء
مقيئا فانخلص منه برمنه . انه يشبه الملاريا المزمنة . ولكن حاول ان تفهم
يسا جيرارد . ليس هذا مجرد مرض . انه انفعال شديد . انه ضرب من
الدافع الخلاق المعكوس . احس كاني اخدم شيئا اعظم من نفسي . انه ...
انه حاجة ... الى البناء .
ورسم بيديه شكلا في الفضاء . ثم ضحك فجأة ضحكة دهش لها
سورم . كانت ضحكة منبسطة ، فيها شيء من السرور .
- اترى ، انك لتحس ان وراء هذه الحاجة دافعا دراماتيكيًا - كرغبة

مؤلف المسرحيات في حبك ذروة لمسرحيته . اتفهم ؟

فهز سورم رأسه . وقال ببطء :

— تعني ... كما نشرت الجرائد : القاتل انتقل الى غرينتش ، واذا
بجريمة مضاعفة تقع ؟ ثم يلقي القبض على انسان ، فيتنفس السكان
الصعداء . واذا بجريمة أخرى تقع ...
ولاح الجد في محيا نين فجأة :

— من زاوية معينة . نعم . ولكن ، يا جيرارد ... كم اود لو تخلي
هذا الشعور عني ، وللابد . لقد كان هذا الدافع يسوقني ... منذ ثلاث
سنيين .

— منذ حادثة هامبورغ ؟

وبدت الدهشة في وجه نين وقال :

— نعم . هامبورغ . كيف عرفت ؟

— الاب كارائز ايضا ، شتاين هو الذي اخبره .

فقال نين باقتضاب :

— توقعت شكوكهم .

— الم يكن القتل رجلا في هامبورغ ؟

— كان شابا . يتعاطى الجنس .

— كان الاول ؟

فهز نين رأسه بالايجاب .

— و ... لماذا شعرت بالحاجة ... ؟

فقال نين وهو يهز رأسه :

— لا اعلم . لا يمكنك ان تفهم .

— ربما يمكنني ان افهم . هل كنت تكرهه ؟

— كلا . على العكس . كنت اهواه ... قليلا .

— ولماذا لم يقبضوا عليك ؟

— لم يعلم احد انه كان معي . وكان لديه زبائن كثيرون .

— ولكن ... ماذا فعلت له ؟

— هل يهمك ان تعرف حقا ؟

— اجلس .

— دعني اخبرك . غطسته في حوض الحمام المليء بالماء الثلج — كان
الوقت في منتصف الشتاء في هامبورغ — وتركته هناك ساعة واحدة . ثم
حملته ثلاثة طوابق وتركته في غرفة رجل علمت انه سيغيب تلك الليلة عن

غرفنه . وعاد الرجل في الخامسة صباحا فايقت كل من كان في الفندق . ثم جاء احد الاطباء وفحص الجثة وقرر من درجة حرارتها ان الجريمة وقعت قبل ثماني ساعات على الاقل . وقد استطعت ان انبت اني كنت غائبا عن الفندق حتى الساعة النانية صباحا ، فسمحوا لي بان اترك الفندق فسي اليوم التالي .

— الم يكن في الامر خطورة ؟ كان من الممكن ان يراك احدهم وانست تصعد به السلم .

— هذا صحيح . كان الامر خطرا . وكان الرجل الذي يسكن في الغرفة المجاورة قد سمعني افتح صنوبر الماء في الحمام في الساعة الثالثة صباحا وذكر ذلك صباح اليوم التالي . ولحسن الحظ، كنت اتخذت حيلة شديدة الا ادع شعر راسه يبتل . كانت مسألة خطيرة جدا .

كان نسن يتكلم بنسيء من الزهو . كانه يقص على سورم تفاصيل نزهة للصيد . ونظر سورم الى ساعته . كانت تشير الى النصف بعد الواحدة . كان قد مضى عليه حوالي الساعة . وكان سلوك نسن قد تغير تماما . فلم يعد يلوح تملأ ، وكان يتحدث بدقة متناهية ، وكان صوته هادئا مرحا . وكان الويسكي قد اثر في سورم ، واحس باكثر من سكرة خفيفة ، بالرغم من انه لم يفقد قوته على التركيز . لقد احس بقبول غريب لنسن . لم يعد كون نسن قاتلا اغرب من كونه شاذا جنسيا ، او اغرب من كون جيرترود كوينسي خليلته . لقد تغيرت الاتشاء ، والعالم في جريان مستديم . ليس ثمة نهاية للمكان او للزمن ، ليست هنالك غير حرية هائلة لا حدود لها .

وقال نسن :

— قل لي ، ماذا يدور في ذهنك ، يا جيرارد ؟

— ليس ذلك سهلا . يمكنني ان ابدأ بالفهم ... ولكن لم تزل هنالك حلقات مفقودة .

— منسلا ...

— الا تفضل ان تكون ... طبيعيا ؟ او ...

فقاطعه نسن بسرعة :

— بالطبع افضل ان اكون طبيعيا . ولكن ارجو الا تبالغ في اضعفاء الشدوذ علي . اعتقد ان مهنة الجلاد ، مثلا ، مهنة غير طبيعية ولكنه يعاملها على انها مهنة مع هذا . والشيء نفسه ينطبق على الجزار . كنت اعرف رجلا قضى سني الحرب يدرب المراهقين على القتل بسهولة وصمت . كما اعرف فدائيين قتلوا عددا لا يستطيعون احصاءه من الالمان . وكان احدهم

يذهب دائما الى المانيا لقضاء عطلته ويقول انه يفضل الالمان على اي شعب آخر في أوروبا .

فقال سورم باكتئاب :

— تعنى ان القتل هو جزء من الذهنية الحديثة ؟

— جزء من اية ذهنية كانت ، يا جيرارد . يقوم المجتمع دائما على القتل . لا نفع في محاولة تحريم القتل بالقوانين والسنن الاخلاقية . يجب ان يترك ليختفي من ذاته — على الناس ان ينضجوا ذهنيا الى ما وراء هذه السهوة . الا تفهم ما اعنيه ؟ صديقي من الفدائيين الذين ذكرته — انه انسان يحترم القانون احتراماً تاماً . ولكن القتل لم يزل في كيانه . واذا وقعت حرب اخرى ، فلا يلبث ان يبدأ بالقتل ثانية . انه لم يرتفع عقليا فوق القتل . ولكنه يقبل بالقوانين التي تحرمه . ليست هذه الطريقة التي ينمو بها الانسان . . . هل بدأت نظن بأنني من الجزويت (١) ؟

فقال سورم بنردد :

— لست من الجزويت . ولكن دفاعك هذا لن يجدي في اية محكمة . . .

فقال نن على الفور :

— اتفق معك . ولا اتوقع ان يجدي دفاعي شيئا . انه ليس في الواقع دفاعا . انا لا انكر ما فعلت ، وكيف لي ان انكره ؟ بل اني لا افهم ما فعلت . لقد ولدت بهذا الدافع .

— اعلم . . . ولكن الذي لا افهمه هو . . . على كل حال ، لماذا ينبغي ان تفعل ذلك . يمكنني ان افهم كل شيء ما عدا فعل القتل نفسه . يمكنني ان افهم الكراهية والحقد . لقد كتبت مرة قصة عن رجل يرتكب جريمة قتل نتيجة لمحض الشعور بالسأم والرغبة في فعل شيء ايجابي . ولكن . . . الاسباب ليست بهذه الاهمية . وانك لا تقتل الاسباب وانما تقتل مخلوقا ادميا .

فقال نن بجهد :

— هذا صواب ، من زاوية معينة . ولكن الشعور ليس ادراكا عقليا الى هذا الحد . وانما ضرب من الاستهجان اللاعقلي على ما اعتقد . ليس للناس فقط ، وحتى للمجتمع فقط ، وانما للعالم . لم يكن ينظر الى سورم وهو يتكلم . كان قد لوى وجهه ، وكان سورم لا يرى غير قمة رأسه وشعره الاسود الكثيف المفسول حديثا . وعندما تأمل في سبب غسل شعره مرت به رعدة . وبدا الحديث فجأة غيسر

(١) يستخدم اعداء الجزويت هذه الكلمة لتعني الخبث والدهاء — المترجم

حقيقي ، وحاول ان يبذل جهدا عقليا ليعيده الى نقطة واحدة . وقال :
اعتقد اني افهمك . فلقد خبرت هذا النوع من السعور بالاشمزاز .
اذ قبل ثلاثة أشهر من استقالتى من وظيفتى الى الابد ذهبت لقضاء اجازة
في كينت ، ومر بي شعور مماثل .
وقال نن وهو لم يزل مشيحاً بوجهه .
— ماذا حدث ؟

— اوه ... لقد سعرت بالملل من المكتب . جعلني احس بالجمود في
اعماقى . وفي الاخير ، لم تكن العطل الاسبوعية كافية لتطهر نفسي من هذا
الملل . ولم استطع قراءة الشعر او الاستماع الى الموسيقى . كنت احس
كأنني مصاب بامسالك . على كل حال ذهبت في اجازة الى كينت لمدة
اسبوع . وقضيت اليومين الاولين وانا لا احس بشيء على الاطلاق ، لشيء
غير الموت في اعماقى . وذهبت ذات يوم الى حانة تقع في محل يسدنى
« مارتون » وناولت قدحين من البيرة . وعندما خرجت احسست كأن
فقاعة انفجرت في نفسي وبدأت احس بالاشياء من جديد . واجتاحني فجأة
شعور بالكراهية للمدن والدوائر والناس وكل ما يدعو نفسه مدنية ...
كان يرغب نفسه على الكلام ، وقد سره ان يتحدث عن نفسه ليعيد جوا
طبيعيا الى الموقف :

— سم خطرت في ذهنى خاطرة . جلست على جانب الطريق واخذت
اثامل فيها . كنت قرأت في مكان ما ان الزنادقة كانوا يعتقدون بان الشيطان
هو الذى خلق العالم وان كل ما يتصل بالمادة شر . ولكن لاح لي فجأة ان
القوى التى تكمن وراء هذا العالم ليست خيرة او شريرة ، وانما شيء لا يقوى
البشر على ادراكه . وان الشيء الوحيد الذى تريده هذه القوى هو الحركة ،
الحركة الابدية . شعرت على هذا النحو فجأة . يريد البشر السلام ،
فيشيدون مدنابهم ويضعون قوانينهم لتوطيد السلام . غير ان القوى التى
تكمن وراء العالم لا تريد السلام ، فلذا ترسل اناسا وظيفتهم اثاره الاضطراب
في العالم — اناسا مثل نابولون وهتلر وجنكيزخان . ولقد دعوت هؤلاء
الاشخاص « الاعداء » . وفكرت : انا انتمى الى هؤلاء « الاعداء » ولهذا كرهت
هذه المدنية الملعونة . وبدأت فجأة احس بتحسّن .

كان نن ينظر اليه الان ، وهو يهز برأسه ببطء بينما كان سورم
يتكلم . وقال نن ، مبتسما :

— تماما . انك لتفهم ايضا . ان القوة التى تقف وراء العالم ليست خيرة
ولا شريرة . ليس البشر على جانب من النضوج الكافي لمعرفة شيء عن الخير

والشر . هذا ما شعرت به . . . وكان يحدث لي لأول مرة في لندن . كنت في زيارة للاب كارترز وخرجت من عنده وأنا امقت كل شيء . كان على ما يظهر لا يعني ما كنت اتحدث عنه . ومشيت في شارع تشارترهاوس ، وكانت الشمس تنحدر للمغرب خلف اعالي السطوح بطريقة غريبة . وفجأة احسست بالازدراء لكل شيء . هل قرأت في كتاب شتاين عن كورتن تلك الفقرة التي يصف فيها كيف كان كورتن يحلم بنسف المدينة كلها بالديناميت ؟ لقد شعرت اننا بنفس الشيء .

وتوقف فجأة وراح يلوي اصابعه . تم حنى يديه الى الوراء فطقت مفاصلهما . وكان صوته قد صار اجش بطريقة غريبة . واخذ سورم يرقبه باهتمام وهو يحس بالتوتر الذي كان يتولد في اعماقه . ونهض نسن فجأة وذهب نحو النافذة ، وصب في قدحه قليلا من الويسكي وابتلعه جرعة واحدة . وعندما شرع يتحدث ثانية لاح صوته مختنقا :

— لا يمكنني ان اوضح شعوري . . . ولكنك تفهم .

فقال سورم :

— اجل ، افهم .

قال ذلك ليدخل الطمأنينة في نفس نسن اكثر من يقينه بانه فهم فعلا . وتوقف نسن بضع ثوان وظهره الى سورم وهو ممسك بقدحه الفارغ . ثم استدار بجسده ومرا باصابعه في شعر سورم . وكان يبتسم سانية . وقال :

— اتمنى لو كنت تفهمني حقا ، يا جيرارد .

وجلس مرة اخرى ، ولكن على حافة الكرسي ، وقد وضع قبضتيه على ركبتيه . وبالرغم من البرودة التي كانت تسري في الغرفة الان كان العرق يسيل على وجهه . وقال سورم :

— اعتقد انني فهمت فعلا ، اوستن . ولكن . . . اتعلم . . . ينبغي عليك ان تكف الان . ان توقفت الان ، ربما تكون في مأمن . ولكنك ان مضيت في هذا السبيل . . . فلن ينقذك احد .

فقال نسن : اعلم ، تلك هي المشكلة .

فمال سورم الى الامام وقال :

— ولكن الا تدرك موقفك ؟ انك حي الان ، وبعد شهرين من المحتمل ان تكون في زنزانة الاعداء تنتظر مصيرك . انهم يشنقونك ، يا اوستن . عليهم ان يشنقوك . انهم لا يجروون على ادخالك في مستشفى المجاذيب . اهرب ما دمت قادرا . اذهب الى سويسرا . ابحث عن طبيب نفسي جيد واعطه

خمسة الاف باون واعترف له بكل شيء . ولكن لا تبقي في لندن .
ورفع نن نظره الى سورم وابنسم . وكان الاجهاد قد عاد الى وجهه .
وقال :

— اعلم انك على حق ، يا جيرارد .
وسعل لبنتي حنجرتيه ومر بيديه خلال شعره . وشرع يحكم ازوار
قميصه .

— انا شديد الامتنان لك ، يا جيرارد ...
— هراء .

— انا لا استحق صديقا منك .
فقال سورم :

— لا تكن سخيفا .
فنهض نن :

— اعتقد انه ينبغي ان نرحل .
وفيما هو يتكلم سمعا جلبه . كان صوت شيء معدني يضرب فسي
الخارج ، ومكتا لحظة يحدق احدهما في الاخر . ونظر سورم نحو
النافذة . وقال بسرعة :

— من المحتمل ان يكونوا من رجال الشرطة .
وبينما هو يتكلم ، سمعا طرقا على الباب . وقال نن :

— لعلهم كانوا يتبعونكما .
— انا آسف ...

— لا تكثرث .

وفتح الباب المؤدي الى الصالة ، فتبعه سورم وامسك بذراعه .
وقال بهدوء :

— لا تبج بنسيء .

فالنفت اليه نن وابنسم . كانت ابتسامة هادئة ساخرة ذكرت نن
بلقائهما الاول ، ابتسامة تنم عن الثقة والاستغلاء . وقال نن :

— لا تقلق ايها الصديق . كن انت على حذر .

وخرج الى الباب الامامي . وبعد قليل استطاع سورم ان يميز صوت
ماكمردو .

— المستر اونستن نن ؟

— نعم . هل من خدمة ؟

- نود ان نتحدث معك ، ان امكن . انا ضابط شرطة .
— بالتأكيد . تفضل . كنت اتوقعك .
واستطاع سورم ان يرى اللهفة على وجه ماكمرودو . وبعد قليل
دخل الغرفة يتبعه العريف ونن . وكان يقول :
— صحيح ؟ كنت تنوفعني ، لماذا ؟
فقال نن :
— لان صدقي هنا جاء خصيصا ليطلب مني الاتصال بكم .
كان سورم ما يزال جالسا . فأوما برأسه باقتضاب لماكمرودو .
— كيف حالك ؟
فقال ماكمرودو :
— لم اكن اتوقع رؤيتك هنا . ظننت انك لم تكن تعلم اين يمكن ان
نجد نن ؟
فقال سورم ببشاشة :
— لم اكن اعرف . ولكنى ظلمت ابحت باسمرار .
كان عدم التصديق واضحا في سيماء ماكمرودو . وقال :
— آه .
والتفت الى نن :
— مستر نن ، الا تفضل وتخبرني اين كنت الليلة الماضية ؟
— بالتأكيد . كنت هنا .
— طول الليل ؟
— كلا . ذهبت لاستنشاق شيء من الهواء . مجرد نزهة في السيارة .
— كم كانت الساعة ؟
— اوه .. في الواقع ، لست ادري . بعد منتصف الليل . كان لدي
راديو بطارية وقد نفذت البطارية .
— كم امضيت خارجا ؟
— اوه .. حوالي الساعتين ، ربما .
— اين اوقفتك سبارتك ؟
— في الزقاق خارجا .
— ومتى تركتها خارج فندق كراون في ليدزهد ؟
— وجلس نن على حافة الطاولة . كان وجهه متجهما شديد التركيز .
— صباح اليوم . ذهبت لشراء صحيفة . وكان اليوم جميلا للغاية

- فقررت العودة مسيا على الاقدام . وقد تناولت شيئا من القهوة ..
فقاطعه ماكمرودو بعنف :
- انك تعلم سبب توجيه هذه الاسئلة ، اليس كذلك ؟
فقال نن :
- اظن ذلك .
- لماذا اذن ؟
- انك تقوم بالتحقيق في جرائم وايتسابل . وتريد الانهاء مني
كواحد من المسبوهين في قائمتك .
ورأى سورم الامتعاض في وجه ماكمرودو يزداد شدة كلما اجابه
نن بنقة . وكان العريف تقف قرب الباب ، يرقب الموقف باهتمام . وقال
ماكمرودو :
- الا يضيرك ان ننحري البيت ؟
فسأل نن برفة :
- هل لديكما نصريح بذلك ؟
- كلا . ولكن يمكننا الحصول عليه حالا .
فقال نن على عجل :
- اوه ، كلا ابدا ، تفضلا .
وخرج العريف من الفرفة . وبعد قليل سمع سورم عددا اخر من
الرجال يدخلون . وجلس ماكمرودو على الكرسي الذي كان نن قد اخلاه .
ووجه سؤاله الى سورم :
- وهل لي ان اسالك كيف جئت الى هنا ؟
- بالسبارة . جاءت بي المس كوينسى - عمه اوستن .
- كيف علمت ان المستر نن هنا ؟
- بعد ربارتكما ظللنا نتحدث طويلا وحاولنا ان نهتدي الى المحصل
الذي يحتمل ان يكون فيه . واخيرا ، تذكرت العمه هذا المكان ..
اين هي الان ؟
- في فندق كراون .
وللمرة الاولى احس سورم بالدمر . لم يكن يخشى شيئا لنفسه او
لنن ، ولكن جيرتود كانت من فصيلة اخرى . واحس بالندم يقرصه
لاخبارها عن نن . ولكنها كانت تعلم قليلا ، حتى لو اعترفت ..
ودخل الفرفة احد رجال الشرطة في ملابس مدنية واثار لماكمرودو

والتقت نظرتا نين وسورم لبرهة بينما خرج المحقق من الغرفة . وبعد قليل عباد المحقق وسأل :

— الا تتفضل وتخبرني ، يا مسنر نين ، ما هو سبب وجود الرماد الدافئ في موقد الغرفة العلوية ؟
فقال نين مبتسما :

— اوه ، بالطبع . كنت بدأت اشعل النار في غرفة النوم ، ثم اقبل جيرارد فنسيت امرها . وتجدون الخشب والفحم في الغرفة .

— هل وضعت الخشب في النار ؟
— كلا . كنت اتسعر بالبرد ، فملأت المسبك بالورق وبعض الخرق الزيتية واتسعلت فيها النار. كنت جالسا اسنمتع باللهيب عندما جاء جيرارد:

— من اين جلبت الخرق الزيتية ؟
— من السقيفة في الخارج . تركها الصباغون .
— وهذا ما يفسر رائحة زيت البارافين ؟
— تماما .

فقال ماكمرودو :
— يستعمل الصباغون التربينين .
فقال نين وهو يهز كتفيه :

— اعتقد اني لست مسؤولا عما يخلفه الصباغون . ولم يكون لذلك اهمية ، على كل حال ؟

فاهمل ماكمرودو السؤال وقال :
— ولماذا ترتدي القميص فقط ان كنت تشعر بالبرد منذ ساعة ؟
فقال نين :

لان هذه الغرفة كانت دافئة جدا في الواقع قبل ساعة ، كما يمكن ان يخبركم به صديقي هنا . ويمكنكم ان تجدوا سترتي و قميص الصوف على الفراش في غرفة النوم .

— وماذا كنت تتسعل في موقد المطبخ ؟
— اوه ... نفايات اخرى . اكثرها من الصحف . اني مفسرم باشعال النيران .

— الم تكن تحرق اشياء اخرى ... ملابس ، مثلا ؟
فقال نين ، وقد نفد صبره :

— تعني ملابس ملطخة بالدماء ؟ اسمع ، ايها المحقق ، لا داعي السي الف والدوران. اني اريد مساعدتك ، اسألني عما تشتبه به ، فاجيبك بكل

- ما يمكنني من الدقة .
فكرر ماكمردو السؤال باصرار :
- هل كانت هنالك اية ملابس ؟
- كلا .
- انك لتعلم بأن هذا من الانبياء النى يمكننا اكسافها بسهولة ؟
وذلك بتحليل الرماد ؟
فقال نن :
- عظيم . يسرنى ان اسمع هذا . فانه يوفر علينا المتاعب .
فقال ماكمردو :
- آه .
ومال الى الامام كانه يحدق فى المدفأة . ثم الفت الى نن فجأ وقال :
- ماذا فعلت بمبلى روجرز ؟
وشعر سورم بقلبه يعنصر بطريقة كريهة ، وراى نس يفاجئاً
بالسؤال . وقال نن :
- أرجو العذره .
فقال ماكمردو :
- سوهدت تحدث الى امراة بدعى مياى روجرز خارج ناد مسي
بادينفنن . نادى البلاانكا . وقد سمعها احدثهم تقول بانها ستذهب معك
الى البيت . ولم يرها احد منذ ذلك اليوم .
فقال نن ببرود :
- ليست لدى اية فكرة عم نحدث ايها المحقق ، وان كنت لا تعرف ،
فان ميولى ليست فى هذا الاتجاه .
- اتنكر معرفتك بامراة بهذا الاسم ؟
- بكل تأكيد .
- وتنكر انك تحدثت معها .
- كلا . ليس بالضرورة . من المحتمل اني تكلمت الى امراة من هذا
النوع اذا كانت قد تحرشت بي . وكذلك على ما اتصور ، اني تحدثت الى
الاف الرجال .
- وكيف علمت انها كانت من « هذا النوع » ؟
- حقا ! ايها المحقق ، انك لا تدع مجالا للشك !
وعاد العريف الى الغرفة . كان ممسكا بقبعة نسائية حمراء . فتناولها
ماكمردو منه . وقال العريف :

- وجدتتها في درج الملابس في غرفة النوم ، يا سيدي .
- فسأل ماكمرودو نن :
- لمن هذه ؟
- صدق او لا تصدق ، ايها المحقق ، ان هذه القبة نخص عمتي .
- تركتها هنا .
- السيدة التي تنتظر الان في فندق كراون ؟
- نعم .
- هل سبق ان جاءت الى هنا ؟
- مرة واحدة عندما اخذتها في نزهة بالطائرة .
- هل هي السيدة نفسها التي قالت انها لا تعرف اين يمكن ان نجدك؟
- كان ماكمرودو قد وجه السؤال بلهجة ساخرة .
- هي نفسها .
- ولم ، في اعتقادك ، انها لم تذكر لي هذا المكان عندما سالتهم
- صباح اليوم ؟
- فتدخل سورم قائلا :
- يمكنني ان اخبرك . كانت قد نسينه . وبلاضافة لذلك ، كانت
- صدمة بالنسبة لها ان ترى الشرطة تبحث عن ابن اخيها .
- وحقق ماكمرودو في وجه سورم بنظرة عدائية . ومرت لحظة، توقع
- سورم ان ماكمرودو سينفجر بتفريع شديد . ثم لوى الشرطي برأسه وهو
- يهز كتفيه وناول القبة الى العريف . وقال :
- خذ بعض النماذج من الرماد ، ايها العريف .
- ثم التفت ثانية الى نن :
- الا تسمح لي برؤية يديك ؟
- ومد نن يديه دون ان يتكلم . فتناولهما ماكمرودو فى يديه ثم قلبهما،
- وقال :
- لقد نظفت اظافرك اليوم .
- بالطبع افعل ذلك كل يوم .
- يبدو انك بالغت في تنظيفها اليوم .
- كلا . ليس بصورة خاصة .
- وترك ماكمرودو يدي نن . ولاحظ سورم خيبة ماكمرودو . اذ بدا فمه
- يتوتر بطريقة اظهرته بمظهر كلب كبير . ولكن قبل ان يجلس نن مرة اخرى
- سألته ماكمرودو :

- هل لديك مديّة ؟
 فقال نن :
 — بالطبع .
 وأخذ نحسّس في جيب سرواله وأخرج مديّة صغيرة . فقال ماكمرّدو :
 — لا اعنى هذا النوع . لديك سكين اكبر — مثلاً ، سكين ذات غمد
 من النوع الذي نستخدمه الكسافه ؟
 — كلا .
 — هل كانت لديك واحدة قبلاً ؟
 — كلا منذ ان كنت طفلاً .
 — البسب لديك ابه مديّة يمكن استعمالها فى القنال ؟ مديّة ذات
 نابض مثلاً ؟
 — كلا . . . لديّ فى نسقي سكيناً مطبخ حادثان على ما اعتقد . .
 ولكنهما ليسنا خطرّين .
 وعاد العريف داخلاً الغرفة وقال :
 — لبس هناك شيء آخر بدكر . اخذت نماذج من الرماد .
 فهز ماكمرّدو رأسه ، وقال :
 — مسرّن . أخشى انه يجب ان نأخذك معنا الى الدائرة لاستجوابك .
 فاطلق نن زفره وقال :
 — حسناً . اعتقد انه امر ضروري .
 وسال سورم :
 — واننا ؟
 فقال ماكمرّدو :
 — لن نحتاج اليك الان
 فقال نن :
 — الا يضيرك ان ذهب لارتداء بعض الملابس الدافئة ؟
 فأوماً ماكمرّدو برأسه موافقاً . وقال :
 — ابها العريف !
 فأوماً العريف برأسه وبيع نن خارج الغرفة .
 وحالماً بقيا لوحدهما جلس ماكمرّدو على الكرسي المواجه لسورم . ثم
 مال الى الامام وقال بعناية :
 — انك تدرك بانه اذا ما وجدنا اي دليل ضد نن فهذا يعني انك معرض
 للسجن مدة طويلة بصفّتك شريكاً للمجرّم بعد وفوع الفعل ؟

- فقال سورم بغلاظة :
- اسمع ، ايها المحقق . انك تبحث في الاتجاه الخاطيء . اوستن ليس بمجرم ، بصرف النظر عن خصاله الاخرى .
- فقال ماكردو :
- هل انت واثق ؟
- اظن ذلك .
- قل لي ، مستر سورم ، عم كنتما تحدثان قبل مجيئي ؟
- مواضيع عامة ، من ضمنها جرائم وايتسابل .
- الم يوضح لك ن الاسباب التي تجعلنا نُسّبه فيه ؟
- لم يذكر لي شيئا لا اعرفه ؟
- وماذا تعرفه ؟
- لاوستن بعض الميول الجنسية الخاصة ، تكفي لان تجعل منه مشبوها في قضية كهذه .
- وبانه سادي ، في الواقع ؟
- طيب .
- ولكنك لا زلت تعتقد بانه لا يستطيع ان يحمل نفسه على القتل ؟
- وظل سورم يحدق في وجه المحقق بهدوء ، وقال :
- انه نزاع الى الجنس المشابه . ولكن ضحايا وايتسابل كلهن من النساء .
- ربما يضرر الكراهية للنساء .
- ربما .
- فألح ماكردو قائلا :
- الا تتفق معي ؟
- لم الحظ تلك العلائم .
- وعاد نن ، وكان يحكم ازرار معطفه . وابتسم لسورم ، ورد سورم له ابتسامته . وكان كلاهما يعلم ان ماكردو كان يرقبهما جيدا لئلا يتبادلا الاشارات . وحول نن ابتسامته الى ماكردو قائلا :
- حاضر ، ايها المحقق ؟
- فقال ماكردو :
- طيب ، بوب .
- وتقدمهما العريف خارج البيت .
- كان احد الشرطة الذي يرتدي الملابس المدنية يسير الى الامام ، وتبعه

نن والعريف . ومنسى السرطي الاخر خلفهما . وكان سورم ومساكمر دو
يسيران الى الخلف على بعد عسر ياردات . وادرك سورم ان ماكمر دو كان
يحاول ان يستفز نن . كان الامر يشبه لعبة الشطرنج . يريدون ان يجعلوا
نن قلقا لا يعلم هل باح سورم بنسيء ، وتهديد سورم بتهمة الاشتراك
بالجريمة قد سببت له مخاوفه ايضا . وعندما تسلقوا الحاجز القرميدي
القي سورم نفسه يفكر : اذا ما اعترف اوستن بكل شيء ، هل تبقى تهمة
الاشترار قائمه ؟

مسكين اوستن — لقد اضعف موقفه باشتراكي في سره . ترى ،
هل هنالك اساس من الصحة لهذا الهراء عن ميلي روجرز ؟ الملابس نسي
النسقة الارضية . هل يعرفون شيئا عن هذه النسقة ؟ اتمنى لو استطيع
الحدث الى اوستن .

وقال ماكمر دو :

— انا لا افهمك .

— لماذا ايها المحقق ؟

— انك لم تلتق بنن الا منذ اسبوع . حتى اذا ثبتت ادائته ليس
هنالك شيء ضدك ، فلم تزج نفسك بالقضية ؟
فقال سورم ببرود :

— لاول مره اعلم بانني زججت نفسي في قضية .

— لقد هرعت الى هنا هذا الصباح لتحذيره . لعلك ادركت بانه ربما
يكون هو الرجل الذي نبغيه .
فقال سورم :

— اتفق ان يكون صديقي . ولقد طلبتم مني بانفسكم ان اتصل به .
ولولا مجيئكم لجاؤكم هو بنفسه . كنا على وشك الرحيل الى لندن .

وفيما هو يتفوه بهذه الكلمات ظن بانه لمح امارات النيك في عيني
ماكمر دو . وفجأة ، طاف في ذهنه يقين . لم يكن لماكمر دو دليل ضد نن .
ان كل ما فعله هو خداع وامل . ولقد وقعت اربع جرائم قتل خلال
اسبوع واحد . كان القبض على بريسكتون فسلا ذريعا ، وكان على ماكمر دو
ان يقبض على احد . واحس بجلده ينكمش للارتياح بهذه الخاطرة كما
لو سكب عليه ماء بارد . وقال ماكمر دو :

— انك لصديق مخلص ، مسنر سورم .

— آمل ذلك .

كانت هنالك سيارتان سوداوان تقفان في الزقاق الذي انزلته فيه

- المس كوينسي . وسأل سورم :
- هل يمكنك ايصالي الى فندق كراون ؟
- يمكننا . اريد ان ارى السيدة هناك — اسمها مس كوينسي ؟
- كان نن يصعد الى السيارة الاولى . ولاحظ سورم ان ماكمردو كان يحاول ان يمنع اي اتصال بينهما . فهتف سورم :
- اوستن !
- والنفت نن اليه . وقال سورم :
- اذا خرجت في الوقت المناسب ، فلنتناول العشاء معا .
- فكرة جيدة يا جيرارد .
- ولوح بيده فيما هو يصعد السيارة . واحس سورم بالانتصار . لقد افلح في مخاطبة نن ، وعلم نن ان كل شيء على ما يرام . وصعد سورم في السيارة الاخرى وجلس الى الخلف ، وتبعه ماكمردو . وقال ماكمردو :
- اشك في ان موعذك سينحقق اللبلة .
- كلا ؟ لماذا ؟
- ربما سنحصل على ترخيص لالقاء القبض عليه عندما نصل .
- صحيح ؟ وهل ذلك من الحكمة ؟
- فقال ماكمردو بلهجة حادة :
- اظن ذلك .
- وجعل الخبث يظهر على محيا سورم ، وقال مبتسما :
- اللقاء القبض على رجل آخر غير الرجل المقصود قد يفسد الامور .
- ان انطباعي عن المسألة هو ان الناس بدأ صبرهم ينفد تجاه الشرطة . وافرض انكم قبضتم على اوستن ووقعت حادثة قتل اخرى غدا لبلا ؟
- فعبس ماكمردو . وادرك سورم السك في وجه ماكمردو ، خوف ان يقترب خطأ اخر ، خوف السخرية على صفحات الجرائد . وقال ماكمردو بامتعاض :
- هذا من شأني .
- فقال سورم :
- اعلم .
- واسترخى على مقعد السبارة وراح ينظر خلال النافذة . كانت السبارة الامامية قد اجتازت الفندق .
- وقال ماكمردو :
- توقف هنا قليلا .

وتوقفت السيارة عند انوار المرور . فسأل سورم :

— هل انزل ؟

فقال ماكمر دو :

— الافضل ان تفعل .

— ان تأتي ؟ ظننك تريد رؤية المس كوينسي .

فقال ماكمر دو باقتضاب :

— فيما بعد .

وترجل سورم من السيارة وصفق الباب بينما كانت انوار المرور
تتغير . وبقي واقفا برهة من الزمن ، وهو يرقب السيارة تختفي بين بقية
السيارات ، ثم عبر الشارع الى الفندق .

الفصل التاسع

وقادنه الفتاه النبي تقف خلف طاولة الاستعلامات الى الصالة . كانت المس كوينسي تجلس لوحدها على كرسي من القنس ، وهي تقرأ إحدى المجلات . ورفعت نظرها حالما دخل الغرفة . كانت ابسامها دافئته تلقائية . واحس بالارتياح ان يكون الى جنبها مرة اخرى . وفالت :
 - يسرنى ان جئت . بدأ القلق يساورني . هل كل شيء على ما يرام ؟
 وتناولت يده فيما هو ينحني عليها ، ثم خلنها مباشرة . وقال :
 - ليس سيئا ، اينها العريزة . سأذهب لاحضار سراب . هل لك في قدح آخر ؟
 - كلا شكرا . هذا قدحي الثاني . لقد تناولت الغداء نوا .
 وعاد الى طاولتها وهو يحمل قدح البيرة ، وسحب كرسيها الى جوارها . وقال :
 - احسن الحظ لم يأت رجال الشرطة معي هنا . وصلوا بعدي بحوالي ساعة .
 - هل وجدوا اوستن ؟
 - نعم . ولكن الامور على ما يرام . لا تجزعي ، اعتقد انه لن يحدث شيء .
 وجال بنظرها حوايلها في الصالة ثم سألت هامسة :
 - هل اوستن هو ... ؟
 فقال بلا مبالاة :
 - سأحدثك عن الموضوع في الخارج . هل انت على استعداد للخروج ؟
 فهزت رأسها . فرفع قدح البيرة واحتسى جرعة كبيرة وكاد ان

يفرغ القدرح . وسألت :

— اين اوسنن الان ؟

— في طريقه الى سكوتلانديارد . للاستجواب .

— هل لديهم امر بذلك ؟

— كلا . ولا اعتقد انهم سحصلون عليه . لقد اتفقت معه على العشاء الليلة .

ورسفت من شرابها . كانت يداها ترتعنان قليلا . وقال :

— لا تقلقى . لعله واحد من خمسين مشبوها تم استجوابهم اليوم وهذا لا يعني تبثا .

لاحت هذه الكلمات كأنها ادخلت الاطمئنان الى نفسها . وانهى بيرنه ونهض وقال رجل البار : طاب مساؤكما ، بينما كانا يغادران .

— اين اوقفت سيارتك ؟

— هناك فى ساحة وقوف السيارات .

ولم ينبس احد منهما بكلمة الى ان تركت السيارة شارع ليندزهد ودلقت في طريق اسوم . وقال :

— ذكريني بالانصال بكارولين عند وصولنا . من المفروض ان التقي بها الليلة على العشاء .

وتجاهلت سؤاله وراحت تحديق امامها خلال زجاج النافذة . ثم سألت :

— ماذا حدث لاوسن ؟

وأدرك ، لأول مرة ، بانه لم يقرر بعد ما الذي سيقوله لها . ودفعته رغبة فطرية فى حمايتها لان يقول لها :

— سيكون بخير . انه فى ورطة ، ولكنها ليست وخيمة . .

— ولكن . . . هل يعرف عن ؟

— حوادث القتل ؟ لم يذكر لي ذلك بصورة خاصة . اعتقد انه كان يخشى ان يزوج بى فى المسألة ، لاجلي . ولكنى اظنه يعرف ما يكفي لزوجيه فى متاعب ، بصفته شريكا . . .

— اذن فهو ليس . . .

— كلا . انه ليس القاتل .

— اوافق انت ؟

— واثق تماما .

— شكرا لله .

واتر فيه الارتياح الذي احسست به ، وجعله يشعر بالاثم . فانطلقت

ضاحكة وهي تميل الى الامام . فانحرفت السيارة نم استقامت . وقالت:
- لا يمكنك ان تدرك فظاعة الكابوس الذي جثم على صدري طوال
الساعتين الماضيتين .
فقال بشيء من التعاطف :
- ادرك ذلك ، ايها العزيزة .
- ولكني علمت ان في الامر خطأ . اعلم ان اوستن ينتابه الحمق
احيانا ... ولكنه لن يستطيع ابدا ان يفعل ذلك .
- ان عوائل اكثر القتلة يفكرون بهذه الطريقة ، اندرين .
- ولكنه ليس قاتلا . انت قلت ..
- كلا . ليس هو القاتل . ولكنه قد يقع في مشكلة كبيرة .
- ولكن لماذا ؟ وبالتأكيد لا يبدو عليهم الاهتمام بانسان غيره ؟
- بل انهم مهتمون . لقد قلبت اجراءات التحقيق هذا العالم السفلي
راسا على عقب . لقد اناروا كل القذارة التي تكمن هناك .
- ولكن ماذا فعل هو بالضبط ؟ لا يمكن ان يكون فعل نسيئا خطيرا؟
ويمكن لوالده ان يكلف محامين ..
- آمل الا يصل الامر الى ذلك الحد . لو كان على جانب من العقل
لغادر انكثره فترة ستة اشهر . اسمعي ، عزيزتي ، هل يمكنك التوقف
عند دائرة بريد ابسوم ؟ الافضل ان ابعث ببرقية الى كارولين . اتعرفين
عنوان منزلها ؟

* * *

وقالت المرأة الاسكوتلاندية :
- انه نائم الان . هل يمكنك المجيء في الساعة السادسة ؟
فقال سورم :
ان الامر مستعجل . نسيء سيهمه ان يعرف عنه حالا . قد تكون
مسألة حياة او موت .
- آسفة . لا يمكنني ازعاجه عندما يكون نائما .
وكبح في نفسه الفيظ الذي انار رغبته في ان يدفعها بالقوة عن
طريقه . واقبل القسيس الهنغاري من خلف الطاق ، وقال بأدب :
- المصدرة .
فقال سورم :
- اسمع ، ايها الاب . ينبغي ان ارى الاب كارائز . ان الامر مستعجل
فتقل القسيس بصره من سورم الى المرأة الاسكوتلاندية ، ولاح عليه

الاحراج والتردد . وسأل :

– وهو نائم الآن ؟

فقال المرأة :

– ولا يريد ان يزعجه احد .

وسأل الاب راكوسي بقلق :

– هل الامر مهم ؟

فعاد سووم خطوتين الى الوراء واقرب من القسيس وقال بصوت

منخفض :

– تتعلق المسألة بجرائم واينسابل . وقد طلب الي ان اخبره حالا عن

كل ما يستجد من امر .

ونظر القسيس الى المرأة ، ثم قال باعتذار :

– اعتقد بجب ان تنظر في الداخل . ساذهب لارى ان كان مستيقظا .

واستندارت المرأة دون ان تنفوه بكلمة اخرى ، ومضت في سبيلها .

وتبع سووم القسيس الى داخل البناية المظلمة حيث تنتشر رائحة التنظيف

والمسح . وقال القسيس :

– انظر هنا لطفا .

ووقف سووم الى جوار النافذة ذات الزجاج المعتم وهو يتفوه بكلمات

الشتيم بصوت غير مسموع للمرأة الاسكوتلاندية . لم يكن رفضها الذي

اغاظه ، ولكن موقفها العدائي ورغبتها في عرقلة . وفكر : كيف تتجسرا

ان نقف منى موقفا عدائيا، الكلبة ؟ هل هذا ايضا شكل من اشكال السادية؟

وطرب لهذه الفكرة ، وجلس على الكرسي وطفق يتأمل فيها، السادية

هي ابقاع الالم . هل التفاهة العملية الى من هذا النوع، ضرب من السادية؟

اختيار البلادة بدلا من الدكاء ؟ ولكن كيف افهم سادية اوسنس ؟ الحب

المعكوس ...

وعاد القسيس وقال على عجل :

– انه مسيقظ .

والتفت ومضى الى الغرفة المجاورة . وصعد سووم السلم مسرعا

وسار في الدهليز وهو يكاد يتوقع ان تعرض طريقه المرأة الاسكوتلاندية.

كان باب غرفة القسيس مفتوحا قليلا ، فنقر عليه بقفا اصابعه ودخل .

كان الاب كاراسر يجلس في فراشه ، وكان الغطاء الصوفي يلتف

حول كفيه . وكان وجهه يلوح مجهدا زائغ البصر . كانت الغرفة اكتسرت

برودة من المألوف والنافذة مفتوحة .

- هلو ، ايها الاب .
- فقال القسيس :
- ماذا وقع من الاحداث .
- فاغلق سورم الباب بعناية وجلس على حافة السرير . وقال :
- اخدوا اوستن الى مركز الشرطة للاستجواب . وقعت حادثة قتل اخرى الليلة الماضية .
- سمعت عن الجريمة . ماذا يريدون من اوستن ؟
- واعندل في جلسنه ، وسحب جسده في وضعية اكبر راحة . ومال سورم الى الامام وامسك بالوسادة لئلا تسقط حتى استطاع القسيس ان يعدل جلسته . وقال :
- يشتبهون بقيامه بجرائم القتل .
- هل تحدثت اليه ؟
- اجل ، ايها الاب . كنت هناك عندما اقبل رجال الشرطة .
- هل تعتقد بانه يحتمل ان يكون مذنباً .
- وتردد سورم . ولاح القسيس ، وهو لم يزل يفرك عينيه ليزيل اثار النعاس ، تعباً مسناً لا يقوى على تحمل نأ مؤلم . وفيما كان سورم ينتظر ، شد القسيس الاغطية الى كتفيه وغاص بين الوسائد . وقال :
- افهم من ترددك بانه مذنب .
- فقال سورم :
- اجل ايها الاب .
- يؤسفني ذلك .
- وقبل ان يسأنف الكلام ، طرق احدهم الباب . كانت المرأة الاسكوتلاندية . وقالت ، دون ان تنظر الى سورم :
- ايها الاب ، هنالك سيد اخر يريد مقابلتك . انه الطبيب الالماني .
- ونظر القسيس الى سورم :
- اتود ان تراه ؟
- فقال سورم :
- لا يهمني ذلك ايها الاب . يمكنني ان اذهب .
- هـلا بعثته ؟
- واغلقت المرأة الباب بهدوء وقال سورم :
- انها مصادفة غريبة ...
- لست ملزماً بالكلام معه .

- ليس لدي ما اخفيه ايها الاب . ولكن ... لا تذكر امر اوستن ،
هنا ؟
- كلا . ولكنك ان كنت واتقا بان اوستن مذنب ، فليس هنالك ما
يمكن ان يفعله احدنا .
- اعلم ايها الاب . ان هذا اعترافه هو . ولست عازما على ان ابوح
لسواك بانه مذنب .
- واذا كان للشرطة دليل . . ؟
- ليس لديهم اي دليل .
فقال القسيس :
- هذا ما سنتحقق منه سريعا .
- وبينما هو يتكلم ، دخل شتاين الغرفة . كان يلوح نشطا معافى ،
والظلة تتأرجح في يده . ولم تبد عليه الدهشة لرؤية سورم ، ولكنه
ابتسم ببساطة وهز راسه . وألقى بمظلته على احد الكراسي وخلع
معطفه وهو يقول :
- كيف حالك ، يا لاري ؟ تبدو بخير . وانت يا مستر سورم، يسرني
ان اراك هنا .
- وقال القسيس :
- ليس الوقت مناسباً للزيارة ، يا فرانز .
- اعلم . لم اكن احلم بأن اقلقك . . ولكني رايت صديقنا الشاب
يدخل . كنت خلف الطاق عندما جاء . اريد ان اتحدث اليه . طالما هو عندك .
- وبال سورم :
- كيف علمت اني جئت ؟
- فقال شتاين :
- لم اعلم .
- وقال القسيس لسورم :
- هلا اغلقت النافذة ، رجاء ؟ وضع المزيد من الفحم على النار .
وذهب نحو النافذة طائعا . وقال القسيس :
- لماذا تريد ان تتحدث الى سورم في حضوري ، يا فرانز ؟
- فقال شتاين :
- اظنه يفهم .
- ونظر سورم الى وجهه عندما كان ينحني على السطل الذي يحتوي

على الفحم ، كانت دلائل اجهاد اليوم الماضي قد تلاشت ، وبدا هادئا وانقا
من نفسه . وقال سورم :

— لو شرحت مرارك ايها الدكتور .

— حسنا . انك تعلم بان صديقك اوسنن الان فى سكوتلانديارد ؟
— نعم .

— وانك تعلم ايضا بانه ربما سيبقى في سكوتلانديارد الى ان يذهب
الى السجن ؟ واعاد سورم كلابة الفحم الى مكانها ، وسأل :

— لماذا ؟

ومال نسبنا الى الامام ، وقال بكلمات متروية :

— انك تعلم لماذا . لانه الشخص الذي تبحث عنه الشرطة بصدد
جرائم واينسابل .

وجلس سورم نائمة . وقال :

— اوافق انت ؟

والقى شتاين نظرة عجل على الفيسيس ، كانه يسك فى انه يؤيد
سورم في هذه الخدعة . وقال :

— انا جد واثق . واعتقد بانك واثق ايضا .

وقرر سورم ان يمضي في الخدعة ، وحدث في عيني شتاين وقال :

— ان الذي لا اهمه هو : لماذا تخبرني عن الامر ؟ ماذا يمكنني ان افعل .

اما شتاين فاستمر محملا ، فاضحت عيناه نفاذتين مخيفتين .

— كنت معه صباح هذا اليوم ؟

— نعم .

واحس سورم بالاسرخاء واللامبالاة ، وترك امر توجيه دفعة الحديث
الى شتاين ، وهو غير راغب في التعاون . وقد احس شتاين ولا شك بذلك
في موقفه الهادئ . وقال بنفاد صبر :

— اظنك لا تدرك خطورة موقفك .

فهز سورم كتفيه وقال :

— ما هو ، بالله ، موقفي ؟

— سأخبرك . هنالك رجل يدعى اوسنن نن ، وقد ورت ميولا سادية
من والده . وقد ارسل لرؤية طبيب نفساني ، فكتب هذا الطبيب عمن
حالته وتطورها وبعد سنة من ذلك اشنبه فيه بقتل شاب في هامبورغ .
ثم عاد الى انكلرا واصبح معروفا في اوساط معينة بانه رجل ذو اذواق
خاصة غريبة . واخيرا ، يقوم بقتل عدد من مومسات القطاع السرقى .

وتتقلص المدة بين حادثة واخرى . وقبل اسبوع من اهتمام الشرطة به
اهتماما سافرا ينسى صداقة معك ويتدله بك . انت لست نزاما الى
الجنس المسابه ، فتقوده خبته الى اقتراف المزيد من جرائم القتل . هل
اوضحت الموقف لك ؟

فقال سورم بهدوء :

— تماما . فاذا كان اوسن القاتل، فهل انا مسؤول بصورة غير مباشرة؟
وهز شتاين رأسه .

— انا لا اقول بانك المسؤول ، بصورة مباشرة او غير مباشرة . ما
اقوله هو انه يمكنك معاونة الشرطة ان اردت .
— كيف ؟

— حدثهم بالتفصيل عن اتصالاتك به خلال الاسبوع الماضي .

فقال سورم وهو يهز كتفيه :

— سأفعل ذلك بكل سرور . ولكنهم لن يجدوا شيئا ذا اهمية .
وقبل كل شيء ، فاطن بانك مخطيء في اعتقادك بان اوسن متدله بي .
كان يميل الى اتخاذ قسيس اعتراف . ولكن ما اعترفه الي لم يكن عن
جرائم قتل .

— كلا ؟ ما الذي اعترف به اذن ؟

— بعض الهراء عن احساسه بالضجر واللاجدوى والتفاهة وغيرها .
وثانيا ، اذا كانت ميوله الجنسية شريرة جدا ، فقد احتاط الا يوح لى
بها . ان الانطباع الذي كونته هو ميله للتبجح حول اشياء كثيرة . . اشياء
تتعلق بحياته الجنسية . ولكنه مع هذا يعلم بانى لا اشاركه ميوله . وربما
لا يريد ان يفرضها علي .

وقال شتاين :

— ولكنك تتفق معي في انه من المحتمل جدا ان يكون هو القاتل ؟
— لا . . . لا اريد ان انكر الامر . ولكني لا اعتقد انه محتمل جدا .
— ومع ذلك عندما بدأت بالدفاع عن قاتل يوم امس . .

فقاطعه القسيس فجأة :

— فرانز ، اليس الافضل ان تذهب بجيرارد الى غرفة اخرى لتوجيه
هذه الاسئلة اليه ؟ لا يمكنني ان اساعد في شيء ، كما لا اريد ان ارج
بنفسي في هذه القضية .

فقال شتاين ، باهتمام :

— اعتذر اذا كنا نتعبك ، يا لاري ، ولكننا . .

وقاطعه القسيس :

— انك لا تتعني . ولكني اعتقد انك تريدني ان اكون شاهدا ، ولا اريد انا ان اكون شاهدا . ان سني اكبر من ان تتيح لي الظهور في قاعات المحاكم ، كما لا اريد ان ياتي رجال الشرطة لآخذ افادتي .

فقال شتاين بادب :

— انا آسف ، يا لاري . ولكنك مخطيء . لن اسالك ان تكون شاهدا اريد ان تؤيدني . ان صديقك يعيرك اذانا صاغية .

وقال القسيس :

— انا لا افهم . .

وقال شتاين بجد :

— دعني اوضح . اعتقد ان المسنر سورم هنا يعلم بان اوستن ن هو الرجل الذي نبحث عنه . واعتقد بان الشكوك قد ساورته بهذا الشأن منذ ايام . واعتقد بانه يسعر بانه مدين بالاخلاص لصديقه فراح يختلق الاعذار لتبرير القتل . اريدك ان تخبره : لا اعدار في جريمة قتل . .

فقال القسيس بملل :

— انا لا افهم . تقول ان الشرطة واثقة من ان اوستن هو القاتل . ففي هذه الحالة انه من شأنهم ان يبحثوا عن الادلة او يستخلصوا اعترافا منه . وحتى اذا كان اوستن قد اعترف بصراحة لجيرارد ، لا اجد فائدة من ذلك في المحكمة . ستكون شهادة غير مدعومة . واذا استطاع جيرارد مساعدتك ، واراد ذلك ، فخير على خير . ولكن لا تطلب مني التدخل .

فقال سورم :

— اسمع ، دكتور شتاين ، دعني اشرح ما احس به . اذا كان اوستن مدنبا ، فلا اريد ان اهيء السبيل لادانته ، واذا كان بريئا فلا اريد مساعدته في الهروب . لا اجد مبررا لزجي انا في المسألة كلها .

وقال شتاين ، وهو ينسبر باصبعه الى سورم :

— انت لا تريد ان تزج بنفسك في المسألة ! ولنفرض ان خلي سبيل ن غدا — فماذا تعتقد انه سيحدث ؟ انه سيعود الى القتل .

وقال سورم :

— ولكنك تفترض انه القاتل .

— انك لتعلم بانه القاتل .

— طيب . لنفرض جدلا انه القاتل . فلم يعود الى القتل ثانية ؟ اذ سيكون اول من يستبه به في اية جريمة جنسية تقترب في لندن خلال

السنوات العشر القادمة . سيسعر بانه تحت المراقبة الدائمة . فهل تعتقد بانه سيعود الى القتل تحت هذه الظروف ؟ .
 وابتسم شتاين ابتسامة خفيفة ، ومال الى الوراء . لقد ابتدا يحس بان الحديث اخذ يسير نحو هدف معلوم .
 - حسنا . انك على حق . ستراقبه الشرطة ليلا ونهارا ، بحثا عن الادلة . وربما سيفادر التطر . وحيثما يذهب ، ستعلم الشرطة كل شيء عنه . انه في الواقع رجل لا يستقر في مكان واحد قط . وعاجلا او اجلا سيقترف جريمة قتل ، ذلك امر محتوم - توتر عصبي ، خوف ، شعور بالاضطهاد . فاذا ما اقترف جريمة قتل اخرى ، انك انت المسؤول . فكر في الامر مليا . انه صديقك . ولكنه قاتل ايضا . ولو ادانته المحكمة ، فلربما اعتبرته مجنونا وارسلته الى مستشفى المجانين المجرمين . اما اذا اخلت سبيله ، فسيواجه عدوين امامه - الاول رغبته الشديدة في القتل والثاني شعوره بانه تحت المراقبة الدائمة . افليس الافضل له ان يكون في مستشفى المجاذيب ؟

كان شتاين يتكلم بطريقة مقنعة . وكان سورم يدرك بان شتاين كان يستخدم كل ما في وسعه من قوة الشخصية للتأثير عليه . فاخلد يحس بالندم للدخول في النقاش . كان من العسير عليه الا يقتنع . فاشاح بوجهه ، عالما ان التردد كان واضحا في محياه . فhez كفيه وقال كمن يشك :
 - لست أدري .

وابتسم شتاين فجأة :

- الا تدعني اريك شيئا ؟

فرمقه سورم بنظرة .

- ماذا ؟

- لن يطول بنا الامر .

ونظر سورم الى القسيس . كانت عيناه مغمضتين ، وكان يلوح

نائما . كان وجهه الابيض قد انسحب عن الموقف . وقال سورم :

- طيب . اين هو ؟

فنهض شتاين .

- انتظر هنا لحظة ، رجاء . لدي مخابرة تلفونية اولا . ثم يمكننا

ان نذهب معا .

وخرج من الغرفة . وظل سورم يحرق في الباب ، لعل شتاين كان

يقف خارجا يسرق السم . وبعد هنيهة ، اتجه نحو الباب وفتحه بهدوء .

لم ير احدا في الرواق .
وعندما نفت وراءه الفئ القسيس ينظر اليه . فابتسم ابتسامة
نم عن الضيق وقال :

- انا لا اتق به تماما ايها الاب .
- انه رجل مستقيم .
- صحيح ؟ ماذا ، تعتقد ، يريد ان يريني ؟
- ربما الجبة . لست ادري .
- لا ؟

ونار في معدته واطرافه شعور غريب . وجلس على الكرسي الذي
اخلاه شتاتين . وقال :

- يؤسفني ان ادفعك الى هذا الموقف ، ايها الاب .
- المشكلة مسكلتك يا جيرارد .
- ولكن - اترى ما احس به ؟ لا يمكنني ان اخون اوستن مهما فعل ،
- حتى اذا كان ما قاله شتاتين صحيحا - من ان الافضل لاوستن ان يدخل
- برودمور - مستشفى المجاذيب ..
- تشعر بانك مدين اليه بالاخلاص ؟

- كلا . ليس هذا ، ايها الاب . تحدثت اليه هذا الصباح . انه ليس
معتوها . انه لا يختلف عني - له مشاكل تحتاج الى كل جهده ليتغلب
عليها . انه رجل حر ، ايها الاب . اني لم افقه قط معنى الحرية الا خلال
هذا الاسبوع المنصرم . اتلاحظ ايها الاب ، اني على يقين من شيء واحد،
وهو ان اوستن فعل ما فعل لحاجته الى الحرية . لقد اخبرني هذا الصباح
بانه يعتقد بانه يسوق حياته بطريقة لا شعورية نحو حالة من التآزم .
اسمعت ما قاله شتاتين ؟ لقد ورث السادية عن ابيه ولا يعلم الا الله ماذا
ورث بالاضافة لذلك . لقد عاش حياة جعلت منه انسانا مضطرب الاعصاب
انه يحس كانه في سجن وبان لديه الشجاعة الكافية ليفعل شيئا مهما
كان يائسا لتحطيم جدرانها . اعلم بان القتل خطأ - ولكن قضى الامر الان .
لقد اصبحت جرائمه حدتا ماضيا . فلو افلت هذه المرة فسيكون ادراكه
للحرية ادراكا اشمل . الا ترى ؟ انه يخوض حربا ضد نفسه وحربا اخرى
ضد المجتمع . فلم علي ان اتخذ جانب المجتمع ؟ لقد اشفقت على المجتمع
اكثر مما ينبغي .

فقال القسيس :

- لعلك مصيب في قولك ، يا جيرارد . ولكن لا تحاول اكثر ممما

ينبغي ان تجد في اوستن صنوا لك .
 - هذا بالضبط ما اعنيه ، ايها الاب . ان في امكاني ان اجد فيسه
 صنوا لي . ستكون القضاة الذين سيحكمون بادانته قد اساؤوا الفهم .
 عليهم ان يدينوه ، لان المجتمع يجب ان يسير بطريقة من الطرق . ولكني
 لا استطيع ان اتعاون معهم . ان شتايين هذا انسان له قابلية على الاقتناع،
 وطريقة جدلة تبدو سليمة . ولكن بيلاطيوس كان كذلك ايضا . انه ينتمي
 الى هذا العالم . وهو لا يفهم ..
 فقال القسيس بصوت خافت :
 - كن على حذر ، يا جيرارد .
 - لماذا ، ايها الاب .
 - انك تظن بان اوستن مجبول من الطينة التي جبل منها القديسون
 والشهداء هذا الهوس المقدس . قد تكون مخطئا . قد يتضح انه مجرد ..
 وانفتح الباب ودخل شتايين الغرفة وقال :
 - آسف . كان علي ان اطرق الباب . هل قاطعتكما ؟
 فقال القسيس :
 - كلا . تفضل يا فرانز .
 وقال شتايين :
 - اذا كان المستر سورم على استعداد ، فلن نقلق راحتك بعد .
 فنهض سورم :
 - انا حاضر .
 وقال شتايين :
 - ربما اراك فيما بعد ، يا لاري . حاول ان تأخذ قسطا من النوم .
 - اشكرك يا فرانز . ويا جيرارد ... ان اردت العودة ، ساكون
 مسرورا برؤيتك .
 - شكرا ايها الاب .
 - وداعا يا لاري . ربما اعود .

وفي السيارة ، ظل شتايين ينظر خلال النافذة دون ان يتكلم . وسال
 شتايين اخيرا :
 - ماذا يجعلك على يقين من ان اوستن هو الرجل الذي تبحث عنه ؟
 فالتفت شتايين اليه مبتسما :
 - التقرير .

— تعني تقرير الطبيب النفساني ؟

— نعم .

— ماذا قال التقرير ؟

— أشياء كثيرة . هذه احداها : عندما كان اوستن في الثالثة عشرة من العمر طرد من المدرسة لانه كان رئيس عصاة في حادثة تهديد واقلاق احد الصبية مما ادى الى وفاته . لم يكن هو المسؤول المباشر — اذ ان الصبي مات بمرض ذات السحايا الدماغية — ولكن اوستن كان مذنباً مع هذا . وبعد ذلك مباشرة ، طراً على اوستن تحول ديني ، فوسل الى ذويه ان يرسلوه الى دير كطالب مستجد . فرفض والداه ذلك ، ولكنهما عينا له احد القساوسة ليرشده .

وكان شتاين متكئاً الى الخلف، وهو يرمق سورم بنظرة من تحت حاجبيه الكتين . وكانت عتمة السيارة من الداخل قد ابرزت وجهه كأنه كان منحوتا من الصخر . وقال سورم بتردد :

— لست افهم تماماً .

— كلا ؟ لعلك ستفهم هذه الحادثة اذن . بعد مقتل شاب يدعى غرانز كان يتعاطى الامور الجنسية في هامبورغ في احد المنازل دخل اوستن ديسرا في مقاطعة الالراس ، حيث مكث حوالي ثلاثة شهور . وفي نهاية تلك الفترة ، اشتعلت النيران في احدى كومات القش المجاورة ، وكان اوستن من بيمن الذين هرعوا لخدمها . وترك الدير في اليوم التالي وعاد الى انكلترا .

— لا . . . لا افهم ما علاقة كومة القش بذلك .

— كلا ؟ كان بيتر كورتن مصاباً بجنون الحريق . كان مولعاً باشعال النار في الاشياء — وبالاخص في كومات القش . ان مشهد النار يعمل على اثارة مشاعر الساديين في اكثر الاحيان .

— تريد ان تثبت لي . . . بأن اوستن به نوع من انفصام الشخصية يتنقل بين القتل والدين ؟

— اظن هذا ممكناً .

— وماذا قال التقرير بالاضافة لذلك ؟

— لا شيء مما يثير اهتمامك .

— هراء عن عقدة التعلق بالام ؟

— اجبل عقدة التعلق بالام .

وتوقفت سيارة التاكسي عند انوار المرور خارج مركز شرطة الدفيت ايسست ستيشن . وقال سورم :

— هل نحن في طريقنا الى مركز الشرطة ؟

— كلا ، الى مستشفى لندن .

— لماذا ؟

فقال شتاين :

— اريدك ان ترى المرأة التي قتلت في الليلة الماضية .

— لماذا ؟

— كي تفهم خطورة السيء الذي تفرضه الطرف عنه .

وفتح سورم فاه ليتكلم ، ولكنه ما لبث ان غير رايه . وعندما مرت السيارة امام اكنسك السوق في طرف شارع فالانس ، لمح سورم غلاشب يقتني شيئاً ويضعه في كيس من الورق . والتفت وظل يحدق من خلال زجاج النافذة الخلفية الازرق ، ولكن سيارة اخرى اعترضت نظره . وحسب انه رأى فتاة صغيرة تقف الى جواره . وبعد قليل توقفت السيارة خارج محطة قطار نفق وايتشابل . فترجل شتاين ونقد السائق . ووقف سورم على الرصيف ومد عنقه ليحظى بلمحة اخرى من غلاشب . وقال شتاين :

— هل نذهب ؟

فقال سورم معتذرا :

— ظننت اني لمحت احد الاصدقاء . . .

وعبرا الطريق برفقة حشد من المارة . واحس سورم بالبرد يجتاح صدره وينفذ الى معدته . ولما رأى الثقة التي يظهرها شتاين في مشيته ، هيا نفسه لصدمة عنيفة تخلق هدوءه . وتصور في مخيلته وجها منتفخا وشفتين مسودتين ولقاعة تشد على الرقبة . كانت هذه صورة فوتوغرافية رآهها في كتاب نن عن الطب العدلي . واحس ، وهو يسير الى جنب شتاين في ساحة المستشفى ، بشيء من الاشمئزاز كان من العسير عليه ان يقمعه . وكان قلبه يخفق بطريقة كريهة ، فيجعل الاشمئزاز يسري من حنجرته وشحمته اذنيه .

وكان يقف عند اسفل السلم المصبوب من الاسمنت فرد من رجال الشرطة في ملابسه الرسمية ، وابتسم لشتاين وحياء . وقد لاحظت تعينه في غير محلها ، كعبارة الجلال عندما يقول : « أرجو ان يكون كل شيء قد انتهى بصورة مرضية ، يا سيدي ؟ » وتقدمه شتاين خلال الباب الاخضر وظل ممسكا به حتى دخل سورم . واستقبلته رائحة الايودوفورم المألوفة واشاعت الراحة في نفسه . وسمع سورم صوت شتاين يقول :

— لماذا جلبوها الى هنا ؟

— يريد الطبيب ان يقوم بفحص دقيق . مخزن الجثث التابع للشرطة بعيد جدا .

كانت الغرفة خالية ، وكانت المريولات البيضاء تتدلى من مسامير في الجدران . وكانت هنالك دكتان من الحجر ، كلتاهما مغطاة بقماش ابيض يبرز انحناءات اجساد بشرية . ولم يضيع شتاين وقته في الاهتمام بجسو الغرفة المسرحي ، فازاح الغطاء عن اقرب الدكتين وقال :
— اريد منك ان تنظر الى هذه .

واقترب سورم لينظر . وتلاشت صعقة الرعب على الفور ، الصعقة التي اورثه اياها منظر الشعر المتجمدة عليه كتل الدماء . لم يكن مخلوقا ادميا ذلك الشيء الملقى على الدكة . انه لم يشعر سوى بشيء من الاشمزاز الذي قرص معدته للرائحة التي كانت تذكره بذكره الجزار . واحس بالحاجة للكلام ، فقال :

— هذا ما ينسبر اليه الاطباء « بالرفات » .

ولم يكن ثمة شبه بين الجثة وبين انسانية حية . كانت لا تمت الى الحياة بصلة ، كانها تمثال لم يتم ملقى في ستوديو النحات ، او وجه مومياء في احد التوابيت الحجرية القابعة في المتحف البريطاني . لقد اتلفت الجروح اي اثر للتعبير . كان في امكان سورم ان يضع جدولا موضوعيا دقيقا بتفاصيل الجثة كالجدول الذي يضعه الطبيب الذي يفحص الجثة بعد الموت ، ولكنه كان من المحال عليه ان يقفز بخياله فيتصور انسانا يفعل كل هذا بكيان حي . كان الموت قد تغفل في الجثة الى حد بعيد ، حتى لم يعد يتصور انها كانت حية يوما ما . وبعد ان تفرس في الجثة مدة نصف دقيقة كان معناها قد تلاشى تماما . وراح بدلا من ذلك يحرق في الغطاء البلاستيكي الذي يفصل الرفات عن الغطاء الابيض فيحميه من لطخات الدم .

وقال شتاين :

— كيف تشعر ؟

— لست افهم . كيف المفروض في ان اشعر ؟

فقال شتاين بهدوء :

— في هذه الساعة من يوم امس كان من المحتمل ان تلتقي بهذه الفتاة في الشارع .

ونظر سورم الى الجسد المتفسخ وقال :

— اعلم انك على حق . ولكنني لا استطيع تصديق ذلك .

ورفع نظره ، فالتفت عيناه بنظرات شتاين ، فالفاها تنم عن الخيبة . وقال :

— أعلم ماذا تريد أن تقول . هنالك فرق شاسع بين اقرار الجريمة من الناحية النظرية وبين فعل القتل الحقيقي . أعلم هذا ، ولكن ما الفرق ؟
كان على وشك أن يقول : « ما الفرق بين أن أقر جرائم أوستن أو لا أقرها ؟ » ولكنه توقف . وبدلاً من ذلك ، أشار إلى الدكة الأخرى وقال :

— وماذا هناك ؟

فقال شتاين باقتضاب :

— امرأة .

— هل يمكنني رؤيتها ؟

ودون أن ينتظر سورم الموافقة ، رفع الغطاء الذي كان يغطي الجزء العلوي من جسدها . كان يرتاب في أن هناك مخبر شرطة يدون حديثهما . وصعقه مشهد الوجه المحروق . وسأل :

— ماذا حدث له . . . لها ؟

لقد اصلحت خطاه رؤية النديين . كانا كما لو نحتا من العاج .

وقال شتاين :

— ماتت حرقاً . قذف عليها زوجها مصباحاً نفطياً .

— لماذا ؟

فهز شتاين كتفيه :

— لست أعلم لماذا نشأ بينهما عراك . ربما كان ثملاً .

— من هي ؟

— لست أدري . لقد سمعت فقط ما حكوه عنها عندما جيء بها صباح اليوم . امرأة منزوجة ولها ثلاثة أطفال .

— كم تبلغ من العمر ؟

— في أواسط العقد الثالث . اسمح لي لحظة ، سأعود .

وسره أن يبقى لوحده . لم يورثه منظر الجثة أي شعور بالاشمئزاز أو الفزع ، وإنما أورثه أدراكاً لانسانيتها . وازاح الغطاء عن الجثة بأكملها ومضى يتأمل فيها . كان جسد امرأة شابة ، يصرخ الشباب منه . كانت البقع غير المتفحمة تماماً لم تزل حية . وكانت هناك نتف من الملابس ما زالت عالقة بساقيها وذراعيها . وجذبته إليها شعور بالسفقة والقربى . كان من الممكن أن تكون جيرترود كوينسي أو كارولين . لقد كان هذا الجسد موضع غول وتدليل ، ولقد حمل هذا الجسد يوماً أطفالاً . واحس بميل عنيف إلى النفوذ إلى أسرارها . لماذا ماتت ؟ ومن كانت ؟ كان موتها عبثاً . كيف تنتهي خمسة وعشرون عاماً تقضيها كإنسانة إلى دكة الجثث ، ويتحول

نديها وبطنها الناعمة الى نموذج من الفحم للاصل الحي ؟ كان لبطنها وفخذيها شكل جميل . حتى انه لو كان رآها حية وهي نائمة لاحس بالشهوة تتحرك فيه . ولكن انعدام الشهوة الان يقف رمزا لسخافة موتها .

وعاد شتاين الى الغرفة . ووقف الى جوار سورم تم اعاد الغطاء فوق الجثة . وقال سورم :

— انك لرومانتيكي .

واصلح وضع الغطاء فوق الدكة الاخرى . وتبعه سورم الى الباب . وقبل ان يهم بفتحه ، قال شتاين :

— فكر في الامر . ايها اهم ، الاخلاص ، ام ... ذلك ؟

فقال سورم ووجهه متجههم :

— اتفق معك . ولكن ... ليس هنالك ما يمكنني فعله .

كانت عينا شتاين المتصلبتان كقطعتي جليد تحاولان ان تنفذا داخل عينيه فتستخلصان منهما اعترافا . وقال :

— ان اردت ، يمكن ان تفعل الكثير .

فهز سورم كتفيه وقال :

— ان اردت .

وقال شتاين ببرود :

— ماذا تعني ؟

فقال سورم :

— هل تجيبني عن سؤال واحد ، ايها الطبيب ؟

— نعم ؟

— هل كنت تؤيد هتلر ايام الحرب ؟

كان السؤال مفاجئا لشتاين ، فزاغت عيناه قليلا ثم عادتا الى وضعهما وقال :

— نعم . كبقية السبعين مليونا الاخرين من الالمان .

فقال سورم :

— ولكنك كنت 'عضوا في الحزب . وكنت طبيبا ايضا . ولا شك انك كنت على علم بما كان يحدث في امكنة مثل اوشفيتس وبيلسن .

وحل الفيظ محل الدهشة ، ولكنه كظمه حالا وقال بجفاء :

— لا افهم ماذا تحاول ان تبين .

— اصحيح انك لا تفهم ايها الطبيب ؟

— هل تعني اني اذا كنت غضضت النظر عن جرائم هتلر ، يجب ان اغض النظر الان عن جرائم اوستن ؟

— كلا . ولكني لا افهم لم تنظر اليهما على انهما امران مختلفان السي
هذا الحد .

فقال شتاين بشيء من القضاة :

— لبس صحيحا اني غضضت النظر عن جرائم بيلسن واوشفيتس .
كنا نسمع الاشاعات عنها — كما سمع عنها كثير من الالمان . ولكننا كنا نفضل
الا نصدقها . على كل حال ، لم يكن في وسعنا ان نفعل شيئا . وبالرغم من
ذلك ، فان جرائم هتلر وجرائم اوستن مختلفة فعلا . كان هتلر سياسيا
يبحث عن متل . وربما كان هو على خطأ ، ولكنه لم يكن ساديا . كانت المانيا
النازية تقتل القتلة الجنسيين كما تفعل انكلترا .

— ولكن لماذا تريد ان تقبض على مجرم وايتسابل ؟

— لاني اشعر بالمسؤولية تجاه المجتمع . تذكر هذا : حتى ان هتلر
نفسه كان يعتقد بانه كان يخدم البشرية بالقضاء على اليهود . بينما يقترب
مجرم وايتسابل جرائم القتل ارضاء لشهوته الدائية . انه يعلم بانه لا يخدم
غير نفسه .

فقال سورم بلطف :

— ولكن الضرر الذي يولده اقل كثيرا من الضرر الذي سببه هتلر .
— هذا خارج عن الموضوع .
وقال سورم :

— اذن دعني اوضح نقطتي . اخبرني الاب كارترز بانك انضمت السي
صفوف النازية في عام ١٩٣٩ . لا بد وانك كنت على علم بالوسائل التي كان
هتلر يستخدمها — كل اوروبا عرفتها . ولكنك لم تشعر بانه من واجبك
القبض على هتلر ، او حتى ان تتخلي عن الحزب . ومع ذلك ، تقول لي بانه
اذا كان اوستن هو القاتل فعلي ان اساعد في ادانته ، كمسألة مبدأ . وكل ما
اريد معرفته هو كيف يمكن لمبادئك ان تتجاهل هتلر وتدين اوستن . ان كنت
اسرفت في القول ، فارجو المذرة . ولكني يا للاسف لا استطيع متابعة منطقك .

فقال شتاين بامتعاض :

— ان قولك هذا سخف وليس صحيحا اني غضضت النظر عن
معسكرات الاعتقال . وحتى لو اني فعلت ذلك ، فليس هذا سببا لفض النظر
عن القتل الجنسي .

فقال سورم :

— ربما لاني لا اغض النظر . ربما اني اشعر كما كنت انت تشعر تجاه
وسائل هتلر — اي اني لا اريد ان افعل شيئا وحسب .

فلوى شتاين وجهه وهز كتفيه ، وقال :
- فى هذه الحالة ، آمل ان تكون على استعداد لمواجهة نتائج اتهامك
بالاشتراك فى الجريمة .

وخرج قبل ان يجيب سورم . وتبعه سورم هابطا السلم بعد ان اغلق
الباب خلفه . ولم يأسف لاغاطة شتاين . فقد وفر عليه ذلك المزيد من النقاش .
وفى منتصف الطريق عبر الساحة توقف سورم وتظاهر بالبحث عن
شيء فى جيوبه . وتوقف شتاين عند بوابة المستشفى والنفت الى الخلف ،
فلما وجد سورم على بعد عشر خطوات ورائه ، هز كتفيه ومضى فى سبيله .
ولما غاب شتاين عن النظر اخذ سورم يسير ببطء . وفى شارع وايتشابل ، اخذ
يتطلع فى الجمهور والفى الرجل الالماني امام شباك احد الحوانيت ينتظر .
ولما تحولت أنوار المرور الى اللون الاحمر عبر الشارع مسرعا مع حشد من
المارة ثم اتخذ الاتجاه المعاكس لشتاين ، تم راح يمسي على عجل . وفى منعطف
شارع برادي التفت سورم الى الورا فلم ير شتاين ولكنه لمح بعد قليل
يلوح الى سيارة تاكسي . وظل سورم واقفا يرقبه من عطفة الشارع ، حتى
اتجهت السيارة بشتاين نحو مركز المدينة . تم سار فى شارع برادي ودلف
الى شارع داروارد .

وقرر جرس الباب عدة مرات نم خشي ان يكون الجرس معطلا ، فقرر
الباب بمفاصل اصابعه . وبعد انتظار قليل حاول ان يدفع الباب ، فانطلق
مفتوحا والفى نفسه وجها لوجه امام صاحبة بيت غلاسب . وقالت :
- اه . اهذا انت . انه لم يعد يسكن فى هذا البيت .

فقال سورم :

- ليس هنا .

ثم تذكر انها صماء ، فمال الى الامام وسأل :

- ايسن هو الان ؟

- لا حاجة للصياح . لقد ترك ، لا اعلم ايسن .

- هل ترك عنوانه ؟

- كلا . قال انه سيبعثه .

- وصوره ؟

- ما زالت هناك ؟ فوق . قال بأنه سيأتي لاختها . اعتقد بأنه لا

يريد ان تعرف الشرطة محله .

ثم ادارت ظهرها اليه واغلقت الباب .

ومرت به لحظة ، اجتاحه فيها غضب عنيف لفظاظتها ، ولكنه سيطر

على رغبته في ان يرفس الباب . وبقي في مكانه ، حتى هدأت نفسه ثم رجع بخطواته الى الخلف ورفع نظره الى شباك غرفة غلاسب ، وهو يرتاب في ان يكون غلاسب هو الذي امر صاحبة البيت بان ترده على اعقابيه ولعله يطل الان ببصره ليرى هل قفل سورم عائدا ولكنه لم يجد احدا ، فاستدار ومضى سائرا نحو الدفيت . ولم يتعد بضع خطوات حتى سمع احدا خلفه يقول :

— رجاء ...

والفى نفسه ينظر في وجه فتاة في حوالي الثانية عشرة من العمر. كانت ملفعة بمعطف بني ، وقد احاطت ياقته بذقنها . وقالت :

— هل كنت تبحث عن اوليفر غلاسب ؟

— نعم . اتعلمين اين هو ؟

فهزت رأسها .

— كلا . اردت ان اراه . هل تعتقد بانه قد غادر فعلا ؟

فسألها بفضول :

— هل انت كريستين ؟

فهزت رأسها ، واحمر وجهها . ونظر اليها باهتمام متزايد . كان شعرها قصيرا يلوح كشعر صبي ، ولكن وجهها كان رقيقا جذابا ولا ريب . كان متوردا ، كأنها اقبلت راکضة ، وقد زاد هذا التوردد من جاذبيتها . وكسأت عيناها واسعتين بنيتين في وجهها البيضوي . وقال سورم :

— رايته منذ ساعة في ذلك المنعطف ، فمعناه انه لم يذهب بعيدا .

— ولكن صاحبة البيت تقول انه غادر .

— يبدو الامر محتملا .

— اين ذهب ، حسب ما تظن ؟

— هذا ما لا يمكنني التكهن به .

ولاح الاضطراب في عينيها .

— ما سبب مغادرته ، حسب ظنك ؟

وشعر سورم فجأة بالندم لاجوبته المختصرة .

كان واضحا انها ارتابت في انه يمقتها . وقال :

— اوليفر انسان غريب الاطوار . اعتقد انه كان شديد الغضب والتأثر .

رابته في الصباح ، كان زري الهيئة .

واخفضت عينيها .

— بسببي ؟

— اعتقد ذلك .

ولاحظ رغبته في اكتشاف مدى معرفته . كان وجهها واضح المعالم الى حد محرج ، يعكس انفعالاتها بوضوح تام . وادرك فجأة سبب غضب اوستن عندما تخيل انها قادرة على خداعه . وقالت :

— هل حدثك عنى ؟

— نعم .

ومن الخجل حولت ثقل جسمها من قدم الى اخرى . ولاح لسورم انها كانت مرتدية جوربا قصيرا . ولمح ستائر نافذة فوق رأسها تتحرك : كانت صاحبة البيت الذي كان غلاسب يسكن فيه تطل من النافذة . فقال سورم :

— من اي اتجاه ذاهبة انت ؟

فقالت بلهجة بائسة :

— لا يهم اي اتجاه .

— تعالي نتمش معا .

وانتظمت الى جواره ، وسارا معا نحو المسرح المهدم في الطرف الاخر من الشارع . ولم يتبادلا الكلام طول شارع داروارد . وسألت اخيرا :

— انتظنه سيعود ؟

— لست ادري . امل ان يعود . ولكن ربما بعد وقت طويل .

وتوقفا عند منعطف شارع فالانس . وطاف في عينيها شيء من السخط الخائب وهي تنظر اليه . وقالت :

— ولكنه لا يمكنه ان يرحل على هذه الشاكلة . الا يودعني قبل ان يذهب ؟

فقال سورم باحراج :

— اعتقد انه سيعود .

— ربما . . . ربما يظن انه لا يستطيع ان يراني .

وحاول سورم ان يغذي الامل الذي بزغ في وجهها .

— اعتقد بان هذا هو السبب ، وخاصة وان والدك يعلمان . . .

— ولكن كل شيء على ما يرام الان ! فتحت امي الموضوع مع ابي وحملته على الموافقة على مجيء غلاسب لزيارتنا . قالت انها ستترك البيت ان لم يتوقف عن تعذيبنا جميعا . . .

وتورد وجهها ثانية ، ولكن من فرط الانفعال هذه المرة . ولاحظ انها كانت تتكلم باهتمام ولباقة ، غير ان غضبها ابرز لهجتها اللندنية . وقال مهدئا ايها :

— ربما سيكتب اليك .

- اتظنه سيفعل ؟ ان رأيتہ ، دعه يكتب لي . لا اريده ان يذهب . انه
- سخف . لقد انتهى كل شيء ، اخبره بأن كل شيء عاد الى مجراه . هل فعلت ؟
- اذا رأيتہ فسأخبره . ولكنه قد لا يتصل بي ايضا .
- فقلت وقد استنسلت غيظا :
- ما اسخف الامر ! لم يريد ان يهرب على هذه الصورة ؟
- وهز كتفيه وحاول ان يتفوه بجواب ما ، ولكنها قاطعته بقولها :
- هل يحاول ان يهرب منك ايضا ؟
- فابتسم لامعانها في التساؤل :
- اعتقد انه يحاول ان يهرب من كل الناس في الوقت الحاضر . انه
- في احدى حالاته النفسية .
- هل تدوم طويلا هذه الحالات ؟
- ولم يشعر بالليل للاعتراف بانه لم يختبر هذه الحالات قبلا . فقال :
- اوه ، ليس طويلا جدا . فهو لاشك سيتصل باحد اصدقائه ان عاجلا
- او اجلا .
- ولكنه لن يتصل بي . واذا لم يكن يريد ان يراني فلا فائدة من ..
- ولكنني سادعه يتصل بك .
- فحدثت في وجهه وقد غمرها الامل وقالت :
- كيف ؟
- ساطلب منه ان يراك .
- ولكنه ربما لا يريد ذلك .
- طيب . سارسل اليك عنوانه ، ويمكنك ان تكتبي اليه انت .
- صحيح ؟ هل تفعل ذلك ؟ انا واثقة من انه سيعدل عن تصرفه اذا
- تحدثت اليه .
- ما هو عنوانك ؟
- واخرج دفتر الملاحظات ، وكتب ما املته عليه . وسألت :
- اتعتقد بانك ستراه في وقت قريب ؟
- لا ادري . أخشى ان يطول انتظارك .
- اوه ، يا الهي . او لو اعرف سبب هربه .
- وقال :
- اعتقد بان احساسه قد جرح .
- وحدجته بنظرة مرتابة برهة وجيزة ثم قالت :
- حول تومي ... ابن عمي ؟

فأوما برأسه . وقالت :

— توقعت أنهم سيخبرونه بذلك . ولكن قل له ان الخطأ لم يكن خطئي .

ارجوك ان تخبره بذلك . اجعله يفهم : ها ؟

— سأحاول .

— اوه ، ارجوك . . . لقد كنت عازمة على ان اخبره بذلك .

وقال على عجل :

— لم يكن هذا وحده . اعتقد ان المشاكل التي تسببت مع ابيك والشرطة قد ازعجته . . .

كانت تضرب بطرف حداثها على بلاط الرصيف ومن ثم تقوس ساقها قبل ان تنتقل الى القدم الاخرى . وقال :

— علي ان اذهب الان . . .

فقالت بلهجة حزينة :

— اعتقد بانى ربما لن اراه ثانية .

ومضى في اعماقه شعور يشبه الغيرة ، فتسد حزام معطفه بقوة ليخفق هذا الشعور . وقال :

— كلا ، بل ستريه ثانية .

— ربما ليس لفترة طويلة .

— وهل يعني ذلك بالنسبة لك شيئا ؟

فهزت رأسها بهيئة جادة وقالت :

— بالطبع . كنت احب الحديث معه . كان واسع المعرفة . . . وكان ظريفا . واحب ان ازوره .

ورفعت نظرها اليه وازافت بصراحة مفاجئة :

— انا لا اميل الى اخوتي واخواتي .

ودفع يديه في اعماق جيبي معطفه ، وهو يتسهم لها وقال :

— لحسن حظك لم تتطور الامور الى اسوأ .

— اعلم . ولكن القضية كانت تستحق كل المتاعب . لا يهمني ان اتورط في متاعب ، ولكني امقت الضجر .

وقال :

— اذا بلغ بك الضجر مبلغا شديدا تعالي لزيارتي .

واحس على الفور بالندم لهذا الدافع الذي حدا به الى التفوه بهذه الكلمات ، لقد اخجله ان يقول ذلك لفتاة تعني شيئا كبيرا بالنسبة لفلاسب .

كان احساسا بالخيانة لفلاسب . وسألته الفتاة :

- هل انت رسام ؟
- كلا .
- ما انت ، اذن ؟
- كاتب .
- هل تقطن قريبا من هنا ؟
- كلا مع الاسف . اقطن في كامدن تاون .
- هل هي بعيدة جدا .
- ليست بعيدة جدا .
- زارك اوليفر يوما لتناول العشاء ، اليس كذلك ؟
- اجل .
- قالت بتردد :
- اود ان آتي . ولكني لا اريد ان يعلم والدي بذلك .
- فقال مبتسما :
- آمل الا تكوني معتادة على قبول دعوات الغرباء ؟
- اوه ، كلا . ولكنك لست غريبا .
- اشكرك . ولكنك لا تعرفين حتى اسمي .
- ما اسمك ؟
- جيرارد .
- نعم . اعرف عنك شيئا . اخبرني اوليفر عنك .
- وكتب عنوانه ورقمه التلفوني على ورقة من دفتر الملاحظات ثم اقتلعها .
- انظري . خذي هذه الورقة . ان رغبت في المجيء فيمكنك ان تتصلي بي تلفونيا . هل تعرفين كيفية استعمال جهاز التلفون ؟
- فقالت بمسحة من السخرية :
- بالطبع .
- وطوت الورقة بعناية ودستها داخل معطفها . وقال :
- علي ان اذهب الان . وداعا يا كريستين .
- هل يمكنني المجيء يوم السبت ؟
- طيب ... ان اردت . ربما من الافضل ان نلتقي في محل ما . هلا
- خابرت اولا ؟
- حسنا .
- هل لديك المال اللازم للنداء ؟
- وهزت رأسها بعنف . وقال :

— لا تفتمي كثيرا بشأن اوليفر .

— كلا .

— وداعا يا كريستين .

— وداعا .

ومسى نحو محطة نفق الدغيت : ما اغرب هذه الطفلة ، ماذا سافعل معها ؟ اعتقد بان الافضل ان اذهب بها الى جيرترود لتناول الشاي . ثم اجعل جيرترود توصلها بسيارتها . يا الهي ! اللعنة عليك يا اوليفر الاحمق ! . وتذكر نـن برجة عنيفة . لقد كان قد نسي كل شيء عنه خلال الدقائق العشر الماضية . ومرت به لحظة وفي ذهنه صورتان : وجه هذه الطفلة ، وجه المرأة القتيلة المندرة المعالم في محل الجثث . وتحرك الاشمئزاز في معدته كالابخرة الراكدة ، وتبع ذلك شعور كيف بالاشفاق والحزن . ووعى على نفسه وهو يقول بصوت عال :

— مسكينة انت يا كريستين ...

الفصل العاشر

- كان يوشك ان يضع المفتاح في الباب ، عندما اخذ جرس التلغون يرن .
فانزوى خلف حافة الجدار كي لا يظهر ظله على الزجاج . وبعد قليل سمع
صوت كارلوتة تقول :
- هلو ... كلا . غير موجود . ذهبت قبل قليل لاثقق . ساخبره
بانك اتصلت . نعم ، سيتصل بك . وداعا .
- واصدر التلغون قرقرة عندما اعادت السماعة الى مكانها . فادار مفتاحه
ودخل . كانت قد بدأت تكتب شيئا في دفتر الملاحظات .
- اوه ، يا مسنر سورم . لقد فائتك مخابرة تلفونية توا .
— فقال :
- اعلم . انا اردت ذلك .
- صحيح ؟ كان هو مستر ن . لم يترك لك خبرا .
- اذا اتصل اي شخص بي ، هلا قلت له بانني خارج البيت رجاء ؟
- لا تريد ان تتحدث مع احد .
- اجل .
- اتصلت سيدة قبل قليل . وقالت بانك ستعلم من هي .
- اوه ، شكرا ...
- ولا تريد ان تتحدث مع احد ؟
- ارجوك . اذا لم يكن لديك مانع .
- لا ابدا ولكن ماذا افعل اذا اقبل احدهم لزيارتك ؟
- ا ... اعتقد ، دعيه ياتي . ساقول بانني جئت توا . اني متعب واريد
ان انام الان .

فابتسمت بشيء من الحنان .
 - حسنا . سأخبرهم بانك لست في البيت .
 وذهبت نازلة السلم . اما هو فقد عثر على بعض النقود في جيبه وادار
 رقم المس كوينسي . فاجابت في الحال . لا بد انها كانت تقف بجوار التلفون .
 - جيرارد . اين كنت ؟
 - اوه ، في كل مكان . لقد عدت توا .
 - هل تأتي ؟
 - كلا ، يا عزيزتي . انا تعب قليلا واريد النوم .
 - يمكنك ان تنام هنا . هل آتي لاحضارك ؟
 - ليس هذا . لدي امور كثيرة اريد ان افكر فيها .
 - عمن اوستن ؟
 - نعم . ولكن لا تقولي شيئا في التلفون . اريد ان اخلو الى نفسي بضع
 ساعات لاثأمل في القضية كلها .
 - هل سيأتي اوستن ؟
 - كلا . لقد اتصل بي قبل قليل واخبرته الفتاة بانني غير موجود . لا
 اريد ان اراه الان .
 - لماذا ؟
 - سأشرح الامر فيما بعد . قد اتصل بك فيما بعد . اكاد اموت من
 التعب .
 - طيب . نوما هنيئا .
 - سأراك فيما بعد يا عزيزتي .
 لاحت غرفته غريبة عنه ، وكأنه غاب عنها زمنا طويلا . وملا ابريق
 الماء ووضعه على الموقد الغازي ، ثم اشعل المدفأة الغازية . وتناهى اليه من
 الغرفة العليا صوت اسطوانات موسيقية وضعها الرجل العجوز في الفرامافون .
 وقال لنفسه : يا الهي ، لقد بدأت حفلته في وقت مبكر . ونظر الى ساعته
 فتبين ان الوقت لم يكن مبكرا . كان قد تناول الطعام في مطعم صغير للعمال
 في شارع كيننشن تاون قبل مجيئه . لم يكن في الواقع تعباً . كان ذلك عددا
 تدرع به كي لا يقابل جيرترود .
 وازاح ما كان على الطاولة من الاكواب والاقداح القذرة وغطاها ببطانية
 جيش مطوية تناولها من السرير . فعل ذلك ليطمس ضجيج الآلة الكاتبة
 كي لا يؤثر على الغرفة التي تحت غرفته . وطفق يكتب على الآلة فوراً .
 وعندما شرع ماء الابريق بالغليان ، اخفض الغاز ومضى يكتب . واستعمل

ورقا من الحجم المتوسط يحمل في اعلاه الكلمة : « ملاحظات » . ولم تمض نصف الساعة حتى كان قد ملأى ثلاث صفحات . وتوقف ليقرا ما كتبه . وكانت الانفعالات تسري في جسده كمفعول الخمر . وقبل أن يبلغ نهاية الصفحات الثلاث ، سمع طرقا على الباب . مهتف : تفضل .

ودخلت جيرترود كوينسي وقالت :

— اسفة . هل قاطعتك ؟

وقال مجاملا :

— كلا . ابدا . تفضلي بالجلوس . ما الذي حدا بك الى المجيء ؟

وجلست على الطرف الثاني من الطاولة . كانت مرتدية معطفا من الفرو ، فاتح اللون شاحبه ، كلون فراء الدب . وقد قلبت ياقته الكبيرة الى الاعلى وذكره منظرها بكارولين قليلا . وقالت :

— اردت ان اراك .

فسألها مبتسما :

— كنت ترتابين في وجود كارولين معي ؟

— كلا .

ودله الارتفاع الذي ظهر على وجهها بأن حدسه لم يكن خاليا من الدقة

تماما . وقال :

— هل لك في قدح شاي ؟

— نعم ، رجاء .

واخفض النار الغازية . كانت الغرفة خائقة الحرارة . ونضت عنها معطفها والقت به على الفراش . كانت ترتدي تنورة صوفية زرقاء لم يرها قبلا ، ولاحت منسجمة وقوامها المشقوق . واحاطها بذراعيه وقبلها على جبينها ، قائلا :

— مميم . ما ذلك ؟

وتخلصت منه وامسكت بمعصميه .

— ماذا ستفعله بشأن أوستن ؟

— لست أدري ، يا عزيزتي . كان هذا سبب رغبتني في بقائي وحيدا

هذا المساء .

— انسا اسفة ...

— سأعود بعد لحظة .

وحمل إبريق الشاي والاكواب على صينية وصعد بها الى المطبخ ، وراح يغسلها في المغسلة . ولما عاد بعد دقائق قليلة الفاها تمسك بقطعة قماش وقد

- أخذت بتنظيف المكتبة من الغبار .
- اليس هناك احد ينظف غرفتك ؟
- المفروض في تلك الفترة ان تقوم بذلك مرة واحدة في الاسبوع .
- تلك الفتاة التي ادخلتني اليك ؟ ليست نسيطة الحركة . هنالك من
- السعر والزغب تحت السرير ما يكفي لتحسية فرائش كامل .
- وازاح الالة الكاتبة من الطاولة والفي بالبطانية على السرير . وقطبت
- وجهها لرؤية حصير البلاستيك ملطخة ببقع الساي والبيرة .
- هل لديك اسفنجة ؟
- اعتقد هناك واحدة في المطبخ . ولكن لا ضرورة لهذه المشقة الان .
- لا اريد ان يتسمر نظري في هذه اللطخات . هناك فوق ؟
- وخرجت من الغرفة وصعدت السلم . وصب الماء الساخن على الشاي
- ثم اطفأ الغاز . وعادت بعد هنيهة ويدها قطعة من القماش المبلل ومسحت
- البقع من حصير البلاستيك . وتناهى اليهما خلال الباب المفتوح صوت
- جرس التلفون .
- اتظن المخابرة لك ؟
- ربما . ولكني اخبرت الفتاة ان تدعي بانى خارج البيت .
- ولنفرض انه اوستن ؟
- لا اريد ان ارى اوستن . ليس الان .
- آه .
- وعادت بقطعة القماش الى المطبخ . وصب سورم الساي . ثم رجعت
- واغلقت الباب باناة وجلست .
- لم لا تريد رؤيته ؟
- لان ... لدي امور كثيرة اريد ان افكر فيها .
- فقال بهدوء :
- انه الرجل الذي تبحث عنه الشرطة ، اليس كذلك ؟
- والتقت نظرتهما . لم يكن به ميل الى الكذب .
- حتى لو كان هو ، فهو لم يزل طليقا .
- اعلم . هذا ما ذكره الراديو الليلة .
- ذكر ماذا ؟
- بان الشرطة قد استجوبت اثنين في سكوتلانديارد ثم اطلقت سراحهما .
- ممم . صحيح ؟ امر يثير الاهتمام .
- هل هو الرجل المطلوب .

وادرك فجأة سخافة ان يخفي الامر عنها . فhez رأسه بالايجاب .
واطلقت زفرة عميقة ، واشاحت بوجهها عنه . وراح يرقبها مليا . وسأله
اخيرا :

- الم تكن عازما على اخباري ؟
- لم اكن اريد اثارة قلقك .
- ماذا تعزم ان تفعل الان ؟
- ليس هنالك ما يمكنني فعله .
- لم غيرت رأيك حول لقائه الليلة ؟
- فhez رأسه وقال :
- اريد وقتا للتفكير .
- هل انك ... تتخلى عنه ؟
- فقال :

- اسمعي ، ايتها العزيرة . اريد ان تحاولي فهم ذلك . كنت اشك منذ
اكثر من اسبوع في ان يكون اوستن هومجرم وايتشابل . ولم ادع هذا الشك
يقلقني . بل بالعكس وجدت لذة بذلك . اردت ان افهمه ، لا ان ادينه . على
كل حال ، فقد بدأت الان فقط ان افهمه . فان التقيت به الان، يجب ان اجعله
يسدرك باني ادينه . وافضل الا افعل ذلك . افضل ان يظل يتصور باني صديقه .
- هل كففت عن صداقته ؟

- ليس هذه هي المسألة . كنت اعتقد صباح اليوم باني افهمه خيرا
من رجال الشرطة . والان علمت باني كنت مخطئا .
- ولكن جيرارد ... انه لم يزل انسانا . انه بحاجة الى العون. انه
بحاجة الى الاصدقاء . واذا كان مذنبا ، فهو بحاجة الى الاصدقاء اكثر من
اي وقت مضى .
وقال :

- ذهبت في المساء لمشاهدة المرأة التي قتلها . كانت في غرفة الجثث في
مستشفى لندن لقد ادركت امورا لم اكن ادركها قبلا .
- وما هي ؟

- ومال الى الامام فوق المنضدة وهو يتكلم بروية تامة :
- اكتشفت شيئا لم اكن ادركه في اوستن . انه انسان مجنون .
وامتقع وجهها .
- انه ليس بمجنون . انا واثقة من انه ليس بمجنون ...
- انا لا اعني بانه فاقد العقل تماما، كهذا الذي يسكن في الطابق

العلوي . ولكن في دماغه ركنا متعفنا كالتفاحة المتعفنة . اتعلمين لم يقترف جرائم القتل ؟ لانه يعلم بانه يعاني مرضا قاتلا . مثله مثل الرجل المصاب بالشلل الذي يحتاج الى المحفزات اكثر فاكثر كلما توغل الشلل فيه . انه لم يعد يكثرث لنسيء .

وعندما كان يتحدث ، كان وجهها لا ينم عن التصديق في بادئ الامر ، ثم تحول التعبير الى مسحة من اليأس .

— ولكن ارجوك، يا جيرارد. الاتفهم ؟ ان كان هذا صحيحا فعلينا ان نبقي الى جانبه . انه بحاجة الى العون اكثر من ذي قبل .

— وماذا عن كتابك المقدس ؟ « سوف لن تقتل » ؟

— ولكن العهد الجديد يتحدث عن الحب، لا العقاب . يكفيه عقاب القانون .

— ماذا يملكك على التفكير في ان القانون سيعاقبه ؟ انه يعرف بان ليس للشرطة اي دليل ضده . انهم لن يعثروا على لطخات الدم على حدائه ، او اي شيء من هذا القبيل . انه فرح لان الشرطة اخذت تنعقبه . انه يحب الوقوف امامهم وجها لوجه . هذا محفز اخر بالنسبة له . وهو يعلم ان الشرطة لا تملك دليلا واحدا ضده ما لم تقبض عليه متلبسا بالفعل . الا ان هنالك شيئا واحدا يقلقني ...

— ما هو ؟

— كان غير آبه الى حد الغباء في نهاية الاسبوع الماضي . وقد اتصل بي من سويسرا تلفونيا ليطلب مني ان اذهب الى شقته في كينسنغتون لآخذ بعض الملابس النسائية . يلوح هذا الفعل دافعا لا واعيا يدفعه الى تعريض نفسه للقبض ...

— لمن كانت هذه الملابس ؟

— لست ادري . ذكر رجال الشرطة اسم بغبي شوهدت تتحرش به خارج نادي البلالاكا . من يدرينا لعلها مدفونة تحت ارضية شقته في كينسنغتون .

وانحسر الدم عن وجهها تماما ، وظن انها ستغيب عن وعيها . وقال :

— خذي حذرك ، يا عزيزتي . هل انت على ما يرام ؟

وهزت رأسها هزة قصيرة ، وانتقلت من الكرسي الى السرير . وجلست على حافته مستندة الى الجدار .

— هل انت جاد ... ؟

— كلا . كلا . في الواقع . لاعتقد جادا انه قتل المرأة . انه اكثر حذرا من ان يقوم بذلك .

— ولكن لمن كانت هذه الملابس ؟

— من المحتمل ان تكون هذه ملابس مستعملة اشتراها من احد الدكاكين لغرض ما . كان يريد ان يوليني تقته . ولو كنت ذهبت الى الشرطة ، لما كان يهمه ذلك في شيء — ربما كان سيذهب برجال الشرطة الى الحانوت الذي ابتاع الملابس منه واختلق عدرا بانه لا يريد احد اصدقائه من الصبيان ان يعثر عليها في شقته . ولكنه كان يريد الكتمان حول هذه المسألة الى حد سخي . ولم يكن مضطرا للسفر الى سويسرا . وكان يشك في احتمال كوني متعاطفا معه . كان بحاجة الى شخص يوليه صراحته . فاختارني وقد وجدني مفعما بانواع النظريات حول النورة والمدنية الحديثة وغير ذلك ، فاعتقد بانني ساكون خير كاتم للسـر — على شرط الا اطلع على حقيقته اكثر مما ينبغي . ولسوء الحظ ، خطرت للبروفسور شتاين ، الطبيب الالماني ، فكرة اخذي لمشاهدة الجثة . وحتى في تلك اللحظة ، فشلت خطة الدكتور معي . كانت جثة هذه المرأة منوهة تشويها يقطع كل علاقة لها بالانسان . وكنت خرجت من المستشفى وانا لم ازل لا افهم شيئا . ولكن كانت هنالك جثة لامرأة اخرى — ماتت حرقا . وفجأة ادركت ما يعنيه الموت عن طريق العنف . اتعلمين ماذا يعني ؟ يعني انتفاء تاما لجميع الدوافع . يعني اننا لا نملك مستقبلا ، على حين علينا ان نؤمن بالمستقبل . والامر لا يتصل بمستقبلي فقط وانما بمستقبل الجنس البشري . واذا كان للحياة ان تنتهي على هذا الشكل — تنطفئ بنفخة واحدة — فكل ما يتشدد به الناس من كرامة الانسان ضلال وخداع . ربما تكون الضحية في المرة القادمة انت او انا . وادركت فجأة شيئا خطر لي مرة او مرتين ولكني لم اكن افهم كنهه قط . اذا كان العالم طيبا ، ذلك لان الحياة ، بطريقة ما ، كلها شيء واحد . وهذا ما نعينه صحة العقل — كل الانبياء هي كل لا يتجزأ ، ليس الحياة فقط وانما الماء والاحجار . وهنا يكمن جنون اوسن . هل ادركت ذلك : انه بحاجة الى الاخرين ولكنه لا يؤمن في الحقيقة بانهم موجودون ؟ الحياة خالية من المعنى بالنسبة له . انه رجل لا مستقبل له . وله القدرة على سلب حياة الاخرين لانه لا يعلق اهمية على حياته هو .

وكانت تهز رأسها عندما كان يتكلم .

— انك مخطيء . انه لم يهبط الى هذا الدرك . كان دائما انسانا مفسدا انايا ، ولكنه ينطوي على طيبة كبيرة في اعماقه ...

— حاولي ان تفهمي ، يا عزيزتي . انه مجنون . ان احسن ما يمكن فعله له الان هو ارساله الى مستشفى برودمور .

— ولكن ... ماذا ستفعل الان ؟ تخبر الشرطة ؟

— كلا . لا يمكنني ذلك . كان يثق بي .

— لم كان يثق بك ؟

— كان يعلم بانني اشعر مثل شعوره حول كثير من الاشياء . اتعلمين ، لم ادرك انذاك بانه كان معتوها . ظننته يريد التعبير عن النورة بوجه الطريقة التي تسير عليها الحياة في العصر الحاضر . اتعلمين ... اخذ التنظيم يشمل كافة نواحي الحياة ، وكل انسان مدفوع الى الانتظام في هذه الماكنة . بيد انهم كلما ارادوا أن يسلبوا الانسان حريته ، اشتد التعبير عنها عن طريق العنف . وكلما تحدثوا عن القانون والمجتمع ازدادت نسبة الجرائم . ويترك الناس مصائرهم يتلاعب بها السياسيون ومروجو الاعلانات الى حد معين ، غير أن التمرد يستفحل في نفوسهم شيئا فشيئا . وتظل نسب الجرائم الجنسية وجنوح الاحداث والانتحار ترتفع باطراد . لا يمكن للانسان ان يستغني عن اللامعقول . فالانسان ، في الاخير ، ليس مخلوقا عقليا . انه في الواقع لا يبغى مدينة كاملة وفردوسا ارضيا .

فقالت بهدوء :

— وسبب ذلك الخطيئة الاولى .

— ربما . ولكني لا اميل الى خرافة جنة عدن . لا يريد الانسان ان يكون آدم متحررا من الخطيئة في جنة عدن ، وانما يريد ان يكون الها . امنحني الانسان فرصة اخرى ، وسيبادر الى اكل التفاحة . انه يريد ان يكون اكثر من انسان ، ولا يهمه مطلقا ان يتمرغ في البؤس والقدارة . اذ انها على الاقل برهان على حريته . وهنا موطن الخطأ في موقفني تجاه اوستن . ظننت جرائمه من دلائل التحدي . مثل اكل التفاحة . ولكنها لم تكن كذلك . انه يقتل لعين السبب الذي يدفع المدمن الى تناول المسكرات — ليس فسي وسعه ان يتوقف .

وكف عن الكلام ، وقد احس باجهد غريب . لم يكن بعد قد لمس قدح الناي . ومال الى الامام وناولها الكوب الملائ من الجانب القريب منها من الطاولة ، ثم راح يحرك كوبه . كان فاترا . وشربه جرعة واحدة دون ان يخفض الكوب . وقال :

— اتعلمين لم لم استطع معاونة شتاتين ؟ لانه لا يختلف شرا عن اوستن ، سوى انه لا يدرك ذلك . انه يريد ان يلقي القبض على اوستن لخير هذه المنظمة — خير المجتمع . ولكنه خلال الحرب ، ربما اقر القضاء على الساميين ولخير المجتمع ايضا . وهو لا يكثرث لحرية الانسان مطلقا .

كان يتكلم الان لانه رآها مشدوهة . وكانت هذه محاولة لاصلاح نفسياتها ، كمحاولة لصرف اهتمام الشخص الذي اکتوت اصبعه حتى يذهب الالم . وقال :
 - لقد تعلمت الكثير من اوستن ، يلوح انني تعلمت الكثير خلال الاسبوع المنصرم . تعلمت مثلا الا فائدة من الهروب . خذي اوليفر المسكين مثلا . حاولت ان ازوره هذا المساء فوجدته قد رحل - حزم امتعته ورحل . تلك هي طريقته في تحاشي الاشياء التي يكرهها .
 وبدأت عليها الرغبة في التمسك بموضوع غلاسب خلاصا من التفكير في اوستن .

- اوليفر ؟ الا تعرف اين ذهب ؟
 - كلا . لم يترك عنوانه . ولكنني التقيت بهذه الفتاة - كريستين - الفتاة التي سببت كل متاعبه . انها فتاة صغيرة حلوة - تبدو اكبر من سنها . لقد وعدتها بلقائها يوم السبت .
 - لقائها ؟

- اجل . فكرت في ان آتي بها عندك لتناول الشاي ؟ كان تأثيرها لمفادرة غلاسب ظاهرة على كل حال ، لم ارد ان اتركها دون الاتصال بها . اعتقد ان اوليفر احمق . انها لا تعدو ان تكون طفلة وهو يعاملها وكأنها فتاة بالغة خائنه . انه نموذج للرومانتيكي - لا يكلف نفسه مشقة تحليل عواطفه . مثله مثل اوستن من هذه الناحية . بدلا من تحليل مشاعره ، يعمل بموجبها . ما عدا ان رد فعل غلاسب هو ايداء نفسه . في حين ان اوستن يؤذي الآخرين .
 وسألته ببطء :

- هل تعتقد حقا بان اوستن ... مجنون ؟
 - اجل . انه مجنون .
 - وهل توافقك المحكمة على ذلك ؟
 - لست ادري . اشك في ذلك . فجنونه ليس من النوع الظاهر .
 - ماذا تعني ؟

- ان جنونه اقرب الى جنون العصر . اخبرني اوستن صباح اليوم باننا نعيش في عصر القتل . انه يفهم ذلك تمام الفهم ؟ هل اخبرك ما هو اوستن ؟ مثله مثل الجرذان التي هي اول من يموت عندما ينتشر وباء الطاعون . لقد لسعه المكروب . وليست له اية مقاومة . وهو يعتقد ان المقاومة لن تنفع في شيء . ان حرية الانسان في طريقها الى الزوال ، وهو يسعى الى معاونتها في هذا الطريق بقليل من القتل . هنا يكمن جنونه . الجنون هو الكف عن المقاومة . ضعني اوستن في مستشفى المجاذيب ، وسوف تظهر

عليه علائم الجنون التام خلال اسابيع معدودات .
 - ما الذي يحملك على هذا القول ؟
 - لان مثل ذلك مثل حرمان المدمن على المخدرات من مخدراته . لانه
 عندما يحس بالتوتر يبدأ بالقتل . ولكنه ان وضع حيث لا يمكنه ارتكاب
 القتل ، يبدأ بالهيجان .
 - وهل ... سيستمر الان ... اعني ؟
 - اظن ذلك .
 - اذن ... اعتقد انه يجب ان نفعل شيئا .
 - ماذا ؟
 - يجب ان ارى والديه . ينبغي ان تأتي انت ايضا . فلن يصدقا ذلك .
 لديهما المال ويمكنهما وضعه في مسننسى خاص .
 - يجب ان يبت ذلك الطبيب . وينبغي ان يعرف الطبيب . تفاصيل
 حالته وتاريخها . فسيذهب الى السجن .
 - كلا . لديهم اصدقاء .
 وراحت تحقق في النار . وقالت بصوت خافت :
 - يا الهي ... ما افظع ما يجب ان تواجهه فجأة ؟
 - لقد نجحت في مواجهة ذلك .
 - ولكني ... لست على صلة وبقية به . ثم انك افضيت بالنبا ...
 برفق .
 وقال سورم بنفاد صبر :
 - يبدو ان والديه بحاجة الى صدمة .
 فارتعست :
 - لا يسحق احد ان يصدى بهذا الشكل .
 - اعتقد ان الامر هجنوم الان . ربما ستكون الصدمة اعنف قريبا ...
 وفهمت ما يعنيه حالا :
 - كلا ... ليس الان ، بالتأكيد ؟
 فقال سورم وقد هز كتفيه :
 - لا اريد ان افزعك يا عزيزتي . ولكنه قادر على اتيان جريمة اخرى
 هذه الليلة لا لشيء الا للتباهي . لقد اصبحت القضية بالنسبة له قضية
 العوية . هذا ما لم ادركه عندما تكلمت معه في الصباح . لا يمكنه ان يمنع
 نفسه من التحدي .
 ونظرت الى ساعتها :

— وعليه فيجب ان نذهب فوراً .
 — كنت أعتقد ان والديه يقطنان في شروشاير ؟
 — والده يسكن في المدينة . سأتصل به تلفونيا .
 — هل انت بحاجة الي حقا الان ؟
 — انا ... ربما لا . ولكنني قد احتاج اليك فيما بعد . هل ستبقى
 فسي البيت ؟
 — أجل . سانتظر هنا . ولكن كوني على حذر ، بالله عليك . لا تفعل
 شيئا يجعل من كلينا شريكين في الجريمة . واذا اتصلت به تلفونيا فـسـلا
 تذكري شيئا في التلفون .
 وساعدها في ارتداء معطفها . كان الدهول قد تلاشى من وجهها . فقد
 اعاد اليها عزمها على العمل الفوري نقتها . وفتحت حقيبتها واخرجت
 منها باوناً .
 — اترك اليك بعض النقود . اذا اتصلت بك تلفونيا . قد اطلب اليك
 القدوم بتاكسي .
 — لا اريد النقود . لدي ما يكفي .
 — احتفظ به الان . ربما اتصل بك خلال ساعة . ساكون في شارع
 الباني . واذا لم اجده . سانتظره هناك . لا تتعب نفسك بمرافقتي الى الباب .
 وطبعت على انفه قبلة قصيرة وخرجت . كانت المرة الاولى التي تتقدم
 هي بتقبيله . وظل واقفا في مدخل الباب يصفي الى وقع خطواتها على السلم
 ثم انصفاق الباب الخارجي . ولسبب ما ، اراد ان يتحقق من كونه وحيدا .
 ثم صب له كوبا اخر من الشاي وازاف اليه بعض الماء لتخفيفه . وبالرغم
 من التعب ، طاف فيه احساس باليقين وبالنظام . احس كأنه بدأ ينظر فـسي
 داخل نفسه ويرقب عمليات كانت غير منظورة قبلا . ولم يسعد يرغب في
 البساطة ، كان تراكم معرفته لذاته قد قلل من اهميتها .
 وبدأ جرس التلفون يرن في الطابق الاسفل . وتردد قليلا عند الباب ،
 ولكن عندما استمر الرنين ذهب ليرد عليه . لم يعد لتجنب اوستن اي معنى
 الان . واحس كأنه معلق ، ينتظر وقوع امر ما .
 وهتف صوت فتاة :
 — هل المستر سورم موجود ، رجاء ؟
 — يتكلم .
 — آوه ، لم يبد كأنه صوتك . كارولين تتكلم ؟
 وقال بشيء من التردد :

- كيف حالك يا عزيزتي ؟
- استلمت برقيتك . متى وصلت ؟
- منذ عشر دقائق . أين أنت ؟
- في البيت . ماذا حدث ؟
- لا يمكن ان اخبرك في التلفون . ساخبرك عندما اراك .
- متى يكون ذلك ؟
- واحس كأنه ينزلق من منحدر ، لا يقوى على التوقف . وقال بحذر :
- متى يمكننا اللقاء .
- ليس غدا . لدي تدريب . وربما يكون لدينا تدريب آخر يسوم
الاربعاء . لست واثقة . أنا طليقة يوم الخميس ...
- يجب ... يجب ان اؤكد من مفكرتي .
- يوم الخميس يناسبني . اخبرت امي بانني ذاهبة الى حفلة ساهرة
طول الليل . وقد الغيت الحفلة . وعليه فلست ملزمة بالذهاب الى البيت .
ومضت تتكلم ، وهو في موقفه هناك ، يحدق في صندوق النقود ، متظاهرا
بتصفح مفكرته ليغتنم الفرصة ويفكر . واحس فجأة بالامتعاض من نفسه وقال :
- اجل الخميس لا بأس . هل تأتين الى هنا ؟
- طيب ، يا عزيزي . حوالي السابعة ؟
- عظيم .
- وقالت على الفور :
- يجب ان اغلق التلفون . امي عند الباب .
وانقطع الصوت .
- وذهب الى غرفته ، واحسب الشاي ، وهو يقف الى جوار الموقد .
واحس ببهجة غريبة تحركه ، وبقبول للتعقيد . ومضى يتفرس في وجهه في
المرآة ، وهو يقول بصوت عال :
- ماذا ستفعل الان ، يا ايها النغل البيلد ؟
وابتسم لنفسه مكشرا عن اسنانه ، ثم رفع انفه كما يفعل الارنب .

« انتهى الكتاب »

Handwritten signature

مؤسسة حماد للدراسات والبحوث
مكتب: ٩٤٢٠٨٣ - بيروت - لبنان



مؤلفات كولن ولسون

●

- ضياع في سوهو
- ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق
- المعقول واللامعقول في الأدب الحديث
- ترجمة أنيس زكي حسن
- أصول الدافع الجنسي
- ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
- اللامتني
- ترجمة أنيس زكي حسن
- ما بعد اللامتني
- ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
- القفص الزجاجي
- ترجمة سامي خشبة
- طقوس في الظلام
- ترجمة فاروق محمد يوسف
- سقوط الحضارة
- ترجمة أنيس زكي حسن
- رحلة نحو البداية
- ترجمة سامي خشبة
- الشعر والصوفية
- ترجمة عمر الديراوي
- الحالم
- ترجمة سامي خشبة
- إله المتاهة
- ترجمة سامي خشبة
- الانسان وقواه الخفية
- ترجمة سامي خشبة
- الشك
- ترجمة يوسف شرورو
- خفايا الحياة
- ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

مؤلفات كولن ولسون من منشورات دار الآداب

- | | |
|------------------------------|---|
| ترجمة يوسف شرورو وعمر يمي | <input type="checkbox"/> ضياع في سوهو |
| ترجمة أنيس زكي حسن | <input type="checkbox"/> المعلوم والمعلوم في |
| ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب | <input type="checkbox"/> الأدب الحديث |
| ترجمة أنيس زكي حسن | <input type="checkbox"/> أصول الدافع الجنسي |
| ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب | <input type="checkbox"/> اللامنتمي |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> ما بعد اللامنتمي |
| ترجمة فاروق محمد يوسف | <input type="checkbox"/> القفص الزجاجي |
| ترجمة أنيس زكي حسن | <input type="checkbox"/> طقوس في الظلام |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> سقوط الحضارة |
| ترجمة عمر الديراوي | <input type="checkbox"/> رحلة نحو البداية |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> الشعر والصوفية |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> الحالم |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> إله المتاهة |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> الانسان وقواه الخفية |
| ترجمة يوسف شرورو | <input type="checkbox"/> الشك |
| ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد | <input type="checkbox"/> خفايا الحياة |